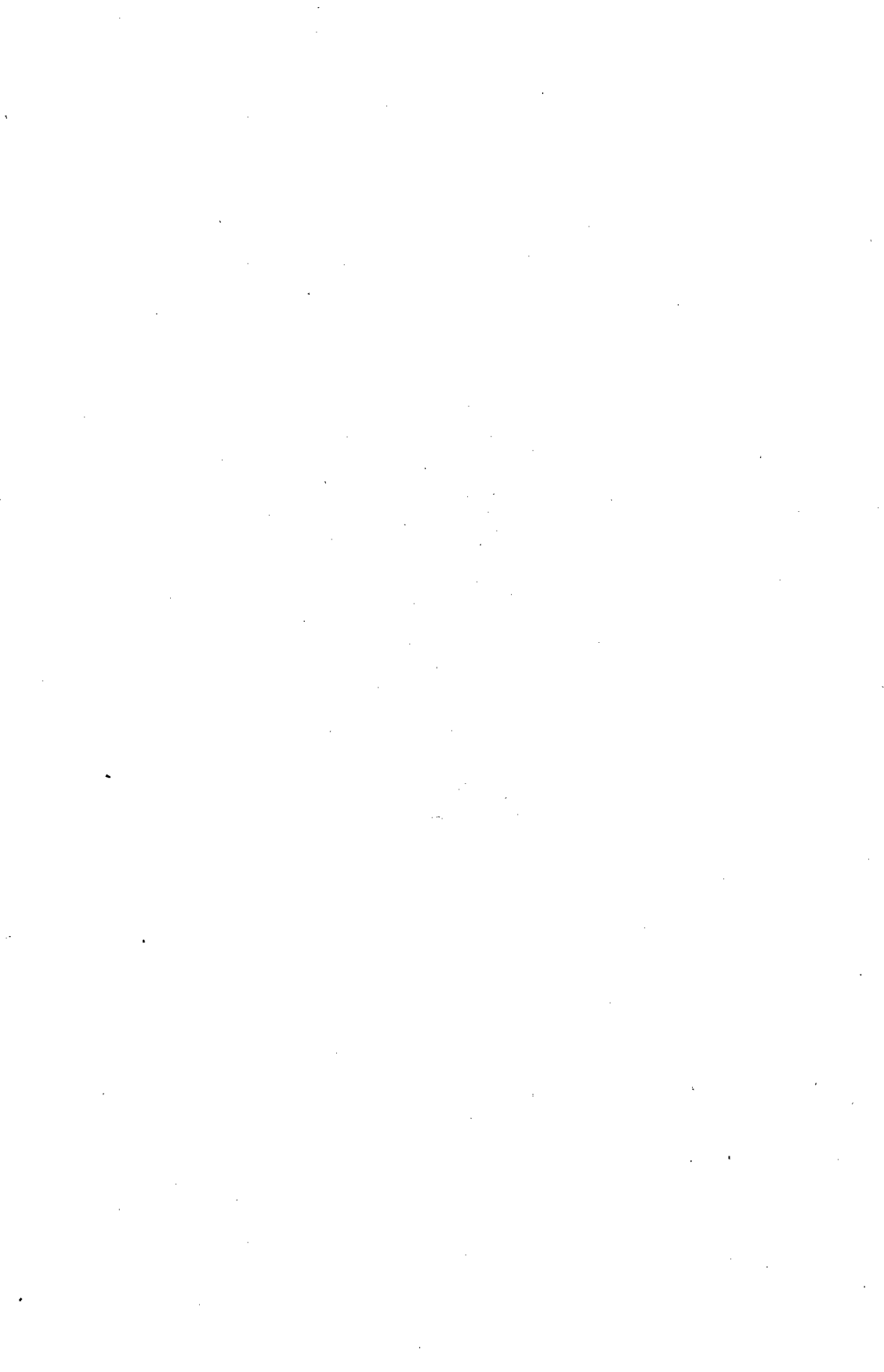


صِبْحُ الْأَسْبَعِ

الجزء السابع



دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء السابع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

الطَّرْفُ العَاشِرُ

فِي المَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ مَلُوكِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ
(وَلَهَا حَالَتَانِ)

الحَالَةُ الأُولَى

(مَا كَانَ الأَمْرُ عَلَيْهِ قَبْلَ دَوْلَةِ الخُلَفَاءِ الفَاطِمِيّينَ بِهَا فِي الدَوْلَةِ
الأخشيديّة والطولونيّة وما قبلهما)

والذّي وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ رِسْمِ المَكَاتِبَةِ عَنْهُمْ أَنْ تُفْتَحَ بِلَفْظِ: «مَنْ فَلَانَ إِلَى فَلَانٍ». .
كَمَا كَتَبَ أَبُو عَبْدِ كَانٍ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ إِلَى ابْنِهِ العَبَّاسِ حِينَ عَصَى^(١) [عَلَيْهِ]
بِالإِسْكَانْدَرِيَّةِ، مَنذِرًا لَهُ وَمَوْجِّحًا لَهُ عَلَى فِعْلِهِ، وَهُوَ:

«مَنْ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ مَوْلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، إِلَى الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ، العَاصِي لِرَبِّهِ، المُعْلِمُ
بِذَنْبِهِ، المُفْسِدُ لِكُتُبِهِ، العَادِي لَطَوْرِهِ، الجَاهِلُ لِقُدْرِهِ، النَّاكِصُ عَلَى عَقْبِهِ، المَرْكُوسُ
فِي فِتْنَتِهِ، المَبْجُوسُ [مِنْ] حَظِّ دُنْيَاہِ وَأَخْرَجْتَهُ!»^(١)

سَلَامٌ عَلَى كُلِّ مُنِيبٍ مُسْتَجِيبٍ، تَائِبٍ مِنْ قَرِيبٍ، قَبْلَ الأَخْذِ بِالكَظْمِ، وَحُلُولِ
القَوْتِ وَالنَّدَمِ .

(١) الزيادة من الضوء للؤلّف ص ٤٦٦، ٤٦٧ .

وأحمدُ الله الذي لا إلهَ إلا هو حمدَ معترفٍ له بالبلاءِ الجميل ، والطولِ الجليل ؛
 وأسأله مسألةً مَخِصٍ في رَجَائِهِ ، مجتهدٍ في دُعَائِهِ ؛ أن يصليَ عليَّ محمدَ المصطفى ،
 وأمينه المرتضى ، ورسوله المحجَّبِ ؛ صلى اللهُ عليه وسلم .

أما بعد ، فإن مَثَلَكَ مثلُ البقرةِ تُبْرَأُ المُدِيَّةِ بقرنَيْهَا ، والنملةِ يَكُونُ حَتْفُهَا في جناحَيْهَا ،
 وستَعَلِّمُ - هَيْلَتِكَ الهَوَابِلُ ! أَيُّهَا الأَحْمَقُ الجَاهِلُ ؛ الذي نَحَىْ عَنِ العِطْفِ ، وأَعْتَرِ
 بِضَجَاجِ المَوَاكِبِ خَلْفَهُ - أَيُّ مَوْرِدَةٍ هَلَكَةٍ بِإِذْنِ الله تَوَرَّدَتْ ، إذ عَلِيَ اللهُ جِلَّ وَعِزِّ
 تَمَرَّدَتْ وَشَرَّدَتْ ، فإنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ ضَرَبَ لَكَ في كِتَابِهِ مَثَلًا : ﴿ قَرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةً
 مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللهُ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ
 وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

وإِنَّا كُنَّا نُقَرِّبُكَ إِلَيْنَا ، وَنَسْبُكَ إِلَى بِيوتِنَا ؛ طَمَعًا فِي إِيَابَتِكَ ، وَتَأْمِيلًا لِفَيْئَتِكَ ؛
 فَلَمَّا طَالَ فِي العِزِّ أَنَّهُمَا كُنَّا ، وَفِي عَمْرَةٍ الجَهْلِ أَرْتِبَا كُنَّا ؛ وَلَمْ نَرَ المَوْعِظَةَ تَلِينُ كَيْدِكَ ،
 وَلَا التَّدْكِيرَ يَقِيمُ أَوْدَكَ ، لَمْ تَكُنْ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ أَهْلًا ، وَلَا لِإِضَافَتِكَ إِلَيْنَا مَوْضِعًا
 وَمَحَلًّا ؛ بَلْ لَا تُكْنَى 'أَبِي العَبَّاسِ' إِلَّا تَكْرَهًا وَطَمَعًا بِأَنْ يَهَبَ اللهُ مِنْكَ خَلْفًا نَقَلْدَهُ أَاسْمَكَ
 وَكُنَى 'بِه دُونَكَ ، وَنَعُدُّكَ كَنْتَ نِسِيًا مَنَسِيًا ، وَلَمْ تَكْ شَيْئًا مَقْضِيًا ؛ فَانظُرْ وَلَا نَظَرَ
 بِكَ إِلَى عَارِ نِسْبَتِهِ تَقَلَّدْتَ ، وَتَحْطِطُ مِنْ قَبْلِنَا تَعَرَّضْتَ ؛ وَأَعْلَمُ أَنَّ البَلَاءَ بِإِذْنِ اللهُ
 قَدْ أَظْلَمَكَ ، وَالمَكْرُوهَ إِنْ شَاءَ اللهُ قَدْ أَحَاطَ بِكَ ؛ وَالعَسَا كَرَّ بِحَمْدِ اللهُ قَدْ أَتَيْتَكَ كَالسَّيْلِ
 فِي اللَّيْلِ ، تُؤْذِنُكَ بِجَرِيٍّ وَبِوَيْلٍ ؛ فَإِنَّا نَقْسِمُ ، وَنَرْجُو أَنْ لَا يُجُورَ وَنَظْمٍ ؛ أَنْ لَا نُنْثَى
 عَنْكَ عَنَانًا ، وَلَا نُؤَثِّرَ عَلَى شَانِكَ شَانًا ؛ وَلَا نَتَوَقَّلَ ذِرْوَةَ جَبَلٍ ، وَلَا تَلِيحَ بَطْنَ وَادٍ ؛
 إِلَّا جَعَلْنَاكَ بِحَوْلِ اللهُ وَقُوَّتِهِ فِيهِمَا ، وَطَلَبْنَاكَ حَيْثُ أُمَّتٌ مِنْهُمَا ؛ مُنْفَقِينَ فِيكَ كُلَّ
 مَالٍ خَطِيرٍ ، وَمَسْتَصْغِرِينَ بِسَيْدِكَ كُلَّ خَطْبٍ جَلِيلٍ ؛ حَتَّى تَسْتَمِرَّ مِنْ طَعْمِ العَيْشِ

(١) لعله "بعباك" والمراد اقتفاء أثره حيث يم .

ما آسحتليت، وتستدفع من البلياء ما آستدعيت؛ حين لادافع بحول الله عنك،
ولا مزحرج لنا عن ساحتك؛ وتعرف من قدر الرخاء ما جهلت، وتود أنك هببت
ولم تكن بالمعصية عجلت، ولا رأى من أضلك من غواتك قبلت؛ ^(١) فحينئذ يتفرى
لك الليل عن صبحه، ويسير لك الحق عن محضه؛ فننظر بعينين لا غشاوة عليهما،
وتسمع بأذنين لا وقرف فيهما؛ وتعلم أنك كنت متمسكا بجبال غرور، متماديا
في مقابح أمور؛ من عقوق لا ينأ طالبه، وبغى لا ينجو هاربه؛ وغدر لا يتعش
صربه، وكفران لا يودي قتيله؛ وتقف على سوء رويتك، وعظم جريرتك؛ في نركك
قبول الأمان إذ هو لك مبدول، وأنت عليه محمول؛ وإذ السيف عنك مغمود،
وباب التوبة إليك مفتوح؛ وتتلهف والتلهف غير نافعك إلا أن تكون أجبت إليه
مسرعا، وآتقت إليه متصحا.

وإن مما زاد في ذنوبك عندي ماورد به كتابك على بعد نفوذى على الفسطاط من
التمويهات والأعليل، والعدايات بالأباطيل؛ من مصيرك بزعمك إلى إصلاح ما ذكرت
أنه فسد على، حتى ملت إلى الإسكندرية، فأقت بها طول هذه المده. وأستظهارا
عليك بالجه؛ وقطعا لمن عسى أن يتعلق به معذرة علم بأن الأناة غير صادة، ولا أنه
خالجنى شك ولا عارضنى ريب فى أنك إنما أردت التزوح والاحتيال للهرب، والتزوع
إلى بعض المواضع التى لعل قصدك إياها يوديك، ولعل مصيرك إليها يكفينيك؛
ويبلغ إلى أكثر من الإرادة فيك، لأنك إن شاء الله لا تقصد موضعا إلا تلوتك،
ولا تاتى بلدا إلا قفوتك؛ ولا تلوذ بعصمة تظن أنها تحيك إلا آستعنت بالله عز وجل
فى جدّ جبلها، وفصم عروتها؛ فإن أحدا لا يؤوى مثلك ولا ينصره إلا لأحد أمرين

(١) أى ينشق يقال، فراه فافرى وتفرى انظر المختار.

من دينٍ أو دُنْيَا . فَمَا الدِّينَ فَانْتَ خَارِجٌ مِنْ جَمَلَتِهِ لِمَقَامِكَ عَلَى العُقُوقِ ، وَمُخَالَفَةِ رَبِّكَ وَإِسْخَاطِهِ . وَأَمَّا الدُّنْيَا فَمَا أَرَاهُ بَقِيَ مَعَكَ مِنَ الحَطَامِ الذى سَرَقْتَهُ وَحَمَلْتَ نَفْسَكَ عَلَى الإِيثَارِ بِهِ ، مَا يَتَّبِعُكَ لَكَ مَكَاتِرُنَا بِمِثْلِهِ ، مَعَ مَا وَهَبَ اللهُ لَنَا مِنْ جَزِيلِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَسْتُوْدِعُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهَا ، وَنَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي إِتْمَانِهَا ، إِلَى مَا أَنْتَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ مِنَ البَغْيِ الذى هُوَ صَارِعُكَ ، وَالْعُقُوقِ الذى هُوَ طَالِبُكَ .

وَأَمَّا مَا مَنَيْتَنَاهُ مِنْ مَصِيرِكَ إِلَيْنَا فِي حُشُودِكَ وَجُمُوعِكَ ، وَمَنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِكَ ؛ لِإِصْلَاحِ عَمَلِنَا ، وَمُكَالَفَةِ أَعْدَائِنَا ؛ بِأَمْرٍ أَظْهَرُوا فِيهِ الشَّمَاتَةَ بِنَا ، فَمَا كَانَ إِلَّا بِسَبِّكَ فَاصْلِحْ أَيُّهَا الصَّبِيُّ الأَحْرَقُ أَمْرَ نَفْسِكَ قَبْلَ إِصْلَاحِكَ عَمَلِنَا ، وَأَحْزِمْ فِي أَمْرِكَ قَبْلَ اسْتِعْمَالِكَ الحَرْمِ لَنَا ؛ فَمَا أَحْوَجَنَا اللهُ وَهَلِ الحَمْدُ إِلَى نُصْرَتِكَ وَمُوَازَرَتِكَ ، وَلَا اضْطُرُّرْنَا إِلَى التَّكْثُرِ [بِكَ] عَلَى شِقَاقِكَ وَمَعْصِيَتِكَ : ﴿ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

وَلَيْتَ شِعْرَى عَلَى مَنْ تُهَوَّلُ بِالْجُنُودِ ، وَتَمْتَحَرُّ بِذِكْرِ الحَيُوشِ ؛ وَمَنْ هُوَ لِأَنَّ المُسَخَّرُونَ لَكَ ، الْبَاذِلُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَدْيَانَهُمْ دُونَكَ ؟ دُونَ رِزْقِ تَرْزُقُهُمْ إِيَّاهُ ، وَلَا عَطَاءِ تُدْرِيهِ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ إِنْ كَانَ لَكَ تَمْيِيزُ ، أَوْ عِنْدَكَ تَحْصِيلُ ؛ كَيْفَ كَانَتْ حَالُكَ فِي الوَقْعَةِ الَّتِي كَانَتْ بِنَاحِيَةِ أَطْرَابُلُسَ ، وَكَيْفَ خَدَّكَ أَوْلِيَاؤُكَ وَالمُرْتَقَةُ مَعَكَ حَتَّى هُرِمْتَ ، فَكَيْفَ تَعْتَرَّبُ مَنْ مَعَكَ مِنَ الجُنُودِ الَّتِي لَا أَسْمَ لَهُمْ مَعَكَ ، وَلَا رِزْقَ يَجْرِي لَهُمْ عَلَى يَدِكَ ؟ فَإِنْ كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى نُصْرَتِكَ هَيْبَتِكَ وَالمَدَارَاةَ لَكَ وَالخَوْفَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَإنَّهُمْ لَيَجْذِبُهُمْ أَضْعَافُ ذَلِكَ مِنَّا ، وَوَجُودُهُمْ مِنَ البَسْدَلِ الكَثِيرِ وَالعَطَاءِ الجَزِيلِ عِنْدَنَا مَا لَا يَجِدُونَهُ عِنْدَكَ ، وَإِنَّهُمْ لِأَحْرَى بِجَدِّكَ ، وَالمِيسَلِ إِلَيْنَا دُونَكَ . وَلَوْ كَانُوا جَمِيعًا مَعَكَ وَمَقِيمِينَ عَلَى نُصْرَتِكَ ، لَرَجَوْنَا أَنْ يَمَكِّنَ اللهُ مِنْكَ وَمِنْهُمْ ، وَيَجْعَلَ دَائِرَةَ السَّوَاءِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ ، وَيُجْرِيَنَا مِنْ عَادَتِهِ فِي النَّصْرِ وَإِعْزَازِ الأَمْرِ عَلَى مَا لَمْ يَزَلْ . يَتَفَضَّلُ

علينا بأمثاله ، ويتطوّل بأشباهه . فما دعاني إلى الإرجاء لك ، والتسهيل من خنّاقك ،
والإطالة من عَنانك ، طوّل هذه المدة إلا أمران : أغلبهما كان على احتقار أمرك
وأستصغاره ، وقلة الاحتفال والاعتناء به ؛ وإني آقتصرت من عقوبتك على
ما خلقتة بنفسك من الإباق إلى أقاصي بلاد المغرب شريدا عن منزلك وبلدك ،
فريدا من أهلِكَ وولَدِكَ - والآخرا تى علمتُ أن الوحشة دعّتك إلى الانحياز إلى
حيثُ انحزتَ إليه ، فأردتُ التسكين من نِفارك ، والطمأنينة من جأشك ؛ وعمِلتُ
على أنك تَحِنُّ إلينا حينَ الولدَا ، وتُثَوِّقُ إلى قُربنا توقانَ ذى الرِّحمِ والنَّسبِ ؛ فإنَّ
فى رِفقتنا بك ما يعطُفُك إلينا ، وفى تأخينا إياك ما يرُدُّك علينا ، ولم يَسْمَعْ منا سامع
فى خلاء ولا ملائمتنا بكَ ، ولا غَضًا منك ، ولا قَدْحًا فىكَ ؛ رِقَّةً عليك ، وأستمتاما
لليدِ عندك ؛ وتأميلا لأن تكونَ الراجِعَ من تلقاءِ نَفْسِكَ ، والموقِّقَ بذلك لرُشدِكَ
وحظِّكَ ؛ فأما الآنَ مع اضطرابك إياى إلى ما اضطرتنى إليه من الانزعاج نحوكَ ،
وحَبْسِكَ رُسُلَى النافذينَ بعهدِ كثيرٍ إلى ما قبلك ؛ وأستعمالِكَ المواربةِ والخداعِ فيما
يجرى عليه تديريك . فما أنت بموضعٍ للصيانة ، ولا أهلٍ للإبقاء والمحافظة ، بل اللعنةُ
عليك حاله ، والدِّمةُ منك بريه ، والله طالبُك ومُؤاخذُك بما أستعملتَ من العُقوقِ
والقطيعه ، والإضاعةِ لرحمِ الأبوةِ - فعليك من ولدِ عاقِّ شاقِّ لعنةِ الله ولعنةِ اللاعنينَ ،
والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ؛ ولا قَبيلَ اللهُ لك صرِّفا ولا عدلا ، ولا تركَ لك مُتقلبا
ترجعُ إليه ، وخذلكَ خذلانَ من لا يُؤوبُه له ، وأنكلكَ ولا أمهلكَ ، ولا حاطكَ
ولا حَفِظك . فوالله لأستعملنَّ لَعنك فى دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ ، والدعاءِ عليك فى آناءِ الليلِ
والنهارِ ، والغُدُوِّ والآصالِ ؛ ولأُكتبنَّ إلى مِصرَ ، وأجنادِ الشاماتِ والثغورِ ،
وقِيسرينَ ، والعواصمِ ، والجزيرةِ ، والحجازِ ، ومكَّةَ ، والمدينةِ كُتبا تُقرأ على منابرها

فيك ، باللَّعْنِ لك ، والبراءة منك ، والدلالة على عُقُوقِكَ وَقَطِيعَتِكَ ؛ يَتَنَاقَلُهَا آخِرُ عَنِ
أَوَّلِ ، وَيَأْتِيهَا غَائِرٌ عَنِ مَاضٍ ، وَتُحَلَّدُ فِي بَطُونِ الصَّحَائِفِ ، وَتَحْمَلُهَا الرُّكَّانُ ، وَيُحَدِّثُ
بِهَا فِي الْآفَاقِ ، وَتُلْحِقُ بِكَ وَبِأَعْقَابِكَ عَارًا مَا أَطْرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَآخَتَلَفَ الظَّلَامُ
وَالْأَنْوَارُ .

فَإِذَا تَعَلَّمَ أَيُّهَا الْخَالِفُ أَمْرَ أَبِيهِ ، الْقَاطِعِ رَحِمَهُ ، الْعَاصِي رَبَّهُ ؛ أَىِّ جَنَايَةٍ عَلَى
نَفْسِكَ جَنَيْتَ ؟ وَأَىِّ كَبِيرَةٍ أَقْتَرْتِ وَأَجْتَنَيْتِ ، وَتَمَتَّنِي أَوْ كَانَتْ فِيكَ مُسْكَةً ،
أَوْ فِيكَ فَضْلٌ إِنْسَانِيَّةٌ ؛ أَنْكَ لَمْ تَكُنْ وُلِدْتَ ، وَلَا فِي الْخَلْقِ عُمِرْتَ ؛ إِلَّا أَنْ تُرَاجِعَ
مِنْ طَاعَتِنَا وَالْإِسْرَاعِ إِلَى مَا قَبَلْنَا خَاضِعًا ذَلِيلًا كَمَا يَلْزَمُكَ ، فَتُقِيمَ الْأَسْتِغْفَارَ مُقَامَ
اللَّعْنَةِ ، وَالرَّقَّةَ مَقَامَ الْغَظْهِ ؛ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ سَمِعَ الْمَوْعِظَةَ فَوَعَاهَا ، وَذَكَرَ اللَّهَ
فَاتَّقَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَمَا كَتَبَ الْأَخْشِيدُ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ [صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ] (١) وَمَا مَعَهَا مِنَ الْبِلَادِ
الشَّامِيَّةِ ، وَالْأَعْمَالِ الْحِجَازِيَّةِ ، إِلَى أَرْمَانُوسَ : مَلِكِ الرُّومِ ، وَقَدْ أَرْسَلَ أَرْمَانُوسُ إِلَيْهِ كِتَابًا
يَذْكُرُ مِنْ جَمَلَتِهِ بِأَنَّهُ كَاتِبُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَادَتُهُ أَنْ يَكْتَابَ إِلَّا الْخَلِيفَةَ ، فَأَمَرَ بِكُتَابَةِ
جَوَابِهِ فَكَتَبَ لَهُ الْكُتَّابُ عِدَّةَ أَجْوِبَةٍ وَرَفَعُوا نَسْخَهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَرْتَضِ مِنْهَا إِلَّا مَا كَتَبَهُ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّجِيرِيِّ وَكَانَ عَالِمًا بِوُجُوهِ الْكُتَابَةِ :

وَنَسَخْتُهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعِيدٍ فِي كِتَابِهِ "الْمَغْرِبُ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ" :

مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى أَرْمَانُوسَ عَظِيمِ الرُّومِ وَمَنْ يَلِيهِ .

سَلَامٌ بِقَدْرِ مَا أَنْتُمْ لَهُ مُسْتَحِقُّونَ ، فَإِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ

يَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى عِيَالِهِ وَسَلَّمَ .

أما بعد، فقد تُرجم لنا كتابك الوارد مع نُقولاً وإسحاق رسولك ، فوجدناه مفتحاً بذكر فضيلة الرحمة ، وما نُمي عنك إليك ، وصحَّ من شيننا فيها لديك ، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعايانا ، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء والتوصل إلى تخلص الأسرى ، إلى [غير] ذلك مما أشتمل عليه وتفهمناه .

فأما ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة فن سديد القول ، الذى يليق بذوى الفضل والنبل ، ونحن نحمد الله ونعمره علينا بذلك عارفون ، وإليه راغبون ، وعليه باعثون ، وفيه بتوفيق الله إيانا مجتهدون ، وبه متواصون وعاملون . وإياه نسأل التوفيق لمرآشد الأمور وجوامع المصالح بمنه وقدرته .

وأما ما نسبته إلى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فإننا نرغب إلى الله جلّ وعلا الذى تفرد بكل هذه الفضيلة ، وهبها لأوليائه ثم أتاهم عليها ، أن يوفقنا لها ، ويجعلنا من أهلها ، ويسرنا للاجتهاد فيها ، والاعتصام من زيغ الهوى عنها ، وعرة القسوة بها ، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفاً على طاعته ، وموجبات مرضاته ، حتى نكون أهلاً لما وصفتنا به ، وأحقّ حقاً بما دعوتنا إليه ، ومن يستحقّ الزلفى من الله تعالى ، فإننا فقراء إلى رحمته . وحقّ لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمله من جسيم الأمر ما حملنا ، وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يتّهل إلى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فإن ذلك إليه ويده : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكتبة لما يقتضيه عظم ملككم ، وأنه الملك القديم الموهوب من الله ، الباقى على الدهر ، وأنتك إنما خصصتنا بالمكتبة لما تحققت من حالنا عندك ، فإن ذلك لو كان حقاً

وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصر عن منزلة من تكاتبه ، وكان لك في ترك مكاتبنا غم
ورشد ، لكان من الأمر البين أن أحظى وأرشد وأولى بن حل محلك أن يعمل
بما فيه صلاح رعيته ، ولا يراه وضة ولا تقيصة ولا عيبا ، ولا يقع في معاناة صغيرة
من الأمور تعقبها كبيرة ، فإن السأس الفاضل قد يركب الأخطار ، ويخوض الغمار ،
ويعرض مهنجه ، فيما ينفع رعيته ؛ والذي تجشمته من مكاتبنا إن كان كما وصفته
فهو أمر سهل يسير ، لأمر عظيم خطير ؛ وجل نفعه وصلاحه وعائدته تحضكم ، لأن
مذهبنا أنتظار إحدى الحسنيين ، فمن كان منا في أيديكم فهو على بينة من ربه ،
وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو بسيدله ؛ وإن في الأسارى من يؤثر
مكانه من ضنك الأسرو شدة البأساء على نعيم الدنيا وخيرها لحسن متقلبه ، وحميد
عاقبته ؛ ويعلم أن الله تعالى قد أعاده من أن يفنته ، ولم يعذه من أن يتلوه . هذا
إلى أوامر الإنجيل الذي هو إمامكم ، وما توجه عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل
إلى استنقاذ أسرائكم ؛ ولولا أن إيضاح القول في الصواب ، أولى بنا من المسامحة
في الجواب ؛ لأضربنا عن ذلك صفحا . إذ رأينا أن نفس السبب الذي من أجله
سما إلى مكتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أو عدا عنهم إلى من حل محلنا
في دولتهم ؛ بل إلى من نزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ، ورد ملتئمسه
ممن جاوره ، فرأى أن يقصد به الخلفاء الذين الشرف كله في إجابتهم ، ولا غار على
أحد وإن جل قدره في ردهم ؛ ومن وثق في نفسه ممن جاوره ، وجد قصده أسهل
السييلين عليه ، وأدناهما إلى إرادته ، حسب ما تقدم لها من تقدم . وكذلك كاتب
من حل محلك من قصر عن محلنا ، ولم يقرب من منزلتنا ؛ فمال كعادته ، كان يتقلد
في سالف الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن .

فمنها مُلكُ مصر الذى أطفى فرعونَ على خَطَرِ أمره، حتى آدَعى الإلهية وأفتخر على نبيِّ الله موسى بذلك .

ومنها ممالكُ اليمن التى كانت للتبابعة، والأقبالِ العَبَاهِلَةِ : ملوكِ حِمْيَرَ، على عَظَمِ شأنهم، وكثرةِ عَدَدِهِمْ .

ومنها أجنادُ الشامِ التى

منها جُنْدُ حِمَصَ، وكانت دارُهُم ودارِ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرومِ وَمَنْ قَبْلَهُ من عَظَمَائِهَا .

ومنها جُنْدُ دِمَشقَ على جَلالته فى القديم والحديث، وآخِيارِ الملوكِ المُتَقَدِّمِينَ لَهُ .

ومنها جُنْدُ الأَرْدُنِّ على جَلالَةِ قدره، وأَنه دارُ المَسِيحِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرِهِ من الأنبياءِ والحواريِّين .

ومنها جُنْدُ فِلَسْطِينَ، وهى الأَرْضُ المُقَدَّسَةُ، وبها المُسجِدُ الأَقْصَى، وكِرسِيُّ النصارِيَّةِ، ومَعْتَقِدُ غيرها، وَمَحَجُّ النصارى واليهودِ طُرًّا، ومَقَرُّ داوودَ وسليمانَ ومَسجِدُهُمَا . وبها مُسجِدُ إِبْرَاهِيمَ وَقَبْرُهُ وَقَبْرُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وإِخْوَتِهِ وَأَزْوَاجِهِم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وبها مَوْلِدُ المَسِيحِ وَأُمَّه وَقَبْرُهَا .

هذا إلى ما تَنَقَّلَهُ من أمرِ مَكَّةِ المُخَفِوْفَةِ بِالآيَاتِ البَاهِرَةِ، والدَّلالاتِ الظَاهِرَةِ؛ فإنا لو لم نَتَقَلَّدْ غيرها لكانت بِشَرَفِهَا، وَعِظَمِ قدرها، وما حوتُ من الفضلِ تُوفى على كلِّ مملكةٍ، لَأَنَّها مَحَجُّ آدَمَ وَمَحَجُّ إِبْرَاهِيمَ وارثه ومُهَاجِرُهُ، وَمَحَجُّ سائرِ الأنبياءِ، وَقَبْلَتُنَا وَقَبْلَتُهُم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ودارُهُ وَقَبْرُهُ، وَمَنْبِتُ وِلْدَانِهِ، وَمَحَجُّ العَرَبِ على مَرِّ الحَقَبِ، ومَحَلُّ أَشْرَافِهَا، وَدَوَى أخطارِهَا، على عَظَمِ شأنهم، ونِغَامَةِ أمرهم . وهو البَيْتُ

(١) كذا فى "المغرب" أيضا ويظهر أنه مقدم على ما بعده ويكون الضمير فيه عائدا على سيدنا إسماعيل فان مكة كانت داره ومنبته تأمل .

العتيق ، المحترم المحجوج إليه من كل حج عميق ، الذى يعترف بفضلِهِ وقدمه أهل الشرف ، من مَضَى وَمَنْ خَلْفَ ؛ وهو البيت المعمور ، وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بترتبه ، وانها مهبط الوحى ، وبيضة هذا الدين المستقيم الذى امتد ظله على البر والبحر ، والسهمى والوعر ، والشرق والغرب ، وصحارى العرب على بعد أطرافها ، وتتأرجح أقطارها ؛ وكثرة سُكَّانِهَا فى حاضرتها وباديتها ، وعظمتها فى وفودها وشدتها ، وصدق بأسها وتجدتها ؛ وكبر أحلامها ، وبعُد مَرَامِهَا ، وأنعقاد النصر من عند الله براياتها . وإن الله تعالى أباد خضراء كبرى ، وشرد قيصر عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها . هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا ؛ وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسى من أعظم كراسيكم : بيت المقدس ، وأنطاكية ، والإسكندرية . مع ما إلينا من البحر وجزائره ، واستظهارنا بأتم العتاد . وإذا وقيت النظر حقه علمت أن الله تعالى قد أصفانا بمجل الممالك التى ينتفع الأنام بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دُنْيَا وَآخِرَةً ، وتحققت أن منزلتنا بما وهب الله لنا من ذلك فوق كل منزلة . والحمد لله ولى كل نعمه .

وسياستنا لهذه الممالك قريبا وبعيدها على عظيمها وسعتها بفضل الله علينا وإحسانه إلينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا كما كتبت إلينا وصح عندك من حُسن السيرة ، وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ، ويوسعها الأمن والدعة فى المعيشة ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا على نعمه التى تفوت عندنا عدد العادين ، وإحصاء المجتهدين ، ونشر الناشرين ، وقول القائلين ، وشكر الشاكرين . ونسأله أن يجعلنا ممن تحدت بنعمته عليه شكرا لها ، ونشرا لما منحه الله منها [ومن رضى

اجتهاده في شكرها، ومن أراد الآخرة^(١) وسعى لها سعيها، وكان سعيه مشكورا، إنه حميد مجيد .

وما كنت أحب أن أباهيك بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز الاستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرمه وأظهره ، ووعدنا في عواقبه الغلبة الظاهرة، والقُدرة القاهرة، ثم الفوز الأكبر يوم الدين . لكنك سلكت مسلكا لم يحسن أن نعدل عنه ، وقلت قولاً لم يسعنا التقصير في جوابه ، ومع هذا فإننا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا مكائرتك، ولا أعتدنا تعيين فضل لنا نعوذ به ، إذ نحن نكرم عن ذلك ، ونرى أن نكرمك عند محلك ومثرتك ، وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك في الخير ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن في يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك عليهم ، وتجاوزك في الإحسان إليهم ، جمع من تقدمك من سلفك . ومن كان محموداً في أمره، رغب في محبته، لأن الخير أهل أن يحب حيث كان . فإن كنت إنما تؤهل لمكاتبك ومماثلتك من آتسعت مملكته، وعظمت دولته، وحسنت سيرته؛ فهذه ممالك عظيمة ، واسعة جمّة ؛ وهي أجل الممالك التي ينتفع بها الأنام ، وسر الأرض المخصوصة بالشرف . فإن الله قد جمع لنا الشرف كله، والولاء الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، مخصوصين بذلك إلى مالنا بقدينا وحديثنا وموقعنا . والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بمنه وإحسانه، ومنه نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلفظه . ولم ينطو عنك أمرنا فيما أعتدناه ،

وإن [كنت] تجرى في المكاتبه على رسم من تقدمك فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك ، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحلّ محلنا ، ولا أغنى

(١) الزيادة من "المغرب في أخبار المغرب" .

(٢) في المغرب "لم يجوز لنا أن نعدل الخ" .

غَاءَنَا ، ولا سَأَسَ في الأمور سياستَنَا ، ولا قَلَدَهُ مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ما قَلَدْنَا ، ولا فَوْضَ إليه ما فَوْضَ إلينا ، وقد كُوتِبَ أبو الجَيْشِ نَحَارُويه بن أحمد ابن طُولون ، وآخر من كُوتِبَ تِكِينِ مولى أمير المؤمنين ولم يكن تقلد سوى مِصرَ وأعمالها .

ونحن نحمد الله كثيرا أولا وآخرا على نِعْمِهِ التي يفوت عندنا عددها عدَّ العاديين ، ونشر الناشرين . ولم نرد بما ذكرناه المفارقة ، ولكننا قصدنا بما عددنا من ذلك حالاتٍ : أولها التحدُّثُ بنعمة الله علينا ، ثم الجوابُ عما تضمنه كتابك من ذكر المحلِّ والمترلة في المكتبة ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك ، وعندنا قُوَّةٌ تامةٌ على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى ، وشكراً وإفٍ لما تُولِيهم وتتوخاه من مسرتهم إن شاء الله تعالى وبه الثقة ، وفقك الله لمواهب الدنيا والآخرة ، والتوفيق للسداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يُجِبُّه ويرضاه ويشيب عليه ، ويرفعُ في الدنيا والآخرة أهله ، بمنه ورحمته .

وأما المُلْكُ الذي ذكرت أنه باقٍ على الدهر لأنه موهوبٌ لكم من الله خاصةً ، فإنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ من عباده والعاقبةُ للتقين . وإن المُلْكَ كلُّهُ لله يُؤْتِي المُلْكَ من يَشَاءُ وَيَتَرَعُ المُلْكَ من يَشَاءُ وَيُعِزُّ من يَشَاءُ وَيُنْزِلُ من يَشَاءُ بيده الخير وإليه المَصِيرُ ، وهو على كل شيءٍ قدير . وإن الله عزَّ وجلَّ نسخَ مُلْكَ الملوكِ وجبريَّةَ الجبارين بنبوةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين ، وشَفَعَ نبوتهَ بالإمامة وحازها إلى العترة الطاهرة من العنصر الذي منه أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والشجرة التي منها عُصْنُهُ ، وجعلها خالدةً فيهم يتوارثها منهم كابرٌ عن كابر ، ويُلقِيها ماضٍ إلى غابر ، حتى تَجَزَّ أمرُ الله ووعده ، وبهر نصره وكلمته ، وأظهر حجته وأضاء عمودَ الدين بالأئمة

المهتدين ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ أُحِيقَ الْحَقُّ وَيُطْلَعَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ .

وإنَّ أَحَقَّ مُلْكٍ أَنْ يَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَوْلَاهُ وَأَخْلَقَهُ أَنْ يَكُنْفَهُ اللَّهُ بِجِرَاسَتِهِ وَحِيَاطَتِهِ ، وَيُحْفَهُ بَعْرَهُ وَأَيْدِهِ ، وَيَجَلِّهَ بِهَاءِ السَّكِينَةِ فِي بَهْجَةِ الْكِرَامَةِ ، وَيَجْمَلَهُ بِالْبَقَاءِ وَالنَّجَاءِ مَالِاحَ بَجْرِ ، وَكَرَّرَ دَهْرَهُ ، مُلْكُ إِمَامَةٍ عَادِلَةٍ خَلَقَتْ نَبْوَةَ بَجْرَتْ عَلَى رِسْمِهَا وَسَنَنِهَا ، وَارْتَسَمَتْ أَمْرَهَا ، وَأَقَامَتْ شَرَائِعَهَا ، وَدَعَتْ إِلَى سُبُلِهَا ؛ مُسْتَنْصِرَةً بِأَيْدِهَا ، مُتَجَزِّةً لَوْعِدِهَا ؛ وَإِنَّ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ إِمَامَةٍ عَادِلَةٍ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عُمْرِ الدُّنْيَا تَمْلُكًا وَجَبَرِيَّةً .

ونحن نسال الله تعالى أن يديم نعمه علينا ، وإحسانه إلينا بشرف الولاية ، ثم بحسن العاقبة بما وفر علينا خَيْرَهُ وَعُلَاهُ ، وَمَجْدَهُ وَإِحْسَانَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَبِهِ الثِّقَةُ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمَّا الْفِدَاءُ وَرَأْيُكَ فِي تَخْلِيصِ الْأَسْرَى ، فَإِنَّا وَإِن كُنَّا وَاتَّقِينَ لَمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ بِالْحُدَى الْحُسَيْنِيِّ ، وَعَلَى بِنْتِ لَهْمٍ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَتَبَاتَ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَعِظْمِ الْمَثُوبَةِ ، عَالِمِينَ بِمَا لَهْمٌ ، فَإِنْ فِيهِمْ مِنْ يُؤَثِّرُ مَكَانَهُ مِنْ ضَنْكِ الْأَسْرِ وَشِدَّةِ الْبِأْسَاءِ عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا وَلَدَّتْهَا ، سَكُونًا إِلَى مَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ حُسْنِ الْمُنْقَلَبِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ . وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ ، وَلَمْ يَعِدْهُ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَهُ ؛ وَقَدْ تَبَيَّنَّا مَعَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا شَرَعَهُ لَنَا الْأُئِمَّةُ الْمَاضُونَ ، وَالسَّلَفُ الصَّالِحُونَ ؛ فَوَجَدْنَا ذَلِكَ مُوَافِقًا لِمَا آتَمَسْتَهُ ، وَغَيْرَ خَارِجٍ عَمَّا أَحْبَبْتَهُ ؛ فَسُرِّرْنَا بِمَا تَيْسَّرَ مِنْهُ ، وَبَعَثْنَا الْكُتُبَ وَالرُّسُلَ إِلَى عُمَّالِنَا فِي سَائِرِ أَعْمَالِنَا ، وَعَزَمْنَا عَلَيْهِمْ فِي جَمْعِ [كُلِّ مَنْ قَبْلَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ بِمَا وَفَرَ الْإِيمَانَ فِي إِنْقَادِهِمْ ، وَبَدَلْنَا فِي ذَلِكَ] ^(١) كُلِّ مِمَّا مُمْكِنٌ ، وَأَخْرَجْنَا إِجَابَتَكَ عَنْ كِتَابِكَ لِيَتَقَدَّمَ فَعَلْنَا

(١) الزيادة من "المغرب في أخبار المغرب" .

قولنا ، وإنجازنا وعدنا ، ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن الموقوع منك إن شاء الله .

وأما ما ابتدأنا به من المواصله ، وأستشعرته لنا من المودّة والمحبة ، فإن عندنا من مقابلة ذلك ما توجبه السياسة التي تجمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلّفنا على تباين النحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تُخصّصنا وإياك . ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رُسلك وبسطهم ، والاستماع منهم والإصغاء إليهم والإقبال عليهم ؛ وتلقينا أنبساطك إلينا ، والطافك إيانا بالقبول الذي يحقّ علينا ؛ ليقع ذلك موقعه . وزدنا في توكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت على استقلالنا إياه من طرائف بلدنا وما يطراً من البلاد علينا ؛ وإن الله بَعْدَه وحكمته أودع كلّ قرية صنفاً ، ليتشوّف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سبباً لِعِارة الدنيا ومعايش أهلها . ونحن نفردك بما سلّمناه إلى رسولك لتقيّف عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفدته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذنا لهم في البيع وفي آبتباع ما أرادوه وأختاروه ؛ لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة . وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة مابدأنا به ورعايته ، وربّ ما غرسته ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك . والله يعين على ما تنويه من جميل ، ونعتقه من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتدأ بجميل لزمه الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله وخليقابه . وقد ابتدأنا بالمؤانسة والمبأسطة ، وأنت حقيق بعارة ما بلينا ، وباعتدانا بجوانحك وعوارضك قبلنا ؛ فأبشّر بتيسير ذلك إن شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وختم بذكره ؛ وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلّم تسليماً .

الحالة الثانية

(من حالات المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية ما كان
الحال عليه بعد الدولة الفاطمية في الدولة الأيوبية)

وقد ذكر «عبدالرحيم بن شيث» أحد كتّاب الدولة الأيوبية في أواخر دولتهم مصطلح ما يكتب عن السلطان في خلال كلامه، فقال: إن الناس كانوا لا يكتبون «المجلس» إلا للسلطان خاصة، ويكتبون لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم «الحضرة» ثم أفردوا السلطان بالمقام والمقر، وصاروا يكتبون «المجلس» لمن دونه، ولم يسوغوا مكتبة السلطان بعد ذلك بالمجلس ولا بالحضرة. قال: ويكتب السلطان إلى ولده المستخلف عنه: «المجلس» دون المقام. وأصطلحوا على الاختصار في نعت الملوك المكتوب إليهم والدعاء، بخلاف من هو تحت أمر السلطان وتحت حوزته، فإنه كلما كثرت النعت والدعاء له في مكتبة السلطان إليه، كان أبلغ: لأن ذلك في معنى التشريف من السلطان، وأنه لا يقال في المقام «السامى» بل «العالى». وأنه إذا كتب السلطان إلى من هو دونه من ذوى الأقدار عبر «بالمجلس السامى»، ولا يزداد على ذلك، ثم يفرد عن النسب بعد السامى، فيقال: الأمير الأجل من غيرياء النسب. وأنه لا يقال العالى مكان السامى في الكتابة عن السلطان، وقد يجمع بينهما لذوى الأقدار، وأنه يضاف في نعت كل أمير «عمدة الملوك والسلاطين عز الإسلام، أو نصرته الإسلام، أو فارس المسلمين» أو ماشابه ذلك من غير ضبط ولا تخصيص لأحد دون أحد إذا أحرزوا النعت الذى أشتهر به المكتوب إليه. وأنه يقال: «عمدة الملوك والسلاطين» و«عمدة الملوك والسلاطين» و«ذخر الملوك» ودونها «أختيار الملوك». وللاقارب «نقر الملوك» و«جمال الملوك» و«عز الملوك» و«زين الملوك». وللا مائل «معين الملوك» و«نصرة الملوك» وما أشبه ذلك.

وأنه يكتب للأمرء الأعيان : «حُسام أمير المؤمنين» و«سيفُ أمير المؤمنين» .
ولكبراء الدولة من الكُتَّاب : «خاصةُ أمير المؤمنين» و«وليُّ أمير المؤمنين»
و«صفوةُ أمير المؤمنين» . و«ثقةُ أمير المؤمنين» و«صنيعةُ أمير المؤمنين» على
مقدار مراتبهم . وأن نعتَ الأجلِّ يذكر بعد العلوِّ والسُّموِّ بأن يقال : «المجلس العالى
الأجلِّ» أو «السامى الأجلِّ» وربما كان بعد ذكر الإمرة أو القضاء فيقال
«الأمير الأجلِّ» أو «القاضى الأجلِّ» . وأن السلطان لا يتبدى بالدعاء فى كتبه إلى
أحدٍ إلا من مائله فى المُلْك . وأن السلطان لا يكتب إلى أحد من هو تحت أمره
«بلا زال» «ولا برح» فى الدعاء ، وإنما يكتب بذلك إلى من مائله من الملوِّك ،
أو إلى ولده المستخلف عنه فى المُلْك . وأن الدعاء للملوِّك يكون مثل «أدام الله أيامه»
و«خلد سلطانه وثبت دولته» وما أشبه ذلك . وأن التَّحْمِيد فى أوائل الكُتُب
لا يكون إلا فى الكُتُب الصادرة عن السلطان . وأن غاية عظمة المكتوب إليه أن
يكون الحمدُ ثمانية وثلاثة فى الكُتُب ، ثم يؤتى بالشهادتين ، ويصلَّى على النبيِّ صلى الله
عليه وسلم . وأنه يكتب فى الكتب السلطانية «صدرت» و«أصدرناها» ولا يكتب
«كتبت» . وأن الذى يُخاطَب به الخِلافةُ عن السلطان : «المواقف المقدسة
الشريفة ، والعتبات العالِية ، ومقرِّ الرحمة ، ومحلِّ الشرف» . والذى يُخاطَب به
الملوِّك : «المقام العالى ، والمقرِّ الأشرف» ولا يقال «المقام السامى» . والذى
يُخاطَب به الوزراء : «الجناب العالى ، والمحَلِّ السامى» . ومن دون ذلك «المجلس
السامى» ودونه «مجلس الحضرة» . ودونه «الحضرة» . وأنه لا يكتب عن السلطان
لمن هو تحت أمره إلا بنون الجمع لدالاتها على العظمة ، ولا يُكْتَب «تسعر» إلا عن
السلطان خاصةً بخلاف «تعلم» وأن الكتب الصادرة عن السلطان تكون طويلة
الطرَّة ، وتكون بقلم جليلٍ غير دقيق . وأنه يُوسَّع بين السطور حتى يكون بين كل

سطين ثلاث أصابع أو أربع أصابع . وأنه لا يخرج عن سَمَتِ البسملة في الكتابة ، ولا يحتمل ذلك إلا في الحمدلة . وأنه لا يكثر التقط والشكل في الكتب الصادرة عن السلطان لاسيما في الألفاظ الظاهرة . وأن الدعاء على العدو كان محظورا في الكتب الصادرة عن السلطان إلى مَنْ دُونَهُ ، ثم أَسْتَعْمَلَ ذلك . وأنه لا تترك فضلة في آخر الكتاب بياضا ، ولا يكتب في حاشية الكتاب . وأن الترجمة عن السلطان في كتبه لمن تحت أمره أعلامهم وأدناهم ، العلامة ؛ فان أراد تمييز أحد منهم كتب له شيئا بخطه في مكان العلامة . وأن العلامة تكون إلى البسملة من السلطان أقرب ، وأنه لا حرج على السلطان أن يترجم للقضاة والعلماء والعُباد بأخيه وولده . وأن عَنَوْنَةَ الكتاب وختمه مختص بصاحب ديوان الإنشاء ليدل ذلك على وقوفه على الكتاب . وأنه لا يجوز عَنَوْنَةَ الكتاب قبل أن يكتب عليه السلطان ترجمته أو علامته . وأن الكتب لا تبقى مفتوحة إلا أن تكون بإطلاق مال ، لأن كرم الكتاب ختمه ، ولا أكرم من كتب السلطان ؛ ويكون طيُّ الكتاب الصادر عن السلطان عَرْضَ ثلاث أصابع .

ثم مشهور مكاتبتهم على أربعة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن تُفْتَحَ المَكْتَبَةُ بالدعاء للمجلس أو الجناب)

مثل : أدام الله أيام المجلس ، أو أدام الله سلطان المجلس ، أو أدام الله نعمة المجلس ، أو أدام الله آفتدار المجلس ، أو أدام الله سعادات المجلس ؛ أو خلد الله أيام المجلس أو سلطان المجلس ، أو ثبت الله دولة المجلس ، وما أشبه ذلك مما فيه معنى

(١) في الضوء " وأنه يترك " بغير النافية وإثباتها أوضح .

الدوام؛ وربما أبدل لفظ الدوام وما في معناه بالمضاعفة، مثل: ضاعف الله نعمة المجلس. ويؤتى على الألقاب إلى آخرها، ثم يقال: نُشِعِرَ المجلس أو الأمير بكذا ونحو ذلك، ويؤتى على المقصود إلى آخره، ويُحْتَمَ بالدعاء وقد يُحْتَمَ بغيره. وهذه نسخة مكاتبة من هذا الأسلوب بالإخبار بفتح غزرة وأقتلاعها من الفرنج الديوية، الذين كانوا مستولين عليها، وهي:

«أدام الله سعاداتِ المجلس، وأحسن له التدبير، وأصفى عيشه من التكدير، وحقق له وفيه أحسن الرجاء والتقدير، وجعل وجهه من أهلة الأكارب والتكبير، وأعاد تأخير أجله من التقديم وتقديم حظه من التأخير.

نُشِعِرَ المجلس بما من الله تعالى به من فتح مدينة غزرة يوم الجمعة الجامع لشمس النصر، القاطع لحبل الكفر؛ وهذه المدينة قد علم الله أنها من أوسع المدائن، وأمل الكائن، وأثرى المعادِن؛ وهي كرسى الديوية ومهبط رؤوسهم، ومحط نفوسهم، وحي كليهم بل كلابهم، وظهير صليهم بل أصلابهم؛ وما كانت الأبصار إليها تطمح، ولا الأقدار بها قبلنا تسمع، ولها قلعة أنفها شاخ في الهواء، وعطفها جامع عن عطفة اللواء؛ قد أوغلت في الجؤ مرتفعه، وأومضت في الليل مُتمعه، ويرداء السحاب ملتفعه؛ قد صاحفتها أيدى الأنام بالسلامة من قوارعها، وهادتها حوادث الأيام على الأمن من روائعها، إلى أن أتيح لها من أتاح لها الحين، وقُض لها من أقتضى منها الدين؛ فصبحها بما ساء به صباحها، وزرعها بالزئير الذي خرس له نبأها. وكان من خبرها أننا لما أطلنا عليها مغيرين، وأطفنا بها دائرين، ولكؤوس الحرب مديرين؛ تغلبت الأنجاد والأبطال على الزحف، وأعجل آرتياح النصر عن انتظام عقد الصف؛ وآتقوا عليها، آتقواض البراة على طرائدها، وأسرعوا إليها، إسراع العطاش إلى مواردها؛

ورُفِعَتِ الألوِيَةُ حَافِقَةً كذَوَائِبِ الضَّرَامِ ، طَالَعَةً بِرَسَائِلِ الحِمَامِ ، مُشِيرَةً بِالْعَدَابَاتِ
إِشَارَةً لَمْ يَطْمَئِنُوا إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ ؛ وَجَاءَهُمُ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَأَمْطَرَتِ الشُّهُبُ
مِنْ كُلِّ سِنَانٍ ؛ فَرَأَوْا مَثَوَاهِمَ الحَيِّيبِ ، وَمَحَلَّهُمُ الخَصِيبِ ؛ وَقَدْ رَكَضَتْ فِيهِ خِيُولُ
الغَيْرِ ، وَأَعْتَرَضَتْ فِيهِ سُيُولُ العَبْرِ ، وَجُرِّدَتْ فِيهِ نُصُولُ القَدَرِ ؛ وَالنَّارُ قَدْ لَعِبَتْ فِيهِ
مُجَدَّهَ ، وَأَحْمَرَتْ فِيهِ خَدُودَهَا مَحْدَهَ ؛ وَأَقْوَاتَهُمُ المَدَنَحَهَ ، وَأَمْوَالَهُمُ المَثْمَرَهَ ؛ نَفَلَا
مُبَاحًا ، وَزَبَدًا مُطَاحًا ؛ وَمَغْنَمًا مُشَاعًا ، وَنَهْبًا مُضَاعًا ؛ قَدُمِلْتُ مِنْهُ الرِّحَالُ وَأَخْصَبْتُ ،
وَأَتَّسَعَتْ بِهِ الأيْدِي وَضَاقَتْ بِهِ الأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ .

الأسلوب الثاني

(أن تُفتتح المكتبة بلفظ الإصدار)

مثل : أصدَرْنَا هذه المكتبة ، أو أصدِرْتُ ، أو صدرت ؛ ويؤتى على المقصود
على ما تقدم .

وهذه نسخة كتاب من هذا الأسلوب كتب به القاضي الفاضل ، عن السلطان
«صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى أخيه سيف الإسلام سلطان اليمن ، يستقدمه
إليه معاونًا له على قتال الفرنج خذلهم الله ! وينشره بفتح كوكب ، وصفد ، والكرّك
في سنة أربع وثمانين وخمسمائة وهو :

«أصدَرْنَا هذه المكتبة إلى المجلس ، ومما تجدد بحضرتنا فتوح كوكب : وهي كرسى
الاستبارية ودار كفرهم ، ومستقر صاحب أمرهم ، وموضع سلاحهم وذخرهم ؛
وكان يجمع الطرق قاعدا ، ولملتق السبل راصدا ؛ فتعلقت بفتحه بلاد الفتح
وأسطوتنت ، وسابت الطرق فيها وأمنت ، وعمرت بلادها وسكنت ؛ ولم يبق
في هذا الجانب إلا صور ، ولولا أن البحر يُجدها ، والمراكب تردها ؛ لكان قيادها

قد أمكن ، وِحاحُها قد أذعن ؛ وما هم بحمد الله في حِصن يحميهم ، بل في سِجن يحويهم ؛ بل هم أسارى وإن كانوا طلقاءً ، وأمواتٌ وإن كانوا أحياء ؛ قال الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ ولكلِّ أمرئٍ أجلٌ لا بدُّ أن يَصُدَّقه غائبه ، وأملٌ لا بدُّ أن يَكْذِبه خائبه . وكان نزولنا على كوكبٍ بعد أن فُتحت صَفْدُ بلدِ الديوية ومعقلهم ، ومشتغلهم وعملهم ، ومحلهم الأحصن ومنزلهم ؛ وبعد أن فتحنا الكركَ وحصونه ؛ والمجلس السيفي أسماه الله أعلم بما كان على الإسلام من مؤنته المثقلة ، وقضيته المشككة ، وعلته المعضلة ؛ وأن الفرج - لعنهم الله - كانوا يقعدون منه مقاعد السَّمع ، ويتبوعون منه مواضع النَّفع ؛ ويحولون بين قات وراكبها ، فيدللون الأرض بما كان منه ثقلا على مناكبها ؛ والآن ما من بلادِ الهرمين ، بأشدَّ من أمنِ بلادِ الحرمين ؛ فكُلُّها كان مشتركاً في نَصرة المسلمين بهذه القلعة التي كانت تُرامى ولا تُرام ، وتُسامى ولا تُسام ؛ وطالما استفرغنا عليها بيوت الأموال ، وأنفقنا فيها أعمار الرجال ، وقرعنا الحديدَ بالحديد إلى أن صجَّت النصال من النصال ؛ والله المشكور على ما أنطوى من كلمة الكُفر وانتشر من كلمة الإسلام . وإن بلاد الشام اليومَ لا تسمع فيها لغوا ولا تأثيماً إلا قِيلاً سَلاماً سَلاماً . وكان نزولنا على كوكبٍ والشتاءُ في كوكبه ، وقد طلع بين الأنواءِ في موكبه ؛ والولوجُ تنشر على البلادِ ملاءها الفضيض ، وتكسو الجبالَ عمائمها البيض ؛ والأوديةُ قد تجتَّ بمائها ، وفاضت عند أمتلائها ؛ وشمخت أنوفها سيولا ، نخرقت الأرضَ وبلغت الجبالَ طولاً ؛ والأوحالُ قد اعتقلت الطرقات ، ومشى المطلق فيها مشية الأسير في الحلقات ؛ فتجشمتنا العناء نحن ورجالُ العساكر ، وكأثرنا العدو والزمان وقد يُحزُّ الحظَّ المكاثِر ، وعلم الله النيسةَ فأوجدنا بفضلها ، وضمير الأمانة فأعان على حملها ؛ وزلنا من رؤوس الجبالِ بمنازل كان

(١) في "الروضين" ج ٢ ص ١٣٦ هكذا : بلد الديوية المصونة ، وفتحنا الكرك وحصونه الخ .

الاستقرارُ عليها أصعبَ من نَقْلِها ، والوقوفُ بساحتها أهونَ من نَقْلِها ؛ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

والحمد لله الذى أهدانا بِنِعْمَتِهِ الحديثَ ، ونصرَ بسيفِ الإسلامِ الذى هو سيفُهُ وسيفِ الإسلامِ الذى هو أخونا الطيبَ على الخِيثِ ؛ فذُحَّ السيفِ يَنقَسِمُ على حدَّيه ، ومدحُ الكريمِ يتعدَّى إلى يَدَيْهِ ؛ والآنَ فالجِلسُ - أسماءُ الله - يعلمُ أنَ الفَرَجَ لا يَسْلُونُ عما فَتَحنا ، ولا يَصْدِرُونَ على ما جَرَحنا ؛ فإنهم - خذلهم اللهُ - أمُّمٌ لا تُحصى ، وجيوشٌ لا تُستقصى ؛ ووراءهم من ملوكِ البحرِ مَنْ يأخذُ كلَّ سفينةٍ غَضِبا ، ويَطْمَعُ فى كلِّ مدينةٍ كَسِبا ؛ ويدُ اللهِ فوقَ أيديهم ، واللهُ محيطٌ بأقربِيهم وأبعديهم ؛ و﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ .

وما هم إلا كلابٌ قد تعاوتَ ، وشياطينٌ قد تعاوتَ ؛ وإن لم يُقَدِّفُوا من كلِّ جانبٍ دُحُورا ، ويَتَّبِعُوا بكلِّ شهابٍ ناقيةٍ مَدْحُورا ، آسَأَسَدُوا وآسَتَكَلَّبُوا ، وتَأَلَّبُوا وجَلَّبُوا وأجَلَّبُوا ، وحارَبُوا ، وحزَّبُوا ؛ وكانوا لباطِلِهِم الداحضُ ، أنصرَ منَّا لحَقِّنا الناهضُ ؛ وفى ضلالِهِم الفاضحُ ، أبصرَ منَّا لهدانا الواضحُ . واللهُ دُرٌّ جَريرٌ حيثُ يقولُ :

إِنَّ الْكِرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرَّمَ أَبْنَاءُ ، * وَأَبْنُ اللَّيْمَةِ لِلنَّامِ نَصُورُ !

فالبِدَارُ إلى النَّجْدَةِ البِدَارُ ! والمُسَارَعَةُ إلى الحِنَةِ فإنها لا تُسألُ إلا بإيقادِ نارِ الحربِ على أهلِ النَّارِ ؛ والهِمَّةُ الهِمَّةُ ! فإن البحارَ لا تُلقَى إلا بالبحارِ ، والملوكُ الكبارُ لا يقفُ فى وجوهها إلا الملوكُ الكبارُ :

وما هيَ إلا نَهْضَةٌ تُورِثُ العِلا * ليومِكَ ما حَتَّتْ رِوَاظِمُ نَيْبُ !

ونحنُ فى هذهِ السنةِ - إن شاء اللهُ تعالى - نَنزِلُ على أنطاكيةَ ، وينزلُ ولَدُنا الملكِ المظفَّرِ - أظفره اللهُ - على طَرابُلسَ ؛ ويستقرُّ الرِكابُ العادِلَى - أعلاه اللهُ -

بمصر؛ فإنها مذكورة عند العدو - خذله الله - بأنها تُطْرَق، وأن الطلب على الشام
ومصر تفرَّق؛ ولا غنى عن أن يكون المجلس السيفي - أسماه الله - مجراً في بلاد
الساحل يَنْحَرِ سِلَاحاً، ويَجْرُدُ سيفاً يكون على ما فتنناه قُفلاً ولما لم يفتح بعدُ مفتاحاً؛
فإنه ليس لأحدٍ مالا أُخ من شُعبة لها في كل مَسْمَعٍ سَمِعَهُ، وفي كل رُوعٍ رُوعَهُ؛
وفي كل مُحَضَّرٍ مُحَضَّرٍ، وفي كل مَسْجِدٍ مَنبَرٍ، وفي كل مَشْهَدٍ مَجْبَرٍ؛ فما يُدْعَى العَظِيمُ
إلا للعَظِيمِ [لا يُرْجَى] لموقف الصبر الكَرِيمِ إلا الكَرِيمِ [هذا] والأقدارُ ماضية، وبمشيئة
الله جارية؛ فإن يشاء الله ينصر على العدو المضعف، بالعدد الأضعف؛ ويوصل إلى
الجوهر الأعلى بالعرض الأدنى؛ فإننا لانرتاب بأن الله ما فتح علينا هذه الفتوح ليُعَلِّقَها،
ولا يجمع علينا هذه الأمة ليفرِّقها؛ وأن العدو إن خرج من داره بطراً، ودخل
إلى دارنا كان فيها جِزْراً؛ وما بقى إن شاء الله إلا أموالٌ تُساق إلى ناهبها، ورقابٌ
تقاد إلى ضارِبِها، وأسلحةٌ تُجَمَلُ إلى كاسِبِها؛ وإنما تُؤثِرُ أن لاتنطوي صحائفُ الحمد
خالية من اسمه، ومواقفُ الرشد حاوية من عَزمِهِ؛ وتؤثر أن يساهم آلُ أيوبَ
في ميراثهم منه مَوَاقِعَ الصبر، ومطالع النصر؛ فوالله إنا على أن نُعْطِيَهُ عَطَايَا الآخِرَةِ
الفاخرة، أشدَّ مِنَّا حِرْصاً على أن نُعْطِيَهُ عَطَايَا الدنْيا القاصره؛ وإنا لايسرنا أن ينقضى
عمره في قتالٍ غير الكافر، ونزالٍ غير الكُفء المناظر؛ ولا شك أن سيفه لو اتصل
بلسانٍ ناطقٍ وقَمٍّ، لقال مادمتُ هناك فلستُ ثمَّ؛ وما هو محمول على خُطَّةٍ يخافها،
ولا متكلفٍ قضيةً بحكمتنا يعافها؛ والذي بيده لا نستكثره، بل نستفصره عن حقه
ونستصغره؛ وما ناولناه لفتح أرضه السَّلاح، ولا أعْرناه للملك مركزه النَّجَاح؛ إلا على
سخاءٍ من النفس به وبأمثاله، على علمٍ مِنَّا أنه لا يُقْعَدُ عَنَّا إذا قامت [الحرب] بنفسه
وماله؛ فلا نكنُّ به ظناً أحسن منه فعلاً، ولا نرضى وقد جعلنا الله أهلاً أن لانراه

لنَصْرِنَا أَهْلًا ؛ وَ لَيْسَتْ شَرُّ أَهْلِ الرَّشَادِ فِيهِمْ [لَا يَأْلُوهُ] ^(١) حَقًّا وَأَسْتَنْهَاضًا ، وَ لِيَعِصَ أَهْلَ
 الْغَوَايَةِ فَانْهَمَ إِنَّمَا يَتَغَالَوْنَ بِهِ لِمَصَالِحِهِمْ أَغْرَاضًا ؛ وَ مِنْ بَيْتِهِ يَطْعَنُ ، وَ إِلَى بَيْتِهِ يَقْفُلُ ؛
 وَ هُوَ يُجِيبُنَا جَوَابَ مِثْلِهِ لَمُنَلْنَا ، وَ يَتَوَى فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ جَمْعَ شَمَلِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ نِيَّةِ جَمْعِ
 شَمَلْنَا ؛ وَ لَا تَقْعُدْ بِهِ فِي اللَّهِ نَهْضَةً قَائِمًا ، وَ لَا تَخْذُلْهُ عِزْمَةً عَازِمًا ، وَ لَا يَسْتَفْتِ فِيهَا فَوْتَ
 طَالِبٍ وَ لَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا ؛ فَإِنَّمَا هِيَ سَفَرَةٌ قَاصِدَةٌ ، وَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ؛
 فَإِذَا هُوَ قَدْ بَيَّضَ الصَّحِيفَةَ وَ الْوَجْهَ وَ الذِّكْرَ وَ السَّمْعَةَ ، وَ دَانَ اللَّهَ أَحْسَنَ دَيْنٍ
 فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ إِنْ فَاءَ إِلَى أَرْضِهِ بِالرَّجْعَةِ ؛ وَ لِيَتَدَبَّرَ مَا كَتَبْنَاهُ ، وَ لِيَتَفَهَّمَ مَا أَرْدَنَاهُ ؛
 وَ لِيُقَدِّمَ الْإِسْتِخَارَةَ ، فَإِنَّهَا سِرَاجُ الْإِسْتِنَارَةِ [وَ لِيَغْضِبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَ لِدِينِهِ وَ لِأَخِيهِ
 فَإِنَّهَا مَكَانُ الْإِسْتِغْضَابِ وَ الْإِسْتِشَارَةِ] ^(٢) وَ لِيَحْضُرَ حَتَّى يَشَاهِدَ أَوْلَادًا لِأَخِيهِ
 يَسْتَشْعِرُونَ لِفُرْقَتِهِ عَمَّا ، وَ قَدْ عَاشُوا مَا عَاشُوا لَا يَعْرِفُونَ أَنْ لَمْ يَمُوتْ مَعَهُمْ عَمَّا ؛
 وَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ يُلْهِمُهُ تَوْفِيقًا ! وَ يَسْلُكُ بِهِ إِلَيْهِ طَرِيقًا ؛ وَ يُجِدُّنَا بِهِ سَيْفًا لِرِقْبَةِ الْكُفْرِ
 مَرَقًا وَ دَمِهِ مُرِيقًا ؛ وَ يَجْعَلُهُ فِي مِضْمَارِ الطَّاعَاتِ سَابِقًا لَا مَسْبُوقًا .

الأسلوب الثالث

(أن تفتتح المكتبة بلفظ « هذه المكتبة إلى المجلس »)

وهذه نسخة كتاب من هذا الأسلوب بالإخبار بفتح أيلة التي تحت العقبة في ممر
 حجاج مصر . وهي :

هذه المكتبة إلى المجلس الفلاني أعلى الله سلطانه ، وعمر بالنجاح آماله وبالسعادة
 أوطانه ؛ ولا زالت يد النصر تُصرف يوم اللقاء عنانه ، ويد لطف الله تُفيض على

(١) في الأصل فانهم يألوه والصواب ما أثبتناه في الصلب .

(٢) كذا في الأصل والمراد أنهم يجعلونه غرضا لنوال مصالحهم الذاتية .

(٣) الزيادة مما ساقى له في المبعث الثالث من هذا الجزء .

الخلق يوم العلياء عَنَانَهُ، وَتَمَكَّنَ مِنْ هَامِ الْأَعْدَاءِ وَخُجُورِهِمْ سَيْفَهُ وَسِنَانَهُ؛ (شُعْرَهُ) أَنَّهُ
 لَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عِنْدَنَا مَتَكْفَلَةً مَا يُوجِبُ أَنْ يُبَدَأَ الْحَمْدُ وَيُعَادَ، مَقْرَبَةً لَنَا مِنْ
 الْآمَالِ كُلِّ مَا كَانَ رَهِيْنَ نَأْيِي وَبِعَادِ، مُوَافَقَةً لَنَا بِالتَّوْفِيقِ فَكَأَنَّا وَإِيَّاهُ عَلَى مِيعَادِ،
 مُعِينَةً لَنَا عَلَى مَا يَعْتَدُهُ الْغَاشُّ مَعَاشٍ وَعَيْدٍ مُعَادٍ . وَقَدْ كَانَ مَا عَلِمَ مِنْ غَزْوَتِنَا إِلَى أَيْلَةٍ
 الَّتِي آخَذَهَا الْعَدُوُّ مَعْقِلًا ، وَتَدِيرَهَا مَنَزِلًا ، وَعَدَّهَا مَوْتَلًا ؛ وَغَاصَّ بِهَا رَوْنُقُ الْجَمَلِ ،
 وَفَاضَ بِهَا أَهْلُ الْقَبْلَةِ ؛ وَصَارَتْ عَلَى مَدَارِجِ الْأَنْفَاسِ ، وَعَلَى مَرَاوِدِ الْأَفْتِرَاسِ
 وَالْأَفْتِرَاسِ ؛ وَخَصَّتِ الْحَرَمِينَ بِأَعْظَمِ قَادِحٍ ، وَأَشَدَّ مِنْ حَادِثَتِهَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ أَعْظَمُ
 فَاتِحٍ ؛ وَلَمَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْهَا ، وَنَزَلْنَا عَلَيْهَا ؛ شَاهَدْنَا قَلْعَةً يَحْتَاجُ رَامِيهَا إِلَى الدَّهْرِ الْمَدِيدِ ،
 وَالْأَمَلِ الْبَعِيدِ ؛ وَالزَّادِ الْعَتِيدِ ؛ وَالْبَأْسِ الشَّدِيدِ ؛ تَنْبُو بِعُظْفٍ جَامِحٍ عَنِ الْخِطْبَةِ ، وَتُعْرَضُ
 بِذِكْرِ مَانِعٍ عَنِ الضَّرْبِ ؛ وَتَعْطِفُ بِأَنْفٍ عَلَى السَّحَابِ شَاخِخٍ ، وَتَطْلُعُ فِي الصَّبَاحِ بِوَجْهِ
 شَادِخٍ ؛ كَأَنَّمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَيَّامِ دِمَامٌ ، وَكَأَنَّ نَارَ الْحَوَادِثِ إِذَا بَلَغَتْ مَاءَهَا بَرْدٌ وَسَلَامٌ ؛
 فَأَطْفَنَّا بِهَا مَتَبَصِّرِينَ ، وَنَزَلْنَا مِنْ نَاحِيَةِ الْبَرِّ بِهَا مَفَكِّرِينَ ؛ وَبَيْنَمَا نَحْنُ نَأْمُرُ بِالْحَرْبِ
 أَنْ يُسَبَّ أَوْرَاهَا ، وَبِالْخَيْلِ أَنْ تُسِيرَ أَسْرَارُهَا ؛ وَبِنَارِ اللَّقَاءِ أَنْ يَسْتَطِيرَ شَرَارُهَا ،
 وَبِقَنَاطِيرِ الْمَوْتِ مِنَ الْقِسْيِ أَنْ تُعَقَّدَ أَوْتَارُهَا ؛ وَبِالْمَجَانِيْقِ أَنْ تُعَقَّدَ حَنَايَاهَا وَتُحَلَّ
 أَزْرَارُهَا ، وَبِالْكَوَاكِبِ أَنْ تُذِيقَهُمْ طَعْمَ الصَّغَارِ كِبَارُهَا ؛ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَعْلَى قَلْبَتِهَا ،
 وَرَأْسِ قَلْبَتِهَا ؛ مُعَلِّنًا بِالْأَمَانِ ، نَاسِحًا لِآيَةِ الْكُفْرِ بِآيَةِ الْإِيمَانِ ؛ فَأَعَارَتْهُ الْأَسْمَاعُ
 إِنْصَاتَهَا ، وَأَسْتَحَقَّتِ الْقُلُوبُ حَصَاتَهَا ؛ وَعَمَدَتْ إِلَيْهِ بِنْتِ بَحْرِ ، عَادَتْ بَابَ نَصْرِ ،
 وَسَاعَةَ بَدَهْرِ ؛ وَبَشَّرَنِي بِغَلَامٍ عَلَى كِبَرٍ ، وَبَطَفَّرَنِي سَفَرٍ عَلَى قَدَرٍ ؛ فَأَعْطَى فَرَنْجَهَا
 مَا طَلَبُوا ، وَأَتَى اللَّطْفُ لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا لَمْ يَحْتَسِبُوا ؛ وَفِي الْحَالِ رُفِعَتْ عَلَيْهَا أَلْوِيَةُ الْإِسْلَامِ
 وَنُشِرَتْ ، وَأَوْتَتْ إِلَيْهَا فِئَةٌ الْحَقِّ وَحُسِرَتْ ، وَتَظَاهَرَتْ عَلَيْهَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَظَهَرَتْ ؛
 وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الأسلوب الرابع

(أن تفتح المكتبة بلفظ : « كتابنا » وبقى الأمر على نحو ما تقدم)

وهذه نسخة كتاب من هذا الأسلوب كتب به القاضى الفاضل عن الملك الناصر «صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى بعض الأمراء بالشام عند وفاة السلطان نور الدين محمود . وهى :

كُتِبْنَا هَذَا إِلَى الْأَمِيرِ ، مَعْرِينَ بِالرُّزْءِ الَّذِي كُنْتَ أَقْسَامَهُ وَتَمَّتْ ، وَرَمَتْ أَحْدَانُهُ الْقُلُوبَ فَأَصَمَّتْ وَطَرَقَتْ أَحَادِيثُهُ الْأَسْمَاعَ فَأَصَمَّتْ ، وَأَبَى أَنْ تَعْفُو كَلْمُهُ ، وَكَادَ لِأَجْلِهِ الْأَفْقُ تَتَكَسَّفُ بِدُورِهِ وَتَسْكُدُ رُجُومُهُ ، وَتَلَمَّ جَانِبَ الدِّينِ لِفَقْدِ مَنْ لَوْلَاهُ لَدَرَسَتْ أَعْلَامُهُ وَلَمْ تُدْرَسْ عِلْمُهُ ، وَفَجَا فَاسْتَوْلَى عَلَى كُلِّ قَلْبٍ وَجَيْبِهِ وَعَلَى كُلِّ خَاطِرٍ وَجُومِهِ ؛ بَانْتِقَالَ الْمَوْلَى «نور الدين» إِلَى سُكْنَى دَارِ السَّلَامِ ، وَقُدُومِهِ عَلَى مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ مِنْ جَزَاءِ ذَنْبِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ وَبَكَى أَهْلَهُ عَلَى فَقْدِ عِزَائِمِهِ الَّتِي بِهَا حُفِظَتْ وَحْرِسَتْ ، وَشَكَّتْ الْمَمَالِكُ وَحَشَتْ بَعْدَهُ وَإِنْ أَبْتَهَجَتِ الْمَلَائِكَةُ بِقُرْبِهِ وَأَنْسَتْ ؛ فَلِلَّهِ هُوَ ! مِنْ مُصَابٍ أَغْرَى الْعَيُونَ بَفِيضِهَا ، وَالنَّفُوسَ بِفِيضِهَا ؛ وَنَقَلَ الْأَوْلِيَاءَ مِنْ ظِلِّ الْمَسْرَةِ وَنَعِيمِهَا إِلَى هَجِيرِ الْمَسَاءَةِ وَقِيْظِهَا ؛ وَأَوْجَبَ تَنَاجِيَ الْكُفَّارِ بِالنَّجَاةِ مِنْ تِلْكَ السَّطْوَةِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَرِيدُهَا عَمَّا وَتَرُدُّهَا بِفِيضِهَا .

ومهئين بما أسأ الكلم وداواه ، وحوى الحق إلى الجانب الأيمن وآواه ؛ مِنْ جُلُوسِ وَلَدِهِ «الملك الصالح» ذى التصويب والتسديد مشمولاً مناً بالعرف العميم ، وَالطَّوْلِ الْجَسِيمِ ؛ جَارِيًا عَلَى سُنَنِهِ الْمَعْبُودَةِ ، وَعَادَتِهِ الْمَحْمُودَةِ ؛ فِي رَفْعِ صَالِحِ أَدْعِيَتِهِ عَنْ صِفَاءِ سِرِّيَّتِهِ ، وَخُلُوصِ عَقِيدَتِهِ ؛ مُسْتَمِرًّا عَلَى جَمِيلِ تَحِيَّتِهِ ، فِي إِمْدَادِنَا بِرُكْنِهِ ؛

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : والمصطلح الجارى عليه الحال في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية في زماننا مأخوذة من الأساليب الثلاثة : الأولى والثاني والثالث المقدم ذكرها .
على أن في الدولة الأيوبية أساليب أخرى لا يسع أستيعابها ، ويغنى عنها بما تقدم ذكره .

الطرف الحادى عشر

(في المكاتبات الصادرة عن ملوك أهل الغرب)

وقد انفردوا عن كُتاب المشرق وكُتاب الديار المصرية بأمور :

منها أن المخاطبة تقع للمكتوب إليه بيمين الجمع مع الأنفرد ، كما تقع الكتابة عن المكتوب عنه بنون الجمع مع الأنفرد .

ومنها أنهم يلتزمون الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم : كتبنا ، بأن يقال : « كتبنا إليكم كتب الله لكم كذا » .

ومنها أنهم يترضون عن الخليفة القائم بدعوته في كتبهم .

ومنها أنهم يذكرون اسم المكتوب إليه في أثناء الكتاب ، وباقي مكاتباتهم على نحو من مكاتبات أهل الشرق والديار المصرية ؛ وكتبهم تُختم بالسلام غالباً ، وربما ختمت بالدعاء ونحوه .

ومنها أن الخطاب يقع عندهم بلفظ الرياسة مثل أن يقال : رياستكم الكريمة ونحو ذلك . ولها حالتان :

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم، وهو على أربعة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تُفْتَحَ المَكْتَابَةُ بلفظ "من فلان إلى فلان" ويُدْعَى للمكتوب إليه، ثم يقع

التخلُّص إلى المقصود بأما بعد، ويُؤْتَى عليه إلى آخره، ويُحْتَمُّ بالسلام)

كما كتب أبو بكر بن هشام عن أبي محمد بن هود، في قيامه بالدعوة العباسية ببلاد المغرب إلى أهل بلدٍ من رعيته .

"من فلان إلى أهل فلانة، أدام الله كرامتهم وآثرهم بتقواه، وعرفهم عوارف نعماءه؛ وكنفهم في حرمة المنيع وحماه، وجعلهم من وفق إلى رضاه، وحف بجير ما قدره وقضاه، بسلام

أما بعد حمد الله على مُتَابِعِ واسع فضله، هازم الباطل وأهله، ومورط الجاهل في مهواة جهله؛ المالى بدعوة الحق ما أتسع من حزن المعمور وسهله، والصلاة على سيدنا محمد نبيه المصطفى خاتم رُسله، المؤيد بالقرءان الذى تجزى الجن والإنس أن يأتوا بمثله؛ وعلى آله وصحبه الجارين على قويم سنته وواضح سبله؛ والرضا عن الإمام العباسى أمير المؤمنين، الذى لا إمام سواه للمسلمين؛ المفرج من محتده الكريم وأصله، المدافع عن حرم أمره بسديد نظره وحديد نضله؛ والدعاء لمقامه العلى، ومكانه السنى؛ بالسعد المصاحب بمصاحبة ظلّه، والعصدي الفاتح مالم يفتح لأحد من قبله، فإننا كتبناه لكم - كتبكم الله من أنتفع بقوله وعمله، وتوجه إلى رضاه بمبسوط أمله، وجرت له الأقدار بأفضل معاد وأجمله - من فلانة، والتوكل على الله سبحانه نتائج تبرزها الأيام، ويستنجد بها السعد والحسام، ويستدنيها التفويض

إلى الله سبحانه والأستسلام ؛ والدعوة العلية - أدام الله أيامها ، وأسعد أعلامها -
الآثار التي تجلّت بها المذاهب ، والأنوار التي وصّحت بها المساري والمسارب ،
وأضاءت بها المشارق والمغارب . والحمد لله حمدا كثيرا - المكان الذي تجدد
حُرْمته ، وثنا كد ذمته ؛ ولا تُوضع عن يد الاعتناء والأهتمام أزمته ، وإذا أنهضت
العزائم لمصالح العباد تقدمت كل العزمات عزمته ؛ لأنه المكان الذي صرف وجوه
الأعداء ، وصابر مكابدة الإضرار والأعتداء ؛ وأحتمل مكروه الدواء ، في معالجة
الشفاء ومعالجة حسم الداء ؛ فكُرم آثاره ، وتعين تخصيصه بالمزيد وإيثاره ؛
وطابت أخباره ، وطالت في مصايق مجال الرجال أسنته وشفاره ، فنحن نُوجب
تكريمه ، ونؤثر تقديمه ؛ ونُتبّع حديثه في الاعتناء قديمه ، والله يتولى تكميل قصدينا
الجميل فيه ونُتممه ! .

وقد بلغ - بلغكم الله أملك ، وأتم نعمته قبلكم - تحرك ذلكم الخائن للإضرار بالبلاد ،
وإيثاره دواعي الشر والفساد ؛ ومتى احتيج إلى إعلام جهة من الجهات بأحواله ،
وما يتصوّره بفساد خياله ؛ وتغلب كبره المردي وأختياله ، وما يصدر عنه من قبيح
آثاره وأعماله ؛ فإنما يستعلم تحقيقتها منكم ، ويتعرف تصديقها من لديكم ؛ يصدق
جواركم ، ودنو داركم ، وتداخل آثاره مع آثاركم ؛ فأنتم أقرب أطلاعا على خُبث سره ،
وسوء مكره ، وما يُضمر للمسلمين من إذايته وضره ؛ فتمت أنصرفت وجوه المسلمين
إلى جهادهم ، وأشتغلوا بتأمين بلادهم ؛ آتتهز الفرصة في فساد يحدّثه ، وعقد ينكته ،
وأستعجال ما يعجل عليه ولا يلبّثه ؛ ونحن نعرض عنه إعراض من يرجو متابه ،
ويرتقب رجوعه إلى الحق وإيابه ؛ وهو متخبط في أهوائه ، مستمر على غلوائه ، مُصرّ
على إضراره وأعتدائه ؛ لا يكف الكف عنه من أستطالته ، ولا يريه الأستبصار
وجهة جهالته ؛ فوجب علينا بحكم النظر للبلاد التي لحقها عدوانه ، وأضر بها مكانه ،

وتكرّر عليها امتحانه، أن نعالج حَسْمَ عِلَّه ، ونُسَدَ مَوَاقِعِ خَلَّه ، ونردّ عليه كلَّ مَضْرَّةٍ لاحِقَةٍ من قِبَلِه ؛ حتّى يَسْتَرِيحَ النَّاسُ إلى أَمْنٍ مَبْسُوطٍ ، وَكَنْفٍ مَبْسُوطٍ ، وَحَوْزٍ بِالْكَفَايَةِ وَالْوَقَايَةِ مُحُوطٍ ؛ وقد كُنَّا عندَ الْفَرَاغِ من مَصَالِحِ الْبِلَادِ الْغَرَبِيَّةِ ، وَانْتِهَاءِ الْفَتْحِ فِيهَا إلى مَا لَمْ يَدْرُ بِالْخَاطِرِ وَلَمْ يُحَسَّبِ بَالِنَبِيِّ ؛ نَظَرْنَا في إِعْدَادِ جُمُوعٍ من أَجْنَادِ الْغَرْبِ ، وَتَحْيِيرِنَا مِنْهُمْ كُلِّ مَنْ دَرَبَ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ؛ وَسَعِدَ لَكُمْ (?) من جَمَاهِيرِ الْأَعْرَابِ وَجُرُولَةِ وَسَائِرِ الْقَبَائِلِ النَّازِلِينَ بِالْبِلَادِ ، الْمُتَأَهِّبِينَ لِمَا يُطَلَّبُونَ به من الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ ؛ وَرَسَمْنَا لَهُمْ أَنْ يَلْحَقُوا بِنَا عِنْدَ الْإِسْتِدْعَاءِ ، عَلَى مَا جَدَدْنَا لَهُمْ فِي الْإِتْتِحَابِ وَالْإِتْتِقَاءِ ؛ لِتَأْخُذَ الْجُمُوعُ كُلُّهَا مِنْ حَوْثِ هَذَا الْخَائِنِ بِنَصِيبٍ ، وَتَضْرِبَ فِيهِ ، وَفِي كُلِّ عَمَلٍ يَعْصِيهِ ، بِسَهْمٍ مُصِيبٍ ؛ لَكِنْ لَمَّا تَعَجَّلَ حَرَكَتَهُ الَّتِي تَعْجَلُ بِهَا الْحَيْنُ ، وَسَاقَهُ إِلَيْهَا الْقَدْرُ الَّذِي أَعْمَى الْبَصِيرَةَ وَالْعَيْنَ ؛ رَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ إِلَيْهِ قَصْدَنَا ، وَأَنْ نَعَاجِلَهُ بِمَا حَضَرَ عِنْدَنَا ؛ مُتَوَافِرَةَ الْأَعْدَادِ ، غَنِيَّةً عَنِ الْإِسْتِمْدَادِ ، غَيْرَ مَفْتَقِرَةٍ إِلَى الْإِزْدِيَادِ ؛ وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَمَرْنَا أَهْلَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا بِاللِّحَاقِ بِنَا ، وَأَنْ يَنْهَضَ جَمِيعُ أَعْدَادِهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبَطَلِ وَالرُّمَاتِ عَلَى سَبِيلِنَا وَمَذْهَبِنَا ؛ لِتَكُونَ الْأَيْدِي فِي هَذِهِ الْمَصْلُحَةِ الْعَامَّةِ وَاحِدَةً ، وَالْعَقَائِدُ فِي دَفْعِ هَذَا الضَّرَرِ عَنِ الْكَافَةِ مُتَعَاوِدَةً ، حَتَّى يَذْهَبَ أَثْرُ هَذِهِ النُّكْبَةِ وَعَيْنُهَا ، وَيُزُولَ عَنِ بَهْجَةِ الْإِحْقَاقِ وَالْإِتِّفَاقِ شَيْئُهَا ؛ وَإِذَا وَجِبَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْجِهَاتِ أَنْ يَنْفِرُوا فِي هَذِهِ الدَّلَاةِ خَفَافًا وَثِقَالًا ، وَيُبَادِرُوا رُجَانًا وَرِجَالًا ؛ كَانِ الْوَجُوبُ فِي حَقِّكُمْ وَجُوبِينَ ، وَالْفَرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَضِينَ ؛ لِمَا يُحْصِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَصْلُحَةِ الَّتِي أَنْتُمْ أَوْلَى مِنْ يَحْتَلِي صُورَهَا ، وَيَحْتَنِي ثَمَرَهَا ، وَيُجِدُّ فِي حَالِهِ وَأَسْتَقْبَالِهِ إِثْرَهَا ؛ فَلْيَكُنْ أَسْتِعْدَادُكُمْ بِحَسَبِ ذَلِكَ ، وَأَسْتَوْعُوبُوا جَمِيعَ أَنْجَادِكُمْ ، مِنْ خَيْلِكُمْ وَرُمَاتِكُمْ وَرِجَالِكُمْ ؛ وَكُونُوا وَاقِفِينَ عَلَى قَدَمِ التَّأَهُبِ إِلَى أَنْ يَكُونَ الْأَجْتِيَازُ مِنْ هُنَاكُمْ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بلفظ «أما بعد» وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن تُعقب البعديَّةُ بالحمد لله ، ويؤتى على الخطبة إلى آخرها ، ثم يتخلَّص

إلى المقصود ويختتم بالسلام على نحو ما تقدم)

كما كتب أبو عبد الله بن الجيان عن أبي عبد الله بن هود أيضا إلى أكابر بلده بالرَّفْق بالرعية عند ورود كتابهم عليه بتحسين البلد ، وبلوغه جوراً المستخْدمين بها على الرعية ، وهو :

أما بعد حمد الله تعالى مُعْلِ مَنَارِ الْحَقِّ ورافِعِهِ ، ومُولَى مَتَوَالِي الْإِنْعَامِ وَمُتَابِعِهِ ؛
والصلاة على سيدنا محمد عبده ورسوله مشفَعِ الحَشْرِ وشافِعِهِ ، المبعوثِ ببدايِعِ الحِكمِ
وجوامِعِهِ ؛ وعلى آله وصحبه المبادِرِينَ إلى مَقاصِدِهِ العليةِ ومَنازِعِهِ ، والذائِبِينَ عن
حَوْزَةِ الإسلامِ ، بمواضِي الاعتِرامِ ، وقواطِعِهِ ؛ والرضا عن الخليفة الإمام العباسيِّ
أمير المؤمنين ذِي المجدِ الذي لا يُنَالُ سِمْوَ مَطالِعِهِ .

فإنا كتبنا إليكم - كتب الله لكم عِزَّةً قَدْحُهَا بالثبوتِ فائِزٌ ، وسعادةً قَسَطُهَا للنماءِ
حائِزٌ - من فلانة ، وكلمة الحق منصورَةٌ اللواءِ ، منشورةٌ الأضواءِ ؛ والتوكلُ على الله
في الإعادة والإبداءِ ، والتسليمُ إليه مناطُ أمرنا في الإتياءِ والأبتداءِ ؛ وحمدُ الله تعالى
وشكرُهُ وَصَلْنَا إلى نَيْلِ مَزِيدِ النِّعماءِ والألَاءِ ؛ ومكانتكم لدينا مكانةُ السَّنيِّ المَناصِبِ ،
المتِمِّي إلى كِرامِ المَتمِمَاتِ والمَناسِبِ ، المتحلِّي في الغناءِ والأكتفاءِ ، والخلوصِ والصِّفاءِ ،
بأكرمِ السَّجِيَّاتِ والمَناقِبِ ؛ المعلومِ مالديه من المصالحة السالكة بأكرمِ السَّجِيَّاتِ
في المَناحِي الحِسانِ على المَهْمِيعِ الأوضحِ والسَّنَنِ اللَّاحِبِ .

وقد وقفنا على كتابكم معلماً بنجر فلانة وما رأيتموه من المصلحة في تخصيصها ،
والاجتماع في أسباب تأمينها ، ونحن نعلم أنكم تريدون الإصلاح ، وتوحدون
ما تتوسمون فيه النجاح ؛ لكن أهم الأمور عندنا ، وأولى ما يوافق غرضنا وقصدنا ، الرفق
بالرعية ، وحملها على قوانين الإحسان المرعية - وعلى أثر وصول كتابكم وصلنا كتاب
[أهل] فلانة المذكورة يشكون ضرر الخدمة المتصرفين فيهم ، ويتظلمون من متحيفيهم
ومتعسفهم ، وفي هذا ما لا يخفى عليكم ، ولا ترضون به لو انتهى إليكم ؛ فإنه إذا كان
الناظر في خدمة من لا يحسن سياسة الأمور ، ولا يعلم طريقة الرفق الحاربية بوفق
الخاصة والجمهور ؛ أعاد التسكين تفتيرا ، والتيسير تعسيرا ؛ وتعلمون أنا لا نقدم
على إظهار العدل في عباد الله المسلمين عملا ، ولا نبغى لهم باطنة بغير التخفيف
عنهم والإحسان إليهم بدلا ؛ وأنتم أولى من يعتقد فيه أنه يكفل هذا المقصد ،
ويتحرى في مصالح الرعايا هذا السنن الأرشد ؛ وقد خاطبنا أهل فلانة بما يذهب
وجلهم ، وينسط أملهم ؛ وعزفناهم بأنكم لو علمتم من جار عليهم من الخدمة لأخذتم
على يده ، وجازيتموه بسوء معتقده ؛ وأشعرناهم بأننا قد استوصيناكم بهم خيرا ،
ونبهاكم على ما يدفع عنهم ضيما ويرفع ضيرا ؛ وأنتم - إن شاء الله - تستأنفون
نظرا جميلا ، وتؤثرون عنهم الخدمة الذين لا يسلكون من السياسة سبيلا ؛
وتقدمون عليهم من تحسن فيهم سيرته ، وتكرم في تمشيته الرفق علايته وسيرته ،
ومثلكم لا يؤكد عليه في مذهب تحسن عواقبه ، وغرض يوافق القصد الاحتياطي
ويصاحبه ، إن شاء الله تعالى والسلام .

الضرب الثاني

(أن تعقب البعديّة بذكر المقصود من غير خطبة ، ثم يؤتى على المقصود إلى آخره على نحو ما تقدّم)

كما كتب أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، المعروف بالأبار ، عن الأمير أبي جميل إلى أهل ناحية بولاية وإل عليهم وهي :

أما بعد ، فالكتاب - كتب الله لكم ملء الجوانب ، قرارا ، وأرسل عليكم سماء المواهب ، مذارا ، من فلانة ، وليس إلا الخير الدائم ، واليسر الملازم ، وقد توالى إعلامكم بالعرض الجميل فيكم ، والأعتناء المتصل بتمهيد نواحيكم ، وأتم اليوم بشغري متحيف ، وجناب متطرف ، يتضاعف الاحتياط عليه ، ويجب تيسير المير إليه ، فالنظر له معمل ، والتهم به لا يهمل ، وهذه السن قد ملك قيادها ، وأوثر بوجوه القرابة إمدادها ، وفلان قد خاطب يستأذن في القدوم على الباب الكريم ، ويؤكد ما عنده في الخدمة والتصميم ، والخيرات بسبيل الاتصال ، والمسرات واردة مع البكور والآصال .

والحمد لله الجسيم فضله ، والعظيم نيئه ، فأحمدوا الله على ما يسر لنا ولكم ، وأستوزعوه شكر ما خولنا وخولكم ، وأعلموا أننا نرعاكم ، كما رعى أولنا أولاكم ، وقد عين لموضعكم كذا وكذا فأنفدوا إلينا بعضكم معجلا ، وأستشعروا إساءة الأثرة ، وأطراد النصرة ، حالا ومستقبلا ، والحركة الكبرى - يمنها الله - قد شرع في أسبابها ، وأتى ما يؤتى بمشيئة الله الفتحة القريب من بابها ، ولا غنى بما يدار في ذلك عن فلان وقد حوطف بالوصول ، ووجه إليكم فلان واليا عليكم ، وثاويا لديكم ، وهو من خبرت كفايته ، وآرتضيت لجر أحوالكم سياسته ، وشكرنا فأوترتم به هنالك ، وقد فوض

(١) إليكم من نظر لخاصتكم وجمهوركم، وقد بما يستقل أتم الاستقلال من تدبير أموركم؛ وأمضى معه من الأجناد طائفةً يحسنون الدفاع والذيادة، ولا يفارقون الحد والأجتهاد؛ ووراء هذا من كريم العناية وجميل النظر، ما يقضى لكم بالفلج والظفر، ويديلكم بالأمانة الشاملة من الذعر والحدّر، إن شاء الله تعالى والسلام .

الأسلوب الثالث

(أن تفتح المكتبة بلفظ « كتابنا إليكم من موضع كذا، والأمر على كذا وكذا »
ويؤتى على المقصد إلى آخره ويختم بالسلام)

وربما قيل : « هذا كتابنا إليكم » وربما قيل : « كتبنا إليكم » ونحو ذلك .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة عن ابن هود في البشارة بفتح حصن، وهو :

كتابنا إليكم - أطلع الله عليكم من البشائر أنورها جبيننا، وأوضحها صبحا مئيننا - من
فلانة في يوم كذا .

سلامٌ عليكم فإني أحمدُ إليكم الله الذي تكفل بنصر من ينصره، ونصلي على
سيدنا محمد الكريم محمّده الزاكي عنصره؛ ونجدد مشفوع الصلوات، ونزدد مرفوع
الدعوات؛ للإمام الخليفة « المستنصر بالله أمير المؤمنين » ذى المناقب التى لا عاَد
يعدها، ولا حاصر يحصرها .

والحمد لله الذى أنعم علينا بتقليد إمامته، التى لا تُعقد معها إمامه، وأقامنا لإقامة
دعوته، التى لا تجوز على غيرها إقامه؛ وجعلنا نرعى الغرض باسمه الأشرف فنصبيه،
ونستوهب فضل الله سبحانه فيتوقر قلبنا نصيبه؛ ونستزىل بخلافته المباركة جوامع
النصر، كما استزىل الفاروق بغرة جدّه هوامع القطر؛ فتسير أمام رايته السّوداء بالأثر

(١) لعله "إليه النظر الخ" .

المبييض ، وتروى هذه أوام القلوب كما أروى ذلك أوام الأرض ؛ وما زلنا منذ كان
الزول على هذا الحصن نتعرف فيه من مخايل النجح ، ودلائل الظفر والفتح ؛
ما أعطانا فتلج اليقين بأنا نقيم عروته ، ونفرع ذروته ، ولم يزل العزم يذل شماسه ،
ويقلل ناسه ؛ حتى أذعنوا لما عرقتهم به من الزول لوقت معدود ، وأمد محدود .
ثم إنهم خامرهم طارق الوجل ، فعجلوا أداء دينه قبل حلول الأجل ؛ وأمكن الله
من هذا المعقل الفد في المعقل ، وقتل الظانين لامتناعهم والحسام إن شاء الله تعالى
في يد القاتل ؛ وقد صدت رايأتنا على السور ، وسعدت إدارتنا بالعزم المنصور ؛
وشيد الله من هذا الفتح الجليل أقصى الفتوح بعلو ، وأشجأها للعدو ، وأدها على
نجح عملي مستأنف وبلوغ أملي مرجو .

والحمد لله الذي رد حقتنا المعتصب ، وكفانا في وجهنا هذا التعب والنصب ؛
وعزفناكم بهذا الخبر الذي هو غذاء للروح ، والمنبئ عن فتح الفتوح : لتشكروا الله
عليه شكرا ، وتوفوه حقه إذاعة له ونشرا ؛ وتجددوا بحمد الله [على] ما أولى من خالص
النعم ، ووافر القسم ؛ ما يطيب به المعرس والمقييل ، ويستقصر به الأمد الطويل .
وأكتبوا من خطابنا هذا تسعاً إلى الجهات ليأخذ منها كل بحظه ، وينعم القريب
والبعيد بجلالة معناه وجرالة لفظه ؛ أعاننا الله وإياكم على شكر إحسانه الجزيل ،
ولا أخل من لطفه العميم ونظره الجميل ، بمنته والسلام .

الحالة الثانية

(ما الأمر مستقر عليه الآن مما كان عليه علامة متأخرى ككتاب المغرب

أبو عبد الله محمد بن الخطيب وزير ابن الأحمر : صاحب

حمراء غرناطة من الأندلس)

والأمر فيها على نحو ما تقدم في الحالة الأولى : من التعبير عن المكتوب إليه بيمين الجمع وإن كان واحداً ، والتزام الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم كتبنا إليكم ونحو ذلك . وعادتهم أن يكتب كتاب السلطان في طومارٍ كامل ، فإن استوعب الكلام جميع الطومار كتب على حاشيته ، ويكتب صاحب العلامة علامة السلطان في آخره ، ويطوى طياً عريضاً في نحو ثلاث أصابع معترضة ، ثم يكسر ويطوى نصفين ، ويكتب العنوان بالألقاب التي في الصدر ، ويحزم بدسرة من الورق ، ثم يختم بخاتم السلطان على شمع أحمر كما تقدم بيانه .

وهي على ثلاثة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتوبة باللقب اللائق بالمكتوب إليه ، وهو على ضرب)

الضرب الأول

(أن يبتدأ بلفظ «المقام» وهو مختص بالكتابة إلى الملوك)

والرسم فيه عندهم أن يقال : «المقام» وينعت بما يليق به ، ثم يقال : «محل أخينا ، أو محل ولدنا ، أو محل والدنا السلطان» ويؤتى بالقبه ثم يسمى ، ثم يقال : «من فلان» ويقال فيه كذلك إلى منتهى نسبه ، ويدعى له بالبقاء وما يتبعه ،

ثم يقال : معظّم قدره أو معظّم مقامه ، وما أشبه ذلك ، ويذكر اسمُ المكتوب عنه ؛
ثم يقال : أما بعد حمد الله ويؤتى بالخطبة إلى آخرها ؛ ثم يقال : فإننا كتبناه إليكم
من موضع كذا ، ويؤتى على المقصود إلى آخره ، ويختم بالدعاء ثم بالسلام .

كما كتب أبو عبد الله بن الخطيب المقدم ذكره عن سلطانه ابن الأحمر المذكور
أعلاه ، إلى السلطان أبي عنان بن أبي الحسن المرينيّ صاحب فاس ، عند موت
الطاغية ملك قشتالة من إقليم أشبيلية ، وطليلة ، وقرطبة وما معها بعد نزوله على
جبل الفتح من مملكة المسلمين بالأندلس لمحاربة المسلمين فيه ، ورحيل قومه بعد
موته به ، وهو :

المقام الذي أنارت آياتُ سعده ، في مسطور الوجود ، وتبارت جياذ مجده ،
في ميدان البأس والجود ، وضمنت إيايته لمن بهذه الأقطار الغربية تجديد السعود ،
وإعادة العهود ، واختلفت كتابُ تأييد الله ونصره لوقته المشهور فيها ويومه المشهود ؛
مقام محلّ أخينا الذي نعظمه ونرفعه ، ويوجب له الحقّ العليّ موضعه ؛ السلطان
أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن ، ابن السلطان أبي سعيد ، ابن السلطان
أبي يوسف ، بن عبد الحق - أبقاه الله يتهلل للشرى جنابه ، ويفتح لوارِد الفتح
الإلهيّ بابُه ؛ وتعمل في سبيل الله مكارمه وعزائمه وركابُه ، ويتوفر بالجهاد فيه
مجده وسعده ونفخه وثوابُه ؛ معظّم قدره الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين
أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر ، سلام كريم مشفوع بالبشائر والتّهاني ، محفوف
[الركاب^(١)] ببلوغ الأمان ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله مطّيع أنوار الصنائع العجيبة متألقّة الفجر ، ومنشئ سخائب
الإطاف ، الكريمة الأوصاف ، هامية الدرر ، الكريم الذي يُجيب دعوة المضطرّ إذا

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

دعاه، وَيَكْتَسِفُ السُّوءَ وما أمرُهُ إلا واحدةٌ كَلَمَحٍ بالبصرِ، حَجَبَ كَأَمِنْ الطَّافَةِ عن قُوَى الفِطْنِ وَمَدَارِكِ الفِطْرِ، فما ﴿يَعْلَمُ جنودَ رَبِّكَ إلا هُوَ وما هِيَ إلا ذِكْرِي للبَشَرِ﴾ .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذى المعجزات الباهرة والآيات الكُبرى، الذى يجاهه الحصين نمتسع عند استشعار الحدَر، وبنور هُدهاه نستضىءُ عند التباسِ الوُردِ والصَدَر، فنحْضِلُ على الخير العاجِلِ والمتنظِّرِ؛ والرضا عن آله وأصحابه الكرامِ الأثر، الذين جَنَوْا من أفنانِ الصبرِ فى الله ثَمَارَ الظَّفَرِ؛ وفازوا من إنجازِ الوعدِ بأقصى الوَطَرِ، وأنتظمُوا فى سِلكِ المِلَّةِ الرَفيعةِ آنتظامَ الدَّرَرِ؛ والدعاءِ لمقامِكِ الأعلى باتصالِ المَسَرَّاتِ وتوالى البُشَرِ، والسعدِ الذى تجرى بأحكامه النافذةِ تصاريْفُ القَدَرِ، والصنْعِ الذى يُجَلِّى عَجَائِبُهُ فى أجملِ الصُّورِ - فإنَا كَتَبْنَاهَإِيكُم - كتب الله لكم من حُطُوطِ فضلِهِ وإحسانِهِ أَجْرَلِ الأقسامِ، وعَرَّفَكُم عوارِفَ نِعَمِهِ الثَّرةِ وآلائِهِ الجِسامِ - من حمراءِ غَمْرَ ناطةٍ - حرسها الله - واليُسْرُ بفضلِ الله طارِدُ الأزماتِ بعد ما قاعدتْ، وكاشفُ الشدائدِ بعد ما أبرقتْ وأرعدتْ . ثم ما عندنا من الاعتدادِ بآياتِكُم التى أنجزتْ لنا فى الله ما وعدتْ، ومددنا إليها يدَ الانتصارِ على أعدائه فأسعدتْ؛ إلا الصنْعُ العجيبُ، واليُسْرُ الذى أتاحَ الطَّافَةَ السميعِ الحُجيبِ؛ واليُمْنُ الذى رفعَ عمادَهُ التيسيرُ الغريبِ، ومدَّ رِواقَهُ الفرجِ القريبِ؛ وإلى هذا أيدِكُم الله على أعدائه، وأجزلَ لديكُم مواهِبَ آلائِهِ؛ وحَكَمَ للإسلامِ على يديكُم بظهورِهِ وأعتلائِهِ، وعَرَّفَكُم من أخبارِ الفتحِ الهنئِ المدفَعِ وأنبائه كلِّ شاهدٍ برحمتهِ وأعتنائِهِ . فإنَا كَتَبْنَاهَإِيكُم مُحَقِّقٌ لديكُم البُشْرَى التى يمثُلها تُنْضَى الرِّكابِ^(٢)، ويُخاضُ العُبابِ؛ وتَعْرِضُ عليكُم ثَمرةَ سعدِكُم الحديدِ الأتوابِ؛ المَفْتَحُ للأبوابِ؛ عِلْمًا بما عندكُم

(١) فى رِجْانةِ الكُتابِ "مَكَامِبِ" .

(٢) الرِكابِ المَطَى واحداً راحلةً من غيرِ لفظِها .

من فضل الأخلاق، وكرم الأعراف ؛ وأصالة الأحساب ، والمعرفة بمواقع
نعم الله التي لا تجرى خلقه على حساب ، والعناية بأمر هذا القطر الذي تعلق
بأذيال ملككم السامى الجناب . [وقد تقرر لدى مقامكم الأسنى ما كانت الحال
آلت إليه بهذا الطاغية^(١)] الذى غرّه الإمهال والإملاء ، وأقدمه على الإسلام
التحصيص المكتوب والابتلاء ؛ فتملاً تيهها وُعجبا ، وأرتكب من قهر هذه الأمة
المسامية مَرَكبا صعبا ؛ وسام كلمة الإسلام بأسا وحربا ، فكاتب بره توسع
الأرجاء طعنا وضربا ؛ وكاتب بجره تأخذ كل سفينة غصبا ؛ والمحاوف قد تجاوزت
شرقا وغربا ؛ والقلوب قد بلغت الحناجر عثما وكربا ؛ وجبل الفتح الذى هو باب
هذه الدار ، وسبب الاستعداد على الأعداء والانتصار ، ومسلك الملة الحنيفة
إلى هذه الأقطار ؛ قد رماه ببوائقه ، وصير ساحته مجر عوالبه ومجرئى سوابقه ؛
وأتخذ دار مقامه ، وجعله شغل يقظته وحلم منامه ، ويسرله ما يجاوره من المعامل
إملاء [من الله] لأيامه ؛ فاستقر به القرار، وأطمأنت الدار، وطال الحصار، وعجزت
عن نصره الخيل والأنصار، ورجمت الظنون وساءت الأفكار، وشجر نظار القلوب
الأضطرار، إلى رحمة الله والافتقار، فجز الله الخواطر عظم بها الإنكسار، ودار بإدالة
الإسلام الفلك الدوار، وتمحّص عن عجائب صنع الله الليل والنهار، وهبت نواصم
الفرج ، عاطرة الأرج ، ممن يخفق ما يشاء ويختار ؛ لا إله إلا هو الواحد القهار .
ويبنا نحن نخوض من الشفقة على ذلك المعقل العزيز على الإسلام لجة مترامية
المعاطب ، ونقتعد صعبا لا يليق بالراكب ؛ ولولا التعلق بأسبابكم فى أنواء تلك
الغياب ، وما خلص إلى هذه البلاد من مواهبكم الهامية المواهب ؛ ومواعيدكم الصادقة
ومكارمكم الغرائب ، وكُتبتكم التي تقوم عند العدو مقام الكتاب ؛ وإمدادكم المتلاحق

(١) ساقط من الاصل والتصحيح من ربحانة الكتاب .

تلاحق العظام الجنائب ، لما رجع الكفر بصفقة الخائب ، إذ تجلى نور الفرج من خلال تلك الظلمة ، وهمت سحاب الرحمة والنعمة على هذه الأمة ، ورمى الله العدو بجيش من جيوش قدرته أغنى عن الحديد والعدء ، وأرانا رأى العيان لطائف الفرج من بعد الشدة ، وأهلك الطاغية حنق أنفه ، وقطع به عن أملة قاطع حنقه ، وغالته أيدي المنون في غيبه ، وأنهى إلى حدود القواطع القوية والأشعة المريخية نصير دليله ، فشفى الله منه داء ، وأخذ أشد ما كان أعندادا وأعنداء ، وحى الجزيرة الغربية وقد صارت نهبه طغاته ، وأشرقه بريقه وهي مضغة في كواته ، سبحانه لا مبدل لكلماته .

فانتثر سلكه الذى نظمه ، وأختل تدبيره الذى أحكمه ، ونطقمت بتبار محلاته السنة النار ، وعاجلت انتظامها أيدي الأنتثار ، وركدت ريحه الزعرع من بعد الإعصار ، وأصبح من استظهر به من الأشيع والأنصار ﴿يُخَرَّبُونَ بِيَوْمِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ وولوا به يحنون التراب فوق المفارق والتراب ، ويخبطون تبر السبال الصهب بدوب الذواب ، قد ليسوا المسوح حزنا ، وأرسلوا الدموع حزنا ، وشقوا جيوبهم أسفا ، وأضرمو قلوبهم تلهفا ، ورأوا أن حصن استطبونة لا يتأذى لهم به امتناع ، ولا يمكنهم لمن يرومه من المسلمين دفاع ، فأخلوه من سگانه ، وعاد فيه الإسلام إلى مكانه ، وهو ماهو من طيب البقعه ، وأنفساح الرقعه ، ولو تمسك به العدو لكان ذلك الوطن بسوء جواره مكدودا ، والمسلك إلى الجبل - عصمه الله - مسدودا ، فكان الصنيع فيه طرازا على عاتق تلك الحلة الضافية ، ومزيدا حسنى العارفة الوافية ، فلما استجلينا غرة هذا الفتح الهبى ، والمنع السنى ، قابلناه بشكر الله تعالى وحمده ، وضرعنا إليه فى صلة نعمه فلا نعمة إلا من عنده ، وعلمنا أنه عنوان على مزيد ملككم الأعلى وعلامة على سعده ، وأثر نبيته

للإسلام وحسن قصده ؛ ونفخ ذخره الله لأيامكم لا نهاية لحده ، فإنكم صرفتم وجهه
عنايتكم إلى هذا القطر على نأى المحلّ وبعده ؛ ولم تشغلتم الشواغل عن إصلاح
شأنه وإحزال رّفده .

وأما البلد المحصور ، فظهر فيه من عزمكم الأمضى ما صدق الآمال والطنون ،
وشرح الصدور بمقامكم وأقرّ العيون : من صلة الإمداد على الخطر ، وتردد السابلية
البحرية على بُعد الوطن وتعذر الوطر ؛ واختلاف الشواني التي تسرى إليه سرى
الطيب ، وتخلص سهامها إلى غرضه بعد أذى وكيف ؛ حتى لم تعدم فيه مرفقة
يسوء فقدانها ، ولا عتة يهيم شأنها ؛ فجزاؤكم عند الله موفور القسم ، وسعيكم لديه
مشكور الذم ؛ كفا الله أعمالكم العالية المهم ، وخلاكم الزاكية الشيم ؛ فقد سعد
الإسلام - والحمد لله - بملككم الميمون الطائر ، وسرت أبناء عنايتكم بهذه البلاد
كالمثل السائر ؛ وما هو إلا أن يستتب اضطراب الكفار واختلافهم ، ويتنازع
الأمر أصنافهم ؛ فتغتمون إن شاء الله فيهم الغرة التي ترتبها العزائم الشريفة ، والهمم
المنيفه ؛ وتجمع شيمكم العليا ، بين نخر الآخرة والدنيا ، وتحصل على الكمال الذي
لا شرط فيه ولا ثنيا ؛ فاهنؤوا بهذه النعمة التي حباها الله إلى أيامكم ، والتحفة التي
بعثها السعد إلى مقامكم ؛ فإنما هي بتوفيق الله ثمرة إمدادكم ، وعقبى جهادكم ؛
أوزعنا الله وإياكم شكرها ، وأهمننا ذكورها .

عرفناكم بما أتصل لدينا ، وورد من البشائر علينا ؛ عملاً بما يجب لمقامكم
من الإعلام بالمتريّيات ، والأحوال الواردات ؛ ووجهنا إليكم بكتابنا هذا من
ينوب عنا في هذا الهناء ، ويُقرّر ماعندنا من الولاء ، وما يترّيد لدينا بالأبناء ؛ خالصة
إنعامنا ، المتميّز بالوسيلة المرعية إلى مقامنا ؛ الحظيّ لدينا ، المقرب إلينا ؛ القائد
الفلانيّ أبا الحسن عبادا وصل الله عزّته ، ويمنّ وجهته ؛ ومجدكم ينعم بالإصغاء إليه ،
فيا أحلنا فيه من ذلك عليه ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ؛ والسلام .



وكما كتب عنه أيضا إلى السلطان (أبي سعيد عثمان بن يغمراسن) صاحب تلمسان، عند بعثه بطعام إلى الأندلس، شاكرًا له على ذلك، ونخبًا له بفتح حصن من حصون الأندلس يسمى حصن قنيط، وهو :

المقام الذى تحدثت بسعادته دولة أسلافه ، واتفق به قولنا من بعد اختلافه ، وعاد العقد إلى انتظامه والشمل إلى اتئلافه ، مقام ولينا فى الله الذى هيا الله له من جميل صنعه أسبابا ، وفتح به من [مهمهم^(١)] السعد أبوابا ، وأطلع منه فى سماء قومه شهابا . وصفيينا الذى نسمب القول فى شكر جلاله ووصف خلاله إسبابا السلطان أبو سعيد عثمان ، ابن الأمير أبى زيد ، ابن الأمير أبى زكريا ، ابن السلطان أبى يحيى يغمراسن ، بن زيان ، مع ذكر ألقاب كل منهم بحسبه - أبقاه الله للدولة الزبانية - يزين بالأعمال الصالحة أجيادها ، ويملك بالعدل والإحسان قيادها ، ويجرى فى ميدان الندى والباس ، ووضع العرف بين الله والناس ، جيادها . سلام كريم كما زحقت للصباح شهب المواكب ، وفتحت عن نهر المجرة أزهار الكواكب ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله جامع الشمل بعد أنصداعه وشتاته ، وواصل الجبل بعد انقطاعه وأثباته ، سبحانه لامبتدل لكلماته ، والصلاح على سيدنا ومولانا محمد رسوله الصادع بآياته ، المؤيد بيناته ، الذى أصفاه لحمل الأمانة العظمى ، وحباه بالقدر الرفيع والحل الأسمى ، والله أعلم حيث يجعل رسالته . والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحره وحماته ، المتواصلين فى ذات الله وذاته ، القائمين بنصر دينه وقهر عداته . فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سعدا ثابت الأركان ، وعزاسا ساجى المكان ، ومجدا

(١) الزيادة من ربحانة الكتاب .

وَثِيقَ الْبُنْيَانِ ، وَصُنْعًا كَرِيمَ الْأَثْرِ وَالْعِيَانِ - مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَالثَّقَّةُ بِاللَّهِ
سُبْحَانَهُ أَسْبَابُهَا وَثِيقُهُ ، وَأَنْسَابُهَا عَتِيقُهُ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ لَا تَلْتَبِيسَ مِنْ سَالِكِهِ طَرِيقَهُ
وَلَا تَخْتَلُطُ بِالْحَاجِزِ مِنْهُ حَقِيقُهُ ؛ وَعِنْدَنَا مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِكُمْ فِي اللَّهِ عُقُودٌ مُبْرَمَةٌ ، وَأَيُّ
فِي كِتَابِ الْإِخْلَاصِ مُحْكَمَةٌ ، وَلَدَيْنَا مِنَ السَّرُورِ ، بِمَا سَنَّاهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ أَسْبَابِ الظُّهُورِ ،
الَّذِي حُلَّلَهُ مُعَلِّمُهُ ، وَحُجِّجَهُ الْبَالِغَةُ مَسَلَّمُهُ ، مَا لَانْفِي الْعِبَارَةَ بِبَعْضِ حُقُوقِهِ الْمُتَلَتَّمَةِ ؛
وَالِي هَذَا - أَيْدِ اللَّهِ أَمْرًا - فَإِنَّا وَرَدْنَا عَلَيْنَا فَلَانَ وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ ، وَسَنَّى سَلَامَتَهُ ؛
صَادِرًا عَنْ جِهَتِكُمُ الرِّفِيعَةِ الْجَانِبِ ، السَّامِيَةِ الْمَرَاقِبِ ؛ طَلَّقَ اللِّسَانَ بِالنِّسَاءِ بِمَا خَصَّكُمْ
اللَّهُ بِهِ مِنْ فَضْلِ الشَّمَائِلِ وَكَرَمِ الْمَذَاهِبِ ، مُحَدِّثًا عَنْ بَحْرِ مَكَارِمِكُمْ بِالْعَجَابِ ؛ فَخَضَرَ
بَيْنَ يَدَيْنَا مُلْقِيًا مَا شَاهَدَهُ مِنْ أَرْزِيَادِ الْمَشَاهِدِ ، بِتِلْكَ الْإِيَالَةِ ، وَاسْتَبْشَارِ الْمَعَاهِدِ ، بِعُودَةِ
ذَلِكَ الْمَلِكِ الرَّفِيعِ الْجَلَّالِ ، الشَّهِيرِ الْأَصَالَةِ ؛ وَوَصَلَ صُحْبَتَهُ مَاحَمَتَهُ جَفْنَةً مِنَ الطَّعَامِ
بِرِسْمِ إِعَانَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، وَالْإِمْدَادِ الَّذِي آفَتْحَتْكُمْ بِهِ دِيْوَانَ أَعْمَالِكُمُ السَّنِيَّةِ ،
وَأَعْرَبْتُمْ بِهِ عَمَّا لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ خَالِصِ النَّيِّبِ ؛ وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ لَأِنَّمَا هُوَ رِشَّةٌ
مِنْ عَمَامٍ ، وَطَلِيعَةٌ مِنْ جَيْشِ هُلَامٍ ؛ وَوَفَدُّ مِنْ عَدَدٍ ، وَبَعْضٌ مِنْ مَدَدٍ ؛ وَأَنَّ عَزَائِمَكُمْ
فِي الْإِعَانَةِ وَالْإِمْدَادِ عَلَى أَوْلَاهَا ، وَمَكَارِمِكُمْ يُنْسَى الْمَاضِيَ مِنْهَا بِمُسْتَقْبَلِهَا ؛ فَأَثْنَيْنَا عَلَى
قَصْدِكُمُ الَّذِي لَمْ تَخْلَصْتُمُوهُ ، وَبِهَذَا الْعَمَلِ الْبَرِّ خَصَّصْتُمُوهُ ؛ وَقَلْنَا : لَا يَنْكَرُ الْفَضْلُ
عَلَى أَهْلِهِ ، وَهَذَا يُرْصَدُ عَنْ مَحَلِّهِ ؛ فَلَيْسَتْ إِعَانَةُ هَذِهِ الْبِلَادِ الْجِهَادِيَّةِ بِيَدْعٍ مِنْ
مَكَارِمِ جَنَابِكُمُ الرَّفِيعِ ، وَلَا شَاذَّةٍ فِيمَا أَسْدَى عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ حُسْنِ الصَّنِيعِ ؛ فَقَدْ عَلِمَ
الشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ ، وَلَوْ سَكَّتُوا أَثْنَتْ عَلَيْهَا الْحَقَائِبُ ؛ مَا تَقَدَّمَ لَسَلَفِكُمْ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ
مِنْ الْإِرْفَاقِ وَالْإِرْفَادِ ، وَالْأَخْذِ بِالْحِظِّ الْمَوْفُورِ مِنَ الْمُدَافَعَةِ وَالْجِهَادِ ؛ وَأَتَمَّ أَوْلَى مَنْ
جَدَّدَ عُهْدَ قَوْمِهِ ، وَكَانَ غَدُهُ فِي الْفَخْرِ أَكْبَرَ مِنْ يَوْمِهِ ؛ وَقَدْ ظَهَرَتْ لِلَّهِ فِي حِزِّ تِلْكَ

(١) مراده سفينة أو نحو ذلك .

الإيالة الزبانية نتيجة تلك المقدمات، وعُرفت بركة ما سلفتَه من المكرّمات. وسنى
الله سبحانه بين يدى وصول مابه تفضّلتهم، وفي سبيله بذلتهم، أن فتح جيشنا حصناً
من الحصون المجاورة لغربى مالقة يُعرف بحصن قنيط من الحصون الشهيرة المعروفة،
والبقع المذكورة بالحِصْب الموصوفه؛ ودفع الله مضرته عن الإسلام وأهله، ويسره
بمعهود فضله؛ فجعلنا من ذلك الطعام الذى وجّهتم طعمة حماته، ونفقات رجاله
ورماته، اختياراً له فى أرضى المرافق من سبيل الخير وجهاته. وأما نحن فإن ذهبنا إلى
تقرير ما عندنا من الثناء، على معالى ملككم الأصيل البناء، والأعتداد بمقامكم الرفيع
العماد، والأستناد إلى ولائكم الثابت الإسناد؛ لم نبغ بعض المراد، ولا وفى اللسان
بما فى الفؤاد؛ فمن الله نسأل أن يجعله فى ذاته، وذريعة إلى مرضاته؛ ومرادنا
من فضلكم العميم، وودكم السليم؛ أن تحسبوا هذه الجهة بجهتكم فيما يعرض من
الأغراض: لنعمل فى نتميمها بمقتضى الود العذب الموارد، الكريم الشواهد؛ والله
يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، والسلام.

الضرب الثانى

(أن يقع الإبتداء بالمقتر)

والرسم فيه أن يقال: المقتر، ويُنعت، ثم يقال: مقتر فلان، ويُنعت بالألقاب،
ثم يُذكر المكتوب عنه. ثم يقال: أما بعد حمد الله، ويؤتى على الخطبة إلى آخرها؛
ثم يقال: فإننا كتبناه لكم من موضع كذا، ويُتخلّص إلى المقصد بلفظ: وإلى هذا
فإن كذا وكذا، ويؤتى على المقصد إلى آخره ويُتمّ بالسلام.

كما كتب ابن الخطيب عن سلطانه ابن الأحمر إلى عجلان سلطان مكة شرفها
الله تعالى وعظّمها، وهو:

المَقَرَّ الأَشْرَفُ ، الذِي فَضَّلَ المَحَالَ الدِينِيَّةَ مَحَلَّهُ ، وَكَرَّمَ فِي بَرْزَمَزَمَ مُنْبَطَ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهْلَهُ وَعَلَّهُ ، وَخَصَّه بِإِمْرَةِ الحَرَمِ الشَّرِيفِ الأُمِينِ مَنْ بِيَدِهِ الأَمْرُ كُلُّهُ ؛ فَاسْفَرَ عَنْ صُبْحِ النُّصْرِ العَزِيزِ فَضَّلَهُ ، وَأَشْتَمَلَ عَلَى خَوَاصِّ الشَّرْفِ الوَّضَاحِ جَنْسُهُ وَفَضَّلَهُ ، وَطَابَتْ فُرُوعُهُ لَمَّا آسَمَدَتْ مِنْ رِيحَاتِي الجَنَّةِ أَصْلُهُ .

مَقَرُّ السُّلْطَانِ الجَلِيلِ ، الكَبِيرِ ، الشَّرِيفِ ، الطَّاهِرِ ، الظَّاهِرِ ، الأَجْمَدِ ، الأَسْعَدِ ، الأَوْحَدِ ؛ الأَسْمَى الشَّهِيرِ البَيْتِ ، الكَرِيمِ الحَيِّ وَالمَيِّتِ ، المَوْقَرِّ ، المَعْظَمِ ، ابنِ الحُسَيْنِ ، وَحَافِدِ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ ؛ تَاجِ المَعَالِي ، عَزِّ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، أَبِي السَّبْقِ عِجْلَانَ ، ابنِ السُّلْطَانِ الكَبِيرِ ، الشَّهِيرِ ، الرَّفِيعِ ، الخَطِيرِ ، الجَلِيلِ ، المَثِيلِ ، الطَّاهِرِ ، الظَّاهِرِ ، الشَّرِيفِ ، الأَصِيلِ ، المَعْظَمِ ، الأَرْضِيِّ ، المَقْدِسِ ، المَنْعَمِ ، أَسَدِ الدِّينِ ، أَبِي الفَضْلِ "رَمِيثَةُ" بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الحُسَيْنِيِّ - أَبَقَاهُ اللهُ ، وَجَعَلَ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَى قَاطِنِي مَثَوَاهُ ، عَلَى بُعْدِ الدَّارِ ، وَتَتَقَرَّبُ فِيهِ إِلَى اللهِ بِالنِّثَامِ التَّرَابِ وَاسْتِلَامِ الحِدَارِ ، وَتُجِيبُ أَذَانَ نَبِيِّهِ إِبرَاهِيمَ بِالحُجِّ إِجَابَةً الإِيتِدَارِ ؛ وَهَنَاهُ المِزِيَّةُ الَّتِي خَصَّه بِهَا مِنْ بَيْنِ مُلُوكِ الأَقْطَارِ ، وَأَوَّلِي المَرَاتِبِ فِي عِبَادِهِ وَالأَخْطَارِ ؛ كَمَا رَفَعَ قَدْرَهُ عَلَى الأَقْدَارِ ، وَسَجَّلَ لَهُ بِسِقَايَةِ الحُجِّ وَعِمَارَةِ المَسْجِدِ الحَرَامِ عَقْدَ الفَخَارِ . وَيُنْهَى إِلَيْهِ أَكْرَمَ التَّحِيَّاتِ نَتَاجُجٍ عَنْ شَدَا الرُّوضَةِ المِعْطَارِ ، عَقَبَ الأَمْطَارِ ، مَعْظَمَ مَاعِظَمِ اللهُ مِنْ شَعَائِرِ مَثَوَاهُ ، وَمَلْتَمَسُ البَرَكَةِ مِنْ أَبْوَابِ مِفْتَاحِيهِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَاهُ ؛ وَمُوجِبُ حَقِّهِ الذِي يَلِيقُ بِمَنْ يَتَوَلَّى وَالرِّضَا أَبْوَاهُ ، الشَّيْقُ إِلَى الوَفَادَةِ عَلَيْهِ وَإِنْ مَطَّلَهُ الدَّهْرُ وَلَوَّاهُ ؛ فَلَانَ . كَانَ اللهُ لَهُ فِي غَرْبَتِهِ وَأَنْفَرَادِهِ ، وَتَوَلَّى عَوْنَهُ عَلَى الجِهَادِ فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ وَبِإِلَى الحَمْدِ فِي الأَوَّلِي وَالآخِرِ ، وَمَطْمَاحِ النُّفُوسِ العَالِيَةِ وَالمِهْمِ الفَاخِرِ ؛ مُؤَيِّدِ العِزَائِمِ التَّعَاوُضَةِ فِي سَبِيلِهِ المِتَنَاصِرَةِ ، وَمُعِزِّ الطَّائِفَةِ المُؤْمِنَةِ وَمُنْدِلِّ

الطائفة الكافرة ، ومُنِيلِ القياصرة الغلب والأكاسره ، وتاركِ أرضها عبْرَةَ لآذَانِ السامعةِ والعيونِ الباصرة .

والصلاةِ على سيدنا ومولانا محمدٍ عبده ورسوله نبيِّ الرحمة الهاميةِ الهامره ، والبركاتِ الباطنةِ والظاهرةِ ؛ المجاهدِ في سبيلِ الله بالعزائمِ الماضيةِ والصَّوارمِ الباتره ، مُصمِّمِ الشَّقَاشِقِ الهادره ، ومُرغِمِ الضَّلالةِ المكابره ؛ المنصورِ بالرَّعبِ من جنودِ ربِّه الناصره ، المحروسِ بحرسِ الملائكةِ الوافره ، الموعودِ مَلِكِ أُمَّتِهِ بما رُوي له من أطرافِ البَسِيطَةِ العامره ، حسبَ ما ثبتَ بالدلائلِ المتواتره .

والرِّضا عن آلهِ وأحزابه ، وعِترتهِ وأصحابِهِ ، المجاهدةِ الصابره ؛ أولى القلوبِ المُراقِبةِ والألسُنِ الذاكِره ، والآدابِ الحريضةِ على الأَهْتداءِ بهداهِ المتأثره ؛ الذين جاهدوا في الله حقَّ جِهادهِ يخوضون لأن تكون كلمةُ الله هي العليا بحارِ الرِّوعِ الزَّاحِره ؛ ويُقدِّمون بالجموعِ القليلةِ على الآلافِ المتكاثِره ، حتى قُتِلَتْ بظهورِ الإسلامِ العيونُ الناظِره ، وحلَّتْ في العدوِّ الفاقِره ، فكانوا في الذَّبِّ عن أُمَّتِهِ كالأسودِ الحارِره ، وفي الهدايةِ سِماءِ ملتهِ كالنجومِ الزاهِره .

والدعاءِ لشرفِكُم الأصيلِ المَناسبِ الطاهره ، والمكَّارِمِ الزاهيةِ بِنُوءِ الزَّهراءِ البتولِ بِضِعَةِ الرِّسولِ الزَّاهِره ، بالصَّنْعِ الذي يُسْفِرُ عن الغُررِ المشرقةِ السَّافِره ، والعِزِّ الذي يَضْفُو منه الجَنَاحُ على الوفودِ الوافِره ، والفُضلاءِ من المجاوره ، ولا زال ذِكْرُكُمْ بالجَميلِ هَيَّيرِ الرِّكائبِ الوارِدةِ والصابِره ، والشَّناءِ على مكارمِكُم يُججِلُ أنفاسَ الرِّياضِ العاطِره ، عَقِبَ الغائمِ الماطِره .

فإنَّا كتبناهُ إليكم - كتب اللهُ لكم عنايةً تحجبُ الأسواءَ [بجُنْهِها] الساتِره ، ورعايةً تجمعُ الأهواءَ المختلفةَ والقلوبَ المتنافرةَ - من حمراءِ غرناطةِ دارِ المَلِكِ الإسلاميِّ

(١) الزيادة من ربحانة الكتاب .

بالأندلس - حرسها الله ووفّر جموع حاميتها المناغره - وسدّ بيد قدرته ما هم بها من أفواه العدى الفاغره ، ولا زالت سمائب رحمة الله الحائطة لها الغامره ، تُظَلِّلْ جموع جهادها الظافره ، وتجوّد ريم شهادتها الناخره ، ونعم الله تحطُّ ركائب المزيد في نواديا الحامدة الشاكره .

والحمد لله كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله . وجانبكم موفى حقّه من التعظيم الذى أناف وأربى ، وقدرتم يعرفه من صام وصلّى فضلاً عن حجّ ولبي ، ومستند ودمكم ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . وإلى هذا - حرس الله مجدكم ومقرّم الأشراف ، كما سحّب على البيت العتيق ظلكم الأورف - فإنّ الجهاد والحجّ أخوان ، يشهد بذلك الملوان ، مرتضعان ندى المناسبه ، ويكادان يتكافآن في المحاسبه : سقرا وزادا ، ونبيّة وأستعدادا ، وإتلافا لمصون المال وإنقادا ، ونروجّا إلى الله لا يؤثّر أهلا ولا ولدا وإن أقرقا محلا فقد أجتما جهادا ، ورفعاً لليلة منارا ساميا وعمادا ، ووطننا - والحمد لله - على هذا العهد المخصوص بكمال هذه المزيه ، والقيام بفرض كفايتها البحرية والبرية عن جميع البرية ، [السليمة من الضلال البرية] وهذا النسب واشجة عروقه ، صادقة بروقه ، ومئاته لا يفضله متات ولا يفوقه . ونحن نعرفكم بأحوال هذا القطر المستمسكة فروعه بتلك الجرثومة الراسية ، الممدودة أيديه إلى مثابها المتصدقة بالدعاء الموائيه ؛ فاعلموا أن الإسلام به مع الحياة في سقّ حرج ، وفي أمر مريج ؛ وطائفة الحق قليل عددها ، منقطع إلا من الله مددها ، مستغرق يومها في الشدة وغدها ؛ فالطلائع في قنن الجبال تُتور ، والمُصحر من بيته مغزور ؛ والصيحة مع الأحيان مسموعه ، والأعداء لرد ما أستخلصه الفتح الأول مجموعه ؛ والصبر قد ليست مدارعه ، والنصر قد أتمست مشارعه ؛ والشهداء تتوش أشلاءهم

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" . (٢) المئات مايمت به .

القشاع ، وتحتفلُ منها للعواصِ الولائم والمطاعم ، والصَّيَّاتُ تُدْرَبُ على العمل بالسَّلاح ، وتُعلَّمُ أحكامَ الجهادِ تعلَّمُ القرءان في الألواح ، وأذانُ الخيل مستشرفة للصَّياح ، ومفارقِ الطائحين في سبيل الله تعالى تَبَلُّى بأيدى الرياح ، والمآذنُ تُجيبها النواقيسُ مناقِضه ، وتراجُعها مُغاضِبَةٌ معارِضه ، وعددُ المسلمين لا يبلغُ من عددِ الكفارِ ، عَشْرُ المعشارِ ، ولا وَبْرَةٌ من جلود العِشارِ ، إلا أن الله عز وجلَّ حلَّ بولآيتنا المَحْنَقِ المشدودِ ، وفتح إلى التيسيرِ المهيِّعِ المشدودِ ، وأضفى ظلالَ الثمنِ الممدودِ ، وأهَمَّ - وله الشكرُ على الإلهام ، وتسديدِ السَّهام . والحمدُ لله الذى يفوتُ مداركَ الأفهام - إلى اجتهادِ قُرْنٍ به التوفيق ، وجهادِ نُهْجٍ به إلى النجاةِ المُنجِيةِ الطريق ، سبحانه من كريمِ يُلهمُ العملَ ليُثيب ، ويأمرُنا بالدعاء ليُجيب ، فتحركنا حركاتٍ ساعدَها - والله المنَّة - السعد ، وتولى أمرَها ونُصرتَها منْ له الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ .

ففتحنا مدينةَ بُرْغَةَ الفاصلةَ كانت بين البلادِ المُسلمه ، والشَّجَا المعترضِ في نَحْرِ الكَلِمه ، وتبعها بناتُ كَنٍّ يرتضعن أخلافِ دِرَّتِها ، ويتعلَّقن في الحربِ والسَّلمِ بأرزتها . ثم نازلنا حصنَ آش ركابَ الغاراتِ الكافره ، ومستقرَّ الشوكةِ الوافره ، ورفع اللهُ إصْرَه الثقيل ، وكان من عَثْرَةِ الدِّينِ فيه المَقِيل .

ثم قصدنا مدينةَ الجزيرةِ بنتَ حاضرةِ الكفرِ ، وعَمْرَيْنَ الأسودِ العُلبِ وكِئاسِ الظَّباءِ العُقرِ ، فاستبحناها عَنوةَ أضرمت البلادَ ناراً ، ودارت بأسوارها المنيعه سِوَاراً ، وآستأصلنا أهلها قَتلاً وإساراً ، وملأتِ الأيدي من نُقاوَةِ سبى تمعدت آلافه ، وموفورِ غنمٍ شدَّت عن العبارةِ أوصافُه .

ثم كانت الحركةُ إلى مدينةِ جِيانٍ وشُهْرَتِها في المعمورِ ، وشياعُ وصفِها المشهورِ ، تُغْنِي عن بسطِ مالها من الأمورِ ، ففتحها الله على يدينا عنوةً وجعلت مقاتلتها نهباً

للسيوف الرقاق، وسببها ملكة للأسترقاق، وأهله مبانيها البيض دريعة للمحاق،
 وأستولت على جميعها أيدي الهدم والإحراق؛ ثم دكت الأسوار، وعقرت الأشجار،
 وأستخلف على خارجها النار، فهي اليوم صفصف ينشأ بها الاعتبار، وتعجب
 الأبصار .

وغزونا بعدها مدينة أبدة أختها الكبرى، ولدتها ذات المحل الأسمى؛ وكانت
 أسوة لها في التدمير، والتتير، والعفاء المبير .

ثم نازلنا مدينة قرطبة وهي أم هذه البلاد الكافرة، ودار النعم الوافرة، وذات
 المحاسن السافرة؛ فكدنا نستبيح حاما المنيع، ونسنت شملها الجميع، ونحتفل بفتحها
 الذي [هو للدين أجل] صنيع^(١)، لولا عوائق أمطار، وأجل مته إلى مقدار؛ فرحلنا عنها
 بعد آتهاك زلزل الطود، ووعدناها العود؛ ونؤمل من فضل الله إنفاذ البشري بفتحها
 على بلاد الإسلام، ومناحة من بها من الملوك الأعلام، بالإخبار به والإعلام .
 وبلغ [من] صنيع^(١) الله لنا وهو كافٍ من توكل عليه، وفوض الأمور إليه؛ أن لاطفنا
 النصر بخصون أربعة لم نوجف عليها ركابا، ولا تملكها غلابا؛ فطهرنا بيوت الله
 من دنس الأوثان، وعوضنا النواقيس بكلمة الإيمان . والحمد لله على مواهب
 الإمتنان، ومنه نستريد عوائد الإحسان .

وهذه المجملات تحتل شرحا، تسبح في بجره سنان الأعلام سبحا؛ من أوصاف
 معانم شدت عن الحصر، ومواقف لتزل السكينة وهبوب النصر؛ وما ظهر من جد
 المسامين في آفتاح تلك المعادل المنيفة المنيفة؛ ومقارعة الجموع الكثيفة؛ وبركة
 الحرم الشريف في كل حال موجوده، وأقطار الإسلام بها مجوده، والوسائل إلى الله
 بأهله في القديم والحديث لا محبة ولا مردوده؛ فهو الأصل، والغمد الذي سل

(١) بياض بالأصل والتصحيح من الريحانة .

منه النَّصْلُ ؛ حتى بلغ التَّخَوُّمَ القاصيه ، وذلك المالك المتعاصيه ، وقاد من تَقَاعِدِ
أو تَقَاعَسَ بالناصيه .

وقد ظهر لنا أن نوجه الى المدينة المقدسة صلوات الله على من بها وسلامه رسالة
نعرفه بهذه البركات الهامية من سماء عنايته المعدودِ خارقها آية من آياته ، وكلنا جناه ،
وما بُكَّا لَهْتِدِي لولا أن هدانا الله هُدَاهُ ؛ وأصبحنا أشخاصا من نواقيس الفَرْجِ مما
تأثى حملة ، وأمكن نَقْلُهُ ؛ وما سواه فكانت جبالا ، لا يقبل نقلها احتيالا ؛ فتناول
درعها المَسْخَ والتكسير ، وُسْفِي بذهاب رسومها الاقامة والتكبير ، والأذانُ الجَهِيرِ ؛
ومرادنا أن تُعْرَضَ بجمتمع الوفود تَذَكْرَةً تستدعى الإمداد بالدعاء ، وتقتضى بتلك
المعاهد النَّصْرَ على الأعداء ؛ ثم تُصَحَّبَ رِكَابَ الزَّيَارَةِ ، الى أبواب النبوة ومطالع
الإناره ؛ وأتم تعملون في توفية هذه الأحوال ورعايتها ، وإبلاغها الى غايتها ؛ ما يلبق
بحسبكم الوضاح ، ومجدكم الصراح ، وشرفكم المتبلجة أنواره تبليج الإصباح (فأتم خير
من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح) ولكم بذلك الحظُّ الرَّغِيبُ في هذه
الأعمال البرة ، والله سبحانه لا يضيع مثقال الذرة ؛ وهو سبحانه يتولاكم بما تولى به
من أعزَّ شعاره وعظَّمها ، ورعى وسائله واحترمها ؛ ويصل أسباب سعدكم ،
وينفعكم بقصدكم . والسلامُ الكريم ، الطيبُ البرُّ العميم ؛ يُجِيئُ معاهدكم الكريمة
على الله عهودها ، النامية بغائم الرِّحْمَاتِ والبركات عهودها ؛ ورحمة الله وبركاته .

وربما قُدِّمَ على لفظ المقرِّصلة يُعتمدُ عليها في البُداء .

كما كتب عنه أيضا في معنى ذلك إلى أمير المدينة النبوية على ساكنها سيدنا محمد
افضل الصلاة والسلام .

يعتمد المقرُّ الأشرفُ الذي طاب بطيبة نَشْرُهُ ، وجَلَّ بإمارتها الشريفة أمرُهُ ،
وقدَّرَ في الآفاقِ شَرَفُهُ وشَرُفَ قسدرُهُ ، وعظُمَ بِخِدْمَةِ ضريحِ سيدِ ولدِ آدمِ نَحْرُهُ ،

(١) [أبقاه الله منشرحاً بجوار روضة الجنة صدره ، مُشرقاً بذلك الأفق الأعلى بدره ،]
ذائعاً على الألسن المادحة ، في الأقطار النازحة ، حمدُه وشُكْرُه ، مُزرياً بشدًا المسك
الأذفر في الجمع الأوفرِ ذِكْرُه ؛ تحيةً مُعظَّم ما عَظَّم اللهُ من دار الهجرة داره ،
ومَطَّلَع إبداره ، الملتمس بركة آثاره ، المتقرب إلى الله بحبه وإيثاره . فلان .

أما بعد حمد الله الذي فضَّل البقع بخصائصها الكريمة ومزايها ، تفضيلَ الرياض
الوسمية بريَّها ، وجعل منها مَنَابِتِ رحمةٍ تضربُ إليها العبادَ آباطَ مطاياها ، مؤمِّلةً
من الله عُقرانَ زلاتها وحطَّ خطاياها ؛ وخصَّ المدينةَ الأمانةَ بصرحِ سيد المرسلين
فأسعدَ منها مماتِها ومجياها ، ورفعَ عليها .

والصلاةِ على سيدنا ومولانا محمدٍ رسوله الكريم ، الرؤوف بالمؤمنين الرحيم ؛
مُطَّلِع أوجه السعادة يبروقُ مجياها ، ومُوضِّح أسرار النجاة ومبينَ خفاياها ؛ الذي
تدارك الخليفةَ بهديه وكشفَ بلاياها ، ورعى لسنَّة الله رعاياها ، وجمع بين صلاح
دينها ودنياها .

والرضا عن آله وصحبه ، وعترته وحزبه ؛ التي كُرِّمت سبحاها ، وعظمتَ أطافها
المهاديةُ وهداياها ؛ وجاهدتْ بعده طوائف الكُفَّار ، تُشعِّش لها في أكواس
الشِّفَار ، مناياها ، وتُطَّلِع عليها في الليل البهيم ، سنا الصباح الوسيم ؛ من غرر
سراياها ، وتُسدِّدُ بعمام الأسنَّة ورياح ذوات الأعمنة ثناياها .

والدعاء لمقر أصالتكم الشريفة حياها الله وبياها ، كما شرفها بولادة الوصي الذي قوِّرَ
وصاياها ، وسلالة النبي الذي أعظم مواهب فخرها منه وعطاياها ، بالسعادة التي تُبرِّزُ
أكف الأقدار على مرور الأعصار حباياها ، والعز الذي يُزاحم فرقد السماء وثرها .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) كذا في الريحانة أيضا وأبن الخطيب يستعمل هذا الجمع كثيرا ولكن الذي في كتب اللغة أن جمع

الكاس أكوس وكوس وحرر .

فانا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من مواهب الصنع الجميل أغياها ، كما طيب
 بذكركم أطراف البسيطة وزواياها ؛ وجعل فخر الحوار الكريم في عقيبكم كلمة صدق
 لا تختلف قضاياها ، ممرضت الرياض مؤرسات عشاياها ؛ فجعات من النواسم
 مشمومها ومن الأزهار البواسم حشاياها . من حمراء غرناطة - حرسها الله -
 ونعم الله يحوك حللها الجهاد ، والسيوف الحداد ، وتلبسها البلاد والعباد ، وتزيها .
 وفلول الكفرنا كصة على الأعقاب ، من بعد شد الوثاق وضرب الرقاب ، نزيهاها ؛
 وبركات حرم النبي الوجيه على الله يستظلمها الإسلام ويتقيها ، ويتنع الغلل
 من رواياها .

والحمد لله كثيرا كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله ؛ ولمعاهدكم الكريمة الأرياح ،
 كلكا أو مضت البروق وخفت الرياح ؛ ولسني عنايتها الأتماح ، إذا أشجرت
 الرماح ؛ وفي تأميل المتول بها تعمل الأفكار وإن هيض الجناح ، وهداها الاستنارة
 إذا خفي للمرآشد الصباح ، وبالإعتمال في مرضاة من صمه منها الثرى القواح ، والصفيح
 الذي تراث سا كنه العوامل المجاهدة والصفاح والجهاد الصراح ، يعظم في الصدر
 الأشرح ، ويعز المغدئ في سبيل الله والمرآح .

وإلى هذا أجزل الله مسرتكم بظهور الدين ، وأعتلاء صبحه المئين ؛ فاننا نعزفكم
 أنسا فتح الله علينا وعلى إخوانكم المؤمنين بهذه الثغور المنقطعة الغريه ، الماتية
 على الآماد البعيدة بالذم العربية ؛ فتوحا حوزت من مملكة الكفر البلاد ، ونقلت
 الطارف والتلاد ؛ حسب ما تنصه مخاطبتنا إلى نبينا الكريم الذي شرفكم الله بخدمة
 لحده ، وأستخلفكم على دار هجرته من بعده ؛ إذ لاجابة إلى التكرار بعد ما شرحت
 به الصدور من الأخبار ، في الإيراد والإصدار ؛ ووجهنا صحتها من النواقيس التي
 كانت تُشيع نداء الضلال ، وتعارض الأذان بجلاذ الحدال ، وتبادر أمر التمثال

بالإمتثال؛ ما يكون تذكراً تحين بها القلوب إلى هذه الطائفة المسلمة إذا رأتها، وتنتظر قبول الدعاء لها من الله كلما نظرتها، وتصور الأيدي المجاهدة التي جنتها من أفنان المستشرفات العالية وأهتصرتها إذا أبصرتها .

وهذا كله لا يتحصل على التمام إلا بمشاركة منكم تسوغه، وإعانة تؤديه وتبلغه؛ تسبيح لكم عند تعرفها الثناء الدائم الترداد، والدعاء بحسن المكافأة من رب العباد، وسهمكم في أمر الجهاد؛ وأتم تعملون في ذلك بما يناسب مثلكم من الشرفاء الأجداد، والله عز وجل يواليكم بنعمه الثرة العهاد، ويعرفكم عوارف السعادة في المبدأ والمعاد، ويختم لنا ولكم بسعادة المعاد؛ والسلام الكريم يخصكم عوداً على بدء ورحمة الله تعالى وبركاته .

الضرب الثالث

(أن تفتتح المكاتبة بلفظ الإمارة)

بأن يقال : الإمارة التي نعها كذا وكذا إمارة محل أخينا فلان، ويدعى له .
ثم يقال : معظّم إمارته، أو معظّم أخوته فلان . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
أما بعد حمد الله ، ويؤتى بخطبة ؛ ثم يقال : فإننا كتبناه إليكم كتب الله لكم كذا وكذا من موضع كذا ؛ ثم يُخلّص إلى المقصود بلفظ وإلى هذا، ويؤتى على القصد إلى آخره، ويختم بالسلام على نحو ما تقدم في غيره من الضروب ، وبذلك يكتب إلى الأمراء من أبناء الملوك وغيرهم . كما كتب ابن الخطيب عن ابن الأحمر إلى أبي علي الناصر ابن السلطان أبي الحسن المريني بفاس ، عند ما أرسله والده إلى ناحية من النواحي لعمارتها وإصلاح حالها ، مهنتاً له بما أجزاه الله على يديه من الصلاح ، وهو :

الإمارة التي لها المكارم الراضيه، والعزائم الماضيه، والحلالة الراقيه، والأعمال
الصالحه الباقيه، إمارة محلّ أخينا الذي نُعظّم مجده السامى الجلال، ونُنثي على سميّه
الظاهرة الجلال، ونعتدّ بوده الكريم الأقوال والأعمال، ونُسّر بما يسّنيه الله لعزّه
الفسيح الجبال، من عوائد اليمن والإقبال .

الأمير الأجل، الأعز، الأسمى، الأظهر، الأظهر، الأسنى، الأسعد، الأرشد،
الأرضى، المؤيد، الأمضى، الأفضل، الأكل، أبو على الناصر ابن محلّ أبينا الذي
نُعظّمه ونجّه، ونوجب له الحقّ الذي هو أهله، السلطان الجليل الكذا أبو الحسن
ابن السلطان المؤيد، المعان المظفر، صاحب الجود الشهير في الأقطار، والفضل
المتألق الأنوار، والمآثر التي هي أبهى من محيّا النهار، أمير المسلمين، وناصر الدين،
المجاهد في سبيل ربّ العالمين، أبي سعيد ابن أمير المسلمين وناصر الدين، قامح
الكافرين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي يوسف بن عبد الحق . أبقاه الله
والسعود اليه مبتدرة مستقيه، والمسرات لديه منتظمة متسقه، وغرر أيامه واضحة
مشرقه، والأهواء على محبته متفقه . معظّم إمارته الرفيعه الجانب، القائم من إجلالها
ونسرخلالها بالحقّ الواجب، المثني على مالها من السير الفاضله المذاهب، والأصالة
الرفيعه المناسب، والبساله الماضيه المضارب، والمكارم التي تشهد بها مواقف
الجهاد، وظهور الجياد، وصحائف الكُتب وصفائح الجلال، الأمير عبد الله يوسف
ابن أمير المسلمين، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم، برعميم،
نتأرج الأرجاء من طيب نفتحته، ويشرق نور الودّ الأصيل على صفحته، يخصّ
أخوتكم الفاضله، وإمارتكم الحافله، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي شرح بالتوكل عليه صدورا ، و [جعل الوُدَّ في ذاته كثرًا^(١) مدخورا] والأعمال التي تقرب إليه نوراً؛ والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي بعثه بالحق هاديا وبالرعب منصورا، ورفق لدعوته العالية لواءً من عنايته منشورا، وأختاره لإقامة دين الحق والأرض قد ملئت إفكا وزورا، حتى بلغ ملك أمته ما كان منها معمورا .

والرضا عن آله وأحزابه الذين آتسقوا في قلائد ملته الرفيعة سُدورا ، وطلَّعوا في سماءها بُدورا ، وبدلوا نفوسهم النفيسة في نصره وإعلاء أمره فكانت شفاعته لهم جزاء وكان سعيهم مشكورا .

والدعاء لإمارتكم العالية بالسعد الذي يصاحب منه ركبها مددا موفورا، والتوفيق الذي يوسع عملها نُجحا وأملها سُورا .

فإنا كتبنا إليكم - كتب الله لكم سَعدا متجدد الإحكام، وصنعا مُشرق القسام وافر الأقسام، وعرفكم ماعودكم من عوارف الإنعام، وعوائد النصر الواضح الأعلام- [ولازائد بفضل الله سبحانه، ثم بركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي أوضح برهانه، ثم بما عندنا من التشيع في مقام محل أئبنا والدكم السلطان الجليل، أسعد الله سلطانه! ومهد به أوطانه! إلا ما يرجى من عوائد الله الجميلة، ومِنَّته الجزيلة، وأطافه الكافية الكفيله] وعندنا من التعظيم لتلك الإمارة الرفيعة ما هو أشهر من الشهير، وأعظم من أن يحتاج إلى التفسير؛ فلا نزال نعتد بجانب أخوتها بالعتاد الكبير، والذُخر الخطير، ونُتني على مكارمها بالقلم واللسان والضمير. وإلى هذا أيد الله إمارتكم، وسنى إرادتكم، وأسعد إدارتكم؛ فقد علم الغائب والشاهد، والصادر والوارد؛ ماعندنا لكم من الحب الذي

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

صَفَتْ مِنْهُ الْمَوَارِدُ ، وَالْوَلَاءِ الَّذِي تَضَوَّعَتْ مِنْ طَيْبِهِ الْمَعَاهِدُ ؛ وَإِنَّا تَعَرَّفْنَا
مَا كَانَ مِنْ قَدُومِكُمُ السَّعِيدِ عَلَى أَحْوَاظِ الْمَرِيَّةِ مِنْ تِلْكَ الْأَفْطَارِ ، وَطُلُوعِكُمْ عَلَيْهَا بِالْعَزْمِ
الْمَاضِي وَالْحَيْشِ الْجَزَارِ . وَأَنْ مَحَلَّ وَالدِّنَا وَصَلَ اللَّهُ لَهُ عُلُوُّ الْمَقْدَارِ ، قَدَّمَ مِنْكُمْ بَيْنَ
يَدَيْهِ مُقَدِّمَةَ الْيَمْنِ وَالْإِسْتِيشَارِ ، وَرَائِدَ السَّعَادَةِ الْمُشْرِقَةَ الْأَنْوَارِ ، بِجَلَالِ مَا يَتَلَاخُقُ بِهَا
رِكَابُهُ الْعَالِي قَدْرُهُ عَلَى الْأَقْدَارِ ؛ وَأَنْ مَحَايِلَ النَّجْحِ لِإِمَارَتِكُمُ الرَّفِيعَةَ قَدْ ظَهَرَتْ ، وَأَدِلَّةُ
الصَّنْعِ الْجَمِيلِ قَدْ بَهَّرَتْ ؛ وَمَنْ بَتَلَكَ الْجِهَاتِ ، مِنْ الْقَبَائِلِ الْمُخْتَلِفَاتِ ، بِالطَّاعَةِ
قَدْ أَبْتَدَرَتْ ؛ وَأَبَاؤَ أَمْرِهَا الْإِمَارِيَّةِ قَدْ أَثْمَرَتْ ؛ وَأَنْكُمْ قَدْ أَخَذْتُمْ فِي تَسْكِينِ الْأَوْطَانِ
وَتَهْمِيدِهَا ، وَأَسْتِنَافِ الْعَزَائِمِ وَتَجْدِيدِهَا ، [وَإِطْفَاءِ نَارِ الْفِتَنِ وَإِحْمَادِهَا] وَإِعْلَاءِ أَرْكَانِ
تِلْكَ الْإِيَالَةِ وَرَفْعِ عِمَادِهَا ؛ فَكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الْكِتَابَ نَهْتِكُمْ بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ لِمَجْدِكُمُ الرَّفِيعِ ،
مِنْ حُسْنِ الصَّنِيعِ ؛ وَتَقَرَّرَ مَا عِنْدَنَا مِنَ الْوَدِّ الْكَرِيمِ ، وَالْحُبِّ الصَّامِمِ ، وَنَسْتَفْهِمُ عَنْ
أَحْوَالِ أَخْوَاتِكُمْ لِنَتَّوَنَ مِنْ عِلْمِهَا عَلَى السَّنَنِ الْقَوِيمِ ؛ وَحَتَّى لَا تَزَالُ الْأَسْبَابُ مُتَّصِلَةً ،
وَالْمَوَدَّةُ جَدِيدَةً مُقْتَبَلَةً ؛ وَلَوْلَا الْعَوَائِقُ الْمَانِعَةُ ، وَالشُّقَّةُ الْبَعِيدَةُ الشَّاسِعَةُ ، وَالْأَمْوَاجُ الْمَتْرَامِيَّةُ
الْمُتَدَاوِفَةُ ، لَمْ نَغِبْ الْمَخَاطِبَةَ ، وَلَوْصَلْنَا الْمُرَاسِلَةَ وَالْمَكَاتِبَةَ ؛ وَبِمَجْدِكُمْ يَقْبَلُ الْأَعْذَارُ الصَّحِيحَةَ
بِمَقْتَضَى كِمَالِهِ ، وَمَعَهُودِ إِفْضَالِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُصَلِّحُ بِكُمْ الْأَحْوَالَ ، وَيَسْكُنُ الْأَهْوَالَ ،
وَيُبَلِّغُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ الْأَمَالَ . وَغَرَضُنَا أَنْ تَعْرِفُونَا بِمَا لَدَيْكُمْ مِنَ الْمُتَرَيِّدَاتِ ، وَالصَّنَائِعِ
الْمُتَجَدِّدَاتِ ، وَبِمَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحْوَالِ مَحَلِّ أَيْبِنَا وَصَلَ اللَّهُ عَوَائِدَ النَّصْرِ لِسُلْطَانِهِ ، وَتَكْفُلَ
بِإِعْلَاءِ أَمْرِهِ وَتَهْمِيدِ أَوْطَانِهِ . وَقَدْ كَتَبْنَا إِلَيْهِ صَحْبَةً هَذَا كِتَابًا غَرَضُنَا مِنْ أَخْوَاتِكُمْ
الطَّاهِرَةِ ، أَنْ يَصَلَ إِلَى حَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ تَحْتَ عِنَايَتِكُمْ وَوَصَاتِكُمْ ، وَالرَّعَايَةِ الَّتِي تَلِيْقُ
بذَاتِكُمْ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ وَيُحْرَسُ مَجْدَكُمْ ، وَيَحْفَظُ وِلَاءَكُمْ الْكَرِيمِ وَوُدَّكُمْ ،
وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

الاسلوب الثاني

(أن تُفْتَحَ المَكَاتِبَةُ بِاسْمِ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوِ المَكْتُوبِ عَنْهُ ، وَهُوَ عَلَيَّ ضَرْبَيْنِ)

الضرب الأول

(أن تُفْتَحَ المَكَاتِبَةُ بِاسْمِ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ)

والرسم فيه أن يقال : إلى فلان ، وَيُنَعَّتْ بِمَا يَلِيقُ بِهِ ؛ ثُمَّ يُؤْتَى بِالسَّلَامِ ، وَيُقَالُ :
أما بعد وَيُؤْتَى بِمَخْطَبَةٍ ، ثُمَّ يُقَالُ : فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَ اللَّهِ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا ، مِنْ مَوْضِعِ
كَذَا ، وَيُتَخَلَّصُ إِلَى المَقْصُودِ بِلَفْظِ « وَإِلَى هَذَا » وَيُؤْتَى عَلَى المَقْصُودِ إِلَى آخِرِهِ
وَيُخْتَمُ بِالسَّلَامِ .

كما كتب أبو الخطيب عن سلطانه ابن الأحمر إلى الأمير يلبغا العمري الشهر
بالخاصكي : أتاك العساكر بالديار المصرية في الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » .
إلى الأمير المؤمن علي أمر سلطان المسلمين ، المقلد بتدبيره السيد قلادة الدين ،
المثني على رسوم به المقامة لسان الحرم الأمين ، الأوى من مرضاة الله تعالى ورسوله
إلى ربوة ذات قرار ومعين ، المستعين من الله على ما تحمله وأمله بالقوى المعين ؛
سيف الدعوة ، ركن الدولة ، قوام المله ، مؤمل الأمة ؛ تاج الخواص ، أسد
الجوش ، كافي الكفاة ؛ زين الأمراء ، علم الكبراء ؛ عين الأعيان ، حسنة الزمان ؛
الأجل ، المرفع ، الأسنى ، الكبير ، الأشهر ، الأسمى ، الحافل ، الفاضل ، الكامل
المعظم ، الموقر ، الأمير ، الأوحده ، « يلبغا الخاصكي » وصل الله له سعادة تُشْرِقُ
عُرَّتُهَا ، وصنائع تُسَحُّ فلا تُسَحُّ دِرَّتُهَا ، وأبقى تلك المثابة قلادة الله وهو دُرَّتُهَا ؛
سلام كريم ، طيب عميم ؛ ينحس إمارتكم التي جعل الله الفضل على سعادتها أماره ،

وَأَيُّسَرَهَا شَارَهُ ، فَيَسَاعِدُ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ مَهْمَا أَعْمَلَتْ إِدَارَهُ ، وَتُمَثِّلُ الرُّسُومَ كَلَّمَا
أَشَارَتْ إِشَارَهُ .

أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ بَعَلْمِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، مِنْ قَاصِ وَدَانٍ ، وَإِلَيْهِ تُوجَّهُ
الْوَجُوهُ وَإِنْ آخْتَلَفَتِ السَّيْرُ وَتَبَاعَدَتِ الْبُلْدَانُ ، وَمَنْهُ يُتَمَسَّ الْإِحْسَانُ ؛ وَبَذَكَرَهُ
يَنْشُرُ الصَّدْرُ وَيَطْمئنُّ الْقَلْبُ وَيَمْحُ الْلِّسَانُ .

وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ ، وَنَبِيِّهِ الصَّادِقِ
الْبَيِّنِ ، الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ .

وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَعْمَامِهِ وَأَحْزَابِهِ ، أَحْلَاسِ الْخَيْلِ ، وَرُهْبَانِ اللَّيْلِ ،
وَأَسْوَدِ الْمَيْدَانِ .

وَالدُّعَاءِ لِإِمَارَتِكُمْ السَّعِيدَةِ بِالْعَزِّ الرَّائِقِ الْخَبَرِ وَالْعِيَانِ ، وَالتَّوْفِيقِ الْوَثِيقِ الْبُنْيَانِ ؛
فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ حَقًّا مِنْ فَضْلِهِ وَأَفْرًا ، وَصَنِيْعًا عَنْ مِحْيَا السُّرُورِ
سَافِرًا ، وَفِي جَوِّ الْإِعْلَامِ بِالنِّعَمِ الْجِسَامِ مُسَافِرًا . مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ -
دَارِ الْمَلِكِ بِالْأَنْدَلُسِ ، دَافِعِ اللَّهِ عَنْ حَوَزَتِهَا كَيْدِ الْعُدَاةِ ، وَأَتْخَفِ نَصَلَهَا بَيَّوَاكِرِ
النَّصْرِ الْمُهْدَاةِ ؛ وَلَا زَائِدَ إِلَّا الشُّوقُ إِلَى التَّعَارُفِ بِتِلْكَ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَنْتُمْ
عُنْوَانُ كِتَابِهَا الْمَرْقُومِ ، وَبَيْتُ قَصِيدِهَا الْمَنْظُومِ ، وَالتَّمَّاسُ بِرِكَاتِهَا الثَّابِتَةِ الرُّسُومِ ،
وَتَقْرِيرِ الْمَثُولِ فِي سَبِيلِ زِيَارَتِهَا بِالْأُرُوحِ عِنْدَ تَعَدُّرِهِ بِالْجُسُومِ .

وَإِلَى هَذَا فَإِنَّا كَانَتْ بَيْنَ سَلَفِنَا - تَقَبَّلَ اللَّهُ جِهَادَهُمْ وَقَدَّسَ نَفُوسَهُمْ وَأَمَّنْ مَعَادَهُمْ -
وَبَيْنَ تِلْكَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ - أَلْقَى اللَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ظِلَالَهَا ، كَمَا عَزَّفَهُمْ
عَدْلَهَا وَإِفْضَالَهَا - مِرَاسِلَةَ نَيْمٍ عَرُفَ الْخُلُوصِ مِنْ خِلَالِهَا ، وَتَسَطَّعَ أَنْوَارَ السَّعَادَةِ
مِنْ آفَاقِ كَمَالِهَا ؛ وَتَمَتَّحَ مِنْ أَسْطَارِ طُرُوسِهَا مَحَاسِنُ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ ، الزَّاكِيَةِ الْمَشَاهِدِ ،

وَتُعْرَبُ عَنْ فَضْلِ الْمَذَاهِبِ وَكَرَمِ الْمَقَاصِدِ، أَشْتَقْنَا إِلَى أَنْ نُجَدِّدَهَا بِحُسْنِ مَنَابِكُمْ،
وَنَصِلَهَا بِمَوَاصِلَةِ جَنَابِكُمْ، وَنَعْتَمِمْ فِي عَوْدِهَا الْحَمِيدِ مَكَانَكُمْ، وَنَفْضِلُ لَهَا زَمَانَكُمْ، بِخَاطِبِنَا
الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ فِي هَذَا الْغَرَضِ بِخَاطِبِيَّةٍ تَجَمُّلَةٍ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَجِلَّةٍ مِنَ النَّاقدِ الْبَصِيرِ؛
وَتُوَمِّلُ الْوَصُولَ فِي خِفَارَةِ يَدَيْكُمْ الَّتِي لَهَا الْأَيْدِي الْبَيْضُ، وَالْمَوَارِدُ الَّتِي لَا تَفِيضُ؛ وَمِثْلُكُمْ
مَنْ لَا تَخِيبُ الْمَقَاصِدَ فِي شِمَائِلِهِ، وَلَا تَضْحَى الْمَآمِلُ فِي ظِلِّ نَحَائِلِهِ؛ فَقَدْ أَشْتَهَرَ مِنْ
عَظِيمِ سِيرَتِكُمْ مَا طَبَّقَ الْآفَاقَ، وَصَحَّبَ الرَّفَاقَ وَأَسْتَلْزَمَ الْإِصْفَاقَ؛ وَهَذِهِ الْبِلَادُ مَبَارَكُهُ،
مَا أَسْلَفَ أَحَدٌ فِيهَا مُشَارَكَهُ؛ إِلَّا وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَدِينِهِ وَعِيَالِهِ، وَاللَّهُ أَكْرَمُ
مَنْ وَفَى لِأَمْرِيَّ بِمِثَالِهِ، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَيَنْفَعُ بِوَسِيلَةِ
النَّبِيِّ الَّذِي نُعَوِّلُ عَلَى شَفَاعَتِهِ؛ وَيُبْقِي تِلْكَ الْأَبْوَابَ مَلْجَأً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ،
وِظْلًا لِلَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَإِقَامَةً لِشِعَائِرِ الْحَرَمِ الْأَمِينِ؛ وَيَتَوَلَّى إِعَانَةَ إِمَارَتِكُمْ عَلَى
وِظَائِفِ الدِّينِ، وَيَجْعَلُكُمْ مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ؛ وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يُخَصِّمُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

الضرب الثاني

(أن تُفْتَحَ الْمَكَاتِبُ بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ ، وَهُوَ عَلَى صِنْفَيْنِ)

الصنف الأول

(مَا يَكْتُبُ بِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ)

وَالرَّسْمُ فِيهِ أَنْ يَقَالَ : مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ ، بِأَلْقَابِهِ وَنَعْوَتِهِ وَنُعُوتِ آبَائِهِ عَلَى
مَا تَقَدَّمَ ؛ ثُمَّ يُوقَى بِالسَّلَامِ ، وَيَقَالُ أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَيُوقَى بِخُطْبَةٍ ثُمَّ يَقَالُ
فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَ اللَّهِ لَكُمْ كَذَا ؛ ثُمَّ يَقَالُ : وَإِلَى هَذَا فَإِنْ كَذَا وَكَذَا ، وَيُوقَى
عَلَى الْمَقْصُودِ إِلَى آخِرِهِ ، وَيَخْتَمُ بِالْدَعَاءِ ثُمَّ بِالسَّلَامِ عَلَى نَحْوِ مَا مَرَّ .

كما كتب ابن الخطيب عن ابن الأحمر إلى بعض ملوك العرب يهتبه بدخول مدينة بجاية في طاعته ماصورته :

من أمير المسلمين عبد الله محمد، ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج، ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر أيد الله أمره، وأعز نصره، إلى محل أخينا الذي نصل له أسباب الإعظام والإجلال، ونثنى عليه بما له من كريم الشيم وحيد الحلال، ونسره ببلوغ الآمال، ونجاح الأعمال، في طاعة ذي الجلال، السلطان فلان ابن السلطان فلان، بالألقاب اللائقة بكل منهم، وصل الله له سعدًا متصل الدوام دائم الاتصال، وصنعا تجلّى وجوهه من ثنایا القبول والإقبال، وعزًا تقيًا ظلاله عن اليمين والشمال، سلام كريم، برعميم، يخص سلطانكم الأسنى، ويعتمد مقامكم المخصوص بالزيادة والحسنى، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الواهب الفاتح، المانع المانع، مظهر عنايته بن خاص إليه قصده، وقصر على ماله صدره وورده، أبدى من محميا النهار الواضح . الذى وعد من أتقاه حق ثقاته، على السنة سفرة الوحي وثقائه، نصح الخواتم والقواتح .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المبتعث لدرء المفاسد ورعى المصالح، وسعادة الغادى والرائح، مقذ الناس يوم الفرع الأكبر وقد طاحت بهم أيدي الطوائح، وهاديهم إلى سواء السبيل بأزمة النصائح، ومظفرهم من السعادة الدائمة بأربح البضائع وأسنى المنائح .

والرضا عن آله وأصحابه، وعترته وأحزابه، الذين خلفوه امتثالاً لأمر الصحائف وإعمالاً للصفائح، وكانوا لأمتهم من بعده في الاقتداء بسنته والمحافظة على سنته كالنجوم اللوائح .

والدعاء لسطانكم الأسمى ، بالسعد الذي يَغْنَى بوثاقه سببه ، ووُضُوح مذهبه ،
عن زجر الباريح والسايح ، والعزّ البعيد المطارح ، السامى المطايح ، والصنع
الجميل الباهر الملاحح ، ولا زال توفيقُ الله عائداً على تديركم السعيد بالسعى الناجح ،
والتَّجَرُّ الرابع .

فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من فضله أوفر الأقسام وأوقاها ، وأوردكم من
موارد عنايته أَعَدَّبَ الجَمَامَ وأصفاها ، كما أسبغَ عليكم أثوابَ المواهب وأصفاها . .
[وأبدي لكم وجوه اللطائف الجميلة وأحفاها] من حمراء غرناطة - حرسها الله -
وفضلُ الله هاميةً ديمه ، وعوائد اللطف يصلُّها فضله وكرمه ، والإسلام بهذا الثغر
الجهادى مرعيةً ذممه ؛ وجاه النبوة المحمدية يعمل بين إرغام العدو الكافر ، وإهداء
المسرات والبشائر ، سيفه وقلمه . والسُرور بما يبلغ من مزيد سعديكم وميضه
خافق علمه ؛ وودكم ثابت في مواقف الخلوص قدمه .

وقد اتصل بنا ما كان من دخولِ حضرةٍ بحاية حرسها الله في طاعتكم ، وانتظامها
في سلك جماعتكم ؛ وانقطاعها إلى عصمتكم ، وتمسكها بأزمتكم ؛ وعقدكم منها
ومن أختها السابقة الذمام ، الخليفة بمزيد الأهتمام ؛ على عقيلتى الأقطار التي لا يجمع
بينهما إلا ملك همام ، وخليفة إمام ؛ ومن وصحت من سعاداته أحكام ، وشهرت
بعناية الله له أدلة واضحة وأعلام ؛ ومن جمع الله له بين البر المتراكم الخيول ،
والجيش المتدافع السيمول ، والحصب الذى تُنضى مواجده المستنجزه ظهور الخيول ؛
وبين البحر الشهير بنجدة الأسطول ، وإنجاز وعد النصر الممتول ؛ ومرسى السفن
التي تخوض أحشاء البحار ، وتجلب مرافق الأمطار والأقطار ، وتُخف على النأى
بُطرف الأخبار .

بِحَايَةٍ وَمَا بِحَايَةٍ ! دَارُ الْمَلِكِ الْأَصِيلِ الْعَتِيقِ ، وَكُرْسَى الْعِزِّ الْوَشِيقِ ، وَالْعُدَّةِ ،
 إِذَا تُوَفِّعَتِ الشَّدَّةُ ، كَمَا ثَبَّتَتْ عَلَى الزَّلْزَالِ ، وَصَابَرَتْ مَوَاقِفَ التَّرَالِ ، أَمْطَاكُمْ السَّعْدُ
 صَهْوَتَهَا ، وَأَحْلَمَكُمْ التَّوْفِيقُ رَبُّوتَهَا ، مِنْ غَيْرِ مُطَاوَلَةٍ حِصَارِ ، وَلَا أَسْتِنْفَادِ ذِي
 وَسْعٍ وَأَقْتِنَادِ ، وَلَا تَسْوِيرِ جِدَارِ ، فَأَصْبَحَتْ دَوْلَتُكُمْ السَّعِيدَةَ نَتْفِيًا [جَنَى الْجَنَّتَيْنِ ،
 وَتَخْتَالَ فِي حَلَّتَيْنِ ، وَنَجْمِ بَقْتِيَا ^(١)] السِّيَوفِ الْمَالِكِيَّةِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْأَخْتَيْنِ ، أَوْزَعَكُمْ
 اللَّهُ شُكْرَهَا مِنْ نِعْمَةٍ جَلَّتْ مَوَاهِبُهَا ، وَوَسَّخَتْ مَذَاهِبُهَا ، وَصَنِيعَةٌ بَهَّرَتْ عَجَائِبُهَا .
 وَإِذَا كَانَتْ عَقَائِلُ النَّعْمِ تَحْطُبُ أَكْفَاءَهَا ، وَمَوَارِدُ الْمِنِّ تَعْرِضُ عَلَى الْوَرَادِ
 صَفَاءَهَا ، فَاتَمَّ أَهْلُهَا الَّذِينَ لَكُمْ تُذَخَّرُ ، وَبِمَنْ دُونَكُمْ تَسَخَّرُ ، فَإِنَّكُمْ تَمِيزْتُمْ بِخِصَالِ
 الْعَفَافِ وَالْبَسَالَةِ ، وَالْحَسَبِ وَالْجَلَالَةِ ، وَأَصْبَحْتُمْ فِي بَيْتِكُمْ صَدْرًا ، وَفِي هَالَةِ
 قَوْمِكُمْ بَدْرًا ، مَوَاقِفِكُمْ شَهِيرَةٌ ، وَسِيرَتُكُمْ فِي الْفَضْلِ لَا تَفْضُلُهَا سِيرَةٌ ، وَنَحْنُ نَهْنُوكُمْ
 بِمَا مَنَحَكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفَسَاحِ الْإِبَالَةِ ، وَتُمُوقِ الْجَلَالَةِ ، وَالنَّعْمِ الْمُتَمَالَةِ ، بِسُلْطَانِ الْبَقِي
 عِنَانِهِ إِلَى مِثْلِكُمْ قَدْ آخْتَارَهُ لِقِيَادِهِ ، وَأَرْتَادَ فَسَعِدَ فِي آرْتِيَادِهِ ، وَتَكْفَلُ الْخَزِيمُ بِحِفْظِ
 بِلَادِهِ ، وَصَوْنِ طَارِفِهِ وَتِلَادِهِ ، وَكَأَنَّ بِهِ قَدْ أَسْتَوْلَى عَلَى أَمَادِهِ ، وَتَطَاوَلُ لِإِرْثِ
 أَجْدَادِهِ . وَلَنَا فِيكُمْ - عِلْمُ اللَّهِ - وَدٌّ [تَأَسَّسَ بِنَاؤُهُ ، وَكَرَّمَتْ أَبْنَاؤُهُ] ^(١) وَحُبٌّ وَجِبَ
 بِالشَّرْعِ إِنْفَادُهُ إِلَيْكُمْ وَإِنْهَاؤُهُ . وَغَرَضُنَا الَّذِي نُؤَيِّرُهُ عَلَى الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ ، وَنَقَدَّمُهُ
 بِمَقْتَضَى الْخُلُوصِ الَّذِي زَكَّتْ مِنْهُ الشَّوَاهِدُ ، أَنْ تَتَّصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْمَخَاطَبَةُ ،
 وَتَتَعَاقَبَ الْمَوَاصِلَةُ وَالْمُكَاتِبَةُ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَعِينُ عَلَى مَا يَجِبُ لَوْ دَكَمَ مِنْ بَرِّتِكُمْ
 وَاجِبُهُ ، وَتَوْضُحِ مَذَاهِبِهِ ، وَاعْتِقَادِ جَمِيلِ يَتَسَاوَى شَاهِدُهُ وَغَائِبُهُ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَصِلُ
 سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يُخَصِّمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

الصنف الثاني

(ما يكتب به إلى الرعايا)

والحكم فيه على نحو ماتقدم في الصنف الذي قبله ، إلا أنه يخاطبهم بأوليائنا .
كما كتب ابن الخطيب عن ابن الأحمر أيضًا إلى بعض رعاياه بمدينة المرية
بالأندلس ، بالشارة بموت الطاغية ملك قشتالة بجبل الفتح ، ورحيل قومه به إلى
بلادهم ماصورته :

من الأمير عبد الله يوسف ، ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج
ابن نصر أيد الله أمره ، وأعز نصره ، وأسعد عصره ؛ إلى أوليائنا في الله تعالى الذين
نُبادر إليهم بالبشائر السافرة العُمر ، ونجلو عليهم وجوه الصنائع الإلهية كريمة^(١) الخُبر والخبر ،
ونعلم ما لهم من الوُدِّ الكريم الأثر : القائد بالمرية ، والقاضي بها ، والفقهاء ، والأشياخ ،
والوزراء والأمرء والكافة والدَّهماء من أهلها ؛ عرفهم الله عوارف الأداء ، وأوزعهم
شكر نعمة هذا الفتح الرباني الذي تفتحت له أبواب السماء ، وأُنشرت معجزاته ميث
الرجاء في هذه الأرجاء . سلام كريم ، طيب برعميم ؛ تُنشق منه تفحات الفرج ، عاطرة
الأرج ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله فاتح أبواب الأمل بعد استغلاقتها ، ومُتدارك هذه الأمة المحمدية
بالصنع الذي تجلَّى لها ملء أحدافها ، والرحمة التي مدت على النفوس والأموال ،
والحُرُمات والأحوال ، ضافي رواقها .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذي دَعَوْتُهُ هي العروة الوثقى لمن
تمسك باعتلاقتها ، وأقام على ميثاقها ؛ ذى المعجزات التي بهرت العقول بائتلاقها ،

(١) في الريحانة ج ٢ " من وجوه الغنائم الإلهية كريم " الخ .

الذى لم ترعه في الله الشدائد على أشتداد وثاقها، وفطاعة مدافها؛ حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من انتظامها وأتساقها .

والرضا عن آله وصحبه، وعترته وحزبه؛ الفائزين في ميدان الدنيا والدين بخصل سباقها . فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم شكراً لنعيمه، ومعرفة بمواقع كرمه . من حمراء غرناطة - حرسها الله - ولا زائد بفضل الله سبحانه إلا ما آمن الأرجاء ومهدداً، وأنشأ معالم الإسلام وجددها، وأسس أركان الدين الحنيف وأقام أودها؛ وأتم الأولياء، الذين نعلم منهم خلوص الأهواء، وتحقق ما عندهم من الخلوص والصفاء . وإلى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت إليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذى جرى في ميدان الأمل جرى الجموح، ودارت عليه نعمة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح؛ حتى طفح بسكر اغتراره، ومحص المسلمون على يديه بالوقائع التي تجاوزت منتهى مقداره؛ وتوجهت إلى استئصال الكلمة مطامع أفكاره، ووثق بأنه [يطفى^(١)] نور الله بناره، ونازل جبل الفتح فشدت تحت حصاره، وأدار أشياعه في البر والبحر دور السوار على أسواره؛ وانهز الفرصة بانقطاع الأسباب، وأنهم الأبواب، والأمور التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين على مألوف الحساب؛ وتكالب التثليث على التوحيد، وساء الظنون في هذا القطر الوحيد؛ المنقطع بين الأمم الكافرة، والبحر الزانحة، والمرام البعيد . وإنما صابراً بالله تيار سيّله، وأستصناً بنور التوكل عليه في جئح هذا الخطب ودجنة ليله؛ وبلحناً إلى من بيده نواصي الخلاق، وأعتقنا من حبله المتين بأوثق العلائق، وفسحنا مجال الأمل في ذلك الميدان المتضابق؛ وأخلصنا لله مقيل العنار، ومولى أولى الأضرار، قلوبنا، ورفعنا إليه أمرنا، ووقفنا عليه مطلوبنا؛ ولم نقصر مع ذلك في إبرام العزم، واستشعار الحزم؛ وإمداد

التُّغُورُ بأقصى الإمكان ، وبعث الجيوش إلى ما يليها من بلادها على الأحيان ؛
 فرحم الله أنقطاعنا إلى كرمه ، حين لجأنا إلى حرمة ؛ فجلا بفضلها سبحانه ظلام الشدة ،
 ومدّ على الحریم والأطفالِ ظلالَ رحمته الممتدة ، وعرفنا عوارف الصنْع الذي قدّم
 به العهدُ على طول المُدَّة ؛ ورماه بجيش من جيوش قُدرته أغنى عن إيحاف الرِّكاب ،
 وأحتشاد الأحزاب ؛ وأظهر فينا قُدرةً مُلكه عند انقطاع الأسباب ، وأستخلص
 العبادَ والبلاد من بين الظُّفُر والناب ؛ فقد كان سدَّ الحِجَازِ بأساطيله ، وكأثر كلمة الحقِّ
 بأباطيله ؛ ورمى الجزيرة الأندلسية بشُبوب شره ، وصيرها فريسةً بين غربان بجره
 وعِقبان بره ؛ فلم يخلص إلى المسلمين من إخوانهم مَرَقَّةٌ إلا على الخطر الشديد ،
 والإفلات من يد العدو العنيد ، مع توفُّر العزائم - والحمد لله - على العمل الحميد ،
 والسعي فيما يعودُ على الدين بالتأييد .

وبينا شققتمنا على جبل الفتح تُقيم وتُعيد ، وكَلَبُ الأعداء عليه يبرق ويرعد ،
 واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يُبعد ؛ إذ طَلَع علينا البشيرُ بأنفراج
 الأزمه ، وحلَّت تلك العزمه ؛ وموتِ شاةِ تلك الرُّقعة ، وإبقاء الله على تلك البقعة ؛
 وأنه سبحانه أخذ الطاغية أكل ما كان آغترارا ، وأعظم أنصارا ؛ وزلزل أرض
 عزه وقد أصابت قرارا ؛ وأن شهاب ساعده أصبح آفلا ، وعلم كبره أنقاب
 سافلا ؛ وأن من بيده ملكوت السموات والأرض طرّقه بحتفه ، وأهلكه
 برغم أنفه ؛ وأن محنته عاجلها التَّبابُ والتَّبار ، وعانت في منازل النار ، وتمخّص
 عن سوء عاقبته الليل والنهار ؛ وأن حماها يُجربون بيوتهم بأيديهم ، ويُنادي بشتات
 الشَّمْل لسان مُناديهم ؛ وتلاحق بنا الفُرسان من جبل الفتح : المعقل الذي عليه من
 عناية الله رواق مَضروب ، والرِّباط الذي من حاربه فهو المخروب ؛ فأخبرت بانفراج
 الضيق ، وارتفاع العائق لها عن الطَّرِيق ؛ وبراء الداء الذي أشرق بالرِّيق . وأن

النصارى دمرهم الله جدت في آرتها، وأسرعت بجيفة طاعتها إلى سوء مآلها،
وسمحت [للسهب^(١)] والنهب والنار بأسلابها وأموالها، فبهربنا هذا الصنع الإلهي الذي مهد
الأقطار بعد رجفانها، وأنام العيون بعد سهاد أجفانها، وسألنا الله أن يعيننا على شكر
هذه النعمة التي إن سلطت عليها قوى البشر فضحختها وربححتنا، أو قيست بالنعمة
فضلتها، ورأينا سر اللطائف الخفية كيف سر يائه في الوجود، وشاهدنا بالعيان
أنوار اللطف الإلهي والجلود، وقلنا إنما هو الفتح الأول شفيح بنان، وقواعد الدين
الحنيف أيدت من صنع الله ببيان .

اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة، ومنك الوافره، أنت ولينا
في الدنيا والآخرة، وأمرنا للدين فقلدت لبات المناير بهذا الخبر، وجلت
في جماعات المسلمين وجوه هذا الفتح الرائق بالغرر، وعجلنا تعريفكم به ساعة
استجلائه، وتحقق أنبائه بالتسحبوا له أبواب الجدل ضافيه، وتردوا به موارد الأمل
صافيه، فإنما هو ستر الله شمل أنفسكم وحرمتكم، وأمانه كفل ظعنكم ومقيمكم،
فقرطوا به الأذان [وبنشروا به الإقامة والأذان] وتملأوا بالعيش في ظله، وواظبوا
حمد الله ولي الحمد وأهله، وأنشروا فوق أعواد المنابر من خطبه راية ميمونة
الطائر، وأجعلوا هذه البشارة سجلاً في فرقان البشائر، فشكر الله سبحانه يستدعي
المزيد من نعمه، ويضمن اتصال كرمه، وعزفوا بذلك من بليكم من الرعية لياخذ
مثل أخذكم، ويلاحظ هذا الأمر بمنزل الحظكم، فحقيق عليكم أن تسيئوا بهذا
الخبر في الحاضر والباد، وتجعلوا يوم عاشوراء الذي تجل فيه هذا الصنع ثالث
الأعياد، والله سبحانه يجعله لسرات عنوانا، ويطلع علينا وعليكم وجوه صنعه غراً
حسانا، والسلام الكريم يخلصكم ورحمة الله وبركاته .

الأسلوب الثالث

(أن تُفْتَحَ المَكاتِبَةُ بلفظ «أما بعد»)

والرسم فيه أن يقال أما بعد حمد الله ، أو أما بعدُ فالحمدُ لله ، ويؤتى بخطبة . ثم يقال : فإننا كتبناه إليكم من موضع كذا كتب الله لكم كذا وكذا ؛ ثم يُتَخَلَّصُ إلى المقصود ويؤتى عليه إلى آخره ، ويُخْتَمُ بالدعاء ثم بالسلام .

كما كتب ابن الخطيب عن ابن الأحرر من الأندلس .

(١)
أما بعد حمد الله مُحَسَّن العَوَاقِب ، ومُحَلِّد المَنَاقِب ؛ ومُعَلِّي المَرَاقِي في دَرَجِ عِلْيَةِ المَرَاقِب ، ومَسْحَرِ النَجْم الثاقب ، في الغَسَقِ الوَاقِب ، والكفيل بالحُسنى للتوكل عليه المَرَاقِب ، ناسخ التخصيص ، بالعناية والتخصيص ، لتظهر حكمة المُثِيب والمعاقب .
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الماسح الحاشر العاقب ، ذى القدر المسامح للزهر المصاقب .

والرضا عن آله الذين كانوا في سماء ملته لهداية أمته كالشهب الثواقب ؛ فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم توالي المواهب ، ووضوح المذاهب ؛ ووقوف الدهر لديكم موقف النائب من القدر النائب ؛ ووالى لديكم مفاتيح الكتب المهتة بفتوح الكتاب - من حراء غرناطة - حرسها الله - وفضل الله بتعرف صنعه لكم هامي السحاب ، وكفيل بئيل الرغائب ؛ والسرور بما سناه الله لكم من استقامة أحوالكم شأن الشاهد والغائب ، والرائح والآب .

والحمد لله على ماتوالي من الألفاظ والعجائب . وقد وصل كتابكم الذي أكد السرور وأصله ، وأجمل مقتضى البشرى وفصله ، ونظم خبر الفتح ووصله ؛ وراش سهم

(١) في الريحانة في "درج عنايته والمراقب" .

السَّعَادَةِ وَالسَّادَاتِ ، وَالْعَنَائَةِ وَالْإِمْدَادَ ، وَنَصَلَهُ ، وَأَحْرَزَ حَظَّ السَّعَادَةِ وَحَصَلَهُ ؛ تَعْرِفُونَ مَا أَتَاكُمْ لَكُمْ اللَّطِيفُ الْخَيْرِ ، وَالرُّبِيُّ النَّصِيرُ ؛ مِنْ الصَّنْعِ الَّذِي آتَسَّقُ نِظَامَهُ ، وَالنَّصِيرِ الَّذِي سُنَّتْ فِي أُمَّ الْكُتَابِ أَحْكَامُهُ ؛ وَالْعَزِ الَّذِي خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ ، وَالتَّوْفِيقِ الَّذِي قَوَّطَسَتْ الْغُرُصُ سِهَامَهُ ؛ وَأَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْكَائِنَةِ الَّتِي رَاشَّ لَطْفُ اللَّهِ بِهَا وَجَبَّ ، وَأَحْسَنَ الْخَيْرِ وَأَدَالَ الْخَبَرَ ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ الْحُسْنَى لِمَنْ صَبَرَ ؛ جَهَزْتُمْ الْجِيُوشَ الْمُخْتَارَةَ ، وَالْعَسَاكِرَ الْجَرَّارَةَ ؛ يَقُودُهَا الْخُلُصَانُ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، وَتَتَقَدَّمُ رَأْيَتَهَا مِيَامِنُ الْآرَاءِ ؛ فَكَتَبَ اللَّهُ ثَبَاتَ أَقْدَامِهَا ، وَتَوَلَّى نَصْرَ أَعْلَامِهَا ؛ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ حَمَى وَطَيْسُ التَّرَالِ ، وَرَجَفَتْ الْأَرْضُ لَهْوِ الزَّلْزَالِ ، وَتُعْطِيتُ كُؤُوسُ الْأَجَالِ ، فِي ضَنْكِ الْمَجَالِ ؛ وَدَجَا الْقَتَامُ ، وَتُوهِمُ مَعَ فَضْلِ اللَّهِ الْإِغْتِنَامَ ، وَعَبَسَ الْوَجْهَ الْعَبَّاسَ وَصَحَّكَ النَّصْلَ الْبَسَّامَ ، وَأُورِدَ الْخَيْلَ مَوَارِدِ الطَّعَانِ الْإِقْدَامَ ؛ فَكَانَ لِحَزْبِكُمْ الظُّهُورُ الَّذِي حَكَّمَ الْمَهْنَدَةَ فِي الرَّقَابِ ، وَالسُّمَرَ الطَّوَالَ فِي الثُّغْرَمِ فِي الْأَعْقَابِ ، وَبَشَّرَتْ بَرُؤِيَةَ هَلَالِ الْفَتْحِ عُمُونَ الْأَرْتِقَابِ ، وَحَطَّ عَنْ وَجْهِ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ مَارَانَ مِنَ النَّقَابِ ؛ وَأَنْ مَنْ بَغَى عَلَيْكُمْ حَسَبَ مَا قَرَّرْتُمْ ، وَعَلَى نَحْوِ مَا أَجْهَلْتُمْ وَقَسَّرْتُمْ ، مِنْ شِيُوخِ الْغَرْبِ الْمُجَلِّبِ ، وَوُجُوهِ الْخَدَمِ الْمَتَمِيمَةِ إِلَى حَسَنِ الْعَهْدِ الْمُنْتَسِبِ ؛ تَحَصَّلَ فِي حُكْمِ اسْتِرْقَاقِكُمْ ، وَتَحَتَّ شَدُّ وِتَاقِكُمْ ؛ وَرَبَّمَا أَسْفَرَ الْمَكْرُوهَ عَنِ الْمَحْبُوبِ ، وَأَنْجَلَى الْمَرْهُوبَ عَنِ الْمَرْغُوبِ ، وَاللَّهُ مَقَلَّبَ الْقُلُوبَ ؛ وَشَيْتَكُمْ فِي آتِلَافِ النَّافِرِ ، وَالْأَخْذِ مِنْ فَضْلِ الْعَفْوِ بِالْحِطِّ الْوَافِرِ ، كَفِيلَ لَكُمْ بِالصَّنْعِ السَّافِرِ ؛ وَاللَّهُ يَجْلِكُمْ عَلَى مَا فِيهِ رِضَاهُ ، وَيَخِيرُكُمْ لَكُمْ فِيمَا قَضَاهُ ؛

فُسِّرْنَا بِمَا أَتَّصَلَ لَكُمْ مِنَ الصَّنْعِ وَأَطْرَدَ ، وَرَحَّبْنَا بِهَذَا الْوَارِدِ الْكَرِيمِ الَّذِي وَرَدَ ؛ وَشَكَرْنَا فَضْلَكُمْ فِي التَّعْرِيفِ بِجَبْرَةِ الْمُوَدُّودِ ؛ وَالشَّرْحِ لِمَقَامِهِ الْمَحْمُودِ ؛ وَكَتَبْنَا نَهْشَكُمْ بِهِ هِنَاءَ مَشْفُوعَا ، وَبِالدَّعَاءِ لَكُمْ مَتَبُوعَا ؛ وَاللَّهُ يُطَّلِعُ مِنْ تَوَالِي مَسَرَّتِكُمْ عَلَى مَا يَسِطُّ

الآمال، وَيُنَجِّحُ الأَعْمَالِ ؛ وَيَفْسَحُ فِي السَّعْدِ المَجَالِ . والذي عندنا من وُدِّكُمْ أعظمُ من أَسْتِيفائِهِ بالمَقَالِ ، أو نَهْوِضِ الرِّاعِ بوظائفِهِ الثَّقَالِ ؛ يَعْلَمُ ذَلِكَ عالمُ الخَفِيَّاتِ ، والمَجَازِي بالنِّيَّاتِ ؛ سَبْحانَهُ . واللهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ .

الطَّرْفُ الثَّانِي عَشَرَ

(في الكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَن وُزَرَاءِ الخُلَفَاءِ المُنْفِذِينَ أُمُورَ الخِلافةِ
اللاحيين بَشَأُ المُلُوكِ ، وفيه جملتان)

الجُمْلَةُ الأُولَى

(في الكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَن وُزَرَاءِ خُلَفَاءِ بَنِي العَبَّاسِ بِبَغدَادِ
وُزَرَاءِ مَلُوكِهَا يَوْمَئِذٍ)

أما وُزَرَاءُ إقْطَاعِها ، فقد ذَكَرَ أبو جَعْفَرِ النُّعْمَانِ فِي "صِناعَةِ الكُتُبِ" أَنَّ المَكْتابَةَ مِنَ الوَازِرِ إِلَى الخَلِيفَةِ فِي زَمَانِهِ كَانَتْ : « أَطالَ اللهُ بقاءَ أميرِ المُؤمِنينَ وأَعزَّهُ وأَيَّدَهُ وأَتَمَّ نَعْمَتَهُ عَلَيهِ ، وأَدَامَ كِرامَتَهُ لَهُ » .

قال ابنُ حاجِبِ النُّعْمَانِ فِي "ذَخِيرَةِ الكُتُبِ" : وَإِنْ كَانَتْ المَكْتابَةُ مِنَ الوَازِرِ إِلَى مَنْ دُونَهُ فِدَعاؤُهُ لَهُ : « أَطالَ اللهُ بقاءَكَ وأَدَامَ تَأْيِيدَكَ وَتَهْمِيدَكَ وَكَرامَتَكَ » . ودُونَهُ « أَطالَ اللهُ بقاءَكَ وأَدَامَ عِزَّكَ وَحِراسَتَكَ » . قال : وَعَلَى مَقْدارِ المَكاتبِ يَكُونُ الدَعاءُ . وأقسامُهُ كَثيرَةٌ . ثم ذَكَرَ الأَدْعِيَةَ العَامَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى التَّرتيبِ ، فقال : إِنْ أَعلاها يَوْمَئِذٍ « أَطالَ اللهُ بقاءَهُ وأَدَامَ تَمكينَهُ وَرَفَعَتَهُ وَبَسَطَتَهُ وَعَلَّوَهُ وَسَمَّوَهُ ، وَكَبَّتْ أَعْداءَهُ وَحَسَدَتَهُ » . ودُونَهُ « أَطالَ اللهُ بقاءَهُ ، وأَدَامَ تَمكينَهُ وَارتقاَهُ ، وَرَفَعَتَهُ

وسناه ، وتمهيدته وكتب أعداه» . ودونه «أطال الله بقاءه وأدام تأييده ونُعماءه وكتب أعداه» . ودونه «أطال الله بقاءه وأدام تأييده وحرس حَوْبَاهُ»^(١) . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام تأييده ونُعماءه» . ودونه «أطال الله بقاءه وأدام نِعْمَاءَهُ» . ودونه «أطال الله بقاءه وأدام عِزَّهُ» . ودونه «أطال الله بقاءه وأدام توفيقه وتسديده» . ودونه «أطال الله بقاءه وأدام سدادَه وإرشاده» . ودونه «أطال الله بقاءه وأدام حراسته» . ودونه «أدام الله تأييده وتمهيدَه» . ودونه «أدام الله توفيقه وتسديده» . ودونه «أدام الله عِزَّهُ وسناه» . ودونه «أدام الله عِزَّهُ» . ودونه «أدام الله حِرَاسَتَهُ» . ودونه «أدام الله كرامته» . ودونه «أدام الله سلامته» . ودونه «أدام الله رِعايَتَهُ» . ودونه «أدام الله كِفَايَتَهُ» . ودونه «أبقاه الله» . ودونه «حَفِظَهُ اللهُ» ودونه «أَعَزَّهُ اللهُ» . ودونه «أَيَّدَهُ اللهُ» . ودونه «حَرَسَهُ اللهُ» . ودونه «أَكْرَمَهُ اللهُ» ودونه «وَفَّقَهُ اللهُ» . ودونه «سَلَّمَ اللهُ» . ودونه «رَعَاهُ اللهُ» . ودونه «عَاقَاهُ اللهُ» .

ثم المكاتبات الصادرة عنهم على أسلوبيين :

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ المكاتبَةُ بلفظ «كتابي»)

والرسم فيه أن يقال كتابي - أطال الله بقاء سيدي ، أو بقاء مولانا - والأمر على كذا وكذا ، ومولانا أمير المؤمنين ، أو الجانب الأشرَفُ ونحو ذلك على حال كذا ؛ ثم يتخلص إلى المقصد بعد ذلك بما يقتضيه المقام ويحتم بقوله ورأى حضرة سيدنا أعلى .

(١) في القاموس الحوباء النفس .

كما كتب بعض الكُتَّاب عن الوزير قوام الدين بن صدقة إلى بعض وزراء ملوك زمانه في معنى أمير مكة المشرفة ، وما كان بينه وبين أمير الحاج في بعض السنين ما صورته :

كتابي - أطال الله بقاء حضرة سيدنا - وموَاهِبُ الله سبحانه في أمر مولانا أمير المؤمنين جاريةً على الإرادة ، مقابلةً بالشكر المؤذِن لها بالدوام والزيادة ؛ والحمد لله رب العالمين . وقد نتابعت المكاتبات في أمر النوبة المكيّة نتابعا علمه السامي به مُحِيط ، والعُدْرُ في الإِجْجَار بها مع إتمام النظر بسببها مَبْسُوط ؛ وبعد ما صدر آتفا في المعنى المذكور وصل كتاب زعيم مكة بما نفذ على جهته يُعَلِّمُ منه ومما لا ريب أنه أصدره إلى الديوان العالی السلطاني - أعلاه الله - حقائق الأحوال بغير شك : أنه قد أتضح تفريط من فرط في هذه النوبة وعَجَل ، وتحقق المشل السائر « رَبِّ وائْتِي نَجَلِ » ، وأسبابُ ثمرة الهوى الذي مازال يَجْحُجُّ براكبه ، ويُريه سوء عواقبه ؛ وعلم أنه لم يُحْطِ فيما شرع فيه ، واستمرت على الخطأ وأحزّه ومباده ، إلا بوعد أُخْلِفَ ، ومالٍ أتلَفَ ؛ وخطرٍ أرتكبَ ، وصوابٍ تُتَكَبَّ ؛ وحزمٍ أُضِيعَ ، وهوى أُطِيعَ ؛ حتى كان قُصَّاراه دَنَعَ الأئمة عنه ، فإنه أوصل التَّجْمِيعَ إلى مقصودهم وأعادهم ، وأحسن التواصُلَ حتى أدركوا من أداء الفريضة مُرَادَهُمْ ؛ وهل أعترض دُونَ هذا الأمر مانع ، أو كان عنه دافع ؟ لولا ما صورته من الأسباب التي أفسد بها الأمور ، وأوغر بمكائنها الصُّدُور ؛ وكفل بعد ما قرره من ذلك ومهده ؛ ماعكسه سفهُ الرأى عليه ، وأبعده العجز عن الوصول إليه ؛ وأى عذر في هذا المقام يُسْتَمَعُ ؟ أم أى لائمة عنه تندفع ؟ وقد جرت الحال على ما علم ، وتحدت بانخراق حجاب الهيبة كل لسانٍ ناطقٍ وقم ؛ ووقع الانفاق من كافة الحاج على أن تَمَسُّكَ نائب مكة بطلب الرضا ، وتكفيل خصمه باستدراك ما تلَفَ من التفريط في معاشه ومضى ؛

ونظَرَه في العاقبة التي يَنْظُرُ فيها ذُوو الألباب ، وعمَلَه بما أصدره الديوانُ العزيزُ من
مكاتبَةٍ أُمر فيها بالطاعة وخطاب ، هو الذي لَأَمَّ النوبةَ وشَعَبَها ، وسَهَّلَ عسيرَها
ومستضعِبَها ؛ ولو أفقرت إلى سَعْيِ أميرِ الحاجِّ واجتهاده ، وإبراقِه بعسكره وإعادِه ؛
لكان الحجُّ ممتنعًا والخطرُ العظيمُ متوقعًا ؛ ولم يحصلُ الوفدُ إلا على التغيرِ بالنفوس ،
والجود منها بكل مَضُنون به مَنفُوس ؛ ثم عَرَبُ الطريق الذي مازال أميرُ الحاجِّ
في حقِّهم خاطبًا ، وإلَّا كرامهم بالقولِ المتكرِّرِ طالبًا ؛ وجاعلاً ماعله يتأخَّرُ من رسم
أحدهم من دَواعِي الخطر في سلوك [الطريق] المُردِيه ، ومُوجِباتِ الفَسَادِ
في المَناهل والأودِيه ، يتلو من النَّهْبِ والأجتياح ، والأذى العائد على فاعله بالأقتراف
العظيم الوزر والأجتراح ، بما يُؤلم شجاعةَ القلوب ويحرِّقُها ، ويُنكي العيون ويورِّقُها ؛
ولقد آتتهى أن العسكر المنفَّذ أمامه كان يتنقل في هَضاب البرِّيَّةِ وغيطنِها ، ويُقبِّب
عن منازل العرب وأوطانها ؛ فيستقرى أحياءهم حياً حياً ، ويتخلَّلُ الفِجَاجَ فجًّا ؛
فاذا شارفوا قبيلةً منهم طلب النجاة منهم بالحشاشات رجالها ، وأسلمت إليهم نساؤها
وأطفالها وأموالها ؛ فيتحرَّكون في ذلك تحكُّم من آسَتحلَّ موقفه في إباحة محارِمِ الله
ومُقامه ، وأمن مكره الحائقي بالظالمين وانتقامه ؛ ويستيدحون حريم كلِّ برىء غافلٍ لم
يُعارِفْ ذنبا ، وطائع لا يستحقُّ غارةً ولا نهبًا ؛ فأين كان [من] النظر عند هذا الفعل
في حِفْظِ عَرَبِ الطريق ؟ وكيف عَزُبَ عنه في هذا الرأى منهُجِ التوفيق ؟ وهل
تُصوِّرُ الثَّقةُ بكل قبائل العرب عن إفساد الآبارِ والمصانع ؟ والعبث بكل مستطاع
في المَناهل والمشارع ؛ خاصَّةً إذا علموا أن الذي ظلمهم ، وأباح حُرْمهم ؛ هو السالكُ
للطريق أنفًا ، والتمكَّن فيهم من مُعاودة الأذى الذي أضْحى كلُّ به عارفاً ، وأسْتدراكُ
الفارط في هذا الأمرِ المهِمِّ متعين ، ووجه الرأى فيه واضحٌ متبيِّن ؛ والإشارة في كتاب
زعيم مكة ، إلى ما جرى من المعاهدة وأسْتقرت القاعدةُ عليه [من] إعادة أرتفاعه المأخوذ

ورسومِهِ على التمام والكمال إليه ، أدلُّ الأدلَّة على بُعد النوبة من الألتتام ، ودخول الخلل عليها وأنحلال النِّظام ؛ وتعدُّ الحجَّ في المستقبل . على أن من أفسدها ، لم يتأمل لنفسه طريق الصِّدْر حين أوردَها ؛ والألمعيةُ الساميةُ المعزيةُ حرس الله عزَّها اللامحةُ ببديتها العواقب ، المستشفعةُ سرائرها بالرأى الثاقب ؛ أهدى إلى تديرها بما يستدرك الفارط ، ويتلافى غلط الغالط ؛ ويعيد الأحوال إلى جدد الصلاح وسدنه ، ويُجرها على أجمل قانونٍ مألوفٍ وأحسنه ؛ وما أولاه بالتقديم في هذا المهِّم الذي لا أحق منه بالأهتمام ، وإِحْد الصادق التام ؛ بما تطمئنُّ به النفوس إلى صلاحه وانتظامه ، وأرتفاع كلِّ مخشى من الخلل الداخلي عليه وأنحسامه ؛ والإعلام في الجواب بما يقع السكون إلى معرفته ، ويحصل الأُنس والشكر في مقابلته ؛ ورأى حضرة سيدنا أعلى إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن تفتتح المكاتبة بلفظ الإصدار)

مثل أن يقال : أُصِدِرَت هذه المكاتبة ، أو هذه الجملة ، والأمرُ على كذا وكذا ، بعد أن يدعى للمكتوب إليه بعد لفظ الإصدار ؛ ثم يتخلَّص إلى المقصود بما يليق بالمقام ، ويؤتى على القصد إلى آخره ، ويختم بقوله : ورأى حضرة سيدنا أعلى . كما كتبت عن الوزير قوام الدين بن صدقة أيضا إلى ملك سمرقند جواباً عن كتاب وصل منه إليه :

(١) أُصِدِرَت هذه الجملة - أطال الله بقاء حضرة مولانا - ومواهبُ الله سبحانه في الجناب الأشرف - لازالت مطالعُ سعوده منيره ، وأعوادُ علانه موقرةً

(١) تارة يعبر بالجملة وتارة بالخدمة .

نَضِيرِهِ - آهَلَةُ الرَّبُوعِ ، عَدْبَةُ الْيَنْبُوعِ ؛ قَارَةٌ لَا يَطْعُنُ رَكْبَهَا ، دَائِرَةٌ لَا يَعْزُ حَلْبَهَا ؛
والحمد لله رب العالمين .

ووصل كتابه أدام الله علوه الصادر على يد الشيخ الأجل العالم أبي الحسن بن علك
ووقفت عليه وعرفت فحواه ، وتضاعف الشكر لله سبحانه بما حواه ؛ من أطراد
الأمور واتساقها ، وطلوع شمس النجح في سماء مباعيه وإشراقها ؛ وأحدث آبتهاجا
بوروده متوقفا ، وأغبتا بما أولاه جلت الآؤه من صنعه الذي أصبح ذنب الأيام
معه مغتفرا ؛ وعرضت خدمته المقترنة به على مجالس العرض الشريفة قدسها الله
مشفوعة بذكر ما لبته الكريم وسلفه الزاكي الأرومة من المآثر التي أضحى بها
في الفخر علما ، وعلى ناصية المجد محتويا محتكما ؛ في ضمن إيضاح المحاسن التي أصبح
أيد الله سموه بها منفردا ، ولنجاد المحامد بحسبها مقلدا ؛ والمواقف في الطاعة الإمامية
التي أصبحت غمرة في جبهة الزمان ، ولم يسع في مثلها لغيره قدما ؛ وأتته في تمكين
القواعد وتوطيدها ، وتأكيده الأحوال وتمهيدها ؛ والتجرد في تحصيل الأرب ،
وتيسير المطلب ؛ إلى ما يوجبه الود المخلص الأمراس ، والمصافاة الخالصة من
الشوائب والأدناس ؛ فأست في مقابلة ذلك من الالتفات إلى ما أوردته مما بين عن
لطف مكاتبته بالموقف الأشرف ويعرب ، ويصفو مورد الفخار بمثله ويعذب ؛
وجدد من التشریف والزيادة فيه ما يوفي على الذي تقدمه قدرا ، ويحل طوقه عن
أن يرضى عمرا ؛ وشفع ذلك بتنفيذ التشریفات لولده أيد الله علوه والمطفيين
بحضرته ، واللائذين بحوزته ؛ وأبتدأهم بالإحسان والإنعام ، والتكرمة الموفية على
المرام ؛ إكبارا لشانه ، وإبانة عن محلّه من الآراء الشريفة ومكانه ؛ وإيثارا لإعظام
أمره ، وإعلاء قدره ؛ ليعلم - أيد الله علوه - مكان التجرد في هذه الحال ، وصدق

السعي الذي أقرت ثغوره عن نُبْح الآمال ؛ وأرجو أن يصادف حسن المقام في ذلك عنده موقعه ، ويلقى لديه اعترافاً يوافق مرآه مسمعه .

فأما الإشارة إلى المشار إليه في التوزع لتلك الهنات الجارية ، التي مازالت الأيام يمثلها جائيه ؛ والاستبشار بزوال ما عرض وأضحلاله ، وعود الرأي الأشرف إلى أكل أحواله ؛ وقد عرفها بزيد الاعتداد والشكر قائلها ، ولم يكن الذي جرى مما يُسبب فكراً ، أو يتوزع سراً ؛ فإن الاعتداد الأشرف كان بحمد الله محفوظاً ، والاجتهاد في الخدمة بين الاعتراف والرضا ملحوظاً ؛ لم يُحله حال متجدده ، ولا رتعت الحوادث مورده ؛ وما زالت تُغور الأيام في كل وقت عن الزيادة باسمه ، ويُحبه بفتح اشتطاط الآمال ساحمه ؛ والمندوب لتحمل المنال وما يقترن به من التشريف فلان ، وهو من أعيان العلماء ، ومن له في ميدان السبق شأؤ القراء ؛ وله في الدار العزيزة مجدها الله الخدمة الوافيه ، والمكانة الوافره ؛ وما زالت مذاهبه في خدمه حميده ، ومقاصده على تقلب الحالات مرضية سديده ؛ وجدير بتلك الألمعية الثاقبة أن تتلق ما يورده بالإصغاء ، وتقابل النعم المسداة إليه بالشكر الماطر الأنواء ؛ وتوقظ ناظر آهتنامه للنموض بأعباء الخدمة الإماميه ، وحيازة المراضى المكرمة النبويه ؛ ومهمي عزيمتها فيما يكون بالإحجاد الأشرف مُحظيا ، ولأمثال هذا العرف المصنوع مستدعياً ؛ ولرأي حضرة سيدنا في ذلك علورأي إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في الكتب الصادرة عن وزراء خلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

فقد ذكر علي بن خلف من كتّاب دولتهم في كتابه "موادّ البيان" أنه إذا كانت المكتبة من الوزير إلى من دونه ، تكون بغير تصدير ، إلا أن الخطاب فيها يجب أن يُبنى على أقدار المخاطبين في مراتبهم في الدولة ، ولم يزد على ذلك .

والذى وقفت عليه منه أسلوبٌ واحد: وهو أن يفتتح الكتاب بلفظ «كأننا والأمر على كذا» ويتعرض فيه لذكر حال الخلافة والخليفة، ثم يتخلص إلى المقصود بما يقتضيه الحال، ويؤتى عليه إلى آخره، ويختم بالدعاء.

كما كتب القاضى الفاضل عن بعض وزراء العاصد: آخر خلفائهم إلى بعض الملوك ماصورته:

كأننا - أطال الله بقاء الملك - عن مودة ظاهرة الأسباب، متظاهرة الأنساب، ضافية جلباب الشباب؛ وعوائد عوارف لا يتنكر معروفها، ووفود فوائد لا يتصدع تأليفها؛ ومساعي مساعد لا يتقص معروفها ولا ينفض مسوفها؛ وسعادة بالخلافة التى عدق إليه أمرها وأوضح سرها؛ وملاً سرائرها وسريها، وأطلع شمسها وقمرها. بولانا وسيدنا أمير المؤمنين نوالى ميامنها، وتلاً لمحاسنها، وتشرّف درجاتها، وتضاعف سعادتها؛ والكلمة قائمة على أصولها، وأمور الخلق جارية على ما هوها، ونظام الإسلام بسياستها لا يهوى، وسياقة الدوام فى سعادتها لا تنهى؛ والله الموزع شكر هذه المنن، المسئول فى الإنهاض لما نهضت فيه النية وقصرت عنه المنن؛ ولم نزل - أدام الله إقبال الملك المعظم - معظمين لأمره، عارفين بئبل قدره وجليل نخره، مشيدين بجميل ذكره وجزيل نصره، معيدين لما تنهأى الألسن من مستطاب نشره، قارئين من صفحات الأيام ما أمدها به من بشره، غير مستيمين لذكر اسمه الكريم إلا بصيامه وشكره، مؤردين مما هو يئلغه من بارع صرائبه بالمقامات الشريفة من آثار سلفه وما أثرهم، وما أثور مكارمهم ومفاحرهم؛ وأستناد المكرّمات إلى أولهم وآحريم؛ ومشهور ذبهم عن الملة، ودفاعهم عن أهل القبله؛ وسدادهم فى الأمور، وسدادهم الثغور، وسيادتهم الجمهور؛ وأستقلالهم بالمشقات المتقدمة، وإخماذهم نيران الخطوب المضطرمه، وكفهم سيول السيوف العرمه؛ ومواليتهم أمور الدولة

العلوية التي اشتهر بها منهم الأكارب، وورثها كابر عن كابر، وحافظوا منها على سيرة معروف لا ينسخ، وعقد صفاء لا يفسخ؛ وسريرة صدق تستقر في الضائر وترسخ، وتتوضح بها غرّة في جباه السبق وتشدخ؛ وتستهدى عند إيراد هذا الذكر العطر، والشاء المشتهر؛ من الدعوات الشريفة العاضدية المعضودة بالنجح، المتوضحة عن مثل فلق الصبح؛ ما يتهلل لمساغيه بالميامن المستهله، ولمراميه بالإصابة المتصلة، بينه وبين هذه الدولة العالیه، والخلافة الحالیة؛ بكتاب منه نهجنا فيه طريقها اللاب، وأستدعينا به إجابته التي تتأق بالمراحب؛ وأعلمناه أن تمدى الأيام دون المراسلة وتطاولها، وتنقل الأحوال والدول وتناقلها؛ لا يزيد مودته إلا أستحكام معاهد، وأنتظام عقائد، ووفاء مواعد، وصفاء موارد؛ وأنه لاتباعد بين القلوب بغرض المرعى المتباعد، ولا تفرق المسافات القواصي ما بين النيات القواصد. فلما تأخرت الإجابة، تقدمت الإسترابه؛ وتناجت الظنون المعتلجة، وتراجعت الآراء المحتلجة؛ بأن الرسول عاقته دون المقصد عوائق، وتقسّمته من الأحداث دون الطريق طرائق؛ فلم ترد المكاتبه إلى جنابه، ولا أسعد السعى بطروق جنابه، الذي تئال السعادة وتنجى به؛ وإلا فلو أنه أم له، بلغ ما أمله، ولو وصله، لأجاب عما أوصله؛ لأن مكارم خلائقه تبعث على التبرع بالسنون فكيف بقضاء المفروض؛ وشرائف طرائقه تأبى للحقوق الواجبة أن تقف لديه وقف المطرح المرفوض. فجددنا هذه المكاتبه مشتملة على ذلك المراد، وفواضنا بما يعيره الإصغاء، ويجنّبه الإلغاء؛ ويحسن له الإنصات، ولا يحتاج فيه إلى الوصات. ورسمنا أن يكتمه حتى عن لسانه، وأن يطويه حتى عن جنانه، وأن يتمسك بالأمر النبوي في أستعانه على أمره بكتمانه؛ فمن حُسن الحزم سوء الظن، وهل لأرباب الأسرار فرج إلا مادامت في السجن؛ وقد أستلزمنا المرتهن لما أستعظمنا الرهن، وفوضنا إلى من لا يعترينا فيه الوهم ولا منه الوهن؛

ونحن نَحْبِبُنَا بما يُعَلِّمُ به حَسَنُ مَوْقِعِ رِسَالَةِ الْأَسْتِرْسَالِ ، وبما يَبَيِّنُ به عن دَلَالَةِ الإِدْلَالِ ، وبما يَرْحُبُ بِمُودَتِهِ مَجَالَ الْجَمَالِ ؛ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يُؤَيِّدُ الْمَلِكَ بِنَصْرِهِ تُسْتَعْدَمُ لَهُ الْأَقْدَارُ ، وَسَعَادَةٌ لَا تَنْصَرِّفُ فِي تَصْرِيفِهَا أَحْكَامُ الْفَلَكَ الْمُدَارِ ، وَإِقْبَالٌ يُقَابِلُ آرَاءَهُ وَأَدَابَهُ فِي فَاتِحَةِ الْوَرْدِ وَعَاقِبَةِ الْإِصْدَارِ ، وَعِزٌّ لَا يَزَالُ مِنْهُ مُتَوَقِّلاً فِي دَرَجَاتِ الْاِقْتِدَارِ .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطرف الثالث عشر

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْأَتْبَاعِ ، إِلَى الْمُلُوكِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ؛
وَفِيهِ ثَلَاثُ جُمَلٍ)

الجُمْلَةُ الْأُولَى

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ اتِّبَاعِ مَلُوكِ الشَّرْقِ إِلَيْهِمْ
فِي الزَّمَنِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَهِيَ عَلَى أُسْلُوبَيْنِ)

الْأُسْلُوبُ الْأَوَّلُ

(أَنْ تَفْتَحَ الْمَكَاتِبَةَ بِلَفْظِ : « كِتَابِي »)

وَيَدْعَى لِلْكِتُوبِ (١) كَذَا وَكَذَا ، وَيُخَلِّصُ إِلَى الْمَقْصُودِ بِمَا تَقْتَضِيهِ
الْحَالُ ، وَيَخَاطَبُ السَّاطَانَ فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِمَوْلَانَا أَوْ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ ، وَيَعْبُرُ الْمَكْتُوبَ
عَنْهُ عَنِ نَفْسِهِ بِنَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَلَفْظِ الْإِفْرَادِ ، وَيُحْتَمُّ بِقَوْلِهِ : فَإِنْ رَأَى أَنْ يَفْعَلَ كَذَا فَعَلْ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَيُدْعَى لِلْكِتُوبِ إِلَيْهِ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ مَعَ التَّعَرُّضِ لَذِكْرِ الْخَلِيفَةِ
فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ .

(١) فِي الْأَصْلِ مَحْوٍ وَاعْلَهُ وَيَدْعَى لِلْكِتُوبِ إِلَيْهِ ثُمَّ يُقَالُ وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا الْخ .

وهذه نسخةُ كتاب من هذا الأسلوب، كتب به أبو إسحاق الصابي عن أبي الفضل الشيرازي: أحد تُوَّابِ بنِي بُوَيْهٍ إلى عَضُدِ الدَوْلَةِ بنِ بُوَيْهٍ، في جواب كتاب وصل منه إليه، يخبره بفتح خراسانَ وطاعةِ صاحبها، وهو:

كاتبِي - أطال الله بقاءَ مولانا - والأُمُورُ التي أخدمُ فيها جاريةً على السَّداد، مستمرةً على الأَطْرادِ؛ والنِّعمُ في ذلك خَلِيقَةٌ بالتَّمام، مُؤَدَّةٌ بالدَّوامِ.

والحمدُ لله حقَّ حمده، وهو المُسئولُ إطالةَ بقاءِ مَوالينا الأُمراءِ، وحراسةَ ما خُوِّفهم من العزِّ والعلاءِ؛ وأن لا يُخْلِيهم من صَلَاحِ الشانِ^(١)، وسُمُوِّ السُلطانِ؛ وظهورِ الولى، وتُبُورِ العدوِّ.

ووصل كتابُ مولانا [الأمير أطال الله بقاءه]^(٢) الصادرُ من معسكره المنصور بكازرين، بتاريخ كذا، مُخبراً بِسُمُولِ السَّلامه، مَبشراً بِعُمُومِ الأِسْتِقامه؛ موجِباً لشكر ما منح الله من فضله وأعطى، مقتضياً [نَشْرَ]^(٣) ما أسبغ من طَوِّله وأضفى؛ مشروحاً فيه الحال فيما كان يجرى من الخِلافِ بين مولانا الأمير السَّيد «رُكنِ الدَوْلَةِ» وبين ولاةِ خُراسانَ، وجهادِهِ إِيَّاهم في حِياطةِ الدِّينِ، وحمايةِ حَرِيمِ المُسلمين؛ والدعاءِ إلى رضا ربِّ العالمين، وطاعةِ مولانا أميرِ المُؤمنين؛ وتَدَمُّمِهِ مع ذلك من دماءِ كانتِ بِاتِّصالِ الحروبِ تُسْفِكُ، وحُرْماتِ باسْتِمْرارِ الوَقائعِ تَنْتَهِكُ؛ ونُغُورِ شُهَمَلِ بعد أن كانتِ ماحفوظه، وحُقُوقِ نُضاعٍ بعد أن كانتِ مُحفوظه؛ وانه لما جُدِّدتِ العزيمَةُ على قِصْدِ جُرجانَ ومنازعةِ ظهيرِ الدَوْلَةِ أبي منصور بنِ شمشكيرِ مولى

(١) في المختارات المطبوعة ص ٩٣ من علو الشان .

(٢) الزيادة من نسخة المختارات المطبوعة والمخطوطة .

(٣) في المختارات « بدارزين » وكلتاها من بلاد فارس .

أمير المؤمنين [على تلك الأعمال، ودفعه عما ولاه أمير المؤمنين] ^(١) بوسيلة موالينا الأمراء
أدام الله تمكينهم منها ومنازعتهم ومجادبتهم فيها، نهض مولانا [الأمير الجليل عضد الدولة] ^(١)
إلى كرمان على اتفاق كان بين مولانا الأمير السيد ركن الدولة وبينه في التوجه إلى
حدود خراسان . فحين عرف القوم الحد في ردهم ، والتجريد في صدهم ، وأنه
لامطع لهم في جنبة إلى طاعة أمير المؤمنين آنتسابها ، وبذمام سادتنا الأمراء
اعتصامها ، آتعضوا وآترعوا ، وعرجوا ورجعوا سالكين أقصد مسالكهم ، منتهجين
أزسد مناهجهم ، معتمدين أعود الأمور على المسامين عموماً وعليهم خصوصاً باجتماع
الشمل ، واتصال الحبل ، وأمن السرب ، وعدوبة الشرب ، وسكون الدهماء ،
وشمول النعماء ، فخطبوا الصلح والوصله ، وجتحووا إلى طلب السلم والألفة ، وأن
مولانا [الأمير عضد الدولة] ^(٢) آثر الأحسن وأختار الأجل : فأجاب إلى المرغوب
فيه إليه ، وتوسط ما بين الأمير السيد ركن الدولة وبين تلك الجنبة فيه ، وتكفل
بتقريره وتمهيده ، وتحقق بتوطيده وتشبيده ، وأخرج أبا الحسن عابد بن علي
إلى خراسان حتى أحكم ذلك وأبرمه ، وأمضاه وتممه ، يجتمع من الشيوخ والصلحاء ،
ومشهد من القضاة والفقهاء ، وأن صاحب خراسان عاد على يد مولانا [الأمير عضد
الدولة] ^(٢) إلى طاعة مولانا أمير المؤمنين ومشايعته ، والإمساك بعلائق ولآئه وعصمته ،
وصار ولياً بعد العداوه ، وصديقاً بعد الوحشه ، ومصافياً بعد العناد ، ومخالطاً بعد
الإنفراد ، وفهمته . وتأممت - أيد الله مولانا - ما في ذلك من ضروب النعم المتشعبة ،
وصنوف المنح المتفرعة ، العائدة على الملك بالجمال ، وعلى الرعية بصلاح الحال ،

(١) الزيادة من نسخة المختارات الخطية .

(٢) الزيادة من المختارات .

الداعية إلى الائتلاف والائتفاق، المزيلة للخلاف والشقاق؛ فوجدت النفع بها عظيماً، والحظ فيها جسيماً؛ وحمدت الله حقَّ حمده عليها، وشكرته أن أجراها على يد أولى الناس بها؛ وأحقهم بالمكارم أجمعها، وأن قرب الله بيمينه [ما كان بعيداً مُعضلاً ويسر ببركته ^(١)] ما كان ممتنعاً مشكلاً . فأصلح ذات البين بعد فسادها، وأحمد نيران الفتن بعد تلهبها وأتقادها؛ ووافق ما بين نيات القلوب، وطابق بين نخائل الصدور، وتحت الضلوع بُجج سعيه على التآلف، وأنضمت الجوانح بميمون رآيه على التعاطف؛ وحصل له في ذلك من جزيل الأجر، وجميل الذكر؛ وجيل الفخر، وأريج النشر؛ مالا تزال الرواة تُدرسه، والتواريخ تُحرسه؛ والقرون تُتوارثه، والأزمان تتداوله؛ والخاصة تتعلل بفضله، والعامّة تأوى إلى ظله .

فالحمد لله كثيراً، والشكر دائماً على هذه الآلاء المتواترة، والعطايا المتناصرة، والمفاحر السامية، والمآثر العالیه؛ وإياه أسأل أن يُعرف مولانا الملك الحيرة فيما آرتاه وأمضاه، والبركة فيما أولاه وأجراه؛ وأن يهبته نعمه عنده، ويظهر مواهبه لديه؛ ويسهل عليه أسباب الصلاح، ويفتح أمامه أبواب النجاح؛ ويعكس إلى طاعته الرقاب الآبية، ويذل لموافقته النفوس النائبة؛ ولا يُعدهم وموالينا الأمراء أجمعين المنزلة التي يرى معها ملوك الأرض قاطبةً التعلق بجلهم أمنا، والإمساك بذمامهم حصناً؛ والانتفاء إلى مخالطهم عزاً، والاعتراء إلى مواصلتهم حرزاً؛ إنه جل وعز على ذلك قدير، وبإجابة هذا الدعاء جدير .

وقد آجتهت في القيام بحق هذه النعمة التي تلمني، وتأدية فرضها الذي يجب عليّ: من الإشادة بها والإبانه، والإشاعة والإذاعة؛ حتى آشهرت في أعماله التي

(١) الزيادة من نسخة المختارات الخطية وهي مناسبة .

أنافيتها ، وأستوى خاصتها وعامتها في الوقوف عليها ؛ وأنشرح صدور الأولياء معها ، وكبت الله الأعداء بها ، وأعددت بالنعمة في المطالعة بها والمكاتبة فيها ؛ وأضفتها إلى ما سبق من أخواتها وأمثالها ، وسلف من أترابها وأشكالها ، فإن رأى مولانا الأمير الجليل عضد الدولة أن يأمر أعلى الله أمره باجرائى على أكرم عاداته فيها ، وأعتادى بعوارض أمره ونهيه كلها ؛ فإن وفور حظى من الإخلاص ، يقتضى لى وفور الحظ من الاستخلاص ؛ فعل . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثانى

(أن يفتح الكتاب بالإصدار)

مثل : أصدر الخادم أو العبد ونحوه ، ويؤتى بالصدر إلى آخره ؛ ثم يتخلص إلى المقصود بما يقتضيه المقام ، ويختتم بقوله : وللراى العالى مزيد العلو ونحو ذلك .
كما كتبت عن بعض وزراء الراشد أو المسترشد إلى السلطان سنجر السلجوقى ، فى حق قُطب الدين أبى منصور أزدشير العبادى : وقد ورد إلى أبواب الخلافة ببغداد رسولا ، وكان أبوه وخاله وسلفه من أهل العلم والزهد ، وهو من الفصحاء البلغاء ما صورته :

أصدر خادم المجلس العالى هذه الخدمة عن ضمير معموير بالولاء ، وإخلاص دواعيه متصلة على الولاء ؛ وعكوف على ما يرجوه حصول المراضى العلية ، والتحقق لمشايعته الواضحة شواهدا الجلية ، والحمد لله رب العالمين .

وبعد ، فما زال الجناب العالى السلطانى الشاهنشاهى الأعظمى أعلاه الله لكل خير منبعا ، وحرمة الأمن للفوائد الجمّة مغائنا ومربعا ؛ والسعادة والتوفيق مقروين

بسامى آرائه ، مُطِيفِينَ بِهِ مِنْ أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ ؛ فِي كُلِّ رَأْيٍ يَرْتَبِيهِ ، وَمَقَرَّبَ يَصْطَفِيهِ ؛ وَأَمْرِي يُخَيِّرُهُ وَيَقْلُدُهُ ، وَأَمْرٌ يَحُلُّهُ وَيَعْقِدُهُ ؛ وَصُنْعٌ جَمِيلٌ يُصِيبُ مِنَ الْأَسْتِحْقَاقِ مَوْضِعَهُ ، وَيَعِيدُ طِيبَ الذِّكْرِ بِمَجْهَرِهِ وَمُبْضَعَهُ ؛ مَنَاقِبُ تَفَوُّتِ الْإِحْصَاءِ عَدَا ، وَتَرَدُّدِ مَنْ مَفَاحِرِ الْوَصْفِ مَهْمَلًا عَدْبًا وَتَسِيرِ بَذْكَرِهَا الرَّفَاقُ غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَتُجَاوِزُ غَايَاتِ الْمَدْحِ عَلَاءً وَمَجْدًا ؛ وَكَفَى عَلَى ذَلِكَ دَلِيلًا قَاطِعًا ، وَبِرْهَانًا سَاطِعًا ؛ مَا اقْتَضَتْهُ الْآرَاءُ الْعَلِيَّةُ مِنَ التَّعْوِيلِ عَلَى فَلَانِ الْعِبَادِيَّ فِي تَحْمُلِ الرِّسَالَةِ الْأَعْظَمِيَّةِ الَّتِي عُدَّتْ مِنْهُ بِالنَّبِيِّ الْجَلِيلِ ، الْبَرِيِّ مِنَ الْعَيْبِ ، الْعَارِي مِنَ دَنْسِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ ؛ فَإِنْ آخْتَارَهُ لِهَذَا الْأَمْرِ طَبَّقَ مَفْصِلَ الصَّوَابِ ، وَلِشَاكِلَةِ رَمَى الرَّأْيِ أَصَابَ ؛ إِذْ هُوَ الْفَدْحُ فِي عِلْمِهِ وَفَضْلُهُ ، السَّدِيدُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ؛ الْبَارِعُ فِي إِيجَازِ الْخُطَابِ وَفَصْلِهِ ، الْمَعْرُقُ فِي الزَّهَادَةِ وَالِدِّيَانَةِ الْمَزِينِينَ لِفِرْعِهِ وَأَصْلِهِ .

ولما وصل إلى الأبواب العزيزة الإمامية - ضاعف الله تعالى مجدها - مثل بالخدمة مؤدياً من فرضها ما يلزم أمثاله من ذوى العقائد الصحيحة، والموالاة المحضة الصريحة ؛ وصادف من التَّكْرِمَةِ وَالْإِنْعَامِ مَا يُوجِبُهُ لَهُ مَحَلُّهُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا تُكَدَّرُ الدَّلَآءُ بِجَرِّهِ ، وَلَا تُدْرِكُ الْأَرَشِيَّةُ بِطَوْلِهَا قَعْرَهُ ؛ فَهُوَ فِيهِ نَسِيحٌ وَحِدَهُ ، وَنَاسِجٌ بُرْدَهُ ؛ وَنَاشِرٌ عِلْمَهُ ، وَمَسْتَغْرَرٌ دِيَمَهُ . وَأَلْقَى مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ آخْتِبَارُ أَحْوَالِهِ الشَّاهِدَةِ بِأَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ فِي يَدِهِ قِيَادُ الْفِصَاحَةِ الْأَبْنِيِّ ، وَمَلَكَتُهُ زَمَامُهَا الْمَمْتَنَعِ عَلَى مِنْ عَدَاةِ الْعَصِيِّ ؛ وَجُمِعَ لَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا أَصْبَحَ فِي سِوَاهِ مُتَفَرِّقًا ، وَخِيَرَلَهُ مِنْهَا مَا جَعَلَ جَفْنَ حَاسِدِهِ لِفِرْطِ الْكَمْدِ مُؤَرِّقًا ؛ إِلَى مَا زَانَ هَذِهِ الْخِصَائِصَ الَّتِي تَفْرَدُ فِيهَا وَبَرَعُ ، وَطَالَ مَنَاقِبَ الْأَقْوَانِ وَفَرَعُ : مِنَ الْإِخْلَاصِ الدَّالِّ عَلَى تَمَسُّكِهِ بِحُجْلِ الدِّينِ الْمَتِينِ ، وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَى جَدِّهِ الْوَاضِحِ الْمُبِينِ ؛ وَفَصَّلَ عَنِ الْأَبْوَابِ الْعَزِيْزَةِ فَائِزًا مِنْ شَرَفِ الْإِرْعَاءِ ، مَا وَفَّرَ الْحِفْظَ وَالْأَنْصِبَاءَ ؛ حَاصِلًا مِنْ حَمِيدِ الْآرَاءِ ، عَلَى أَنْفَسِ الْعَطَاءِ وَأَجْزَلِ الْحِبَاءِ .

وقد تمهد له من الوجاهة والمكانة ما يفخر بمكانه ، وتنقطع دون بلوغ شأوه أنفاس أقرانه ؛ ورسم - أعلى الله المراسيم الإمامية وأمضاها - مطالعة المجلس العالى السلطاني أعلاه الله بهذه الحال ، تقريرا لها عند العلم الكرمي ، وأستمدادا للطول والإنعام ، باختصاص قطب الدين بالاحترام ؛ الذى هو حقيق بمثله ، وخلق أن لا يصحى عن وارف ظله ؛ وما يؤعز به من ذلك يصادف من دواعى الاستحقاق أوفها ، ويرد من مناهل الذكر الجميل أعذبها وأصفها ، ويتلق من شرف المحامد بأطفها وأحفها ، وللراى العالى علوراى ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(فى المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الديار المصرية إليهم ،
والمختار منه أسلوبان)

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكاتبه بالدعاء)

مثل أن يدعى بعز الأنصار ، أو إدامة السلطان ، أو تخليده ، أو إدامة بسطة السلطان ، أو إدامة الأيام ونحو ذلك . ويخاطب السلطان فيه بمولانا ، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بالملوك ، ويحتم بالدعاء . وهى طريقة القاضى الفاضل ومن تلاه من كتاب الدولة الأيوبية بالديار المصرية .

قال ابن شيث فى "معالم الكتابة" : ولا يقال فى مخاطبة السلطان : سيدنا مكان مولانا ، وإن كان السيد من الألقاب السلطانية ، لأن لفظ سيدنا مما أصطلح عليه لكابر المتعممين من الفقهاء والقضاة والكُتاب ، فأجتنب فى حق السلطان كى لا تقع المشاركة بينه وبين غيره فى الخطاب .

وهذه نسخة كتاب من هذا الأسلوب كُتِبَ به إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب في جواب كتاب ورد منه بالبشارة بفتح خِلاط وهي :

أدام الله سلطانَ مولانا الملك العادل وزاده من فضله ! ، ومدَّ على خَلْقِه وإرِفَ ظَلَمَه ، وأظهر به دينَه على الدِّينِ كُلِّهِ ؛ وأوضح إلى مَرْضَاتِه ما سئَلَكه من سُبُلِه ، ولا عَدِمَتْ يَدُ الإسلامِ والمسلمينِ التعلُّقَ بوثيقِ حَبْلِه ؛ وفرَّجَ به الخَطَطَ المُطْبِقَه ، وفتحَ به البلادَ المستغْلِقَه ؛ وأخضع لطاعته الأعناقَ ، وعمَّ بفتوحه الآفاقَ ؛ ودَمَّرَ الكُفْرَ بمقامه ، وطوى أيامهم بما ينشُرُه ويُدِيمُه من أيامه ، وأنزلَ النصرَ في مواقف التَّزَالِ بما ترفعه رايأته من أعلامه .

وقف المملوكُ على ما أنعم به مولانا: من كتابِ البشارة التي وصلت إلى كلِّ قلبٍ وسَمِعَ ، وأملَ بها كلُّ مسلمٍ كلَّ خيرٍ ونفعٍ ؛ وعلمَ ما وراءها من جمعِ شَمَلٍ كان عزيزَ الجمعِ ، وعلمَ ما يتبعها من عواطفِ مولانا التي عَوَّدَها منه أكرمُ طَبَعٍ ؛ وتحقَّقَ أن الله سبحانه قد قلَّدَ الدينَ منه سيفاً خَلَقَه للوصولِ وخلقِ السُّيُوفِ للقطعِ .

وبالجملة إن الله سبحانه نظر إلى هذه المِلمة بنظر مولانا لها ، وكفَّالته لأهلها ، وسياستهم بشرفِ السَّجِيَّةِ وَعَدَّهَا ؛ وإن كلَّ ما آخَتَسَ المَلِكُ الناصرُ رحمه الله فإن الله يُتِمُّه على يديه ، ويَجْبُرُ به تارة بصفحه وتارة بحديه ؛ ويَهَبُ له عُمرًا نُوحِيًّا إلى أن لا يَدْرَ على الأرضِ من الكافرينِ ديارًا ، وإلى أن يُورِثَ الإسلامَ بسيفه منهم أرضًا ومالًا وديارًا ؛ وهذه مخايلُ لا يُخْلِفُ اللهُ بَارِقَتَهَا ، بل يُرِدُّ إلى جهةِ الكفرِ صاعقَتَهَا ؛ فما يحسبُ المملوكُ أن جانبًا يتلوَّى على طاعة مولانا ولا يحرفُ ، ولا أن كلمةً عليه بعد اليوم تختلِفُ ، ولا أن ممتنعًا بالأمس يكون معه اليوم إلا أن يرضى عنه مولانا وعليه يتعطفُ .

وعلى هذا فالشام الفرنجي متأخذ بجناح إلى الأخذ وبقية عمر المؤمن كما قال
صلى الله عليه وسلم لا ثمن لها، والفرص تتمرّ من السحاب، والمستعاض بالله من حسرات
القوت بعد الإمكان (ولينصرن الله من ينصره) وما يشخص لخطاب الله تعالى^(١)
بالجهاد إلا مولانا: النية خالصه، والبصيرة ناقبه، والعزيمة ماضيه، والشجاعة منحة
من الله له موهوبه، والساحة خليقة من خلائقه الكريمة موجوده، والرجال
تطأ عقبيه، والملوك تطيع أمره والشجعان تبذل أنفسهم بين يديه، والعدو يعرف
منه خصما طالما خاطبه بلسان السيف منه إليه. وليس كل من قدر عليه أراده،
وعكا أقرب من خلاط وأنفع للسامين فتحا، وأعظم في الكفار قدحا، فوالله لئن أنفلق
باب الشام في وجه الكفر، لتقطعن آمال أهل البحر والبر، وما دام في الشام بقية
من الكفر فهو يقبل الزيادة، وينتظر النجدة ويؤمل الاستعادة، وما كرر الملوك
هذا الحديث جهلا بما يجب في خدمة الملوك من الأدب في أن لا يتكلم في القضية
إلا من استشير فيها، ولا يجترى على الكلام إلا إذا كان جيبيا بما يؤمر بالإجابة
عنه، ولكن الملوك غلب على الصبحه، وأقطع عن الخدمه، وعلم أنه لو كان حاضرا
لكان مولانا ينسطه ولا يقبضه، ويستشف ما عنده ويستعرضه، ويسفع قلبه
في لسانه إذا هفا، ويمحله على صفاء ضميره فيما يقوله فلا يقابل بالتكدير من صفا،
فقد علم الله أن الملوك يمتحن للسامين أن يرد عليهم حقهم، وترجع إليهم بلادهم، وأن
تكون هذه الأمانة جارية على يد مولانا ومستفادة من عزيمته، ومكتوبة في صحيفته،
ومغتنمة فيما يئمه الله في حياته، فإن الأمور فيما بعد ملموحه، ولكن أبواب قدرة الله
مفتوحه، فالله يجعل منها أن يفتح على مولانا فيه بلاد الساحل، وأن يأخذ للإسلام به
أهبة المقيم وللمقيم أهبة الراحل، وما يخطط الملوك هذا المهيم بغيره، طالع به، ولمولانا
علق الرأي.

(١) لعله وما يختص بخطاب الخ.

الأسلوب الثاني

(أن تُفْتَحَ المَكاتِبَةُ بِقَبْلِ الأَرْضِ مَصَدَّرًا بِالمَمْلُوكِ)

وهي من مصطلحات الدولة الأيوبية أيضا إذا كان المكتوب عنه دُونَ من تقدم .

كما كتب القاضي الفاضل عن نفسه إلى السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب»

يهنئه بمولودٍ وُلِدَ له :

المملوك يقبل الأرض بالمقام العالی الناصريّ نصر الله الإسلام بمقامه ، وأهلك أعداء الحقّ بانتقامه ، ولا أعدم الأمة المحمدية عقْدَ اعترائه بكفالتها ومضاءِ اعترامه .
 يهنئ المملوك المولى بنعمة الله عنده وعند الإسلام وأهله بمنّ زاده في ولده ، وكثره في عدده ؛ وهو الأمير «أبوسليمان داود» أنشأه الله إنشاء الصالحين ، ومنّ الله بكال خلقه ، ووسامة وجهه ، وسلامة أعضائه ، وتهلّل غرته ، وأبتسام أسرته ؛ ودل على أن هذا البيت الكريم فلك الإسلام لا يطلع فيه إلا البُور ، كما دلّ على عناية الله بأبيه ، فإن الله تعالى قال : ﴿ يَبُّ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ بِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورُ ﴾ فطريق المولى هذه قد توالّت فيها البشائر ، ونصر الله فيها بأطاف أغنت بلطف الخواطر عن قوّة العساكر ، وآشمت عليه (؟) في الغائب من أمره والحاضر ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ وكيف يُحصيها المحصى ويحصرها الحاصر ، أحيط ما يفتنى بما لا ينفد ؟ .

فالحمد لله الذي جعل كتب المولى إلى أوليائه وكتبهم إليه مبنسمة عن المسار ، ناطقة بأطيب الأخبار ، منكشفة أسرارها عما يروح الأسرار ؛ وهذا الولد المبارك هو الموقى لأئمتي عشر ولدا ، بل أئمتي عشر نجما متوقدا ؛ فقد زاد الله في أنجمه عن أنجم

يوسف عليه السلام نبجاً ، وراهم المولى يقظةً ورأى ذلك الأنجم حلماً ؛ وراهم ساجدين له ورأينا الخلق له سُجوداً ، وهو سبحانه قادرٌ أن يزيدَ جُودَ المولى إلى أن يراهم آباءً وجدوداً .

الجملة الثالثة

(في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الغرب إليهم ،
والمختار منه أربعة أساليب)

الأسلوبُ الأولُ

(أن تفتتحَ المكاتبَةَ بـلقبِ المكتوبِ إليه)

مثل : المقامُ أوالجناب ، ويُنتعت ، ثم يقال : مقام فلان ، ثم يُؤتى بالسلام ثم بالبعديَّة ، ويُؤتى بخطبة ، ويُتخلَّصُ إلى المقصد ، ويُؤتى عليه إلى آخره ، ويُختتم بالدعاء ثم بالسلام .

كما كتبَ ابنُ البَنا عن ابنِ خلاص إلى أميرِ المسلمينِ الوائِقِ باللهِ أبي بكرِبنِ هُود ، في جوابِ كتابٍ وردَ عليه منه ماصورته :

المقام العلى ، الوائِقِ المعْتَصِمِ ، المباركِ السامى السنى ، معدنُ الفضلِ ومقرّه ، ومسحَبُ ذيلِ الفخرِ ومجرّه ، ومَنَاطُ حملِ أمانةِ المسلمينِ التي لا يجهلها إلا أبلجُ الشرفِ أغرّه ، ولا يتقلدُ قِلاَدَتَها إلا تقيُّ المنشأِ برّه ، مقامُ مولانا جمالِ الملكِ وبهائه ، والباعثُ في معطفه أريحيَّةُ النجابةِ وأزدهائه ، الأميرُ الأجلُّ المعظمُ ، المكبرُّ الهامُ المكرمُ ، المباركُ الميمونُ السعيدُ ، الموفقُ الرشيدُ ، المظفرُ المؤيدُ ، المرفَعُ المجدُّ ، ولى العهدِ ، وواسطةُ عِقدِ المجدِ ، والمُلبَسُ سراييلَ اليُمنِ والسعدِ ، الوائِقِ باللهِ ، المعْتَصِمِ به ،

أبي بكر ابن مولانا مجد الإسلام، وجمال الأنام، ومجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، المتوكل على الله تعالى أمير المسلمين. أبقاه الله وارداً من مشارع التأييد أعدبها، متحوّلاً من صنْع الله الجميل مايسدّد أبعاد الأمة وأقربها، ممتداً مد السعادة ماجلت غرة الفجر حنّس الظلماء وغيّبها. عبدُ بابهِ الأشرَف، ومملوكُ إحسانه الأسمَح الأذرف، مسترّفهُ الآوى إلى ظل سلطانه الأمدِّ الأورف، الحسن بن أحمد بن خلاص .

سلام الله الطيب الكريم وتحياته، يعتمد الواثق المعتمى ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى له الأمر من قبل ومن بعد، والصلاة على سيدنا محمد نبيه الذى تربّت على آجتنا به الشقاوة ووجب باتباعه السعد، وعلى آله وصحبه الذين ناضلوا عن ديانته حتى وضع السنن وبان القصد - والرضا عن خليفته وأبن عمه الإمام العباسى أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور المستنصر بالله، وارث شرفه النبوى، ومجده الهاشمى، بخصائصه التى لا تُعفى أنوارها الأبرار، ولا يطمس آثارها الحجر. وعن مولانا مجد الإسلام، جمال الأنام، مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، المتوكل على الله تعالى أمير المسلمين، ذى العزّات التى لا تُغنى غنائها الذبّل التى منبتها الخطّ، ولا القُضب التى منشؤها الهند. والدعاء لتمام الثقة والأعتصام، ومقرّ الإحسان والإنعام، بالنصر الذى يؤازره الظفر، ويظاهاه العضد .

فكتبه عبد المقام الواثق المعتمى - كتب الله له تأييداً يحفظ على الدين نظامه، وتخليداً يرث لىلى الدهر وأيامه - من إشبيلية حرسها الله تعالى، وللبركات المتوكّيات والوائقيات بها آنتيال كما نتابع القطر، وسطوع كما أبتسم فى مطالعه الفجر، وتعهد

(١) لعل الصواب "البكر".

(٢) جمع الذابل ككتب وركع أنظر القاموس .

لا تزال تقرُّ به العينُ وينشرح له الصدر، والخدمةُ اللازمةُ للثابة العلية الواثقة المعتمية - أعلى الله مكانها، وشيّد بعضده أركانها - فرض لا يسعُ تأخيرها، وحق لا يعلّق به تفریط المتقلّد له ولا تقصيره، ولازم من اللوازم التي لا يُشغل بسواها سرّ المملوك ولا ضميره، والله يُجحد من ذلكم على ما يتسوّغ به صفو المنّ وتميره. وإن الخطاب الكريم الواثق شرف الله منازعه، وتور بأنوار السعادة مطالعه، ورد على العبد مُشيدا بذكره، مُعليا من قدره، مُسميا لرتبة نغره، متضمنا من واسع الإنعام وعمره، مالو وزع على العالم لشملهم بأسره، وأغرقهم بفيض يسير من بحره، فتناوله المملوكُ بيمين إجلاله وإعظامه، ووفى الواجب من ثمّه وأستلامه، وألقى به ربا ناعما لغليل الشوق المبرح إلى آجتلاء غرته الكريمة وأوامه، وجعل يتبع سُطوره، ويستقرى فقره وسُدوره، فلا يقف من ذلكم كلّ إلا على ما يملأ حوباءه جدلا، ويحوّله الأبتهاج غما ونفلا، ويبوّئه أسنى مراتب التشریف قننا وقللا، وهو على ما حكمت به الأفضية من شحطه عن المثابة الواثقة شرفها الله وشُسوعه، وإيواء مغاني أنسه لذلكم ورجوعه، لا يجد أنسا إلا ما يتوالى قبله من متعهد آهتامها، وتهديه إليه ألسنة أفلامها، فكلمها وقد عليه من صحائفها المكترمة وافد، وورد من حضرتها المعظمة وارد، فقد جدد الزمانُ عنده يدا غرّا، وأطلع عليه بدرا، وأفاده من الأبتهاج ما يعمر الخلد، وينشر نسيم الاستبشار إذا سكن وركد، وما ينقك على نأي المكان، وبعد الأوطان، يحافظ على رسمه من خديها، ويؤدّي وظائف الشكر بجسيم منحها وعميم نعمها، ويجعل على نفسه المملّكة رقيبا من أن يحلّ في سرّ أو جهر بعهد من عهودها أو ذمة من ذمّتها، ومهما تجدد صنع يتعين إهداؤه، ويجب قضاء الحق بالدلالة عليه وأداؤه، لم يصحبه في المطالعة به توان، ولم يعبر في جلّائه أوانا إلى أوان. وقد كان قدم مطالعته قبل إلى الباب الواثق

شرفه الله باسماً لتفاصيل الأحوال ، وشارحاً لها على الاستيفاء والكمال ؛ ولم يتجدد بعد ذلك إلا تمكُّن الرجاء في فتح لبلة يسر الله مرآتها عن دُؤبِ بحول الله وقرب ، وأنطق لسان الحال بتيسير كل عصى من مُحاولاتها وصعب . ولو أن مكانا عضه الدهر من أنياب حوادته الجُونِ بما به عضها ، وفَضَّ الحصارُ أفضالها التي فضها منه مافضها ؛ لكان قد ذهب شمسُه ، وخَفِيَ عن أن يُسمع حسيسه ؛ لكن أبا الشقاء الغالب على أهلها إلا أن يمد عليهم أمد العذاب ، ويُرخي لهم طول المهلة المُشفية بهم كل يوم على مهاوى الخسار والتباب ، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله ، ويصل إلى الحد الذي شاء الله أن يصله ؛ فيأخذهم أخذ من عمي عن إدراك الحق بصره وبصيرته ، وخبث في معاندته سره وسريته ؛ ويرجى أن الوقت في ذلكم دأبٍ بإمكان ، والله تعالى يُديم للمقام الوائق ماعوده من توالى السعود وأطرادها ؛ وإصحاب الآمال وأقيادها ؛ وسلام الله الطيب يراوحها ويُغادِيها ، وتحياته ، ورحماته الموصولة وبركاته .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بالحضرة)

وتوصف ويُدعى لها ، ثم يقع التخلُّص إلى المقصد ، ويُحتم بالدعاء والسلام . كما كتب أبو المطرف بن عميرة إلى المتوكل بن هود القائم بالدعوة العباسية بالأندلس عن بعض أتباعه ، عند ورود كتابه عليه يخبره بفتح ... من الأندلس وقتل الثائر بها ، وهو :

(١) بياض بالأصل ولعله " بفتح المراد وهو حصن بقرطبة من الخ " كما يؤخذ من تضايف الجواب حيث قال (كيف لا وقد بشر خبره بالمراد في المراد) وفي معجم " باقوت " المراد حصن قريب من قرطبة بالأندلس .

الحضرة العلية أبقى الله ظل ملكها على العباد، وعرفها من تأييده وإنجائه أفضل المعتاد، وجعل لها من الملقب إليه والتوكل عليه أكثر الجموع وأكثر الأعداد، ولا زالت أحاديث نصرها سالمة المتون صحيحة الإسناد، وصحائف فتوحها تجمع صلاح العباد، وتطلع صباح البشائر من ليل المراد، عبدها ومملوكها، السالك من الخدمة والنصيحة الطريق التي يجب سلوكها، فلان .

وبعد : فكتب العبد - كتب الله للقيام العلي المجاهد المتوكل سعاداً يرد الصعاب دلاً، ويسد من المكاره سبلاً، وأمدّه بملائكة رسله جاعل الملائكة رسلاً - من فلانة وبركاته مروية للظاء، وحركاته مسكنة للدهماء، وآثاره في يومئذ سيئه وحرية آثار الأسياء على الكفار والرحماء، والأرض بوضوح محياه، وفتوح أسنته وطبائه، تهرت أعطافاً، وتعتت مواسط وأطرافاً، وتبرزت في أنوارها القشيب فيزداد حسنها أضعافاً، والأيام بالبشائر التي فضت ختامها عفو على قدر، وقضت مسامها صفواً بلا كدر، لها أنف الشاخي تيبها، ووجه الضاحك المتهازل إشادةً بحالها وتوحيها، ودلالة على رُحْب مجالها وتأييدها . والحمد لله حمد من عرف قدر نعمائه فوق حق أسمائه تقديساً وتزنيها . وإن الخطاب العلي الكريم ورد راصفاً أجل الدرر، واصفاً أجمل الفتوح الغرر، رافلاً في حلل الأيد والقهر، رافعاً منسأة الحوادث بإحدى حسنات الدهر، فياله من كتاب! أودع بدائع الكلم، وجوامع البيان الملتئم المنتظم، ولو آسئد سنائه أول الفلقين لم يك كاذباً، ولو أعير محياه ثاني الشفقين كان عن ضوء النهار نائباً، ذكر بأيام الله المشهودة بالملائكة والروح، ومد باع الكلام في فتح الفتوح، وأطال ديول القول مفتاحاً منه للصعب الجموح، فكان الغزير الصيب، والكثير الطيب، والمتبع إن مضى بقلوب وأسماع، والمضاعف حسنه إن كرر إلى غير انقطاع . كيف لا؟ وقد بشر خبره بالمراد في المراد، وأوقع اليقين بما حرق

العادات من الإسعاف والإسعاد، وكان من آحاد الأخبار لا من أخبار الآحاد؛ ومما اقتصه ما جرى من أوائل الحركة السعيدة، وأعرض من المتاعب الشديده؛ وأن الشتاء كان في ابتدائه، والغيم ساحب لردائه، ساكب فضل أمدائه. والمكاره في طيها النعم الحسام، والنفوس الجبار تتعب في مرادها الأجسام؛ ولذلك هانت على المقام العلى - أيده الله - تلك المشاق، وربحى من عمله ونظره ما جنى من ثمرة العاق؛ فسار إليه بالمخفّل الأخفّل، والعزيمة الزعيمة بقصّ الموقفّل، ورَضّ الأعلى والأسفل؛ وقد أعتزّ بأجلّ المدائن شانا، وأوثقها بُنيانا، وأبعدها صينياً ومكانا؛ وهى التى أعيّت رياضتها كلّ راض، وسخّرت بكلّ قاعد بقنونها رابض؛ وجمع إليها من طرد الآفاق، وأعداد الاجتماع والاتفاق؛ أتباع كلّ ناعق، وأشياع كل مارِدٍ مارق؛ فاستحلّوا الدماء، وركبوا مَضَلَّةَ عمياء، وأدرك كل منهم مما شاء للإسلام ماشاء؛ وعدوا الله يقتل لهم فى الذروة والغارب، ويضرب لهم سُكَّانَ البلد ضرب الغرائب؛ حتى أباد خضراءهم، وجعلهم شرّ خلف فيمن وراءهم؛ غير مبال بما احتقَب من الجرائر، وأقترف من إباحة الجرائر؛ فاجترأ مدّة بالجللاء، وأزداد إثمها بالإملاء؛ وحينئذٍ سمّت إليه عساكر الإسلام، وناولته بالموت الزوّام، ورأى عيانا ما كان يطير إليه قلبه لوراه فى المنام؛ وتداولته المطاولة المستدرجه، والعاجلة المزججه؛ وفى كلّ ذاق عذاب الهون، فأحسّ بقاصمة المتون وقاضية المنون؛ وأتقسمت شدته إلى المهلكين: خوف وإعدام، وأستكاثت تسعة أشهر وكان الفتح عندها لتنام؛ وإنه للولد الذى هنىّ به الإسلام، وضنّت بمثله الأيام، وأستبشر بوجوده

(١) القنة بالضم الجبل الصغير أو الجبل السهل المنبسط على الأرض جمعه قنن وقنان وقنون انظر

الأنام ؛ فما أعلى مقامه ! وأبهج يومه وأسعد عامه ! ؛ ولا غرو أن تكون غرته
أبهى الغرر، ومفتحه مباركا كالبشر؛ وقد أسفر عن أيمن وجه التُّجج ، وخرج
من عموم الأيام بمخصّص هذا الفتح ؛ وأنتقم الله فيه من الشقيّ الظالم، العظيم الجُراة
على ارتكاب المظالم؛ فطاح بمويق أعماله ، وعجل الله به إلى ما أعدّ لأمثاله ؛ وكان
دمه شرّ ديم أريق ، وأديمه أخبت أديم لاقى التمزيق .

والحمد لله الذى نصر الراية العباسية وأعلاها، وأظهر آية عنايته وجلّلاها ، وأسبع
نعمه الحسيمة ووالاها . وحين ورد هذا النبا العظيم [كان] أندى من قطر الندى
على الأكباد ، وسرى في البلاد سريان الأرواح فى الأجساد ؛ وكفّت به الأسماعُ
والأسمار، وسمت به وإليه الأمصارُ والأبصار ؛ وأستقرّ من ارتجاع البلد، وارتزاع
النفس الذاهبة إلى جرى الأبد ؛ حُكّان مدركهما الفعل والإقرار ، وعملان تمّ بهما
المرادُ والاختيار؛ فرفعت الأدعيةُ إلى سامعها، وغصت الأندية بحاضري جّامعها؛
وذاع بالبشرى فيأحسن ذائعها وشائعها؛ وأذعت الآمال لإدناء نازحها وشاسعها؛
وأخذ العبد من المسرة بحظّ أخلص العبيد مشهدا ومغيبا، وأجمعهم لمعالى الحدّ
تطنيا، ولمعانى الشناء والحمد تطيبا؛ وجدد من شكر الواهب لجزيل هذه الهبة ،
والفاتح لأعظم المعامل الأشبه (؟) ما يستغرق المدد، ولا يبلغ الأمد؛ وأتى [المثل] أن
يصف البشرى الواصله ، أو يُنصف المقالة المتطاولة ؛ ولو حلب أشطر الإحسان ،
وجلب أبحر البيان ؛ وكيف والفكر قد قعد حصرا، والمدى لا يؤاخذ التقدير قسرا،
والقول لا يجيب مطولا ولا يُختصرا؟ فحسبه دعاء هوله رافع ، ولأوقات الخلوات به
قاطع ، وإلى الله سبحانه فى قبوله ضارِع ؛ والله يجيب فى المقام العلى المتوكلى أفضل
دعاء الخلق، ويضاعف له مع السابقين ثواب السبق ، ويجزيه خير الجزاء عما أزاله

من الباطل وأداله من الحق ؛ وهو تعالى ينصره يومَ الباس ؛ ويعصمه من الناس ،
ويبقى رفده للاكتساب ونوره للاقتباس ، ويعرفه في كل ما يستنبطه من أصل
التوكل صحة القياس ، بمنه والسلام .

الاسلوب الثالث

(أن تفتح المكتبة بما بعد، ويتخلص إلى المقصد ويختم بما يناسب المقام)

كما كتب أبو المطرف بن عميرة إلى المتوكل بن هود المقدم ذكره ، عن نفسه ،
يهنئه بوصول هدية الخليفة العباسي إليه من بغداد :

أما بعد، فكتب العبد - كتب الله للقيام العليّ الناصريّ المتوكليّ مجدداً يحلّ
الكواكب ، وجدداً يقلّ الكتاب . من شاطبة ، وبركات دعوته السعيدة قد
طبقت البسيطة ، وكأثرت البحار المحيطه ؛ وأنجزت للإسلام أفضل مواعده ،
وجددت عهده لأهل بيت النبوة الرافعة لقواعده ؛ وفسحت له مجال البشري ،
وأطلعت عليه أنوار العناية الكبرى ؛ فعاد إلى الوطن ، ووجد حال الشهد طعم
الوسن ؛ وأورق عوده ، وأتسقت سعوته ؛ وعاد إلى صحته بالنظر الإمامي الذي
جاء يعوده . وحين صدور رسول دار السلام ، ومثابة أهل الإسلام ؛ ومقعد
الجلالة ، ومضعد إقرار الرسالة ؛ ومعه الكتاب الذي هو غريب ، أنس به الدين
الغريب ، وبعيد الدار نزل به النصر القريب ؛ وآية بأدلتها الصادقة لتبطل الشبه
الآفكه ، وسكينته من ربنا وبقية مما ترك آل نبينا تحمله الملائكة - أطمأنت القلوب ،
وحصل المطلوب ؛ ودزت أخلاف الإيناس ، وأرتفع الخلاف بين الناس ؛ وعلموا
أن السالك قد أضاعت له المحجّه ، والحق لا يعدو من بيده الحجّه ؛ وأن من أمرته

الخِلافةُ العباسيةَ فطاعته تجبُ قطعاً، ومخالفتهُ تحرمُ شرعاً؛ ولم يبقَ إلا أن يبين للعِيان شخصُوه، ويردَّ على الآذانِ نصُّه؛ فيكون يومه غُرَّةَ الليالي المعتكرات، وعلمَ الأيامِ المنكرات؛ واليومَ الذي به تؤرَّخُ الأيامُ المستقبلة، وتُرفعُ فيه الأعمالُ المتقبلة. وبإقبالِ الركبِ السعيدِ إلى هذه يَنزِلُ به من سماءِ العِلاءِ محكِّمٌ وحكِّمٌ، ويصلُّ به إلى الأنامِ فضلٌ من الله ونِعْمَةٌ؛ ويُقتضى دينٌ على الأيامِ، لا يبقَى معه عسرُه، ويوجدُ جبرٌ للإسلامِ، لا يكون بعده كسرُه، وشفاءُ لقلوبِ الأولياءِ هو للأعداءِ حَسْرُه.

الأسلوب الرابع

(أن تفتَحَ المكتبةَ بالخطابِ بلفظِ «سیدی» أو «مولای»

مع حرفِ النداءِ أو دونه)

كما كتب أبو عبدالله بن الخطيب وزير ابن الأحمر صاحب الأندلس عن نفسه إلى السلطان أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن المريني صاحب فاس، عند ورود كتابه إلى الأندلس بفتح تانسان، معترضاً بأن صدور كتابه من عند قبر والده السلطان أبي الحسن بالأندلس، ما صورته :

مولای! فاتح الأقطار والأمصار، فائدة الأزمان والأعصار، أمير هبات الله الآمنة من الاعتصار، قُدوةُ أولى الأيدي والأبصار، ناصرُ الحق عند قعود الأنصار، مستصرخ الملك الغريب من وراء البحار، مصداقُ دعاءِ الأبِ المولى في الآصال والأشجار. أبقاكم الله! لا تقفُ إياتكم عند حدِّ، ولا تُنحسُ فتوحاتُ الله عليكم بعد؛ ولا يُفبقُ أعداؤكم من كدِّ، ميسراً على مقامكم الكريم ماعسر على كلِّ أبٍ كريم وجدِّ.

(١) في الأصل قصور وهو تصحيف والتصحیح من "ريحانة الكتاب" ج ٢ ص ٣٣ .

عبدكم الذي خَلَصَ لِبُرِيْزِ عِبُوْدِيَّتِهِ مُلْكُ مَلِكِكُمْ الْمَنْصُورِ، الْمُعْتَرِفُ لِأُذُنِي رَحْمَةً
 مِنْ رَحْمَاتِكُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِهَا وَالْقُصُورِ، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقْصُرَ عَلَيْكُمْ
 سَعَادَةَ الْقُصُورِ، وَيُدَلِّلَ بَعْزَ طَاعَتِكُمْ أَنْفَ الْأَسَدِ الْمَهْصُورِ، وَيُبْقِيَ الْمُلْكَ فِي عَقَبِكُمْ
 إِلَى يَوْمٍ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ . فَلَان .

من الصَّريحِ المقدَّسِ : وهو الذي تعددت على المسلمين حقوقه ، وسطح نُورُهُ وتلألأَتْ
 شُرُوقُهُ ، وبلغ مجده السماءَ لَمَّا بَسَقَتْ فروعُه ورَسَخَتْ عُرُوقُهُ ، وَعُظْمَ بَتَوَاتُكُمُ خَفَرُهُ
 فَمَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَفَخْرٌ يَفُوقُهُ ؛ حَيْثُ الْجَلَالُ قَدْ رَسَتْ هِضَابُهُ ، وَالْمُلْكُ قَدْ سُرِتْ
 بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ قِبَابُهُ ، وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ قَدْ أُحْلِفَ الْمَلَايِدَ الْإِمَامِيَّةَ أَثْوَابُهُ ،
 وَالقِرَاءَانُ الْعَزِيزُ تَرْتَّلَ أَحْرَابُهُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْتَفِعُ إِلَى اللَّهِ ثَوَابُهُ ، وَالْمُسْتَجِيرُ يَخْفَى بِأَطْنَبِهِ
 سُؤَالُهُ فَيَجْهَرُ بِنَعْرَةِ الْعَزِّ جَوَابُهُ ؛ وَقَدْ تَفَيَّأَ مِنْ أَوْرَاقِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ حَدِيقَهُ ، وَخَمِيلَةَ
 أَنْبِقَهُ ، وَحَطَّ بِجُودِيٍّ الْحَقِّ نَفْسًا فِي طُوفَانِ الضَّرِّ غَرَبِيَقَهُ ، وَالتَّخَفُّ بِرَقِّ الْهَيْبَةِ الَّذِي
 لَا تَهْتَدِي لِلنَّفْسِ فِيهَا إِلَّا بِهِدَايَةِ اللَّهِ طَرِيقَهُ ، وَأَعْتَرَّ بَعْزَ اللَّهِ وَقَدْ تَوَسَّطَ جَيْشَ الْحَرَمَةِ
 الْمَرْيَنِيَّةَ حَقِيقَهُ ، إِذْ جَعَلَ الْمَوْلَى الْمَقْدَسَ الْمَرْحُومَ أَبَا الْحَسَنِ مُقَدِّمَهُ وَأَبَاهُ وَجَدَهُ
 سَقَاهُ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ بِهَذَا الْمَجْدِ سَيْبَ رُحْمَاهُ ، وَطَنَّبَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّضَا فُسْطَاطًا ، وَأَعْلَى
 بِهِ يَدَ الْعِنَايَةِ الْمَرْيَنِيَّةَ أَهْتَامًا وَأَغْتَبَاطًا ؛ وَحَرَّرَ لَهُ أَحْكَامَ الْحَرَمَةِ نَصَابًا جَلِيلًا وَأَسْتِنْبَاطًا ،
 وَضَمَّنَ لَهُ حُسْنَ الْعُقْبَى التَّرَامَا وَأَسْتِرَاطًا ؛ وَقَدْ عَقَدَ الْبَصْرَ بِطَرِيقِ رَحْمَتِكُمُ الْمُنْتَظَرَةَ
 الْمُرْتَقَبَةَ ، وَمَدَّ الْيَدَ إِلَى اللَّطَائِفِ بِشَفَاعَتِكُمُ الَّتِي تُكَفِّلُ بَعْتَقَ الْمَسَالِ كَمَا تَكْفَلْتُمْ بَعْتَقَ
 الرَّقَبَةِ ، وَشَرَعَ فِي الْمَرَاحِ بَمِيدَانِ نَعْمِكُمْ بَعْدَ اقْتِحَامِ هَذِهِ الْعَقَبَةِ ؛ لَمَّا شَنَفَتِ الْآذَانَ
 الْبَشْرِيَّ الَّتِي لَمْ يَبْقَ طَائِرٌ إِلَّا يَسْجَعُ بِهَا وَصَدَحَ ، وَلَا شِهَابٌ دُجْنَةٌ إِلَّا أَقْتَبَسَ مِنْ نُورِهَا
 وَأَقْتَدَحَ ، وَلَا صَدْرٌ إِلَّا أَنْشَرَحَ ، وَلَا غُصْنٌ عَطْفٌ إِلَّا مَرَّحَ ؛ بُشْرَى الْفَتْحِ الْقَرِيبِ ،

وخبر النصر الصحيح الحسن الغريب ، ونبأ الصنع العجيب ، وهداية السميع المحيب :
 فتح تلمسان الذى قلده المناير عقود الإبتهاج ، ووهب الإسلام منيحة النصر غنية
 عن الهياج ، وألحف الخلق ظلاً ممدوداً ، وفتح باب الحج وكان مسدوداً ، وأقر
 عيون أولياء الله الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، وأضرع بسيف الحق جباهها
 أئمة وخدوداً ؛ وملكم حق أبيكم الذى أهان عليه الأموال ، وخاض من دونه
 الأهوال ، وأخلص فى الصراعة والسؤال ؛ من غير كد يغمز عطف المسره ، ولا جهد
 يكد صفو نعم الله ؛ ولا حصر ينفض به المنجنيق ذوابته ، ويظهر بتكرار
 الركوع إنابته .

فالحمد لله الذى أقال العنار ، ونظم بدعوتكم الانتشار ؛ وجعل ملككم يحدد
 الآثار ويأخذ النار . والعبء بينى مولاه ، بما أنعم الله به عليه وأولاه ؛ وما أجدره
 بالشكر وأولاه ! فاذا أجال العبيد قداح السرور فللعبد المعلى والرقيب ، وإذا استهموا
 حظوظ الحدل فى القسمة الوافرة والنصيب ؛ وإذا اقتسموا فريضة شكر الله تعالى
 فى الحظ والتعصيب ؛ لتضاعف أسباب العبودية قبلى ، وتزاد النعم التى عجز
 عنها قولى وعملى ، وتقاصر فى آبتغاء مكافأتها وجدى وإن تطاول أملى ؛ فمقامكم
 المقام الذى نفس الكربة ، وآنس الغربة ، ورعى الوسيلة والقربة ؛ وأنعش
 الأرقام ، وفك الوثاق ، [وأدر الأرزاق ، وأخذ على الدهر بالاستقالة بالعهد والميثاق]^(١)
 وإن لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء ، ويمتثل بين يدي الخلافة العظيمة السنا
 والسنا ، ويمد بسبب البدار إلى تلك السماء ؛ فقد باشره اليد التى يمن مولاي
 لتذكر تقبلها ، ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الأبوية وتكملها ؛ ووقفت بين
 يدي ملك الملوك الذى أجال عليها القداح ، ووصل فى طلب وصالها المساء بالصباح .

وكان فتحه إياها أبا عُدرة الافتتاح ؛ وقلت يهنيك يا مولاي ردُّ ضالتك المنشوده،
 وخبر لَقَطَّتْكَ المعرَفة المشهُوده ؛ [ودالتك المودودة] ^(١) فقد آستحَقَّها وارثك الأرضي،
 وسيفك الأمضى ؛ وقاضى دينك ، وقرة عينك ؛ مستقْدُ دارك من يدِ غاصبها ،
 ورأد رتبك إلى مناصبها ؛ وعاصِرُ المَثوى الكريم ، وسِرُّ الأهل والحريم .

مولاي ! هذه تلمسانٌ قد أطاعت ، وأخبارُ الفتح على وِلدِكَ الحبيبِ إليك
 قد شاعت ، والأُممُ إلى هَنائه قد تداعت ؛ وعدوك وعدوه قد شرَدته الخَافه ،
 وأنصافَ إلى عَرَبِ الصحراءِ نَفَضَته الإضافة ؛ وعن قريبٍ نَحْكَمُ فيه يدُ آحتكامه ،
 ونُسَلِمُه السَلامَةَ إلى حِمَامِه ؛ فلتَطِبْ يا مولاي نَفْسُكَ ، وليستَبشِرْ رَمْسُكَ ، فقد مَتَّ
 بركك وزكى غرْسك . نسأل الله أن يُورِدَ على ضَرِيحِكَ من أنباءِ نصرِه ما تُفْتَحُ له
 أبوابُ السماءِ قُبُولًا ، ويُرادِفُ إليك مددا موصولًا ، وعددا آخرته خيرُك من الأولى ،
 ويعتريه بركةُ رضاك ظَنَمًا وحُلُولًا ، ويُضفي عليه منه سِترا مسدُولا .

ولم يقنع العبد بخدمته النَّثرُ ، حتى أجهد القريحة التي ركضها الدهرُ وأنصاها ،
 وأستشَفَّها الحادثُ الجَلَلُ وتقاضاها ؛ فَلَلقَ من خِدمة المنظوم ما يتعمد حلمك
 تقصيره ، ويكون إغضاؤكم إذا لقي معزة العتبِ وليه ونصيره ؛ وإحالة يا مولاي على
 الله في نفس جبرها ، ووسيلة عرفها مجده فما أنكرها ، وحرمة بصرِج مولاي والده
 شكرها ؛ ويطلع العبد منه على كمال أمله ، وتُنجح عمله ؛ وتسويغ مقترحه ، وتُميم
 مَطْمَحِه ، إن شاء الله تعالى :

[يا أبنَ الخِلايفِ ياسمىَّ مَجدٍ * يامنَ علاه ليس يحصر حاصرًا!
 أبشرفانت مجدُّ المَلِكِ الذى * لولاك أصبح وهو رسمٌ دائرًا!

مَنْ ذَا يُعَايِدُ مِنْكَ وَارِثُهُ الَّذِي * بَسُوعُودِهِ فَلَمَّكَ الْمَشِيئَةُ دَائِرًا
 أَلَقْتَ إِلَيْكَ يَدَ الْخِلَافَةِ أَمْرَهَا * إِذْ كُنْتَ أَنْتَ لَهَا الْوَلِيُّ النَّاصِرُ!
 هَذَا وَبَيْنَكَ لِلصَّرِيحِ وَبَيْنَهَا * حَرْبٌ مُضَرَّسَةٌ وَبَحْرٌ زَانِحٌ!
 مَنْ كَانَ هَذَا الصَّنْعُ أَوَّلَ أَمْرِهِ * حَسِبْتَ لَهُ الْعُقْبَى وَعَزَّ الْآخِرُ!
 مَوْلَايَ عِنْدِي فِي عِلَاكَ مَجْبَةٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ ضَمَائِرُ!
 قَلْبِي يَحْدِثُنِي بِأَنَّكَ جَائِرٌ * كَسَرِي وَحَظِّي مِنْكَ حَظٌّ وَافِرُ!
 بَشْرِي وَجُودِكَ قَدْ حَطَطْتُ قَرِيحَتِي * وَوَسَيْلَتِي لِعِلَاكَ نُورٌ بَاهِرُ!
 وَبَذَلْتُ سَعْيِي وَأَجْتَمَدِي مِثْلَ مَا * يُلْقَى الْمُلُوكَ سَيْفُ أَمْرِكَ عَامِرُ!
 وَهُوَ الْمَوْلَى الَّذِي آقَتَحَمَ الرَّدَى * وَقَضَى الْعَزِيمَةَ وَهُوَ سَيْفُ بَأْرُ!
 وَوَلِيُّ جَدِّكَ فِي الشَّدَائِدِ عِنْدَ مَا * خَذَلَتْ عُلَاهَهُ قِبَائِلٌ وَعِشَائِرُ!
 فَاسْتَهَدَ مِنْهُ الشُّجْعَ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ * فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ طَيْبٌ مَاهِرُ
 إِنْ كُنْتُ قَدْ عَجَّلْتُ بَعْضَ مَدَائِحِي * فَهِيَ الرِّيَاضُ وَالرِّيَاضُ بَوَا كَرُ^(١)

الطرف الرابع عشر

(فيا يختص بالأجوبة الصادرة عن الملوكة وإليهم)

والرسم فيه أنه إن كان الجواب صادرًا عن ملك، فالتعبير عن الملك بنون الجمع، وخطابُ المكتوب إليه بالكاف . وإن كان عن بعض أتباع الملك إليه ، فالتعبير عن المكتوب عنه بالخدام، أو العبد، أو المملوك ونحو ذلك ، ومخاطبةُ الملك بما تليقُ به مخاطبةُ الملوكة . ثم الجوابُ تارةً يكونُ الابتداء [فيه] بنفس وورود

(١) لم يذكر في الأصل ما أشار إليه من النظم وقد عثرنا عليه في "ريحانة الكتاب" فنقلناه منها استيفاء

المكاتبة ، وقد تقدّم في مثل ذلك في الكتب الصادرة عن الخلفاء أن المكاتبة
يبدأ فيها بلفظ عِرْض . أما الأجوبة المتعلقة بالملوك فإنه يقال فيها بدل عرض :
وصل ، أو ورد ، أو نحو ذلك .

ثم هي على ضربين :

الضرب الأول

(الأجوبة الصادرة عن الملوك إلى غيرهم، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في الأجوبة الصادرة عن ملوك المشرق، وفيه أسلوبان)

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكاتبة بلفظ: « كتابنا » و « وصل كتابك »)

ويذكر تاريخ الكتاب، ويشار إلى ما فيه، ثم يؤتى بالحواب إلى آخره، ويختم
بإسماحة الرأي في ذلك الأمر؛ كما كتب أبو إسحاق الصابى عن صمصام الدولة
إلى حاجب الحجاب أبي القاسم سعد بن محمد، وهو مقيم بنصيبين على محاربة
باد الكردى .

كتابنا ، ووصل كتابك مؤرخا بيوم كذا، تذكر فيه ماجرى عليه أمرك في الخدمة
التي نيّطت بكفائتك وغنائك ، ووكلت إلى تديرك ورأيك : من رد باد الكردى
عن الأعمال التي تطرّقتها ، وحدّث نفسه بالتغلب عليها ، وتصرفك في ذلك
على موجبات الأوقات ، والتردد بين أخينا وعدتنا أبي حرب زياد بن شهر الكويه
وبينك من المكاتبات ، وحسن بلائك في تحيفه ، ومقاماتك في حصّ جناحه ، وآثارك

في الأقتضاض على فريق بعد فريق من أصحابه ؛ وأضطرارك إياه بذلك وبضروب الرياضات التي آستعملتها، والسياسات التي سُست أمره بها، إلى أن نزل عن وُورة المعصية إلى سُهولة الطاعة، وأنصرف عن مجاهل الغواية إلى معالم الهداية ؛ وتراجع عن السوم إلى الأقتصار وعن السرف إلى الأقتصاد، وعن الإباء إلى الإقياد، وعن الإعتياص إلى الإذعان . وأن الأمر آستقر على أن قِلت منه الإنابه، وبذلت له فيما طَلَب الإستجابة ؛ وآستُعيد إلى الطاعة، وآستضيف إلى الجماعة، وتصرّف على أحكام الخدمه، وجرى مجرى من تضمه الجملة ؛ وأخذت عليه بذلك العهود المستحكمة والأيمان المغلظة ؛ وجددت له الولاية على الأعمال التي دخلت في تقليده، وضرت عليها حدوده ؛ وفهمناه .

وقد كانت كتبُ أختنا وعدتنا أبي حرب [زيد بن شهر الكويه] ^(١) مولى أمير المؤمنين ترد علينا، وتصل إلينا؛ مشتملة على كتبك إليه، ومطالعاتك إياه؛ فنعرف من ذلك حسن أثرك وحزم رأيك ؛ وسداد قولك ، وصواب آعتادك ؛ ووقوع مضار بك في مفاصلها، وإصابة مراميك أغراضها؛ وما عدوت في مذهبك كلها، ومتقلباتك بأسرها؛ المطابقة لإيثارنا، والموافقة لما أمرت به عنا ؛ ولا خلت كتبُ أختنا وعدتنا أبي حرب من شكرٍ لسعيك، وإحمادٍ لأثرك؛ وثناءٍ جميل عليك، وتلويح وإفصاح بالمناصحة الحقيقة بك ، والموالة اللازمة لك ؛ والوفاء الذي لا يُستغرب من مثلك، ولا يُستكثر من حلّ في المعرفة محلك ؛ ولئن كنت قصدت في كل نهج آستمررت عليه، ومعدّل عدلت إليه؛ مكالفة هذا الرجل ومرامته، ومصابرةً ومنازلته ؛ والتماس الظهور عليه في جميع ما تراجعته من قول ، وتنازعته من حد ؛

(١) الزيادة من مختارات الصابي الخطية .

فقد أجمع لك إلى إحمادنا إياك ، وأرضائنا ما كان منك ، المنةُ عليه إذ سَكَّنت جاشه ، وأزلتَ آستيجاشه ؛ وأستلثته من دنس [لباس] ^(١) المخالفه ، وكسوته من حُسن شعار الطاعة ؛ وأطلت يده بالولايه ، وبسطت لسانه بألججه ؛ وأوفيت به على مراتب نظرائه ، ومنازل قُربائه ؛ حتى هابوه هيبة الولاه ، وأرتفع بينهم عن مطارح العُصاه .

فالحمدُ لله على أن جعلك عندنا محمودا وعند أخينا وعدتنا أبي حرب مشكورا ، وعلى هذا الرجل مانا وفي إصلاح ما أصلحت من الأمر مثابا ماجورا ؛ وإياه نسال أن يُجرى علينا عادته الجارية في إظهار راياتنا ، ونُصرة أوليائنا ؛ والحكم لنا على أعدائنا ، وإنزالهم على إرادتنا ؛ طوعا أو كرها ، وسلبا أو حربا ؛ فلا يخلو أحدٌ منهم أن تحيط لنا بعُنقه رِبقةُ أسر ، أو مِنَّةُ عفو ؛ إنه جلُّ ثناؤه بذلك جدير ، وعليه قدير . ويجب أن تُنفذَ إلى حضرتنا الوثيقة المكتتبه على بادِ الكردي إن كنت لم تُنفذها إلى أوإن وصول هذا الكتاب : لتكون في خزاننا محفوظه ، وفي دواويننا منسوخه ؛ وأن تُصرف في أمر رسله وفي بقية [ان كانت بقيت من أمره] ^(١) على ما يرئمه لك عنا أخونا وعدتنا أبو حرب ، فرأيك في العمل على ذلك ، وعلى مطالعته بأخبارك وأحوالك ؛ وما يحتاج إلى عمله من جهتك موقفا ، إن شاء الله تعالى .

الاسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بلفظ : «وصل كتابك»)

والأمر في ترتيبه على نحو ما تقدم في الأسلوب الذي قبله .

كما كتب أبو إسحاق الصابي عن صمصام الدولة أيضا إلى أبي العلاء عبيد الله ابن الفضل في جواب كتابه الوارد عليه بالظفر بأهل الاقتباس ما صورته :

(١) الزيادة من "مختارات الصابي" .

وصل كتابك - أدام الله عزك - المؤرخ بوقت الظهر من أمسنا وهو يوم كذا،
تذكر ماسهله الله لك، وأجراه على يدك؛ ويمن تديرك، وبركة خدمتك: من الإيقاع
بالعصاة أهل الاقتباس، وإذاقتهم وبال ما كانوا عليه: من خلع الطاعة، وشن
الغارة وأستباحة المحارم، وأرتكاب العظام؛ وإيخانك فيهم قتلا وأسرا، وتشريدا
وتشتيتا؛ وفهمناه وحمدنا الله عليه، وشكرنا ما أولى فيه، وحسن منا موقع أثرك،
وتضاعف فيه جميل معتقدنا فيك ولك؛ وأرتضينا فعل الأولياء في الخفوف إليه،
والمناصحة فيه؛ وسبيلك أن تبحث عن أموال هؤلاء القوم وتُمَرَّها، وتستدركها
وتحصّلها، وتكتب بما يصح منها؛ وتقدم بقص أمير الهارين حتى تلحقهم بالهالكين،
وتشيع الرهبة في سائر شقيّ الفترات، وتوخي طوائف الأشرار والخرباب، ومخيفي
السبل والساعين في الفساد بالتبع لهم ووضع اليد عليهم؛ فإن بحسب النكاية في أهل
الجهل والدعارة سُكون أهل السلامة والأستقامة؛ فرأيك في العمل بذلك والمطالعة
بما يوفّقك الله له مستأنفا من مثل هذا الفعل الرشيد، والمقام الحميد؛ وبسائر
الأمر التي تترى عنها وتحتاج إلى معرفة مجاريها، موقفا إن شاء الله تعالى والسلام.

الجملة الثانية

(في الأجوبة الصادرة عن ملوك الديار المصرية من وزراء الخلفاء الفاطميين

القائمين مقام الملوك الآن فمن بعدهم)

والذي وقفت عليه منه أسلوب واحد، وهو الأفتتاح بالفظ: «وصل».

كما كتب بعض كُتاب الدولة الفاطمية عن بعض وزراء الحافظ إلى امين الدولة

زنكي كشتكين ماصورته:

وصل كتابك أيها الأمير الأجل الدال على مصالحته ، المُعربُ عن مناصحته ، الشاهد له
 بمؤنل الحُطوة والأثره ، والموضح من أفعاله وخِلاله مالم تزل قضيته مرتسمة في النفوس
 مَمَّوَّره ، وعرضنا ما أقرن به من مطالعة المقام المقدس النبوي الحافظي - ضاعف
 الله أنواره ، وشاد مناره ، وأعز أشياعه وأنصاره - وشفعناه من الثناء على الأمير
 الاسفَهسلار بما لم تزل عادتنا جارية به مع من نعلم طاعته ، وتحقق مشايعته ؛
 ونرى باطنه يضاهاى ظاهره ، وسره يوافق علانيته ؛ ووقفنا على ما أنهاه من حال
 الفرج المشركين الملعونين ، وما كان من نعم الله تعالى من الظفر بهم ، والإدالة منهم ،
 والخفض من منارهم ، والتقويض لغمارهم ، والإبادة لغارسهم وراجلهم ، وإرشاد
 السيوف والسهام إلى مقائلهم ؛ وتطهير الأرض منهم بدمائهم ، والإحاطة بهم
 عن أيمنهم وشمالهم ، ومن أمامهم وورائهم ؛ فابتهجنا بذلك الابتهاج الذى يوجه
 التوحيد ، وآتهى بنا السرور إلى الحد الذى ما عليه مزيد . على أننا كما نود أن يكون
 ذلك بصفاحنا وأسنننا ، وأن يثبت الله لنا فى صحيفتنا ؛ وإنا لراجون من نعم الله عندنا ،
 وإحسانه إلينا كما عودنا ، أن يكون من بقى من المذكورين بنا مستأصلا ، ويكون
 أجزهه الخاتمة لنا حاصلًا . وقد عزم الله لنا عدد ووقفنا على كتابه ، بما خرج به أمرنا
 إلى جميع من بأعمال الدولة الحافظية خلد الله ملكها . بعيدها ودانها ، وقصبيها ونائبيها
 من العساكر المظفرة المؤيده ، وقبائل العربان المستخاضه ؛ وكافة الطوائف
 على اختلاف أنواعها ، وتباين أجناسها ؛ وتفاوت منازلها ، وتغاير مراتبها ؛ بأن ينفروا
 خفافا وثقالا ، ورُجُبا ورجالا ؛ بقوتهم وتجدتهم ، ووفور عدهم وعدتهم ، وكثرة
 الاتيم وأسلحتهم ؛ وبالغزوات الماضية ، والضامرات الخالصة ؛ والنيات المستدقة ،
 والعقائد المتفقه ، وفسحنا للتطوعة أن يختلطوا بالمرتزقه ؛ وأمرناهم بمسيرهم متتابعين ،
 وتوجههم مترادفين ؛ وأن يكونوا كائب متنصره ، ومحافل متواتره ؛ وعساكر متواليه ،

لا ترى الأرض منها إلى العدو خالٍ به ، ومن الله نطلبُ مادةَ العون والإسعاد ، ونسأله توفيقاً لما يقضى بتضاعف أجرنا في العاجلة والمعاد . وقد شكرنا الأمير الأسفهم لاركون ما أنهاه سببا لهذه الغنيمة المتوقعة من فضل الله وإحسانه ، والنصرة لدينه التي تؤملها من جزيل كرمه وأمتان به ، وأضفنا ما اقتضته مطالعته من جَدَانَا وَغِبَطَانَا ، إلى المستقر عندنا من محبته لنا ، وإيثاره الذي لا يحتاج فيه إلى زيادة على معرفتنا ؛ فليعلم هذا وليعمل به . إن شاء الله تعالى .



وكما كتب القاضي الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى صاحب مكة المشرفة ، جواباً عن كتاب ورد منه عليه في معنى ووصول غلال بعث بها إلى مكة ماصورته :

وصل كتابك ، أيها الشريف مُعرباً عن المشايعة الشائعة أنبأؤها ، والمخالصة الخالصة أسرارها الوافرة أنصباؤها ؛ وحسان الخلال ، التي آتسم طرقِ الحمد إعادتها وإبدائها ، ومكرّمات الآل ، التي تساوى في آقتناء المجد أنبأؤها وآبأؤها ؛ وفضائل الإفضال ، التي لا تحف على غير أهل العباء صلوات الله عليهم أعبأوها . ونشر كتابك من محاسنك ما أنطوى ، ووردنا منه منبهاً أروى وأردّه وأرآوى ؛ ووقفنا منه على أثر فضل أشتمل على عين الكرم وأحتوى ، ووقفنا وإياه من الحمد ما لا تخلفه نحن ولا هو مكاناً سوى ؛ فاقتضانا مزيداً في رفع قدره ، وأختصاصه من الإنعام بكل غريب الموقع نذره ، وأصرنا كتابه إلى مستقر كاتبه من قلب الودّ وصدره ؛ وكيف لا يكون ذلك وقد أشخرت لبيته الأنساب ، وخرت الأنصاب ، وسجدت الرقاب ، وردت له بعد ماتوارت بالحجاب ، وشهد بفضل توقيعهم الحرب وبفضل ليلهم المحراب .

فأمّا ما أشار إليه من الشكر على ما سير من الغلات التي كان الوعد بها علينا نذراً ، وروحنا بإرسالها قلباً وشرحنا بتسييرها صدراً ؛ وأنها حلت ربة الجذب وفكتها ،

وَجَلَّتْ هَبْوَةُ التَّحْطُطِ وَكَفَّتْهَا ؛ وَهَوَّنَتْ مَصَابِعَ الْمَسَاغِبِ ، وَخَلَفَتْ سَوَاحِبَ السَّحَابِ ، وَأَطْفَأَتْ - وَبِاللَّهِ الْحَمْدُ - بَوَارِ النَّوَائِبِ ؛ فَقَدْ سُرِّرْنَا بِحَسَنَاتِنَا جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ تَسْرِهِ الْحَسَنَةَ ، وَقَدْ نَبَّهْنَا مِنْ سِنِينَا لِأَنَّ نَسْتَقْبِلَ بِالْحَمْدِ لَوْلَى السَّنَةِ ؛ وَقَدْ قَوَّى النِّيَّةَ وَقَوْمَهَا ، وَأَسْتَرَادَ لَمْ بِلِسَانِ الشُّكْرِ الْفَصِيحِ ، وَتَنَاوَلَ لَمْ بِبَاعِ التَّلَطُّفِ الْفَسِيحِ ، وَأَلْفَحَ لَمْ بِسَحَابِ عَمَلِهِ مِنْهَا مَحَلٌّ مُلْتَحِجًا مِنَ الرَّيْحِ ؛ وَأَقْتَضَى مَا يَبْعُرُضُهُ أَنْ نَحْرَجَ الْأَمْرَ بِأَنْ يَضَاعَفَ الْحَمُولُ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَا يُحْصَى بِهِ خَاصُّ دُونَ عَامٍ ؛ وَأَمَرْنَا أَنْ يُوَفَّرَ جَلْبُ الْجَلَّابِ ، وَتُوَقَّرَ ظُهُورُ الرِّكَابِ ، لِيُجْمَعَ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَبَيْنَ حَمْلِ الْبَطْنِ وَالظَّهْرِ ؛ فَتَظَلَّ السَّنَةُ دُودًا وَوُدًا ، وَيُشَاهَدُ الْمَحَلُّ الشَّرِيفُ وَقَدْ نَأَى عَنْهُ الْمَحَلُّ شَرِيدًا ؛ وَتُحْطُّ الْقُلُوعُ عَمَا يُحْطُّ عَنْهُ أَمْثَالُهَا مِنَ السَّحَابِ ، وَتَسْتَرِيحُ الْأَنْفُسُ لِلْوَاغِبِ ، فَأَمَا مَا أَلْقَاهُ إِلَى رَسُولِهِ ، فَقَدْ أَسْمَعَ مَا أَسْنَدَهُ إِلَيْهِ ، وَأُعِيدَ بِمَا يُعِيدُهُ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ تَكَاثَرَتْ بَوْلَاءَ الشَّرِيفِ الْأَشْهَادِ ، فَغَنَى عَنِ الْأَسْتِمَادِ ، وَأَغْنَتْهُ الْحُطُوةُ بِجَمِيلِ رَأْيِنَا عَمَا نَأَى أَخْذَهُ لَشَفْعَةِ الْعَطَاءِ بَلْ لَشَفَاعَةِ الْأَجْتِهَادِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الجملة الثالثة

(في الأجوبة الصادرة عن ملوك القرب)

وهي على النحو المتقدم ، وربما صدر بلفظ : « قد » ونحوها .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة عن بعض ملوكهم في جواب كتاب ورد عليه

بطاعة بلد .

قد وصل كتابكم - وصل الله معونتكم وكلاءكم - تذكرونا ما تقرّر عندكم

هنالك من أحوال تلك الجهة ، وباشتموه من أمورها ؛ وأتم عندنا بمحل الصدق ،

ومكان الإيثار للحق . وقد رسمنا لكم أن تثبتوا في أهل تلك الجهات كلها حميد الرأي

فيهم ، وحسن القبول لإنايتهم ، وقصد الرفق بخاصتهم وعامتهم ، وأنا قد تقبلنا أو تبهم ،
 وأغفرنا زلتهم ؛ وأوليكم المشبثون بسبب الذمام ، عرفوهم أنكم رغبتم في شمول الصفح
 عنهم ، والإقالة لما كان منهم ؛ فأسعفنا رغبتم فيهم ، وأدخلناهم في العقوم مع غيرهم ؛
 وبدلنا لهم الأمان ، وأغضينا عن جميع ما كان ؛ فعرفوهم بهذا كله ، وأخبروهم عننا
 بإعطاء التامين لجميعهم وبدله ؛ وإن كان أطيب لنفوسهم أن يصلهم مكتوبٌ بذلك
 عرفتمونا ، ووجهناه إليكم . وأقيموا أتم هنالك أياما خلال ما يصلكم من مُتثاقِل
 الأحوال ما تطالعون به ، وتحاطبون بما تعتمدونه إن شاء الله تعالى . أدام الله كرامتكم .
 أشرتم في خطابكم إلى أن عندكم من تلك الأحوال ما تذكرونه مشافهةً ، وربما
 يكون ذلك أمدا يبنى عليه نظر ، أو يتوجه بحسبه عمل ؛ فمن الجيد أن تكتبوا
 بشرحه ، إن شاء الله تعالى والسلام .

الضرب الثاني

(الأجوبة الواردة على الملوك)

وهي على نحو ما تقدم في الأجوبة الصادرة عن الملوك من الابتداء بلفظ :
 «وصل» إلا في الخطاب ، فإن المكتوب عنه يقع الخطاب منه بـ «الخدم أو المملوك
 أو العبد» . ويخاطبُ الملك المكتوب إليه بمولانا أو مولانا الملك أو نحو ذلك ؛
 وربما كتب بدل وصل : ورد .

كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» في جواب
 كتاب ورد عليه مخبرا فيه بالحركة للقاء العدو ما صورته :

ورد على الملوك - أدام الله أيام المجلس العالي المملكي الناصري - ونصره على أعدائه ،
 ومملكه أرضه بعدل حكم سمائه ، ولا أخلى من نعمتي خيره ونظره قلوب وعيون

أوليائه، وأعرز الإسلام ورفع عن أهله البلوى بلوائه . الكتب القديمة التي تسر الناظرين من شعارها الأصفر، وتبشر الأولياء إن كانوا غائبين مع الغيب بأن حظهم حاضر مع الحضر؛ وقد كانت الفترة قد طالت أيامها، وأستطالت آممها، والطرقاات قد سبق إلى الأنفس إبهامها .

فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وأولى من النعمة ما أشتري الحمد بلا تمن؛ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . ووعد [الله] سبحانه منتظر، إذ يقول في كتابه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ . وصدق صلى الله عليه وسلم في قوله : "إِنَّ أَخْتِيَارَ اللَّهِ لِلزُّمَيْرِ خَيْرٌ مِنْ اخْتِيَارِهِ، وَإِنَّ مَوَاضِعَ الْأَمَلِ لِلْعَبْدِ خَيْرٌ مِنْهَا مَوَاقِعُ أَفْضِيَةِ اللَّهِ وَأَقْدَارِهِ" . فقد كانت حركة أحتاجت إليها البلاد التي انفصل عنها، والبلاد التي قدم عليها . أما المصرية منها فبكونها على عدة من تجده آجلا، وأما الشامية فبكونها على ثقة من نصره عاجلا؛ فقد تأسكت من المسلمين الأرماق، وقد أقطعت من المشركين الأعناق :

تِهَابُ بكَ الْبِلَادُ تُحُلُّ فِيهَا * وَلَوْلَا اللَّيْثُ مَا هَيْبَ الْعَرِينُ!

وعرض المملوك ما وصل إليه من مكاتبات المولى على العلم العادى وأدركها تحصيلا، واحاط بها جملة وتفصيلا؛ والمولى - خلد الله ملكه - فكل ما أشار إليه من عزيمة أباها، ونية أمضاها، فهو الصواب الذى أوضع الله له مسالكه، والتوفيق الذى قرب الله عليه مداركه؛ ومن أطاع الله أطاعه كل شئ، ومن استخاره بين له الرشد من النجى؛ والله تعالى يجعل له من كل حادثة نحو^(١)ه، ويكتب أبعره فى كل حركة ونفس وخطوه . إن شاء الله تعالى .

(١) النخوة العظيمة

القسم الثاني

(المكتباتُ الصادرةُ عنهم إلى ملوك الكُفْر، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في الأبتداءات، وفيه ثلاثُ جمل)

الجملة الأولى

(في المكتبات الصادرة إليهم عن ملوك بلاد الشرق من بنى بويه فمن بعدهم)

وقد كان الرسم فيها أن تُفتَح المكتبة بلفظ "كتابي أو كتابنا إلى فلان" ويخاطب المكتوب إليه بملك الروم أو نحو ذلك، ويختتم بقوله: فإن رأى ذلك فعل إن شاء الله تعالى.

كما كتب أبو إسحاق الصابي عن القائد أبي الفوارس ختور التركي المعزى، إلى وردس بن قنبر المعروف بعسقلاروس.

[كتابي إلى] ملك الروم الفاضل، الجليل، النبيل، الخطير، أدام الله كفايته وسلامته، ونعمته وسعادته، وعافيته وحراسته. من الحضرة الجليلة بمدينة السلام ثمان ليالٍ خلون من ذى الحجة سنة تسع وسبعين وثلثمائة، وهو اليوم التاسع من أذار، عن شمول السلامه، وعموم الأستقامه، وصلاح حالي في ظل الدولة المنصوره. والحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً.

ووصل كتاب مولانا ملك الروم الفاضل الجليل الصادر عن العسكر بمرج لارضة بتاريخ التاسع من حزيران، وفهمته وجلّ عندى موقعه، وعظّم في نفسى خطرُه،

وَحَدَّثَ اللهُ عَلِيَّ مَا شَهِدَ بِهِ مِنْ أَنْتِظَامِ أَحْوَالِهِ ، وَأَطْرَادِ أُمُورِهِ ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يَتِمَّ النِّعْمَةَ عَلَيْهِ ، وَيَزِيدَ فِيهَا لَدَيْهِ ، وَيُؤَاصِلَ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ ، وَيُطِيلَ مَدَّتَهُ ، فِي أْتَمِّ رَشْدٍ وَهَدَايَةٍ ، وَأَرْفَعَ قَدَمٍ وَمَنْزِلَةٍ ، وَأَعْلَى خَطَرٍ وَرَتْبَةٍ ، بِمَنَّةٍ وَطَوْلِهِ ، وَجُودِهِ وَبِحَمْدِهِ .

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ : مِنْ مُقَامِهِ عَلَيَّ الْعَهْدِ ، وَاقْتِقَارِهِ إِلَيَّ الْمِيلِ وَالْوُدِّ ، فَذَلِكَ يَوْجِبُ فَضْلَهُ الْبَارِعَ ، وَكِرْمَهُ الشَّائِعَ ، وَخِلَالَ الْخَيْرِ الَّتِي أَهْلَهُ اللهُ لَهَا ، وَخَصَّهُ اللهُ بِهَا ، وَبِاللَّهِ أَحْلَفُ إِنِّي مَا خَلَوْتُ مِنْذُ اقْتَرَقْنَا مِنْ مَطَالَعَةِ أَخْبَارِهِ ، وَتَبِعُ آثَارِهِ ، وَأَسْتَعْلَمُ مَجَارِي شُؤْنِهِ ، وَالسَّرُورِ بِكُلِّ مَا تَمَّ لَهُ وَوَصَلَ إِلَيْهِ ؛ حَتَّى كَأَنِّي حَاضِرُهُ ، وَضَارِبٌ بِأَوْفَرِ سَهْمٍ فِيهِ ، بَلْ مَخْصُوصٌ بِجَمِيعِهِ . وَاللَّهُ يُجْرِيهِ عَلَيَّ أَحْسَنَ مَا أَوْلَاهُ وَعَوَّدَهُ ، وَلَا يُخْلِيهِ مِنَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ فِيمَا أَعْطَاهُ وَقَلَّدَهُ ، بِرَحْمَتِهِ .

وَكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَ وُرُودِ رَسُولِي فِي الدَّفْعَةِ الْأُولَى عَلَيَّ غَايَةَ النِّعَمِ وَشُغْلَ الْقَلْبِ بِسَبَبِ الْغَدْرِ الَّذِي لَحِقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي أَظْفَرَهُ اللهُ بِهِ ؛ وَأَنْهَيْتُ ذَلِكَ فِي وَقْتِهِ إِلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْمَاضِي ، شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَزِينِ الْمُلْكِ ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . فَاشْتَغَلَ قَلْبُهُ - رَحِمَهُ اللهُ - بِهِ ، وَعَمِلَ عَلَيَّ إِتْقَانًا الْعَسَاكِرَ لِنُصْرَتِهِ ؛ ثُمَّ أَتَى مِنْ قِضَاءِ اللهِ فِي أَمْرِهِ مَا قَدَّ عَرَفَهُ .

وَلَمَّا أَنْتَصَبَ فِي الْمَمْلَكَةِ مَوْلَانَا السَّيِّدُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَضِيَاءُ الْمُلْكِ - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ - شَرَحْتُ لَهُ مَا جَرَى قَدِيمًا عَلَيَّ سِيَّاقَتِهِ ، وَمَهَّدْتُ الْحَالَ عِنْدَهُ ، وَوَجَدْتُهُ - أَدَامَ اللهُ سُلْطَانَهُ - مَعْتَقِدًا لِسَيِّدِنَا مَلِكِ الرُّومِ الْجَلِيلِ - أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ - أَفْضَلَ آعْتِقَادٍ ، وَسُرَّ بِمَا أَنْتَهَتْ إِلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَتَجَزَّتْ الْكُتُبُ إِلَى مُوَصِّلِهَا الرَّسُولَ حَفِظَهُ اللهُ ؛ وَسَمِعْتُ مِنْهُ مَا كَانَ تَحْمَلُهُ عَنِ سَيِّدِنَا مَلِكِ الرُّومِ أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ ، وَأَخْرَجَتْ مَعَهُ صَاحِبِي أَبَا الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، وَحَمَلْتَهُمَا جَمِيعًا مَا يُنْبِئَانِي بِهِ فِي سَائِرِ الْأُمُورِ الَّتِي يَرَى عَرَضُهَا وَيَحْتَاجُ إِلَيَّ مَعْرِفَتِهَا .

وأنا أسأل سيدنا الملك الجليل - أدام الله بركته - تعجيل رده إلى ، فإنه ثقتى ،
ومن أسكنُ إليه في أمورى ؛ وأن يتفضلَ ويكفِّنى حوائجِه ومهمَّاته ، وأمره ونهيه
لأقوم في ذلك بالحق الواجب له ، فان رأى سيدنا ملك الروم الفاضل الجليل ،
الخطير النبيل ؛ أن يعتمدى من ذلك بما يتضاعف عليه سُكرى ، وتجلُّ النعمةُ فيه
عندى ، ويشاكل الحالَ بينه وبينى ، فعل إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية إليهم)

والذى وقفتُ عليه من ذلك أسلوب واحد : وهو الأبتداء بـ «أما بعد» والخطابُ
فيه بالملك ، والأختتامُ بالدعاء .

كما كتب القاضى الفاضلُ عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى بردويل
أحد ملوك الفرنج ، وهو يومئذ مستولٍ على بيت المقدس وما معه ، معزياً له في أبيه
ومهنئاً له بجلوسه في المُلْك بعده ، ماصورته :

أما بعد - خصَّ الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالحدِّ الصاعد ، والسَّعد
الساعد ؛ والحظُّ الزائد ، والتوفيقِ الوارد ؛ وهنأه من ملك قومه ماورثه ، وأحسن
من هداه فيما أتى به الدهرُ وأحدثه ؛ فإن كتابنا صادرٌ إليه عند ورود الخبر بما ساء
قلوبَ الأصْدَاقِ ، والنَّعيِ الذى وِدَدْنَا أَنْ قائله غيرُ صادق ؛ بالملك العادل الأعزَّ
الذى لقاَه اللهُ خيرَ مالٍ مثله ، وبلغَ الأرضَ سعادته كما بلغه محلّه ؛ معزِّباً بما يجب فيه
العزاء ، ومتأسِّفٌ لفقده الذى عظمت به الأرزاء ؛ إلا أن الله سبحانه قد هون
الحادث ، بأن جعل ولده الوارث ؛ وأنسى المصاب ، بأن حفظ به النَّصاب ، ووهبه

(١) جمع جمع لصديق مفردة أصدقا .

النعمتين : الْمَلِكَ وَالشَّبَابَ ؛ فهيناً له ما حاز، وسقياً لقبر والده الذي حَقَّ له الفداء لو جاز ؛ ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين أدام الله سلامته قائماً عنا بإقامة العزاء من لسانه ، ووصف مانالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وحلُّ مكانه ؛ وكيف لا يستوحش ربُّ الدار لفرقة جيرانه . وقد آستفتحنا الملك بكتابنا وارتبادنا ، وودنا الذي هو ميراثه عن والده من وِدادنا ؛ فليلقَ التحيةَ بمثلها ، وليأتِ الحسنةَ ليكون من أهلها ؛ وليعلم أناله كما كنا لأبيه : مودَّةً صافيةً ، وعقيدةً وافيةً ، ومحبةً ثبت عقدها في الحياة والوفاء ، وسريرةً حكمت في الدنيا بالمُوافاه ؛ مع مافي الدِّين من المخالفات . فليسترسل إلينا آسترسال الواثق الذي لا يُججل ، وليعتمد علينا آعتياد الولد الذي لا يجمل عن والده ماتجمل ؛ والله يُديم تعميره ، ويحرس تأميره ؛ ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويُلهمه تصديق ظنِّ الصديق .

الجملة الثالثة

(في الأجوبة الصادرة إليهم عن ملوك الغرب)

والرسم فيه أن تفتح المكاتب بلفظ : « كتابنا » والمخاطبة بنون الجمع عن المكتوب عنه وميم الجمع عن المكتوب إليه ، والأختتام بالسلام مع الدعاء بما يليق .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة عن أبي جَمِيل زِيَّان ، إلى ملك قشتالة من بلاد الأندلس في مُراودة الصلح :

كتابنا إليكم - أسعدكم الله برضاه ، وأدام عزكم وكرامتكم بتقواه - من مُرسية ، ونحن نحمد الله الذي لاشىء كمثلُه ، ونلجأ إليه في أمرنا كُلِّه ، ونسأله أن يوزعنا شكري إحسانه وفضلِه - وعندنا لجانباكم المُرفَع تَكْرِمة نستوفيها ، ومبرة ننتهي إلى الغاية فيها ، وعلمنا

بِحَلَمِكُمُ الشَّهِيرِ، وَكِتَابِكُمُ الحَطِيرِ، يَسْتَدْعَى الزِّيَادَةَ مِنْ ذَلِكُمْ وَيَقْتَضِيهَا؛ وَقَدْ كَانَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الْمُعْتَادِ، وَجَمِيلِ صُنْعِهِ فِي أَنْتِظَامِ الكَلِمَةِ فِي هَذِهِ البَلَادِ، مَا أَكْتَفَيْتُهُ العِضْمَةَ، وَكَلَّمْتُمْ بِهِ النِّعْمَةَ وَالْمِنَّةَ؛ وَتَيَسَّرَ بِمَعُونَةِ اللَّهِ فَتَحَّ أَقْرَبُ العَيُونِ، وَرَضِيَهُ الإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ مَطَالَعَتُكُمْ بِهِ مِمَّا آمَنَّا تَقْدِيمَهُ، وَرَأَيْنَا أَنْ نَحْفَظَ مِنَ الأَسْبَابِ المَرْعِيَّةِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالجَمَلَةِ [حَدِيثِهِ وَقَدِيمِهِ] وَحِينَ تَرَجَّحَتْ خِطَابَتُكُمْ مِنْ هَذَا المَكَانِ، وَمَفَاوِضَتُكُمْ فِي هَذَا الشَّانِ؛ رَأَيْنَا مِنْ تَكَلُّمِ المَبْرَةِ، وَتَوْفِيَةِ العِنَايَةِ البَرَّةِ؛ أَنْ نُنْفِذَ إِلَيْكُمْ مِنْ يُشَافِيهِكُمْ فِي هَذَا المَعْنَى، وَيَذَكِّرُ مِنْ قَصْدِنَا مَا نُؤَلِّعُ بِهِ وَنُعْنِي؛ وَهُوَ فُلَانٌ فِي ذِكْرِ السَّلْمِ وَمَحَاوَلَتِهَا، مَا يَتَأَذَى مِنْ قِبَلِهِ عَلَى الكَمَالِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنْ رَأَيْتُمْ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِكُمْ، أَنْ تَوَجَّهُوا زِيَادَةً إِلَى مَا تُنْقُوهُ إِلَيْهِ مِنْ رِجَالِكُمْ وَخَاصَّتِكُمْ؛ فِي مَعْنَى هَذَا العَهْدِ وَإِحْكَامِهِ، وَمَحَاوَلَتِهِ وَإِبْرَامِهِ؛ فَعَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا نَرْتَقِبُ أَثَرَهُ، وَنَصْرِفُ إِلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ أَوْفَاهُ وَأَوْفَرَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَهُوَ المَوْفُوقُ لِأَرْبِّ سِوَاهُ، وَالسَّلَامُ الأَتَمُّ عَلَيْكُمْ كَثِيرًا.

الطَّرْفُ الخَامِسُ عَشَرَ

(المكاتبات الصادرة إلى ملوك الكفر في الأجوبة [وهي] إما أن تصدَّر بما يصدَّر به الأبتداء وقد تقدَّم، وإما أن تصدَّر بلفظ وصل أو ورد)

كما كتب بعضُ كُتَّابِ الدَّوْلَةِ الأيوبيَّةِ عَنِ المَلِكِ الجَوَادِ: أَحَدُ مَلُوكِهِمْ، فِي أَيَّامِ المَلِكِ الكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ العَادِلِ أَبِي بَكْرٍ، جَوَابَ كِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ فِرَانِكِ: أَحَدُ مَلُوكِ الفَرَنْجِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسِتَّمِائَةَ:

وردت المكتبة الكريمة الصادرة عن المجلس العالى، المولى، الملك، الأجل، الأعز
الكبير، المؤيد، الخطير، العالم العامل، الظهير، العادل، الأوحد، المجتبي، شمس الملة
النصرانية، جلال الطائفة الصليبية، عضد الأمة الفرنجية، نحر أبناء المعمودية،
عمدة الممالك ضابط العساكر المسيحية، قيصر المعظم فلان معز إمام روميه، ثبت
الله لديه نعمه، وعزز موارد جوده وديمه، وأمضى صوارم عزائمه وأعلى هممه،
ولا برحت أنوار سعده، نتللا، وأخبار مجده، تبسط وتعالى، وسحاب الألسنة
الناطقة بمجده تستهل وتتوالى؛ إلى أن يتحلل جيد الضحى بعقود الليل، وتطلع
الشعري من مطالع سهيل - بجدد الثناء على جلاله، وأكد المدح لإحسانه وإفضاله؛
وأنقَس أسباب المودة والحصافه، وشدت أواصي الإخلاص والموافاة فاستبشرت
النفوس بوروده، وسرت القلوب بوفوده؛ ووقف منه على الإحسان الذى نعرفه،
ووجد عقده مشتملاً على جواهر الوداد الذى نألفه؛ فشكر الله على هذه الألفة
المنتظمة، والمحبة الصادقة المكرمه . والمجلس العالى الملك الأجل أعلى الله قدره،
ونشر بالخير ذكره، أولى من أهدى المسرات، بورود المراسم والحاجات، ووصل
الأنس بكرم المكتبات، مضمنة السوانح والمهمات .

فأما ما ذكره المقام العالى الساطنى المسمى الكامل الناصرى - زاده الله شرفا
وعلوا - من أنه لا فرق بين المملكتين، فهذا هو المعتقد فى صدق عهده، وخالص
وده؛ ولا زال ملكه عالياً، وشرفه نامياً، إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية ، على ما استقر عليه الحال من ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا على رأس الثمانمائة ، مما أكثره مأخوذةً من ترتيب الدولة الأيوبية التي هي أصل الدولة التركية ، وفيه [ثلاثة] أطراف)

الطرف الأول

(في المكاتبات الصادرة عنهم إلى الخلفاء من بني العباس)

قد تقدّم في الكلام على المكاتبات الصادرة عن الملوك إلى خلفاء بني العباس أنها على أساليب في ابتداء المكاتبات : منها ما يفتتح بآية من القرآن الكريم ثم بالسلام ؛ ومنها ما يفتتح بالسلام ابتداءً ؛ ومنها ما يفتتح بالصلاة على الخليفة على مذهب من يرى جواز إفراز غير الأندياء بالصلاة ؛ ومنها ما يفتتح بالدعاء لديوان الخلافة .

ولكن الذي ذكره المقتر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف بالمصطلح الشريف " مما الحال . مستقرّ به أن المكاتب إلى ديوان الخلافة الشريفة : «أدام الله أيام الديوان العزيز ، المولوى ، السيّدى ، النبوى ، الإمامى ، الفلانى» ثم الدعاء المعطوف ، والصدر بالتعظيم المألوف ؛ وأنها قد تفتتح بغير هذا الدعاء نحو : «أدام الله سلطان» و«خلد الله سلطان» أو «أيام» أو غير ذلك مما يقتضى العزّ والدوام . وأن الصدر نحو : «العبد ، أو المملوك ، أو الخادم ، يقبل الأرض أو العتبات أو مواطنه الموافق» أو غير ذلك . وأنّ ختم الكتاب يكون تارةً بالدعاء ، وتارةً بـ«طالع أو أنهى»

أو غيرهما مما فيه معنى الإنهاء . ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز، وبالمواقف المقدسة أو المشرفة، والأبواب الشريفة، والباب العزيز، والمقام الأشرف، والجانب الأعلى أو الشريف . وبأمر المؤمنين مجرّدة عن سيدنا ومولانا، ومرة غير مجرّدة، مع مراعاة المناسبة، والتسديد والمقاربه . وأن خطاب المكاتب عنه بحسب من كتبت عنه : فكتب بعض ملوك بني أيوب بالديار الشامية « الخادم » . وبعضهم « المملوك » وبعضهم « العبد » وبعضهم « أقل الممالك » وبعضهم « أقل العبيد » . وأن علاء الدين خوارزم شاه : صاحب بلاد خوارزم وما معها، وأبنة جلال الدين كانا يكتبان « الخادم المطواع » ، وأن أم جلال الدين كانت تكتب « الأمة الداعية » . قال : في « التثقيف » : وعنوانه « الديوان العزيز » إلى آخر الألقاب، ثم الدعاء يعنى من نسبة الصدر، نحو « أدام الله أيامه وخلّد الله سلطانه » وما أشبه ذلك . قال : وعادة العلامة إليه « الخادم » أو « المملوك » أو « العبد » . وكتب بعضهم « أقل الممالك » وبعضهم « أقل العبيد » . يريد أن العلامة تكون مطابقة لما يقع في أثناء المكاتب عن المكتوب إليه من الخادم وغيره مما تقدّم ذكره، بحسب ما يؤثر الملك المكتوب عنه الخطاب به عن نفسه .

وهذه عدة صدور مختلفات الأبتداءات منقولة من التعريف وغيره .

أما قطع الورق الذى يكتب فيه إلى الخليفة، فقد تقدّم في الكلام على مقادير قطع الورق في المقالة الثالثة، نقلا عن ابن عمر المدائنى في « كتاب القلم والدواة » أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار، وأن المراد بالطومار الفرخة الكاملة، وأن المراد الورق البغدادي، وحينئذ فينبغى أن يمرّ الأمر على ذلك تعظيماً للخلافة .

صدر : أدام الله أيام الديوان العزيز، ولا زالت سيوف أوليائه في رقاب أعدائه
مُحَمَّه، وصنوف الكفار، في أيدي عسكره الحزار، بالنهاب مقسمة، وصفوف أهل
الشرك مُزَلَّلة بخوافق أعلامه المطهرة وسنابك جياده المطهمة؛ ولا برحت ملائكة
النصر من أمداده، وملوك العصر بيض الوجوه بتعظيم شعار سواده .

الخدم ينتهب ترى العتبات، الشريفة بالتقبيل، وينتهي في فُصاري الطلبات، على
الوقوف في تلك الربوع، ويكَلِّل رُبى تلك الساحات، هو وكل ابن سبيل بلائى
الدُموع؛ خضوعاً في ذلك الموقِف الذى تُشكر القلوب فيه الصدور، وتَلصق منه
الترابُّ بالثُجور؛ ويظهر سيمًا الجلالة في الوجود، ويُصدق على الأولياء فيعرفون
بِسِيَّاهُم من أثر السجود . ويُنبئ أن ولأه القديم، وبلاءه العظيم؛ وأيامه السالفة،
وأفعاله النالدة والطارفه؛ وسوابق خدَمه في أمثال الأوامر الشريفة التي لم يزل
يتسارع إليها، ويقارع عليها، ويُصارع غلب الأسود على تنفيذ مراسمها، وإقامة
مواسمها؛ وإطارة صيتها، ودوام تثبيتها، تحمِلُ الخادم على الأسترسال، وتُحمِلُ له
السؤال، والذي ينهيه كذا وكذا .



صدر آخر من " التعريف " : أدام الله سلطان الديوان العزيز، ولا زالت
الخلائق بكرمه مُصَيِّفه [والكائب في هجير وطيسه مصيِّفه] ^(١) . والأبصار في نصر
أنصاره مصنِّفه، والمواضى بأوامره في قبضات عساكره مُصرِّفه، والنقود إلا ما تشرف
باسمه مُزيِّفه، والقلوب في صدور الأعداء بخواطف رعبه مُسيِّفه، والوعد إلا بما
تُخزّه مواهبه مُسوِّفه، والوغى لا تُرى إلا برماحه متقِّفه، والسماء وإن علت لا تكون

(١) الزيادة من " التعريف " .

إلا لأذيالِ سُيوفِهِ مَسَّجِفِهِ ، وأَمَاهِبُهُ بَسَطَاهُ إِمَا لِلْعَاقِلِ فَاتِحَةً وَإِمَا عَمَّا يَطْمَعُ أَنْ تَنَالَهُ
الْأَيْدِي مِنْهَا مُجَحِّفِهِ ، وَالْأُمَمُ عَلَى آخْتِلَافِهَا تَحْتِ رَايَاتِهِ الْمَنْصُورَةِ مَقَاتِلَةً وَأُخْرَى لَهُ
مُحَالِفِهِ ، وَالْأَعْلَامُ الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ بِهِ جِوَارَ الْجُوزَاءِ مَحَلِّفِهِ ، وَالْأَبْطَالُ لِقِتَالِ
الْكَفْرِ بِبِوَارِقِ سُيُوفِهِ ، قَبْلَ مَضَاقِقِ صُفُوفِهِ ، وَمَحَاقِقِ زُحُوفِهِ مُخَوِّفِهِ .

الْخَادِمُ يُقْبِلُ بَوْلَانِهِ إِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ ، وَيَقْبِلُ الْأَرْضَ وَكِتَابَهُ يُحْسِنُ الْمَنَابِ ؛
وَيُقْبِلُ عَثْرَاتِهِ إِذَا كَانَتْ بِهِ قَدْ لَازَدَ ، وَيُقِيمُ مَعَاذِيرَهُ إِذَا كَانَ بِهِ قَدْ عَازَدَ ؛ وَيَتَسْرَبِلُ
بَطَاعَتِهِ سَرَائِلَ تَقِيهِ إِذَا خَافَ مِنْ سِهَامِ الدَّهْرِ إِلَى مُهْجَتِهِ التَّفَاقُذِ ، وَيَصُولُ بِانضِمَامِهِ
إِلَى تِلْكَ الْعِصَابَةِ الْمَنْصُورَةِ لِأَبْمَا يُطْبَعُ مِنَ الْفُؤَادِ ؛ وَيُجِلُّ تِلْكَ الْمَوَاقِفَ الْمُقَدَّسَةَ
أَنْ يُسَلَّ مَوَاطِنُهَا بِدَمْعِهِ ، وَأَنْ يُحُلَّ مَوَاطِنُهَا بِقَلْبِهِ قَبْلَ أَنْ يُعَاجِلَ كُلَّ عَدُوِّ بَقَمْعِهِ ؛
وَيَعُدُّ مَاهِدِي إِلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِصَامِ بِسَبَبِهَا سَبَبًا لِقَوْزِهِ ، وَمُوجِبًا لِمَلِكِ رَقِّ عُنُقِ كُلِّ
عَاصٍ وَحَوْزِهِ ؛ وَيَنْهَى كَذَا وَكَذَا .



صدر آخر : خَلَدَ اللهُ سُلْطَانَ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ ! وَلَا زَالَتْ أَيَّامُهُ شَاخِخَةَ الدَّوَابِّ ،
شَارِخَةَ الصَّبَا [حَتَّى] حَيْثُ يَأْحَقُ الشَّيْبُ الشَّوَابَّ ، رَاسِخَةَ الْفَخَّارِ فِي الطُّهُورِ
بِالْعَجَابِ ، نَاسِخَةَ فِي قَهْمِ اللَّيْلِ جَمْرَ الْكِتَابِ ، صَارِخَةَ وَالزَّعْدُ تَرْتَعِدُ فِرَائِضَهُ بَيْنَ
السَّحَابِ ، نَاسِخَةَ دَوْلَةَ كُلِّ عَلِيَاءَ بِمَا تَأْتِي بِهِ مِنَ الْغَرَائِبِ ، وَتَبْدُلُهُ مِنَ الرَّغَائِبِ ، فَاسِخَةَ
عَقْدَ كُلِّ خَالِعٍ يُرِيهِ اللهُ إِلِيَهَارِدَةَ خَائِبِ ، بِإِذْخَةَ عَلَى مَاضِي كُلِّ زَمَانٍ ذَاهِبٍ مِنْ عُسُورِ
الْخُلَفَاءِ الشَّرَفَاءِ وَأَيْبِ ، سَانِخَةَ لِجِلْدَةِ كُلِّ أَيْمٍ ظَنَّ أَنَّ فِي أَنْيَابِ رُجْحِهِ النَّوَابِ .

الْخَادِمُ يَقْبِلُ الْعَتَبَاتِ الشَّرِيفَةَ سَاجِدًا بِجَمِينِهِ ، وَشَاهِدًا يَسْتَأْذِينَهُ لَهُ عَلَى يَمِينِهِ ،
وَجَاهِدًا كُلَّ وِلَاءٍ وَسُوَى وِلَائِهِ الْمَعْقُودِ بِجَمِينِهِ ، وَعَاقِدًا بِشَرَفِ الْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ عَقْدَ دِينِهِ ،

(١) الأيم ككيس والاييم بالكسر الحية أنظر القاموس .

(١) وحامداً الله الذي جعله [من] طاعة أمير المؤمنين عند حسن يقينه؛ وعانداً بأمله إلى كرم تُثمر به الآمال، وتُقمِر به اللَّيالي لأنها شعاره الذي تُضرب به الأمثال، وتُطرِب به السُّحب الجَهَام فتُضحى بها آية الإحمال. وينهى ورود المِثال الشريف الذي طلع نيره فأنار، وسطح متضاده فألف بين الليل والنهار؛ وأقبل فما رآه إلا كتابه الذي أوتيه باليمين، وسحابه الذي أعطيه يندى منه الجبين؛ ونصره أكثر من الألوف، وأنصفه أعجل من السيوف، وزاحم به الدهر فضلاً عن الصُّفوف، وزار به الوغى لايمهاها وخَطَّيات القنا وقُوف؛ فتشرف به وطار بغير جناح، وقاتل بغير سلاح، وقرأه وبات قري له في السباح، وتسامه كأنما تسنم به المعاول وتسلم منه المفتاح.



صدر آخر: خلد الله أيام الديوان العزيز! ولا زالت سطاوته تجدُّ برعها الأبطال المدججة، وتحمُّد بفيضها النيران المؤججة، وتحمُّل بركر نفاذها إلى القلوب الرماح المزججة، وتجنُّل معها بعوائد كرمها السحب المتججة، وتخف لديها أوقار الجبال المفججة، وتجزُّ بل تخور خوفاً أن تترقى إليها الأصوات المضججة، وتخص بالغرق من خاطر في يحارها المتججة، وتخلف بسطانها للموت أشهى من البقاء إلى طرائد سيوفها المهججة، وتخلد النصر بمججها القائمة على الخصماء المتججة.

الخدائم يقب وجهه في سماء الفخار بتقيل الأرض التي طالت السماء، فأطالت النعماء، وفضلت النجوم اللوامع، وأوتيت بالكها - أعز الله سلطانه - كلم الفضل الجوامع، وأحلت شواخ المجد من حلها، وأحلت قدر من جد فأجلها، وأعطت مفايح الكنوز كنوز الشرف لمن قبلها كما يقبل الحجيج الحجر، أو أملها كما يؤمل الساري طلوع القمر؛ وينهى كذا وكذا.

(١) من من "التعريف" وهي لازمة لوضوح المعنى.

(٢) في التعريف "خطار" وكل صحيح.



صدر آخر : قال في "التعريف" : وهو غريب الأسلوب .

أدام الله أيام العدل والإحسان ، والنعم الحسان ، والفضل المشكور بكل لسان ؛
الأيام التي أشرق صباحها السافر ، وعمّ سباحها الوافر ، وآمنَ بيمنها كلُّ مسلم ضرب
عليه سرادق الليل الكافر ، وعلت شموسها وقد جنحت العصور الذواهب ، وقُدحت
أشعتها فأضاءت بين لآبتي الغياهب ؛ أيام الديوان [العزيز الملووى ، السيدى ،
النبوى ، الإمامى ، الحاكمى] ، لا برحت أيامه مَفَنَّة ، وأحكامه مَقَنَّة ، وسجبه
على الظَّاء مَحَنَّة ، وقُرْبُه بفقد ماحوته مَحَنَّة ، وحقائقه غير مَطَنَّة ، وطرائقه للخير
مَسَنَّة ، والخلائق تحت جناح رأفته ورُحماه مَكَنَّة ؛ ولا زال ولاؤه ضمير من
اعتقد ، ومير من أخذ من الدهر ما نقد ، ومير الأسود المتضائلة لديه كالنقد ، ومير
من تَبَّه وصحَّح من رقد ، ومير البرق ندى كرمه وقد وقد ، ومير متعالى الصباح
من راياته العالية بما عقد ، ومير من لاذ به حتى لا يضره من فقد ، ومير عداه برداه
الذى إن تأخر إلى حين فقد .

الخدام يُحْدُم تلك العتبات الشريفة التي إن تاهت على السماء فآ ، وإن دنت
للتقيل فإن الثرى تود أن تكون فآ ؛ وينهب تراب تلك الأرض التي هي مساجد ،
ويقبّل ذلك الإساط الذي لا موضع فيه إلا مكان لائم أو ساجد ؛ ويزهها
عن سواك دمعها : لأن ذلك الحرم [الآمن] لا تطل فيه الدماء ، ويجلها عن مواقع
نمّه لأنها لا تأتم السماء ؛ ويرفع صالح الدعاء وإنما إلى سماءها يرفع ، وينهى صادق
الولاء وما تم من يدفعه ، ويتنحر من صحيح البودية ما يرجو أنه ينفعه ؛ ويطالع العلوم
الشريفة بكذا وكذا .

(١) الزيادة من "التعريف" .



صدر آخر : أدام الله النعمة على الدين والدنيا بإيالة الديوان العزيز! وأسبغ نعمه
فالنعم في ضمنها ، وملاً الآمال منها وأفاض من أنوارها التي علم قرن الشمس أنه
غير قرنها ، وأدال دولته التي نزل الخلق من جنات عدلها جنات عدنها ؛ وأمضى
سيوفها التي تعرب فيعرف ضمير النصر في لحنها ، وأعلى آراءها التي تاقى العداة بدروع
يقينها ، وتلقى الغيوب بسهم ظننها ؛ ولا زالت البشائر تنبارى إليه بردها ، ويضفوه
على أعطاف الإسلام بردها ؛ ولا برحت راياته سويدات قلوب العساكر ، وأجنحة
الدعاء المحلق إلى أفق السماء من أفق المنابر ، وولأوها السرّ المنهم الذي هو مما تلبى
به السرائر . الخادم



صدر آخر : أعلى الله الموحدين على الملحدين ، وثبت كلمة المتقين على اليقين ؛
بدوام أيام الديوان العزيز وروض بولاته كل ديوان ، ووسم بولاته كل أوان ؛ وأنطق
بجده كل لسان ، وألم الخلق أن يعنونا بطاعته صحائف الإيمان ، وأسعدهم
بما يتناولونه في الدنيا من كتب المن وفي الآخرة من كتب الأمان ؛ فكلها طائر
في العنق يكون بالطاعة قلائد في الأطواق ، وبالمعصية جوامع أسير في الأعناق .

ورد على المملوك كتاب إن لم يكن أنزل من السماء ، فهو من الذين أنزل عليهم
كتاب من السماء ، وإن لم تنزل ألفاظه بالماء ، فهو من الذين أنزلت ألفاظ دعواتهم
الماء ؛ وإن لم يكن كتاب العمل : لأنه ليس بيوم الكتاب ، فإنه قط مجل له قبل يوم
الحساب ؛ ولولا أن أم الكتاب أعقمت لكان ابن أم الكتاب ، وإن هو إلا طائر
ألزم في عنقه وما وكر طائرته إلا المحراب .



صدر آخر : أتمَّ اللهُ ما أنعم به على الديوانِ العزيزِ وعلى الخلقِ ، وأشركَ في هذه النعمةِ أهلَ الغربِ والشرقِ ، وميزَ الحظوظَ فيها بحسبِ درجاتِ السُّبُقِ . فإنه ﴿ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أُعْطِمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ﴾ والله لا يخلف موعده ، والديوانُ العزيزُ لا يكدر مؤرده ، ولا رَفَعَ عن أيدي الخلقِ يده ؛ بل يجري عليها ما صمته ، ويمكنها بما بسط لها في الأرضِ ومكَّنه ؛ ويرسلُ عليها سحابَ رحمته ، وينشيئُ منها ناشئةَ نعمته ؛ ويوجِّهُ إلى قلبها وجهَ كلِّ أملٍ ، ويُفيضُ طوفانها فلا يكون به للغليلِ قِبَلٌ ، ولا يأوى إلى حصاةِ قلبٍ فيعصمها ولو أنه جبلٌ .

قلت : ولم أقف على مكتبة عن أحدٍ من ملوكِ الديارِ المصريةِ إلى أبوابِ الخلافةِ مُدَّ صارت دأرَ الخلافةِ بالديارِ المصريةِ . والظاهر أنه لم تجرِ مكتبةٌ عن السلطانِ إلى الخليفةِ ، لأنَّ الخليفةَ لا يكاد يُفارقُ السلطانَ سقراً ولا حضراً مفارقةً تُوجبُ المكتبةَ إليه ، كما أشار إليه صاحبُ "التثقيف" . وقد لوحَّح في "التعريف" إلى ذلك فقال : وأول ما نبداً بما يُكتبُ به إلى الأبوابِ الشريفةِ الخليفيةِ (كذا) زادها الله شرفاً ، جرياً على قديمِ العادة ، ورجاءً لملاحظة السَّعادة .

وهذه نسخةُ مكتبةٍ من هذا النوع مما كتب به القاضي الفاضلُ عن السلطانِ «صلاح الدين يوسف بن أيوب» رحمه الله إلى ديوانِ الخلافةِ ببغدادَ في أيامِ الناصر لدين الله بجبرِ ملكِ الألمانِ من القرنيحةِ والقتالِ معه ، في جوابِ كتابٍ ورد عليه ، يوضحُ في هذا الموضوعِ بيانَ هذا الأسلوبِ ، ويُغني عن مراجعة [كثير] من الأمثلةِ المذكورةِ في المكتباتِ إلى الخلفاءِ على ما تقدَّم ، وهو :

أدام الله ظلَّ الديوان العزيز النبوي، الإمامي، الشريف الناصري، ومده على الأمة ظليلاً، وجعل الأنوار عليه دليلاً، وحاطه بلطفه وتقبل أعماله بقبولٍ حسنٍ وأنتها، وأرغم أعداءه وكتبها، ومسها بعذابٍ من عنده وسخَّتها، ولا زالت رأيتُه السوداءً بيضاءً الخبر، محجرةً المخبر في العداة مسودة الأثر.

ورد على الخادم ما كُوتِب به من الديوان العزيز رائداً في استخلاصه، مبرهنًا عن اختصاصه، مُطلقاً في الشكر للسانه، وفي الحرب لعنانه، ومقتضياً لأمنية كان يتهيأ، ومفيداً لمكرمة لو سمت نفسه إليها كان يتهمها، فله هو! من كتاب كأنه سورة وكل آية منه سجدة، قابله بالخشوع كأنما قلم الكتاب القضيب وطرسه البرد، وتلاه على من قبله من الأولياء مسترهقاً به لغزائهم، مستجيزاً به لغنائهم، مستثباتاً به للازمهم، مستدعياً به الخدمة للوازمهم، مُرهقاً به طباهم في القتال، فاسحاً به خطاهم يوم النزال، فأثر فيهم كالافتداح في الزند، وكالأنجاس من الصلْد، وكالاستلال من الغمد، فشمّر من كان قد أسبل، وأتمى من كان قد أجبل، وكأما أعطوا كتاباً من الدهر بالأمان، أو سمعوا منادياً ينادى للإيمان، وقالوا: سمعنا وأطعنا، وعلينا من الخدمة ما استطعنا، هذا مع كونهم أنضاء زحوف، وأشلاء حُوف، وضرائب سيوف، قد وسمت وجوههم علامات الكفاح، وأحالت عرضهم أقلام الرماح، صابرين مصابرين، مكابرين مكابرين، مناضلين مناضلين، قد قاموا عن المسلمين بما قعد عنه سائرهم، ونزلوا بمارة القراع فلا يسير عنها سائرهم، وسدست كعوب الرماح أنملهم، وأبتوا في معترك الموت أرجلهم، كل ذلك طاعة لله ولرسوله وخليفتيهما، وإذا رموا فأصابوا قالوا ولكن الله رمى.

ومن خبر الكفار أنهم إلى الآن على عكا يمدّهم البحر بمراكب أكثر عدّة من أمواجه، ويخرج للمسلمين منهم أمر من أجاهه، قد تعاضدت ملوك الكفر

على أن يُنْهَضُوا إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، وَيَقْلُدُوا لَهُمْ مِنْ كُلِّ قَرْنٍ يُعِجِزُ بِالْكُرَّةِ
وَإِصْفَهُ ؛ فَإِذَا قَتَلَ الْمَسْلُومُونَ وَاحِدًا فِي الْبَرْبَعِ الْبَحْرُ عَوْضَهُ أَلْفًا ، وَإِذَا ذَهَبَ
بِالْقَتْلِ صَنْفٌ مِنْهُمْ أَخْلَفَ بَدَلَهُ صِنْفًا ؛ فَالزَّرْعُ أَكْثَرُ مِنَ الْحِدَادِ ، وَالثَّمَرَةُ أُنْمَى
مِنَ الْحِصَادِ . وَهَذَا الْعَدُوُّ الْمُقَاتِلُ - قَاتِلُهُ اللَّهُ - قَدْ زَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْخَنَادِقِ أَدْرَاعًا
مَتِينَةً ، وَاسْتَجَنَّ مِنَ الْجَنَوِيَّاتِ بِمُحْصُونَ حَصِينَةً ؛ مَضِحِرًّا وَمُتَمِّعًا ، وَحَاسِرًّا وَمُتَدَرِّعًا
وَمُوَاصِلًا وَمُنْقَطِعًا ؛ وَكُلُّمَا أَخْرَجَ رَأْسًا قَدْ قُطِعَتْ مِنْهُ رُءُوسٌ ، وَكُلُّمَا كَشَفَ وَجْهًا
كُشِفَتْ مِنْ غِطَاءِ أَجْسَادِهَا نُفُوسٌ ؛ فَكَمْ مِنْ يَوْمٍ أُرْسِلُوا أَعْنَةَ السَّوَابِقِ فَذَمُّوا عَقْبِي
إِرْسَالَهَا ، وَكَمْ مِنْ سَاعَةٍ فَضُّوا فِيهَا أَقْفَالَ الْخَنَادِقِ فَأَضَى إِلَيْهِمُ الْبَلَاءُ عِنْدَ فَضِّ
أَقْفَالِهَا ؛ إِلَّا أَنَّ عَدَدَهُمُ الْجَمِّ قَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ ، وَرَقَابِهِمُ الْغُلْبُ قَدْ قَطَعَتْ النَّصْلَ
لِشِدَّةِ مَاقِطِعِهَا النَّصْلَ . وَمَنْ قَبَلَ الْخَادِمَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ قَدْ آثَرَتْ الْمُدَّةُ الطَّوِيلَةَ ،
وَالْكُلْفُ الثَّقِيلَةَ ؛ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ لَا فِي طَاعَتِهِمْ ، وَفِي أَجْوَالِهِمْ لَا فِي شَجَاعَتِهِمْ ؛
فَالْبَرَكُ قَدْ أَنْصَوَهُ ، وَالسَّلَاحُ قَدْ أَحْقَوَهُ ، وَالذَّرْهُمُ قَدْ أَفْنَوَهُ ؛ وَكُلٌّ مِنْ يَعْرِفُهُمْ
مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ، وَيَرَاهُمْ بِالْعَيْنِ فَمَا هُمْ مِثْلَ مَنْ يَرَاهُمْ بِالصَّفِّهِ ؛ يَنَاشِدُ اللَّهُ الْمُنَاشِدَةَ
النَّبَوِيَّةَ ، فِي الصَّيْحَةِ الْبَدْرِيَّةِ ؛ اللَّهُمَّ إِنْ تَهَلَّكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ ، وَيُخْلِصَ الدِّعَاءُ
وَيَرْجُو عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِجَابَةَ . هَذَا وَالسَّاحِلُ قَدْ تَمَاسَكَ ، وَمَا تَهَلَّكَ ؛
وَتَجَلَّدَ ، وَمَا تَبَلَّدَ ؛ وَشَجَعَتْهُ مَوَاعِدُ النَّجْدَةِ الْخَارِجَةِ ، وَأَسَلَتْهُ عَنِ مِصَارِعِ الْعِدَّةِ
الدَّارِجَةِ ؛ فَكَيْفَ بِهِ إِذَا نَحَرَ دَاعِيَةَ الْأَلْمَانِ ، وَمُلُوكَ الصُّلْبَانِ ؛ وَجَوْعُ مَاوِرَاءَ
الْبَحْرِ ، وَحُشُودُ أَجْنَاسِ الْكُفْرِ؟ وَقَدْ حَرَّمَ يَا بَاهُ - لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ - كُلَّ مَبَاحِ
وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُمْ كُلَّ مَذْخُورٍ ، وَأَغْلَقَ دُونَهُمُ الْكُنَّاسَ ، وَآبَسَ وَأَبْسَهُمُ الْحِدَادَ ،
وَحَكَّمَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَزَالُوا كَذَلِكَ أَوْ يَسْتَخْلِصُوا الْمُقْبِرَةَ ، وَيُعِيدُوا الْقَهْمَةَ . ﴿ وَإِذْ زَيْنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ .

اللهم أخفِرْ جوارِه ، وأصْرِفْ جَوْرَه ، وأخْلِيفْ وَعْدَه ، وأكْسِرْ صَمَانَه ، وأنكِصْه
 على عَقِبِه ، ومَجِّلْ في الدنيا والآخرةِ منهم تَبَاهِه . وما بدأنا به من نعمتك فلا تقطعه ،
 وما وهبنا من نصرك فلا تَسْلُبْه ، وما سترته من عَجْرنا فلا تَهْتِكْه . [و] في دُونِ ما الدِّينُ
 مستَقْبِلُه ، وعدُوُه خذله الله يؤمِّله ؛ ما يستفرغُ عزائمَ الرجال ، ويستنفدُ خزائنَ
 الأموال ؛ ويوجبُ لإمام هذه الأمة أن يحفظَ عليها قِبَلتها ، ويُزيحَ في قتل عدُوها
 عِلَّتْها ؛ ولولا أن في التصريح ، ما يعودُ على عدالته بالتَّجريح ، لقال ما يُسِكِّي العينَ ويُنكي
 القلوب ، وتَشقُّ له المرائرُ وتُشقُّ له الجُيوب ؛ ولكِنَّه صابراً محتسباً ، منتظراً لنصر
 الله مُرْتَقِباً ، قائماً من نَفْسِه بما يجب ؛ رَبِّ إني لأملكُ إلا نَفْسِي وأُنحى ، وهاهو
 قد هاجر إليك هجرةً يرجوها عندك مقبوله ، وولدي وقد أبرزتُ لعدوك صفحاتِ
 وجوههم ، وهانَ على محبوبك بمكروهى فيهم ومكروههم . ونَقِفْ عند هذا الحدِّ ،
 والله الأمرُ من قَبْلُ ومن بَعْدُ ؛ وإن لم يَشكِ الدِّينُ إلى «ناصره» والحقُّ إلى مَنْ قام
 بأقوله وإلى اليوم الآخر يُقومُ بآخِرِه ؛ فإلى مَنْ يَشكِي البتَّ ، وعند من يتفرج
 بالنفثِ ؟ ، ومنفعةُ الغوثِ قبل العَطَبِ ، والنَّجاءُ قبل أن يَصِلَ الحِزَامُ الطَّيِّينَ ،
 والبلاغُ قبل أن يَصِلَ السَّيْلُ الزُّبِّي .

فيا عَصَبَةَ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلم أخلفه في أمته بما تظمن به مضاجعه ، ووقفه
 الحقَّ فينا ؛ فإننا وإنَّ المسلمين عندك ودائعُه ، وما مثل الخادمِ نَفْسَه في هذا القولِ
 إلا بحالَةٍ مَنْ وقفَ بالبابِ ضارعا ، وناجى بالقولِ صادعا ؛ ولو رُفِعَتْ عنه العوائقُ
 لهاجر ، وشافهَ طيبَ الإسلامِ بل مَسِيحَه بالداءِ الذي خامر ؛ ولو أمِنَ عدو الله أن
 يقولَ فرِّ لسافر ، وبعدُ ففيه وإن عَضَّ الزمانُ بقيه ، وقِبَلَه وإن تدارأتِ الشُّهاد
 دَرِيه ؛ فلا يزالُ قائماً حتى يُنصرَ أو يُعدَّرَ ، فلا يصلُ إلى حُرْمِ ذريةِ أحمدَ صلَّى الله
 عليه وسلم ومن ذريةِ أيوبَ واحدٍ يذكُر .

أنجز الله لأمر المؤمنين مَوَاعِدَ نَصْرِهِ! وتَمَّ مَسَاعِدَةَ دَهْرِهِ! وَأَصْفَى مَوَارِدَ إِحْسَانِهِ! .
وَأَرْسَى قَوَاعِدَ سُلْطَانِهِ! وَحَفِظَهُ وَحَفِظَ بِهِ فَهُوَ خَيْرُ حَافِظًا ، وَنَصْرَهُ وَنَصَرَ عَلَى يَدَيْهِ
فَهُوَ أَقْوَى نَاصِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثم أعلم أن المقرَّ الشَّهَابِيَّ بنَ فضل الله قد ذكر في "تعريفه" أيضا أنَّ المَكَاتِبَةَ
إلى أبواب الخلافة من الملوك والسُّوقَةَ لا تَخْتَلِفُ ، بل تَكُونُ عَلَى الْأَنْمُودَجِ الْمُقَدَّمِ
ذَكَرَهُ ، وَأَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ : بِغَيْرِي عَلَى هَذَا الْمِصْطَلَحِ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ
الْحَاكِمِيِّ ، أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الرَّبِيعِ سَلِيمَانَ : أَحَدِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ بِالْأَيْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، عَنْ
رُمَاةِ الْبُنْدُقِ بِالشَّامِ ، جَوَابًا عَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِمْ ، وَهُوَ مُتَكَلِّمٌ عَلَى رُمَاةِ الْبُنْدُقِ
يَوْمئِذٍ فِي أَمْرِ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الْحَمْصِيِّ وَهُوَ أَحَدُ الرُّمَاءِ .

أدام الله تعالى أيامَ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ ، الْمَوْلِيِّ ، السَّيْدِيِّ ، النَّبَوِيِّ ، الْإِمَامِيِّ ،
الْحَاكِمِيِّ ؛ وَنَصْرَهُ بِجَمْعِ الْإِيمَانِ ، وَبُشْرَ بِأَيَّامِهِ الزَّمَانِ ، وَمَتَّعَهُ بِالْمَلِكِ الَّذِي
لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ بِمَا وَرِثَهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ؛ وَلَا زَالَ يَخْضَعُ لِمَقَامِهِ كُلُّ جَلِيلٍ ،
وَيُعْرَفُ لِأَيَّامِهِ كُلُّ وَجْهٍ جَمِيلٍ ؛ وَيُعْتَرَفُ لَشَرَفِهِ كُلُّ مُعْتَرِفٍ بِالتَّفْضِيلِ ، وَيَشْهَدُ
بِنَفَاقِذِ أَوَامِرِهِ مِنْ دَوَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ كُلِّ أَيْحٍ وَخَلِيلٍ ؛ وَلَا كَانَ إِلَّا كَرَمَهُ الْمَأْمُولِ ،
وَدَعَاةَ الْمَقْبُولِ ، وَعَدُوَّةَ الْمَصْرُوعِ وَوَلِيَّةَ الْمَحْمُولِ ؛ وَلَا بَرِحَتْ طَاعَتُهُ يُعْقَدُ عَلَيْهَا
كُلُّ جَمْعٍ ، وَمَرَامِئُهُ يُنْصِتُ إِلَيْهَا كُلُّ سَمْعٍ ، وَطَوَائِفُ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَيْهِ لَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ إِلَّا تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ .

المالِكُ يَقْبَلُونَ الْأَرْضَ بِالْأَبْوَابِ الْعَالِيَةِ الَّتِي هِيَ خُطَّةُ شَرَفِهِمْ ، وَمَكَانُ تَعْبُدِ
الْقَدَمَاءَ مِنْهُمْ وَمَنْ سَلَفَهُمْ ؛ وَيَلُودُونَ بِذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَيُؤَدُّونَ بِذَلِكَ الْحَرَمِ الَّذِي

لا يبعد نسبه من البيت الحرام؛ ويؤمنون ذلك الكرم الذى مامنهم إلا من ساعد به طائره، وجاءته به فى وجه الصبح أشائه؛ وفى وجه العشاء بشائره؛ فنالوا به أقصى المرام، وقضوا به من العمر ما إذا قالوا: ياسعد! لا يعنون به إلا ذلك الإمام؛ ويتمنون إلى ما ورد به المرسوم الشريف الذى ما من المالك إلا من مات لديه بتقديم عبوديته ورقه، وسارع إلى طائره الميمون وحمله بسبقه؛ وفتح له عينه وظن أنه حاكم، وأتمثلوا أمره وكيف لا تمتثل الرماة أمر الحاكم؟، ولا سيما ابن عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الحاكم؛ وأجأوه عن رفته على العين إذ كانت تلك بمنزلة الحاجب، وقدموا إليه خفوق قلوبهم الطائرة وما علموا أن كانوا قاموا بالواجب؛ ووقفوا على أحكام حاكمه فما شكوا أن زمان هذا الفن بجية ناصره فى بغداد قد عاد، وأن مثاله المتمثل فى سواد الحدق مما حكته أيامه العباسية من شعار السواد؛ وعلموا مارسم به فى معنى محمد بن الحصى الذى ما نورت الليلة أكاريحُه، ولا بعدت فى الإقعاد له تواريحُه؛ بل أخذت دموع ندمه نيرانه المشتعلة، وأصبح به لا يحمل القوس فى يده إلا أنه مشغله؛ وما كان أمهات الديوان العزيز مما لم تذكر الخواطر الشريفة بأنه قبة المفترى، وأنه صاحب القوس إلا أن ماله سعادة المشتري؛ وأنه مؤه تمويه الجاحد، وتلون مثل قوس قرح وإلا فقوس البندق لون واحد؛ وأدلى بغروره، وعرض المحض الذى حمله على تغريه؛ وذلك فى غيبة الأمير بهاء الدين أرسلان البندقدار الحاكمى، الذى لو كان حاضراً لكان حجة عليه، ومؤكداً لإبطال رميه وقوسه وبندقه فى يديه؛ لما تضمنه الخط الشريف المقيّد اللفظ المكتتب على المصطلح، الساحب ذيل فخاره على المقترح؛ الذى هدى إلى الخير، وبدأ به ما هب من الملك السليمانى الذى أوتى من كل شيء وعلم منطق الطير؛ فإنه لم يكتب له إلا بأن يرمى على الوجه المرضى واستيفاء شروط البندق،

والخروج من جميع الأشكال عملاً بقواعده ؛ ويُعلم بأنه ما رعى حقَّ قُدْمته ، ولا فعل في البابِ العزيزِ ما يجبُ من التحلّي بشعار الصّدق في خِدْمته ؛ وأنه خالف عادة الأَدب ، وأخطأ في الكلِّ لكنّه ندب ؛ وذلك بعد أن عمِل له جميعُ رُماة البندق ، وسئِل فأجاب : بأنه سالمٌ من كلِّ إشكالٍ يُشكِل ، وأنه بعد أن أقعد رمي وحملٍ وحملٍ ؛ فشهد عليه السادةُ الأمراءُ ولاةُ العهدِ إخوةُ أمير المؤمنين ومن حضر ، وكتبوا خطوطهم في المحضر ؛ وما حصل الآنَ عند عَرْض قصة الممالك بالمواقف المقدّسه ، ووضوح قضيته المدنسه : من التعجب من اعتراف الممالك ، لكونهم رموا معه بعد أن رأوا الخطَّ الشريف وهو لفظ مقيد ، وأمرُ أيّد به رأى الإمام الحاكم بأمر الله المسترشد بالله والمؤيد ؛ وكلُّ ما أمر به أمير المؤمنين لأمّعدل عن طُرقه ، ولا جدالَ إلا به إذا أُلزم كلُّ أحد طائرَه في عنقه ، وأمير المؤمنين بحر لا يرد إلا من عليه ، وهو الحاكم ولا رادَّ لحُكمه . وإنما ابن الحصيّ المذكور عدم السداد ، وخالف جارِي العادة في الحِمص فإنه هو الذي سُلِق في الافتراء بالسنّة حداد ؛ ولم يُوقِف الممالك من الخطّ الشريف إلا على بعضه ، ولا أراهم من برّقه المتملّ غير ومضه ؛ والذي أوقفهم عليه منه أن يرْمى محمد بن الحصيّ ويُرْمى معه ، وكلمة أمير المؤمنين مستمعه ، ومراسميه متبّعه ؛ وإذا تقدّم كان الناس تبعه . غير أن المذكور بدت منه أمور قطع بها الأمير صارمُ الدين صاروجا الحاكم البندقدار في حقه ، وأقعدته عن قُدْمته التي كان يمتُّ فيها بسبقه ؛ وانتقل عنه غلمانُه ، ونقل عليه زمانُه ؛ ونودي عليه في جمع كبير يزيد على تسعين قوسا ، وجرِح بخطأ بندقه جرحا لأيوبي ؛ ثم بعد مدّة سنين توّسل بولد الأمير المرحوم سيف الدين تنكر إلى أبيه ، وتوصّل به إلى مرّاميه ؛ فأمر أن يرْمى معه وهُدّد الخالف بالضرب ، ولم يرْم معه أحدٌ برضاه إلا خوف أن تُوقد نارُ الحرب ؛ فلما مضت تلك الأيام ، وأنقضت

تلك الأحمال ، جمع مملوك الأبواب العالية الأمير علاء الدين بن الأوبكرى الحاكم في البندق الآن من رمة البندق جمعا كبيرا ، وأهتّم به أهتّمًا كثيرًا ، وذكر أمر المذكور ، وأحضر محضره المسطور ، ولم يكن عليه تعويل ، ولا في حكم الحاكم المتقدم تليل ، ولا عند هذا الحاكم الذى أدعى له وأدعى عنده تجوز الأباطيل ؛ وتحقق أنّ الحق فيما حكم به عليه فُتبع ، وترجع أن لأيقام منه من أقعد ولا يوصل منه ما قطع ؛ فنفذ حكم الحاكم المتقدم ، واستمر بقعوده المتحتم ، ووافق على هذا سائر الرماة بالبلاد الشامية وحكامها ، ومن يرجع إليه فى الرماية وإحكامها ، وبطلت قُدّمة المذكور التى ذهبَ فيها عمره ضائعًا ، وزمانه الذى لو اشتريت منه ساعة بالعمُر لم يكن نافعًا .

ولما ورد الآن هذا المرسوم الشريفُ زاده الله شرفًا قبلوا الأرضَ لديه ، وأوقفوا عليه حاكمهم المسمى فوقف له وعليه ، وجمع له جمعا لم يدع فيه من الرماة معتبرًا ، ولا من يُلقيم القوسَ وترًا ، ولا من إذا قعد كالعين جرى ماجرى ؛ ثم قرأ عليهم ماتضمن ، ودعوا لأمر المؤمنين ولم يبقَ منهم إلا من دعا أو أمن ؛ وتضاعف سرورهم بحكمه الذى رفع الخلل ، وقطع الجدل ، وقالوا : لاعدنا أيام هذا الحاكم الذى أنصف والإمام الذى عدل ؛ وبقى ابن الحمصى مثله ، ونودى عليه إنه من رمى معه كان مخطئًا مثله ؛ ووقرت هذه المناداة فى كلّ مسمع ، وقرت استقرار الفضل عليه المجمع ؛ وذلك بما فهم من أمير المؤمنين ، وبنص كتابه المبين ، وبما قضى الله به على لسان خليفته الحاكم والله أحكم الحاكمين ؛ وطالعوا بها وأنها صورة الحال ، وجمعوا فى إمضائه الآمال . لا زالت سعادة أمير المؤمنين مرهة عن الشبه ، آخذة من خير الدارين كل اثنين فى وجه ، حتى تحصل كل رمية من كُتب ، ولا يرعى فى كل

أمنة إلا كل مصطحب ، ماغب في السماء المرزم ، ووقع العقاب على ننية يقرع
سنه ويتندم ، وعلا النسر الطائر والواقع على آثاره وسائر طيور النجوم والحوم ؛
إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد أعترض في " التنقيف " كلام المقر الشهابي بن فضل الله
في " التعريف " فقال : وفيما ذكره في " التعريف " من التسوية في المكاتبه بين
الملوك والسوقة نظر . وما أشار إليه من النظر ظاهر : فإن الذي تجب مكاتبهم به
ما يكتب به المرءوس رئيسه بحسب ما تقتضيه الحال في ابتداء المكاتب من يقبل
الأرض ، كما تكاتب الملوك ، بل هم بذلك أحق وأجدر . ويكون الخطاب لهم
في أثناء المكاتبه بما أشار إليه في " التعريف " بالديوان العزيز ، والمواقف المقدسة
أو المشرفة ، والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى ،
ومولانا أمير المؤمنين ، ونحو ذلك بحسب ما تقتضيه الحال على ما تقدم ذكره .

الطرف الثاني

(في المكاتبه إلى ولاة العهد بالخلافة)

أما على المصطلح القديم حين كانت المكاتبه إلى الخلفاء « لفلان من فلان »
فقال في " صناعة الكتاب " : ويكون التصدير في المكاتبه إلى ولي العهد على
ما تقدم في المكاتبه إلى الخلفاء مع تغيير الأسماء ، غير أنه جعل الفرق بين الإمام
وغيره ممن يكتب بالتصدير أن يقال للإمام في التصدير مع السلام : وبركاته ،
في أول الكتاب وآخره . ومن سوى الإمام تحذف وبركاته من التصدير وثبتت
في آخر الكتاب .

وقد تقدم أن التصدير إلى الخليفة حينئذ كان " لعبد الله أبي فلان فلان أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فإني أحمدُ إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصليَّ على محمد عبده ورسوله . أما بعد ، أطال الله بقاء أمير المؤمنين إلى آخره ، ويختتم بقوله : والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته " .

وحينئذ فتكون المكتوبة إلى وليّ العهد على ما أشار إليه في "صناعة الكتاب" من الابتداء بالتصدير مع تغيير الأسماء : " لعبد الله أبي فلان فلان وليّ عهد المسلمين ، سلامٌ على وليّ عهد المسلمين ، فإني أحمدُ إليه الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصليَّ على رسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد : أطال الله بقاء وليّ العهد ، ويختتمه بقوله : والسلامُ على وليّ عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته " أو نحو ذلك .

وأما على المصطلح الذي حدّث بعد ذلك ، فقد ذكر المقر الشهابيّ بن فضل الله في كتابه "التعريف" أن رسم المكتوبة إلى وليّ العهد بالخلافة : ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف ، المولويّ ، السيديّ ، النبويّ ، الفلانيّ ، ثم الدعاء المعطوف . وأبدل في "التثقيف" لفظ الجانب بالجَنَاب . والخطابُ له بمولانا وسيدنا وليّ العهد ونحو ذلك . والتعبير عن المكتوب عنه بـ«الخادمُ يقبل العتباتِ الشريفةَ أو اليدَ الشريفةَ» أو نحو ذلك . قال في "التثقيف" : والعلامةُ إليه «الخادم» والعنوان «الجانب الشريف» وبقية الألقاب المذكورة إلى آخرها .

قال : وهو أحسن من الجانب : لعدم اشتراك غيره معه فيه بخلاف الجانب . قال : وهذا أيضا على عادة من تقدم من الملوك ، أما في زماننا وقبله بمدةٍ مديدة ،

فلم يتفق وجودُ ولىّ عهدٍ للخلافة ؛ وبتقدير وجوده فإذا لم يكن الخليفةُ يكتبُ في هذه الأيام فكيف بولىّ عهده .

وهذه صدور مكاتبات إليه أوردتها في "التعريف" .

صدر : ضاعف الله تعالى جلال الجانب وأطلع مع وجود الشمس بدره التمام ، وأحوج مع زاهر البحر منه إلى مدد العمّام ، وقدمه إماماً على الناس وأطال بقاء سيدنا أبيه الإمام ؛ ولا عُدَم منه مع نظر والده الشريف جميل النظر ، ولا برح صدر دسسته العلى إذا غاب وثانيه إذا حضر ؛ ولا زال الزمان مختلفاً من جُود وجودهما لا عرف الله الأنام قدره إلا بالزهر والثمر ، ولا زاد فيض كرم إلا وهو من كفّ أبيه فاض أو من وبّله العميم أنهمر .

الخدام يخدم تلك العتبات الباذخة الشرف ، الناصخة بما وجده من الخير في تقبيلها قول من قال : لا خير في السرف . وينهى ولأء ما عقد على مثله ضمير ، ولا انعقد شبيهه لولىّ عهد ولا أمير ؛ وإخلاصه في آتماء أشرق منه على الجبين ، وأشرف فراه فرضاً عليه فيما نطق به القراءن ورقم في الكتاب المئين .



صدر آخر : أعز الله أنصار الجانب الشريف ، ولا يحجب منه سر ذلك الجلال ، ولا معنى ذلك البدر المشرق منه في صورة الهلال ، ولا فيض ذلك السحاب المشرع منه هذا المورد الزلال ، ولا تلك المآثر التي دلّ عليها منه كرم الجلال ، ولا تلك الشجرة المفترعة ولأما أمتد منها به من الغصن الممتد الظلال ، ولا ذلك الإمام الذي هو ولىّ عهده وهو أعظم من الاستقلال .

الخدم يقبّل تلك اليد مؤفياً لها بعهدہ [ومُضْفِياً منها لورده] ^(١) ومُضْفِياً منها جلابيب الشرف على عطفه ، وحسبه تخاراً أن يدعى في ذلك المقام بعبدہ ؛ وبتراعى على تلك الأبواب ، ويلتم ذلك الثرى ويرجو الثواب .



صدر آخر : ولا زالت عهود ولايته منصوصه ، وإيائته بعموم المصالح مخصوصه ؛ وصفوف جيوشه كالبنان مرصوصه ، وقوادم أعدائه بالحوالق مخصوصه ، وبدائع أنبائه فيما حلفت إليه دعوته الشريفة مقصوصه [والوفود في أبوابه أجنحتها بالندى مبلولة مقصوصه] ^(١) .

الخدم يجتد بتلك الاعتاب خدمه ، ويأرحم في تلك الرحاب خدمه ، ويقف في تلك الصفوف لا تتقل عن الطاعة قدمه ، ويتمثل بين تلك الوقوف ويتميز عليهم إذا ذكر في السوابق قدمه ؛ ويدلى بجمع سيوفه [التي أشهرها ، وصروفه التي لاقى أشهرها ، ومواقفه] ^(١) التي ما أنكرها الديوان العزيز منذ أنبتها ، ولا حط رماحها منذ أنبتها ؛ ولا محاسن طورها ، منذ كتبتا ، ليغيظ الأعداء ولا يشفى صدورها ، منذ كتبتا ؛ وينهى كذا وكذا .



صدر آخر : ولا زالت مواعيد الظفر له منصوصة ، ورؤوس من كفر بطوارقه مرصوصه ، وصحائف الأيام عما يسر به الزمان فيه مفضوصه ، وجفون عداه ولو أتصلت بمقل النجوم مفضوصه ، وطوارق الأعداء التي تجنهم منه بسيوفه معضوصه .
الخدم يخدم أرضه المقدسة بتراعى قبله ، وتقليب وجهه إلى قبله ؛ ويتطوف بذلك الحرم ، ويتطول من فواضل ذلك الكرم ؛ ويتطوق بقلائد تلك المنن ،

(١) الزيادة "من التعريف" .

وفرائد تلك المواهب التي إن لم تكن له وإلا فمن ؛ فإنه والله يشهد له لا يعتد بعد
ولاء سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، والقيم بأمور الدنيا والدين ؛ عليه الصلاة والسلام
إلا وآءها ، ولا يؤمل بعد تلك الآلاء إلا آءها ؛ ولا يرجو من غير هذه الشجرة
المباركة لأمله إثمارة ، ولا ليله إقاراب ؛ ولا لأيامه حافظا ، ولا لحال إقدامه في قدم
صديق ولائه لافظا ؛ قائما في خدم هذه الدولة القاهرة يجهد في منافعها [ويجد في كبت
مدافعها] ^(١) ويذبح شفاعتها العظمى إذا جاءت كل أمة بشافعها ، وينهى كذا وكذا .

الطرف الثالث

(من المصطلح المستقر عليه الحال ، في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار
المصرية إلى أهل المملكة : من مصر والشام والحجاز ، وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الأول

(في المكاتبات المفردة ، وفيه مسلكان)

المسلك الأول

(في بيان رتب المكاتبات ورتب أهلها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(المكاتبات إلى الملوك على ما كان عليه الحال في الزمن المتقدم)

مما لعله يعود مثله ، وهي الدعاء للقيام ، وفيه مكاتبتان)

الأولى — المكتابة إلى ولي العهد بالسلطنة [وهي] على ما ذكره في "التتيف" :

أعز الله تعالى أنصار المقام العالی ، الملكی ، الفلانی ، الأخوی ، أو الولدی ،

إن كان أخوا أو ولدا . ثم الدعاء اللائق به ، ثم يقال : « أصدرناها إلى المقام العالی

(١) الزيادة من "التتيف" .

ويطالع علمه الشريف « والعلامة «أخوه» سواء كان أخاً أو غير أخ، و « والده» إن كان والداً . ولم يذكر تعريفه، والذي يظهر أنه يكتب له «ولى العهد بالسلطنة الشريفة» . ولم يذكر قطع الورق لهذه المكتبة، والذي يظهر أنه في قطع العادة على قاعدة المكتبات إلى أهل المملكة . قال في «التثقيف» : ولعل هذه المكتبة نظير ما كتب به إلى الملك الصالح علاء الدين على ولد المنصور قلاوون : فإنه كان ولى عهد أبيه المذكور، توفى في حياته . ثم قال : ورأيت أمثلة كثيرة صدرت عنه بخلاص الحقوق، وعلامته عليها «على بن قلاوون» .

الثانية — المكتبة إلى صاحب حماة من بقايا الملوك الأيوبية قبل مصيرها نيابة، وآخر من كان منهم في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» الملك الأفضل ناصر الدين محمد بن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، لما صارت إليه بعد أبيه المذكور .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في «التثقيف» في قطع العادة : « أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف، العالى، السلطاني، الملكي، الأفضل، الناصري، ونحوهما » . ثم الدعاء، وبعده «أصدرناها إلى المقام الشريف» والعلامة «أخوه» وتعريفه «صاحب حماة» . قال في «التثقيف» : ولم يزل الحال على ذلك إلى أن عُزل عنها الأفضل المشار إليه بعد الأيام الشهيدة الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن السلطان الشهيد الناصر محمد بن قلاوون، وأستقر بها بعده نائباً الأمير طغاي الحموي أمير مجلس كان، فبقيت نيابة بعده إلى الآن .

الضرب الثاني

(المكاتب إلى من عدا الملوك من أرباب السيوف والأقلام وغيرهم
من جرت العادة بمكاتبته، وفيه مهيعان)

المهيع الأول

(١) (في رتب المكاتب، وهي على عشر درجات)

الدرجة الأولى

(الدعاء للمقتز)

وصورته على ما ذكره في "التتيف": «أعز الله تعالى أنصار المقتز الكريم،
العالى، المولوى، الأميرى، الكبرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى،
العونى، الغيائى، المناغرى، المرابطى، المهدى، المشيدى، الظهيرى، العايدى،
الناسكى، الأتابكى، الكفيلى، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء
العالمين، ناصر العزة والمجاهدين، ملجأ الفقراء والمسكين، زعيم جوش الموحدين،
أتابك العساكر، ممد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة، ظهير الملوك
والسلاطين، عضد أمير المؤمنين». ثم الدعاء المعطوف والتصدير المناسب: مثل أن
يقال: «ولا زال عزمه مؤيدا، وعززه مؤبدا، وسعده على ممر الحديدين مجددا،
أصدرناها إلى المقتز الكريم تُهدى إليه من السلام أتمه، ومن الشاء أعمه». ثم يقال:
«وتُهدى لعلمه الكريم كذا وكذا، ومرسومنا للمقتز الكريم أن يتقدم أمره الكريم بكذا
وكذا، فيحيط علمه الكريم بذلك، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه».

الدرجة الثانية

(الدعاء للجناب الكريم)

وصورته على ما أورده في "التثقيف" عما استقر عليه الحال «أعزَّ الله تعالى نُصرة الجناب الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغيائى، المثاغرى، المرابطى، المهدى، المشيدى، الظهيرى، الكافى، الفلانى؛ عزَّ الإسلام والمسلمين، سيف الأمراء فى العالمين، نُصرة الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، سيف المؤمنين». ثم الدعاء والتصدير المناسب، مثل أن يقال: «ولا زالت عزائمهُ مؤيده، وأوامرهُ السعيدة مسدده؛ صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تُهدى إليه سلاماً طيباً، وثناءً مُطنباً؛ وتوصِّح لعلمه الكريم كذا. ومرسومنا للجناب الكريم أن يتقدّم أمره الكريم بكذا وكذا؛ فيحيط علمه الكريم بذلك، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه».

قلت: والذي في "التعريف": «أعز الله تعالى أنصار الجناب الكريم، بإبدال نصرة بأنصار؛ واختلاف بعض الألقاب المقدمة».

الدرجة الثالثة

(الدعاء للجناب العالى بمضاعفة النعمة)

وصورته على ما في "التثقيف": «ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، العونى، الزعيمى، المهدى، المشيدى، الظهيرى، الكافى، الفلانى؛ عزَّ الإسلام والمسلمين، سيف الأمراء فى العالمين، نُصرة الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، مقدّم العساكر، مُمهد الدول، مشيد

المالك، عمادِ الملة، عونِ الأمة، ظهيرِ الملوك والسلطين، سيفِ أمير المؤمنين». .
ثم الدعاء والتصدير المناسب، مثل: «ولا زال قدره عاليا، ومدحه متواليا، وجيدُ
الدَّهرِ بحاسته حاليًا؛ وتوضَّح لعلمه الكريم كذا؛ ومرسومنا للجناب العالی أن يتقدَّم
أمره الكريم بكذا؛ فيحيط علمه بذلك، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه» .

الدرجة الرابعة

(الدعاء للجناب العالی بدوام النعمة)

وصورتها على ما أورده في "التثقيف": «أدام الله تعالى نعمة الجناب العالی،
الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الأوحدى، النصيرى، العونى،
الهمامى، المقدسى، الظهيرى، الفلانى؛ عزَّ الإسلام والمسلمين، سيِّد الأُمراء
في العالمين، نُصرة الغزاة والمجاهدين، مقدِّم العساكر، كهفِ الملَّة، دُخر الدَّولة؛
عمادِ المملكة، ظهيرِ الملوك والسلطين، حُسامِ أمير المؤمنين» والدعاء والتصدير
(١)

المناسب، مثل أن يقال: «ولا زال قدره رَفيعا، وعِزُّه منيعا، و

مريعا. صدرت هذه المكاتبه إلى الجناب العالی تهدي إليه سلاما طيبا، وثناء
صيبا» ثم يقال: «وتوضَّح لعلمه المبارك كذا، فيحيط علمه الكريم بذلك؛ والله
تعالى يؤيده بمنه وكرمه» .

الدرجة الخامسة

(الدعاء للجلس بدوام النعمة)

ورسمها : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ،
المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ، الأوحدى ، النصيرى ، الهامى ، المقدمى ،
الظهيرى ، الفلانى ؛ عز الإسلام والمسلمين ، سيّد الأُمراء فى العالمين ، نُصرة
الغُزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كهفِ الملّة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حسام
أمير المؤمنين » ثم الدعاء والتصدير المناسب ، مثل : « ولا زال عالياً قدره ، نافذاً
أمره ، جارياً على الألسنة حمده وشكره . صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى
تُهدى له سَلاماً ، وثَناءً سَلاماً » ثم يقال : « وتوضّح لعلمه المبارك كذا . ومرسومنا
للمجلس العالى أن يتقدّم أمره المبارك بكذا ، فيُحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده
بمنّه وكرمه » .

الدرجة السادسة

(صدرت والعالى ، ويعبر عنها بالسامى بالياء)

وصورتها على ما فى "التثقيف" : « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى ،
الأميرى ، الكبيرى ، العَضدى ، الذُخرى ، النصيرى ، الأوحدى ، العونى ،
الهامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأُمراء
المقدمين ، نُصرة الغُزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، دُخِر الدولة ، كهفِ الملّة ؛ ظهير
الملوك والسلاطين » ثم الدعاء المناسب ، مثل : « أدام الله سعادته ، وأجزل من
الخيرِ به وإفادته ، مُوصِّحة لعلمه المبارك كذا ؛ ومرسومنا للمجلس العالى أن يتقدّم
بكذا ، فيُحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنّه وكرمه » .

الدرجة السابعة

(صدرت والسامى ، ويعبر عنها بالسامى بغير ياء)

وصورتها : « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، الأميرى ، الأجلى ، الكبيرى ، العضدى ، الذخرى ، النصيرى ، الأوحدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، زين المجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين » ثم الدعاء مثل : « أدام الله سعادتَه ، وأجزل من الخير عادتَه ؛ نتضمَّن إعلامَه كذا ، ومرسومنا للمجلس السامى أن يتقدَّم بكذا ، فليعلم ذلك ويعتمده ، والله الموفق بمنه وكرمه » .

الدرجة الثامنة

« يعلم مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، زين المجاهدين ، مدد الملوك والسلاطين » والدعاء ، مثل : « أدام الله سعده ، وأنجح قصده ؛ أن الأمر كذا ، ومرسومنا له أن يتقدَّم بكذا ، فليعلم ذلك ويعتمده ، والله الموفق بمنه وكرمه » .

قلت : وقد تقدَّم فى أول المكاتبات أنه يتعين أن يكون الدعاء للمكتوب إليه مناسباً للحال ، مثل أن يكون موافقاً لأسم المكتوب إليه أو لقبه أو وظيفته ، أو محل نيابته ، أو الأمر المكتوب بسببه : من استطلاع أمر ، واستهداف عزم ، وفتح وظفر وبشارة وغيرها وما يجرى مجرى ذلك ، وتقدَّم هناك ذكر جملة من الأدعية فى الأمور المختلفة المعانى .

ونحن نذكر هنا نبذة من الأدعية والتصديرات اللائقة المتقدمة ، مما يدعى به للنواب ومن فى معناهم ؛ ليقرب تناوله باقترانه بصور المكاتبات .

الأدعية والصدور لتوابع السلطنة

أدعية تصلح للنائب الكافل

ولا زالت كَفَالَتُهُ تَبَسُّطُ المَعَدَلَةِ ، وعزائمُه على الإنصافِ والإسعافِ مُشْتَمِلَةٌ ،
وتقدماته تُبَلِّغُ كُلَّ ذِي قَصدٍ أمله . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الكَرِيمِ تُهْدِي إليه من السلام
أكله ، ومن الشناء الحَسَنِ أجزَلَه ، وتُبدِي .

آخر : ولا زالتِ الممالكُ كُلُّها في كَفَالَتِهِ ، والمسالكُ على اختلافِ طُرُقِها آئِلَةٌ
إلى إيالته ، والملائكُ محوِّمةٌ على بنوده محفَّةٌ بهالته ، والأرائكُ لأنتنِي إلا على دَسْتِ
نَخَارِهِ ولا تُعَدُّ إلا لجلالته . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الكَرِيمِ تُخَصِّصُهُ بأفضلِ السلامِ ،
وأطيبِ الشناء المرقومِ على أعلى الأعلامِ ؛ وتُبدِي .

آخر : ولا زالتِ كَفَايَةُ كَفَالَتِهِ تَزِيدُ على الآمالِ ، وتُتَقَرَّبُ إلى الله بِصَلاحِ
الأعمالِ ، وتكفُلُ ما بين الجُنبِ وأقصى الشَّمالِ . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الكَرِيمِ
وصدْرُها بِذِكْرِهِ منشَرِحٌ ، وبِيرَةِ فَرِحٍ ، وبِعُلُوِّ قدرِهِ في أيامنا الزاهرةِ يُسَرِّ وَيؤمِّلُ
منه ما يَزِيدُ على أملِ المَقْتَرِحِ ، وتُبدِي .

أدعيةٌ تصلحُ لنائبِ الشامِ المحروسِ

و[لا زالتِ] الممالكُ [تؤيد] بعزمه ورأيه تأييدا ، والدولُ [تسدّد] بكفالاته تسديدا^(١)
و[تسديد] تسديدا^(١) . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الكَرِيمِ تُهْدِي إليه سلاما تضاعفُ أجزاءهُ ،
وشناءً يُبهِجُ الخواطرَ سناؤُهُ ، وتُبدِي لعلمه .

آخر : ولا زالتِ النفوسُ يُمننُ كَفَالَتِهِ فائِقةً ، والخواطرُ في محبَّتِهِ متوافِقةً ،
والألْسُنُ بِشكرِ محاسنِهِ ناطِقةً ، وقلوبُ الأعداءِ من بأسِهِ ومهَابَتِهِ خافِقةً . أصدرناها

(١) الزيادة يقتضيا المقام تمام الكلام .

إلى المَقَرِّ الكَرِيمِ تُهْدَى إليه أنواعُ السَّلامِ المُناسِبَةِ وأجْنَاسِهِ المُناسِقَةِ ، وَتُنْبِئُ عَلَى أوصافِهِ الَّتِي أَصْبَحَتِ الأَفْوَءُ فِي ذِكْرِهَا صَادِقَةً ، وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخِرُ : وَلَا زَالَتْ عِزَّتُهُ مُرَهَفَةً الحَدِّ ، وَكَفَالَتُهُ كَفِيلَةً بِنُجْحِ القَصْدِ ، وَمَغَانِمُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُعْرَبُ عَنِ الاجْتِهَادِ فِي قَهْرِ الأَعْدَاءِ وَالِحَدِّ . أَصْدَرْنَاهَا إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا يَفُوقُ شَدَاهُ العَنْبَرُ والنَّدَّ ، وَشَاءَ مَجَاوِزًا أَبَدًا الحَضْرَ وَأَمَدًا العَدْبَ ؛ وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

(١) آخِرُ : وَلَا زَالَتْ قُلُوبُ أَهْلِ الإِيمَانِ مِنْ كَفَالَتِهِ مُؤْتَلَفَةً ، وَفَرَّقُ أَهْلِ مِنْ بَأْسِهِ وَخَوْفِهِ مُخْتَلَفَةً ، وَأَحْوَالُ أَهْلِ العِنَادِ بِجَمِيلِ تَدْبِيرِهِ فِي أَسْتِطْلَاعِهَا وَإِضْحَاقِهَا مُنْكَشَفَةً . أَصْدَرْنَاهَا إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ تُنْبِئُ عَلَى هِمَّتِهِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ عَلَى المِصَالِحِ مَعْتَكِفَةً ، وَتُهْدَى إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ شَمُوسًا مُشْرِقَةً غَيْرُ مُنْكَسِفَةٍ ؛ وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخِرُ : وَلَا زَالَتْ سَعَادَتُهُ بِحُكْمِ الأَقْدَارِ دَائِمَةً ، وَالمَعْدَلَةُ بِجَمِيلِ حِلْمِهِ وَصَائِبِ رَأْيِهِ قَائِمَةً ، وَالعِيُونَ يُبَيِّنُ كَفَالَتَهُ فِي مِهَادِ أَمْنِهِ نَائِمَةً . أَصْدَرْنَاهَا إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ تُهْدَى إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ طَيِّبَةٌ المَسْرَى ، وَشَاءَ حَسَنَ وَصْفًا وَطَابَ ذِكْرًا ، وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخِرُ : وَلَا زَالَتْ النُّصْرُ حَلِيَّةٌ أَيَّامِهِ ، وَشَامَةٌ شَامِهِ ؛ وَعِمَامَةٌ مَا يَحْتَقُّ عَلَى بَلَدِهِ المُخَضَّرِ مِنْ غَمَامِهِ . أَصْدَرْنَاهَا إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ بِسَلَامٍ لَا يَرْضَى حَافِرُ جِوَادِهِ الهَلَالَ نَعْلًا ، وَلَا يَحْطِي بِهِ إِلَّا بَلَدُهُ وَنَخَصَ مِنْهُ الشَّرَفَ الأَعْلَى ؛ وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخِرُ : وَسُقِيَ عَهْدُهُ العِهَادَ ، وَشَفِيَ بَعْدَلُهُ العِبَادَ ، وَزَانَ بِهِ حُسْنَ بَلَدِهِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ ، وَهِيَ إِرْمُ ذَاتِ العِمَادِ . أَصْدَرْنَاهَا إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ بِسَلَامٍ تُسْرِبُهُ النُّفُوسُ ، وَيَطُوقُ بِهِ فَضْلُهُ الجَامِعُ وَتَحْتَلِي بِهِ العُرُوسُ ؛ وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

(١) بياض بالاصل ولعله الكفر .

آخر : ووقى بسور جيوشه المتنتعة ضرر الضراء ، وكسر بأسود جنوده ذئاب
الأعداء الضراء ، وسبق دهماء الليل وشهباء النهار [وحراء الشفق^(١)] وصفراء الأصيل
وشقراء البرق بسابقته الخضراء . أصدرناها إلى المقتر الكريم بسلام يملأ حلق
حدائقه نورا ، وقلب عساكره سرورا .

أدعية ومردود

(تصلح لكل من النائب الكافل ، ونائب الشام ،

ومن في معناهما كالأتابك ونحوه)

دعاء من ذلك : ووصل المسار بعلمه الذي لا ينكر ، وحلمه الذي يشكر ،
وحكمه الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . أصدرناها إلى المقتر الكريم بسلام
يسرع إليه ، وثناء يرد منا عليه ؛ وتبدي لعلمه .

آخر : ولا زالت الدول برأيه مقبلة السعد ؛ مترقية في الصعود ، مملوءة
الرحاب : تارة تبعث البعث وتارة تفد عليه الوفود . أصدرناها إلى المقتر الكريم
تهدي إليه من السلام أشرقه نجوما ، ومن الثناء أغدقه غيوما ؛ وتبدي لعلمه .

آخر : ولا زالت الممالك بآرائه منيره ، وبراياته لأعدائها وأعداء الله مبيده ،
وبرؤياه نتضاءل الشمس المشرقة وتحجل السحب المطيره . أصدرناها إلى المقتر
الكريم تهدي إليه من السلام دُرره ، ومن الثناء غرره ، وتبدي لعلمه .

آخر : ولا برحت آرائه كأن نجوم بعيدة المدى ، قريبة الهدى ، متهللة
كالغمام : للأعداء منها الصواعق وللأولياء منها الندى . أصدرناها إلى المقتر الكريم
بسلام حسن الأفتاح ، وثناء كما نظم الوشاح ؛ وتبدي لعلمه الكريم .

(١) الزيادة من "التعريف"

آخر : ولا برحت آراؤه تُبِيرُ غِيَاهِبَ الخُطُوبِ ، وعزائمُه تُبِيرُ سَنَايِكَ الحِيَادِ
للجهاد فتظفر من التأيد بكلِّ مطلوب ، وصواريمُه تفتك بالأعداء فتَهْتِكُ منهم كلَّ
سِتْرٍ محبوب . أصدرناها إلى المقتَرِ الكريمِ تُهْدِي إليه سلامًا أزهى من الزَّهْرِ ، وأبهى
من رَوْضٍ وافٍ نَضَارَتِه النَّظْرَ ، وتبدي لعلمه .

آخر : ولا برح التأيدُ يَصْحَبُ رايته ، والعزمُ يَحْدُمُ عَزْمَتَه ، والرَّعبُ يَوْمٌ
طليعته ، والظفرُ يُحْكَمُ في العدوِّ سَيْفَه فلا يَسْتَطِيعُ عاصي الحِصُونِ عِصْمَتَه . أصدرناها
إلى المقتَرِ الكريمِ تُكَافِي بمزيد الشُّكْرِ هَمَّتَه ، وتوافي إليه ببناءٍ وافٍ يَحْسُدُ المسكُ
نَفْحَتَه ، وتنبى لعلمه .

آخر : ولا برحت سِيُوفُه تَسِيلُ يومَ الرُّوعِ جَدَاوِلُهَا ، وعزائمُه تُنْصِرُ
كثائبها وجمافئها ، ومنزلته على ممر الزمان بين السماكين منازلها . أصدرناها إلى المقتَرِ
الكريمِ تُثْنِي على محاسنه التي بهرت أوصافها ، وأختالت في ملبس الحمدِ أعطافها ؛
وتبدي لعلمه .

أدعية وصدور

(تصلح لنائب حلب المحروسة)

دعاء من ذلك : ولا زال يُعَدُّ ليومَ تَشْيِبِ منه الولدان ، ويُعَدُّ دونه
[كلُّ محارب ^(١)] بَيْنَه وبين الشَّهَاءِ والمَيْدَانِ ، وَيُعَمُّ حَلَبَ من حِلِّي أيامه مالا يُفْقَدُ
معه إلا أسمُ ابنِ حَمْدَانَ .

فإن كان لقبه سيف الدين ، قيل « وَيُعَمُّ حَلَبَ من حِلِّي أيامه مالا يُفْقَدُ معه
سيفُ الدِّينِ إنْ فُقِدَ سيفُ الدَّوْلَةِ بنُ حَمْدَانَ . صدرت هذه المكاتبه إلى الجناح

(١) الزيادة من "التعريف" .

الكريم تُهْدِي إليه سلاماً مامرّاً على روضِ إلا آتَهَبِ طِيبَهُ نَهْباً، وثناءً تُعَقِّدُ له أعلامه
على كَتِيبَتِهِ الشَّهْبَا، وتوضِّحُ لعلمه .

آخر : وَفَتَحَ بِسُيُوفِهِ الْفَتْحَ الْوَجِيْزَ، وَأَحْلَلَ عَقَائِلَ الْمَعَاقِلِ مِنْهُ فِي الْكَنَفِ
الْحَرِيْزِ، وَأَعَادَ بِهِ رَوْنَاقَ بِلَدٍ مَاجَفَّتْ بِهَا زُبْدَةُ حَلِيْبٍ وَهُوَ فِيهَا الْعَزِيْزُ . صدرت هذه
المكاتبه إلى الجناب الكريم بسلامٍ ذَهَبُهُ لَا يَذْهَبُ، وثناءٍ لَا تُصْلِحُ لِغَيْرِ عَقِيلَةِ الشَّهْبَاءِ
قِلَادَةُ عُنْبُرِهِ الْأَشْهَبِ، وتوضِّحُ لعلمه الكريم .

آخر : وَلَا زَالَتْ هِمْمُهُ مِطْلَقَةً عَلَى النُّجُومِ فِي مَنَازِلِهَا، مُطَاوِلَةً لِلْبُرُوقِ بِمَنَاصِلِهَا،
قَائِمَةً فِي مَصَالِحِ الدُّوَلِ مَقَامَ بَحْمَافِهَا . صدرت هذه المكاتبه إلى الجناب الكريم
تُهْدِي إليه سلاماً كَالدُّرِّرِ، وثناءً طَوِيلَ الْأَوْضَاحِ وَالغُرَبِ، وتبدي لعلمه .

آخر : وَأَمَدَّهُ بَعُونُهُ، وَجَمَلَهُ بِصَوْنُهُ، وَلَا زَالَ رَأْيُهُ فِي النَّقِيضِينَ : لِهَذَا سَبَبَ
فَنَائِهِ وَلهَذَا عَلَّةُ كَوْنِهِ . صدرت هذه المكاتبه إلى الجناب الكريم تُهْدِي إليه سلاماً
رَاطِبِيَا، وَشُكْرًا يَكُونُ عَلَى مَا تُخْفِي الصُّدُورُ رَقِيْبًا، وتوضِّحُ لعلمه .

آخر : وَأَعْلَى لَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ قَدْرًا ، وَضَاعَفَ لَدَيْهِ مِنْ لَدُنْهُ سُورًا
وَبَشْرًا، وَلَا أَعْدَمَ الْمَمَالِكَ مِنْ عِزَائِهِ تَأْيِيدًا وَنَصْرًا . صدرت هذه المكاتبه إلى
الباب الكريم تُهْدِي إليه سلامًا يُفَوِّقُ الزَّهْرَ، وَيَسَابِقُ فِي سَيْرِهِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ،
وتبدي لعلمه .

آخر : وَخَصَّهُ بِجَمِيلِ الْمَنَاقِبِ، وَمَنَحَهُ مِنَ الْمَزِيدِ عُلُوًّا الْمَرَاتِبِ، وَضَاعَفَ لَدَيْهِ
مِنَ الْإِيْثَارِ شَرِيفَ الْمَوَاهِبِ . صدرت هذه المكاتبه إلى الجناب الكريم تُهْدِي إليه
سلاماً كَرَمٌ وَفُؤُدُهُ، وَثناءً حَسَنَ وَصْفُهُ وَعُدْبَ وَرُودِهِ، وتوضِّحُ لعلمه .

آخر : ولا زالت الخواطرُ تشهدُ منه صدقَ المحبة ، والنفوسُ تتحققُ أنه قد جعل
النصيحةَ لأيماننا الشريفةَ دأبه . صدرت هذه المكتبةُ إلى الجنبِ الكريمِ تُهدى إليه
سلاما زاكيةً أقسامه ، وثناءً لكلِّ عقدهِ وأتسقُ نظامه ؛ وتوضعُ لعلمه الكريمِ .

آخر : وزاد عزمه المباركُ تأييدا ، ومنحَ نعمه على ممرِ الأوقاتِ مزيدا ، وجعل
حظه من كلِّ خيرٍ سعيدا ، وسعده بتجديدِ الأيامِ جديدا . صدرت هذه المكتبةُ إلى
الجنبِ الكريمِ تُهدى إليه تحيةً حسنَ إهداؤها إليه ، وثناءً يبهجُ الخواطرَ ورؤده
عليه ؛ وتوضعُ لعلمه .

آخر : وجعل السعدَ المؤبدَ من مغانمه ، وأقامه لإبقاءِ الخيرِ في معادنه وإثباتِ
العزِّ في معاملته . صدرت هذه المكتبةُ إلى البابِ الكريمِ تُهدى إليه تحيةً طاب نشرها
العاطرُ ، وثناءً أبهجَ ذكره الخاطرُ ؛ وتوضعُ لعلمه .

آخر : ولا زال بالملائكةِ منصورا ، وبمزيدِ النعمِ مسرورا ، وبكلِّ لسانٍ
موصوفاً مشكورا . صدرت هذه المكتبةُ إلى البابِ الكريمِ تُهدى إليه سلاماً يَضُوعُ
نشره ، وثناءً يَفُوحُ عطره ، وتوضعُ لعلمه .

دعاء وصدور

(يصلح لنائب السلطنة بطرابلس^(١))

[وهو من هذه النسبة وما لا يبعد منها .

والدعاء مثل قولنا : وأطاب أيامه التي مارقت على مثلها أسحار ، وعدد في مناقبه
العقول التي تحار ، وأخذ بنواصي الأعداء بيده لا تنأى بهم البرارى المقفرة
ولا تحصنهم البحار .

(١) ظهر من غوى المقام أن هنا سقطا من قلم الناخذ . وقد تداركناه من "التعريف" ووضعناه بين قوسين

هكذا [] تيمنا للكلام فليتبه .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى بسلام وفرت منه أسهمه التي يدرأ بها العدا في نحرها، وثناءٍ مُطْرِبٍ تُرْقِصُ به الخيلُ في أعتتها والسُّقْنُ في بَجْرها .

دعاء آخر وصددر

ولا زالت صفوفه تُسُدُّ بنيان الحرب، وسيوفه تعدُّ للقتل وإن قيل للضرب، وسُجُوفه تُجْرُّ على بلد مامثله في شرق ولا حصل على غير المسعى منه غرب .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تُهدى إليه سلاما يزيد أفضقه تزيينا، وثناء يأتيه من فائق الدر بما يستهون معه بالمينا .

دعاء وصددر

[يصلح لنائب السلطنة بحجة)]

وأتمَّ بخدمه كلَّ مبرّه، وبهممه كلَّ مسرّه، وضان ماويله أن يكون به غير النهر «العاصي» أو يُنسب إليه سوى البلد المعروف « معره » .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تُهدى إليه سلاما تُمسحُ أُنديته بالسحاب، وثناء يأتي به حماة وقرونها المشورة بالويته معقودة الدواب .

[^(١)دعاء آخر وصددر

وحى حماه، وزان موكبه بأحسن حماه، وحسن كائن سهامه التي لا يصلح لها غير بلده حماه^(١) .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تُهدى إليه سلاما تحمله إليه الركائب السائرة، وثناء تُشرق منه الكواكب أضعاف ما تُريه أفلاك الدواليب الدائر، وتوضح لعلمه .

(١) ما بين هذين القوسين] تداركاه من التعريف لينظم به الكلام فليأمل .

دعاء وصدر

(يصالح لنائب صفد)

وشكرهمم التي وفّت ، وعزائم التي كفّت ، وأعلى به بلداً مُدّ وليه قيل :
صفد قد صفت . صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالي تُهدى إليه سلاماً
لا تزال شعائره تُقام ، وثناء مُدّ هبّ على بلده قيل : إنَّ هواءها يشفي الأسقام ؛
وتوضع لعلمه .

آخر : ولا زالت مساعيه تسوقُ إليه الحُظوظ [البطيّة^(١)] وتقدّم له العلياء مثل
المطيّة ، وتهنيّه بما خُصّ به من صفد وهي العطيّة ؛ [صدرت هذه المكتبة
إلى الجناب العالي تُهدى إليه سلاماً يحييه في محله ، وثناء يودع في معقله الذي لا تصل
أعلى الشواخ إلا إلى ماسفل من ظله^(١)] وتوضع لعلمه .

ادعية وصدور

(تصلح لكل من نواب طرابلس وحماة و صفد ومن في معناهم)

دعاء وصدور من ذلك : ولا يرح منصور العزّات ، مسدداً في الآراء
والحرّكات ، مشيداً قواعد الممالك بماله من جميل التقدّمات . صدرت هذه المكتبة
إلى الباب العالي تُهدى إليه سلاماً أرجا ، وثناء بهجا ؛ وتوضع لعلمه .

آخر : ولا زال سيفه ماضيا ، وجيده حاليًا ، وصدّه خاسيا . صدرت هذه
المكتبة إلى الجناب العالي تُهدى إليه سلاما ، وتسدّد رأيه الصائب سهما ،
وتوضع لعلمه .

(١) من التعريف .

آخر : ولا زالت آراؤه سعيدة ، وتأثيراته حميدة ، وسُيوفه لرقاب العدا
مُبيده . صدرت هذه المكتبةُ إلى الجناب العالى تُهدى إليه سلامًا يتأرجح ، وثناءً
نشره نشر الثوب المدبج ، وتوضع لعلمه .

آخر : ولا زالت آراؤه عالية ، وأجيادهُ حالية ، ونِعْمَ اللهُ عليه متواليه . صدرت
هذه المكتبةُ إلى الجناب العالى تُهدى إليه السلام التام ، والثناء الوافر الأقسام ،
وتوضع لعلمه .

أدعية وصـدور

(تصلح لنائب الكرك ومن في معناه ممن رتبته المجلس العالى مع الدعاء)

دعاء من ذلك : وأيد عزمه ، وأبد حزمه ، وفوق إلى نحر العدا سهمه .
صدرت هذه المكتبةُ إلى المجلس العالى تُهدى إليه سلاما ، وتُسَدَّدُ لرأيه الصائب
سهما ، وتوضع لعلمه .

آخر : ولا زال عاليا قدره ، نافذا أمره ، جارياً على الألسنة حمده وشكره .
صدرت هذه المكتبةُ إلى المجلس العالى تُهدى إليه سلاما ، وثناءً بساماً ، وتوضع لعلمه .

المهَيِّع الثاني

(في بيان مراتب المكتوب إليهم من أهل المملكة ، وما يستحقه
كلُّ منهم من المكاتبات . وهم ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(أرباب السيوف ، وهم على ثلاثة أقسام)

القسم الأول

(من هو منهم بالديار المصرية ، وهم ستة أصناف)

الصنف الأول

(تُواب السلطنة الشريفة ، وهم أربعة تُواب)

الأول — النائب الكافل : وهو نائب السلطنة الشريفة بالحضرة . وقد تقدم
في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أنه أعلى تُواب السلطان رتبةً .
قال في "التثقيف" : "وقل أن يُكاتب إلا إذا كان السلطان مسافراً في غزاةٍ أو سرحةٍ
للصيد .

ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في "التعريف" : أعزَّ الله تعالى أنصار الجنب
الكريم على ما تقدم في الدرجة الثانية من الدرجات العشر^(١) . قال في "التعريف" :
وقد رأيت بعض الكُتاب قد كتب في ألقابه بعد الأُميرى « الأمرى » . قال :
والكاتب المذكور كاتبٌ صالحٌ في المعرفة وليس بحجَّة ، وكاتبه الأمرى ليست بشيء ،
وإنما حمله عليها كثرة الملقى . وقد نقل في "التعريف" عن هذا الكاتب أنه كتب

(١) لم يتقدم إلاثمان فتنه .

في تعريفه « نائب السلطنة وكافل الممالك الشريفة الإسلامية » . قال : وهو مقبولٌ منه . ثم قال : والذي أراه أن يُجَمَّع ذكر النيابة والكفالة في تقليده ، فيقال : « أن يُقَلَّدَ نيابةَ السلطنة المعظمة ، وكفالةَ الممالك الشريفة الإسلامية » أو ما هذا معناه ، نحو : « وكفالة الممالك الشريفة : مصرًا وشامًا وسائر البلاد الإسلامية أو الممالك الإسلامية » ونحو ذلك .

فأما في تعريف الكتب ، فقد جرت عادة نواب الشام أن تقتصر في كتبها إليه على « كافل الممالك الإسلامية المحروسة » . قال : ولعمري في ذلك مَقْنَعٌ وإنَّ في الأقتصار عليها ما هو أكثرُ نَخَامَةً . وعليه عملُ أكثرِ الكُتَّابِ بديوان مصر أيضا ، ويؤيِّده أنهم مقتضرون فيما يكتب بإشارته على هذا التعريف ، فأعلم ذلك .

ورسم المكتبة إليه على ما استقر عليه الحال ، على ما ذكره في « التثقيف » : أعزَّ الله تعالى أنصارَ المَقْتَرِ الكريم ، كما في الدرجة الأولى من الدرجات العشر ، والعلامة إليه « أخوه » . وتعريفه : « كافلُ الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . قال في « التثقيف » : وإنما كُتِبَ له أعزَّ الله تعالى أنصارَ المَقْتَرِ ، وزيدت ألقابه على ما كانت عليه لمَّا كُتِبَ بذلك لنائب الشام في ولاية بيدمر الخوارزمي ، وكافل المملكة يومئذ الأمير منجك ، فلزم أن يكتب له مثله لئلا يكون نائب الشام مميِّزا على كافل السلطنة ، على ما سيأتي في الكلام على مكتبة نائب الشام .

قال في « التعريف » : أما نائبُ الغيبة ، وهو الذي يُتْرَكُ إذا غاب السلطان والنائب الكافل وليس إلا لإيحاء النوائر وحلاص الحقوق ، فخكته تحكمه في المكتبة إليه .

الثاني — نائب نجر الإسكندرية المحروس : وهو ممن أستحدثت نيابته في الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين» عند طُروق العدو المخذول، في سنة سبع وستين وسبعائة من الفَرَّنج المخذولين .

ورسم المكتبة إليه : ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب العالی، على ما تقدم ذكره، إلا أنه لا يقال في ألقابه «الكافلي» والعلامة الشريفة له « والده » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بنجر الإسكندرية المحروس » .

واعلم أن بالإسكندرية حاجباً يكتبُ عن الأبواب السلطانية . قال في «التتيف» : ورسمُ المكتبة إليه : «هذه المكتبةُ إلى المجلس السامي» إن كان طبلخاناه، و« يعلمُ مجلس الأمير » إن كان عشرةً، والعلامة الشريفة له الاسم بكل حال . وتعريفه «الحاجبُ بنجر الإسكندرية المحروس» .

الثالث — نائب الوجه القبلي : وقد تقدم أن مقر ولايته مدينةُ أُسيوطَ ، وأنَّ أستحدثت نيابته كان في الدولة الظاهرية «برقوق» في سنة ثمانين وسبعائة .

ورسم المكتبة إليه : « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب العالی » على ما تقدم ذكره . ولا يقال فيه «الكافلي» أيضاً ، والعلامة الشريفة « والده » وتعريفه «نائب السلطنة الشريفة بالوجه القبلي» .

الرابع — نائب الوجه البحري : وقد تقدم أن مقر ولايته مدينة دمنهور الوَحْش من أعمال البحيرة، وأن نيابته أستحدثت بعد نيابة نائب الوجه القبلي، ولذلك لم يتعرض له في «التتيف» .

ورسم المكتبة إليه : « ضاعفَ الله تعالى نعمة الجَنَاب العالی » كما في نائب الوجه القبلي . والعلامة الشريفة له «أخوه» وتعريفه «نائب السلطنة الشريفة بالوجه البحري» .

الصنف الثاني

(الكشاف)

وقد تقدم أنه كان قبل استقار نيايتي الوجهين : القبلي والبحري كاشفان بالوجهين المذكورين : كاشف بالوجه القبلي ، وكاشف بالوجه البحري . فلما استقرت النيابةان ، استقرت بالفيوم والبهنساوية كاشف ، وبالشرقية وما قاربها كاشف ، وكل منهما أمير طبخاناها .

ورسم المكاتبه إلى كل منهما : « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامى » والعلامة لكل منهما الأسم الشريف ، وتعريف كاشف الفيوم « الكاشف بالفيوم والبهنساوية » وتعريف الآخر « الكاشف بالوجه البحري » .

الصنف الثالث

(الولاية بالوجهين : القبلى والبحرى)

وكل من ولاية الوجهين لا يخرج عن طبخاناها أو عشرة وما فى معناها كالعشرين ونحوها .

فأما الوجه القبلى ، ففیه ستة ولاة ، منهم ثلاثة طبخاناها : وهم والى قوص وإنحيم . ووالى الأشمونين . ووالى البهنسا .

ومنهم ثلاثة عشرات : وهم والى الحيزية ، وكان قبل ذلك طبخاناها . ووالى إطفیح . ووالى منفلوط . وكان قبل ذلك طبخاناها ، وهو اليوم إمرة عشرين .

وأما الوجه البحرى ، ففیه سبعة ولاة : منهم ثلاثة طبخاناها . وهم والى الغربية . ووالى المنوفية . ووالى الشرقية . وكان بدمهور والى طبخاناها قبل استقرارها نيابة .

ومنهم أربعة عشرات، وهم : والى قَلْيُوب . ووالى أَشْمُوم : وهى الدقهيلية
والمرتاحية . ووالى دِمِيَاط . ووالى قَطِيَا .

ورسم المكاتبه إلى كلِّ من ولاة الطبلخاناه منهم : « هذه المكاتبه إلى المجلس
السامى » وإلى كلِّ من ولاة العشرات منهم « يعلم مجلس الأمير » والعلامة لكل
من الطبلخاناه والعشرات الأسمُ الشريف ، وتعريف كل منهم « والى فلانة » .

الصنف الرابع

(من يتوجه من الأبواب السلطانية من الأمراء لبعض الأعمال المتقدمة الذكر:

لكشف الجسور وعمارتها أو لتخضير البلاد أو لقبض الغلال)

قال فى "التتيف": فمن كان منهم طباخاناه، فرسم المكاتبه إليه السامى بالياء .
ومن كان منهم عشرة ، فرسم المكاتبه إليه السامى بغير ياء . والعلامة للجميع الأسم
الشريف . قال : ولا تذكر الوظيفة التى توجه بسببها، ولا الإقليم الذى هو به .

الصنف الخامس

(باقى الأمراء بالديار المصرية)

وقد رتبهم فى "التتيف" على أربع مراتب :

المرتبة الأولى — مقدمو الأئوف، وقد ذكر أن لجارهم أسوة كبار التواب بالمالك
الشامية، كالشام وحلب . ولاوسطهم [أسوة أوسطهم] ^(١) كحماة وطرابلس وصدق .

(١) الزيادة من "التتيف"، وهى ساقطة من قلم الناسخ .

ولأصغرهم أسوة أصغرهم ، كغزّة وحمص . ثم قال : فاعلم ذلك وقس عليه . ثم قال بعد ذلك : والذي نقوله أن ل كبار المقدمين بالأبواب السلطانية «الجناب الكريم» [ثم الجناب العالی] ثم «المجلس العالی» . وهذا على ما كان في زمانه ؛ أما على ما استقرّ عليه الحال آنحرا ، فإنه يكون لكبارهم «المقرّ الكريم» كما يكتب للأتابك الآن ، ثم «الجناب الكريم» ثم «الجناب العالی» ثم «المجلس العالی» .

المرتبة الثانية — الطبلخانات . قد ذكر أن منهم من يكتب له «المجلس العالی» كمن يكون معيناً للتقدمة ، وله عدة ثمانين فارساً أو سبعين فارساً أو نحو ذلك ، وكالمقربين من الخاصية ، أو من له عراقه نسب كبقايا الملوك ، أو أرباب وظائف جليّة : كحاجب كبير ، أو إستدار جليل ، أو مدبر دولة لم يصرّح له بالوزارة ، أو وادار متصرف . ثم قال : وهؤلاء وإن كتب لهم بالمجلس العالی ، فإنه يكتب لهم بغير افتتاح بالدعاء ، والكتابة لهم بالعالی على سبيل العرض لا الاستحقاق ، وإلا فأجل رسم مكتبة أمراء الطبلخانا «السامى» بالياء ولجمهورهم «السامى» بغير ياء .

المرتبة الثالثة — العشرات . وقد ذكر أن لكل منهم «مجلس الأمير» ، ثم قال : فإن زيد قدر أحد لسبب ما ، كتب له «المجلس السامى» بغير الياء .

المرتبة الرابعة — مقدمو الجند . وقد ذكر أن لهم أسوة أمراء العشرات في المكتبة . ثم قال : وأما الجند ، فالأمير الأجل . وأما جند الأمراء فالطواشى . وكأنه يريد ما إذا كتب بسببهم مكتبة أو كتب لأحد منهم توقيع ، وإلا فالجند لا يكتب أحد منهم عن الأبواب السلطانية حتى ولا تواب القلاع بالشام ، كما سأتى ذكره هناك إن شاء الله تعالى .

الصنف السادس

(العربان بالديار المصرية وبرقة)

وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في الكلام على أنساب العرب ، فيما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى . وقد ذكر في " التعريف " أن العرب بمصر في الوجهين القبلي والبحري جماعات كثيرة وشعوب وقبائل . ثم قال : ولكنهم على كثرة أموالهم ^(١) وآتساع نطق جماعاتهم ، ليسوا عند السلطان في الذروة ولا السنام ، إذ كانوا أهل حاضرة وزرع ، ليس منهم من يُنجد ولا يُتيم ، ولا يُعرق ولا يُسَم ، ولا يخرجون عن حدود الجُدران ، وعلى كل حال * فالمندل الرطب في أرجائه حطب * .

ثم قد قسم منازلهم إلى الوجه القبلي والوجه البحري ، وذكر أن بكل من الوجهين من يكاتب عن الأبواب السلطانية .

فأما عرب الوجه البحري فعلى ضربين :

الضرب الأول

(عرب البحيرة)

قال في " التعريف " : وأمرأؤهم عرب الديار المصرية . قال : وهم أشبه القوم بالتخاطق بجلالتي العرب في الحلل والترحال ، يُغربون إلى القيروان وقابس ، ويفدون على الحضرة السلطانية وفود أمثالهم من أمراء العرب . وذكر أن الإمرة فيهم في زمانه ، كانت في محمد بن أبي سليمان وفائد بن مقدم . وقال : إن رسم المكتابة إلى كل منهما : « هذه المكتابة إلى المجلس السامي ، الأمير » والعلامة السلطانية « أخوه » ولم يتعرض لتعريفهما ، والذي يظهر أن تعريف كل منهما اسمه .

(١) في الاصل : أبدالهم ، وهو تصحيف والتصحيح من " التعريف " .

أما بعده ، فقد تغيّرت تلك الأحوال ، وتناقصت رتبةُ عرب البَحيرة ، وزالت الإمرةُ عنهم ، ولم يبقَ فيهم إلا مشاع عربان ذوو أموال بحمة ، كان منهم في الدولة الأشرقية «شعبان بن حسين» رحاب ، وموسى بن خضر ، وأولاد بدران الغريبي ، ومن جرى مجراهم ، ثم صار اليوم بها ^(١) بن رحاب ، وخضر بن موسى .

الضرب الثاني

(عربُ الشَّرقية)

وقد ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه منهم نجم بن هجل شيخ عائد . وذكر أنه دون محمد بن أبي سليمان وفائد بن مقدم : أميرى عرب البَحيرة . ثم قال : ورسم المكاتبه إليه : «هذه المكاتبه إلى المجلس السامى الأمير» .

قلت : ثم تغيّرت الأحوال بعد ذلك وصارت رئاسةُ عرب الشرقية متداولةً ^(١) في جماعة ، إلى أن كان منهم في الدولة الظاهرية «برقوق» محمد بن عيسى أمير ^(١) وأولادهم ، وكانت الإمرة فيهم أولا في ^(٢) ثم قُتل بسيف السلطان في الدولة الناصرية «فرج بن برقوق» وأستقر مكانه

(١) بياض بالأصل .

(٢) بياض بالأصل مقدار سطرين .



وأما عرب الوجه القبليّ ، فقد ذكر في " التعريف " أنه كان منهم في زمانه نَفران : أحدهما ناصر الدين عُمر بن فضّل . وذكر أنّ رسم المكتبة إليه « هذه المكتبة إلى المجلس السامى » أيضا . وثانيهما سُمرة بن مالك . قال : وهو ذو عدد جمّ ، وشوكية مُنيكية ، يغزو الحبشة وأمم السودان ، ويأتى بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمود ، وفعل ماثور . وفد على السلطان وأكرم مَثواه ، وعقد له لواءً وشرف بالتشريف ، وقُد ذلك ، وكتب إلى ولاة الوجه القبليّ عن آخرهم وسائر العُربان به بمساعدته ومُعاضدته ، والركوب للغزو معه متى أراد . وكتب له منشورٌ بما يفتح من البلاد ، وتقليدٌ بإمرة العُربان القبليّة مما يلي قُوص إلى حيثُ تصل غايته . ثم قال : ورسم المكتبة إليه " السامى الأمير " كمن تقدّم .

قلت : ثم كان بعد ذلك عدد من أمراء العُربان ، كان آخرهم أبو بكر بن الأحذب . ثم لما أنتقلت هُوارة إلى الوجه القبليّ ، صارت الإمرةُ فيهم في الصعيد الأدنى ، في بنى غريب ، وأميرهم الآن ^(١) وفي الصعيد الأعلى في بنى عُمر ، وأميرهم محمد بن عمر ، ورسم المكتبة إلى كل منهما ^(٢)

(١) بياض بالأصل .

(٢) بياض بالأصل مقدار سطرين . والظاهر أنه ببيض لهذا كما ببيض لما قبله أنتظارا لوضع مثال المكتبة الحارثية في زمانه فأخترته المنية قبل أن يثبت مرغوبه ويدرك مطلوبه .

وأما عربُ بَرْقَةَ ، فقد ذكر في "التعريف" أنه لم يبقَ منهم في زمانه من يكتب إلا جَعْفَرُ بْنُ عَمْرٍو ، وأنه كان لا يزال بين طاعةٍ وعِصيانٍ ، ومخاشنةٍ وليانٍ ؛ وأن أمراءَ عربِ البَحيرةِ كانت تُعْرَى به ، وتغيَّرَ خاطرُ السلطانِ عليه ، وأنَّ الجيوشَ كانت تمتدُّ إليه ، وقيلَ أن ظَفِرَتْ منه بطائلٍ ، أو رجعت بِمَغَمٍّ إن أصابته نوبةٌ من الدهرِ . وكان آخر أمره أنه ركب طريقَ الواحِ حتى خرج من الفيومِ ، وطرقَ بابَ السلطانِ لائذًا بالعفو ، ولم يسبق به خيرٌ ، ولم يعلم السلطانُ به حتى استأذن المستأذنُ عليه وهو في جملةِ الوُقوفِ بالبابِ ؛ فأكرمَ أتمَّ الكرامةِ ، وشرفَ بأجلِ التشاريفِ ، وأقامَ مدَّةً في قِريِّ الإحسانِ وإحسانِ القِريِّ . وأهلُه لا يعلمون بما جرى ، ولا يعرفون أين يَمُّ ، ولا أيَّ جهةٍ نَحَا ، حتى أتتهم وافداتُ البشائرِ . وقال له السلطانُ : لأىِّ شىءٍ ما أعلمتَ أهلكَ بقصدك إلينا؟ قال : خِفْتُ أن يقولوا : يفتك بك السلطانُ ، فأتبَطَّ . فاستحسن قوله ، وأفاض عليه طَوْلَه ؛ ثم أعيد إلى أهلِه ، فاقبل بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسه سوءٌ ، ولا رزئى له صاحبٌ ، ولا شئت به عدوٌّ .

النوع الثاني

(من يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية أربابُ الأعلام ،

وهم على ضربين :)

الضرب الأول

(أربابُ الدواوينِ من الوُزراءِ ومن في معناهم)

قال في "التعريف" ، ولم تزل مكاتبةُ أجلاءِ الوزراءِ بـ«المجلسِ العالى» . ثم كتب لآخرهم بالديار المصرية «الجناب العالى» . وكُتبت بالشام للصاحب عزَّ الدين

أبي يعلى، حمزة بن القلاقي رحمة الله، بحلالة قدره، وسابقة خدمه، وعناية من كتب إليه بها. ثم قال: والذي أستقر عليه الحال للوزير بمصر «الجناب». أما من يجرى مجرى الوزراء ولا صريح له بها: مثل ناظر الخاص، وكاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الدولة، وكاتب الدست، و«السامى» بالياء، ومن دون هؤلاء فغير ياء؛ ثم «مجلس القاضي أو الصدر».

قلت: وكأنه يريد ألقاب هؤلاء في الجملة، إما في مكتبة تكتب بسبب أحد منهم، وإما في توقيع ونحوه يكتب لأحدهم، وإلا فن ذكره من الأصغر لا يكتب عن الأبواب السلطانية عادة. والذي صرح في «التثقيف» بذكر المكتبة إليه من هذا الضرب نفران:

الأول — كاتب السر إذا تحلف عن الركب السلطاني لعارض. وذكر أن رسم المكتبة إليه: «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى» على ما تقدم ذكره، والعلامة «أخوه» وتعريفه «صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة».

الثاني — ناظر الخاص الشريف. وذكر أن رسم المكتبة إليه على ما أستقر عليه الحال في أيام ابن نقولا «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى» على ما تقدم ذكره، والعلامة «الاسم» وتعريفه «ناظر الخواص الشريفة».

قلت: ولم يتعرض لمكتبة الوزير، إنما ذكر ألقابه في الألقاب العامة مما يكتب في الولايات وغيرها، ولا يستغنى عن ذكر المكتبة إليه؛ وقد تقدم في كلام صاحب «التعريف» أن الذى أستقر عليه الحال فى المكتبة إليه «الجناب العالى» ولم يعين صورة الدعاء له. والذى ذكره فى «التثقيف» فى ألقابه أن الدعاء له «ضاعف الله

تعالى نعمته « وحينئذ فتكون المكتبة إليه إن كتب إليه « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » بالألقاب السابقة .

الضرب الثانى

(أرباب الوظائف الدينية والعلماء)

قد ذكر فى " التعريف " أن كلاً من قضاة القضاة بمصر يكتب له « المجلس العالى » والمحاسب بها يكتب له « السامى » بالياء ، ومن دونهم من أرباب الوظائف الدينية وبقية العلماء وأكابهم « السامى » بغير ياء ، ومن دونهم « مجلس القاضى » او « الشيخ » بحسب ما يلىق به . وكأنه يريد مطلق الألقاب كما تقدم فى غيره ، وإلا فهؤلاء لا يكتبون عن الأبواب السلطانية . ولم يذكر فى " التنقيف " مكتبة لأحد من أرباب الوظائف الدينية سوى قاضى القضاة تاج الدين الإخنائى المالكى ، وقد حجَّ فى سنة سبع وستين وسبعائة فى الدولة الناصرية « حسن » ، جواباً عما ورد منه ، وكتب له الدعاء و « المجلس العالى » . والعلامة الأسم . قال : وأما قاضى القضاة عز الدين بن جماعة فإنه كان يُحجُّ ويجاور كثيراً ، ولكنى لم أره كتب له قط ، وأنا شاكُّ فى أمره .

قلت : رأيت فى " إيقاظ المتغفل " لابن المتوجِّح ، أنه كتب إليه وهو مجاور بمكة : « أعز الله تعالى أحكام المجلس العالى » ولم يتعرض للعلامة ، والظاهر أن العلامة له « أخوه » ، ويكون التعريف « قاضى القضاة الشافعية أو المالكية بالديار المصرية » .

النوع الثالث

(من يُكاتب عن الأبواب السلطانية ممن بالديار المصرية الخوندات السلطانية : من زوجات السلطان وأقاربه ممن تدعو الضرورة إلى مكاتبته لسفره أو لسفر السلطان)

وقد ذكر في "التثقيف" منهن جماعة، نذكرهن ليكن أمودجا لمن يكون في معناهن .
الأولى — ابنة المقام الشريف الشهيد الناصري «محمد بن قلاوون» لما كانت بحلب مع زوجها أبي بكر بن أرغون ، كتب إليها ما صورته : «الذي يمحيط به علم الحُرمة الشريفة ، العالمة ، المصونة ، الولدية ، عصمة الدين ، جلال النساء ، شرف الخواتين ، سليلة الملوك والسلاطين ، ضاعف الله تعالى جلالها» والعلامة «والدها» وتعريفها «الدار السيفية بحلب» والأسطر متقاربة كالملطف .

الثانية — طغاي زوجة المقام الشريف الناصري المشار إليه ، المعروفة بأتم أنوك ، كتب إليها لما توجهت إلى الحجاز الشريف : «ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة ، العالمة ، المعظمة ، المحجبة ، المصونة الكبرى خوند خاتون ، جلال النساء في العالمين ، سيده الخواتين ، قرينة الملوك والسلاطين» . ثم الدعاء ، والعلامة الأمام الشريف ، وتعريفها «والدة المقر الكريم الولدي السيفي أنوك» : والأسطر على ما تقدم في المكاتب السابقة .

الثالثة — أخت المقام الشريف الناصر حسن جهة الامير طاز ، كتب لها لما كانت بالحجاز الشريف : «ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة العالمة الكريمة المحجبة المصونة الكبرى الخاتون ، جلال النساء في العالمين ، جميلة المحجبات ، جليلة المصونات ، كريمة الملوك والسلاطين ، والعلامة «أخوها» .

الرابعة - الحاجة السَّتِّ حَدَق . كُتِبَ لها وهى بالمجاز الشريف عن الناصر حسن : « ضاعف الله تعالى جلالَ الجهة الشريفة العالية الكبيرة المحجَّبة المصُونِيَّة الحَاجِيَّة الوالدية ، جلال النساء في العالمين ، بركةِ الدولة ، والدةِ الملوك والسلاطين » . ثم الدعاء والعلامة الأسم الشريف ؛ وتعريفها « الحاجة ست حدق » .

الخامسة - والدة السلطان الملك الأشرف « شعبان بن حسين » . كتب إليها عند توجُّهها للحجاز الشريف : « ضاعف الله تعالى جلالَ الجهة الشريفة » . ثم قال : وقد كنت أنكرت ذلك : لأنه كان يعظمها كثيرا ويقبل يديها غالبا ، فكان يمكن أن يُكْتَبَ لها بتقيل اليد .

قلت : وصورة المكاتبة على ما رأيته في بعض الدساتير : « ضاعف الله تعالى جلالَ حجابِ الجهة الشريفة العالية الكبرى ، المعظمة المحجَّبة العُصْمَى الخاتُونِيَّة ، جلال النساء في العالمين ، سيدةِ الخواتين ، جميلةِ المحجَّبات ، جليلةِ المصُونَات ، والدةِ الملوك والسلاطين » ثم الدعاء ، وكانت الكتابة لها في ورق دِمَشْقِيٍّ في قطع الفَرخَة بالطول كاملةً بقلم الثلث الخفيف أو التوقيع .

القسم الثاني

(مَنْ يَكْتَبُ بِالْمَالِكِ الشَّامِيَةِ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ)

النوع الأول

(أَرْبَابُ السُّيُوفِ مِنَ النَّوَابِ الْكُفَّالِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَهِيَ ثَمَانُ نِيَابَاتٍ)

النِيَابَةُ الْأُولَى

(نِيَابَةُ دِمَشْقَ، الْمَعْبُورُ عَنْهَا فِي عُرْفِ الزَّمَانِ بِالْمَمْلُوكَةِ الشَّامِيَةِ)

وَالْمَكْتُوبُونَ بِهَا عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ ضَرْبَانِ :

الضرب الأول

(مَنْ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ)

الأول — كَافِلُ السُّلْطَانَةِ بِهَا، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ مَقْدَمِيِّ الْأُلُوفِ . وَكَانَ رَسْمُ الْمَكْتُوبَةِ إِلَيْهِ عَلَى مَا أوردَهُ الْمَقَرُّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التَّعْرِيفِ" : «أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ» . قَالَ فِي "التَّنْقِيهِ" : وَلَمْ تَزَلِ الْمَكْتُوبَةُ إِلَيْهِ كَذَلِكَ مِنْ بَعْدِ الدَّوْلَةِ الشَّهِيدِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ إِلَى آخِرِ سَنَةِ نَحْمَسَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ بِيَدِهِمُ الْخَوَارِزْمِيُّ نَائِبَ السُّلْطَانَةِ بِهَا فِي وِلَايَتِهِ الثَّلَاثَةَ ، فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ «شُعْبَانَ بْنِ حَسِينٍ» فَاسْتَقَرَّ رَسْمُ الْمَكْتُوبَةِ إِلَيْهِ : «أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقْتَرِ الْكَرِيمِ» عَلَى الرَّسْمِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ إِلَيْهِ «أَخُوهُ» وَتَعْرِيفُهُ «نَائِبُ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ» . قَالَ فِي "التَّنْقِيهِ" : «أَوْ كَافِلُ الْمَمْلُوكَةِ الشَّامِيَّةِ الْحُرُوسَةِ» وَلَا يُقَالُ فِي نُعُوتِهِ : كَافِلُ السُّلْطَانَةِ .

الثاني - نائب قلعة دِمَشق . ورُسِمُ المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالی » على ما تقدم رسمه . والعلامة « والده » . قال في « التثقیف » : ثم استقرت المكتبة إليه « السامی » بالياء : لأنه طبلخاناه ، والعلامة الشريفة له الأسم . وتعريفه « نائب القلعة المنصورة بدمشق المحروسة » .

الثالث - حاجب الحُجَّاب بها . ورسم المكتبة إليه : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی » على ما تقدم رسمه ، والعلامة الشريفة له « والده » وتعريفه « أمير حاجب بالشام المحروس » .

الضرب الثاني

(من بأعمال دمشق من نواب المُدُن والقلاع، وهم خمسة نواب)

الأول - نائب حِصص ، قال في « التثقیف » : كان يكتب إليه نظير نائب الكرك ، يعنى « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی » والعلامة الشريفة له « والده » لما كان من مقدمى الألوף بالشام ، ثم استقر من أمراء الطبلخاناه ، وأستقرت مكاتبته « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامی » فيما أظن ؛ وقد تقدم رسمها . والعلامة الشريفة له الأسم الشريف ، وتعريفه « النائب بحصص المحروسة » .

الثاني - نائب الرِّحْبَة . وقد تقدم فى الكلام على المسالك والممالك أنه كان من حقها أن تكون من مضافات حلب . ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالی » على ما تقدم رسمه . والعلامة الشريفة له « والده » وتعريفه « النائب بالرَّحْبَة » .

الثالث — نائب بَعْلَبَك . قال في "التثقيف" إن كان من أمراء الطبلخاناة فكاتبتة «صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامى» والعلامة له الأسم الشريف . وإن كان من العشرات ، فالمكاتبه إليه « يعلم مجلس الأمير » والعلامة له الأسم الشريف وتعريفه « النائب بَعْلَبَك المحروسة » .

الرابع — نائب مِصْيَاف . وقد تقدم في الكلام على المَسَالِك والممالك أنها كانت مضافة إلى طرابُلُس في جملة قِلاع الدَّعوة ، ثم استقرت في مضافات الشام . ورسم المكاتبه إليه « هذه المكاتبه إلى المجلس السامى » والعلامة الشريفة له الأسم الشريف .

الخامس — نائب القُدُس الشريف . وهو من استحدثت نيابته في الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » في سنة سبع وسبعين وسبعائة ، وكانت قبل ذلك ولاية وهو طبلخاناة ، وربما أضيف إليه نظر الحرمين : حرم القُدُس ، وحرم الخليل عليه السلام . ورسم المكاتبه إليه « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالى » . والعلامة « والده » وتعريفه « النائب بالقُدُس الشريف » .

قال في "التثقيف" : وكان قد استقر بأماكن تُذكر من البلاد الشامية تواب ، واستقرت مكاتبه كل منهم : إن كان مقدما « صدرت » و « العالى » والعلامة « والده » . وإن كان طبلخاناة « السامى » بالياء والعلامة الأسم الشريف . وهى تَدْمُر ، والسُّخنة ، والقَرَيَتان ، وسَلَمِيَّة . قال : ثم بطل ذلك . ثم قال : ومن التواب بالقلع الشاميه جماعة لم تجر لهم عادة بمكاتبه عن المواقف الشريفة ، ولا تصدُر ولا يتهم من الأبواب الشريفة ، بل نائب الشام مستقل بذلك . وهم ، نائب عَجَلُون ، ونائب صَرْحَد ، ونائب الصُّبَيْبِيَّة ، ونائب شَقِيْف آرُون .

قال : وممن كُتِبَ إليه أيضا وليس بنائب ولا والٍ جمال الدين يوسف شاه الأتابك بمصيف في سنة أربع وسبعين وسبعائة على يد نافع بن بدران . ورسم ما كتب به إليه «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی» وكتب في ألقابه «الأتابكي» وكتب تعريفه «يوسف شاه الأتابك» . قال : والظاهر أن العلامة «والده» .

النيابة الثانية

(نيابة حلب)

والمكاتبون بها عن الأبواب السلطانية أيضا على ضربين :

الضرب الأول

(من بمدينة حلب ، وهم ثلاثة)

الأول — النائب بها . وهو من أكاير مقدمي الألف . ورسم المكاتبه إليه « أعز الله تعالى نصره الجناح الكريم » على ما تقدم رسمه . والعلامة الشريفة له «أخوه» وتعريفه «نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة» .

الثاني — نائب القلعة بها . ورسم المكاتبه إليه « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامى » على ما تقدم رسمه . والعلامة له الأسم الشريف . وتعريفه «نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة» .

الثالث — حاجب الحجاب بها . ورسم المكاتبه إليه « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالی » . والعلامة «والده» وتعريفه «أمير حاجب بحلب المحروسة» .

الضرب الثاني

(مَنْ بأعمال حَلَبَ مِنَ التَّوَابِ ، وَهُم أَحَدٌ وَعِشْرُونَ نَائِبًا)

الأول — نائب البيرة . ورسم المكتبة إليه « المجلس العالى » . والعلامة الشريفة « والده » وتعريفه « النائب بالبيرة المحروسة » .

الثانى — نائب قلعة المسلمين المعروفة بقلعة الروم . ورسم المكتبة إليه والعلامة كذلك ^(١) . وتعريفه « النائب بقلعة المسلمين المحروسة » .

الثالث — نائب مطية ^(٢) . ورسم المكتبة إليه والعلامة الشريفة كذلك ، وتعريفه « النائب بمطية المحروسة » .

الرابع — نائب طرسوس . ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى » والعلامة « والده » وتعريفه « النائب بطرسوس » .

الخامس — نائب أذنة . ورسم المكتبة إليه والعلامة له كذلك ، وتعريفه « النائب بأذنة المحروسة » .

السادس — نائب الأبلستين . ورسم المكتبة إليه والعلامة الشريفة له كذلك ، وتعريفه « النائب بالأبلستين المحروسة » .

السابع — نائب بهسنى . ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى » والعلامة له « والده » وتعريفه « النائب بهسنى المحروسة » .

قال فى « التثقيف » : « ولم يُعَلِّمَ لأحد من أرباب السيوف قديمًا « والده » مع « السامى » بالياء غيره .

(١) أى « المجلس العالى » و « والده » مثل الذى قبله .

(٢) صوابه بهذا الضبط قال فى المعجم « والعامية تقوله بتشديد الباء وكسر الطاء » . وقال فى القاموس

« وتشديده لحن » .

الثامن — نائب آياس^(١) . وهو المعبر عنه بنائب الفتوحات الجاهانية . قال في "التثقيف" : إن كان مقدما فالمكاتبة إليه بنسبة مكتبة نائب البيرة ، فيكون رسم المكاتبة إليه «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى» والعلامة «والده» . وإن كان طبلخاناه فيكون «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى» والعلامة الأسم ، وتعريفه بكل حال «النائب بآياس^(١)» أو «النائب بالفتوحات الجاهانية المحروسة» .

التاسع — نائب جعبر . ورسم المكاتبة إليه على ما ذكره في "التثقيف" «هذه المكاتبة إلى المجلس السامى» والعلامة الأسم ، وتعريفه «النائب بقلعة جعبر المحروسة» .

العاشر — نائب عيتاب . ورسم المكاتبة إليه على ما في "التثقيف" «يعلم مجلس الأمير» والعلامة الأسم ، وتعريفه «النائب بعيتاب المحروسة» .

قال في "التثقيف" : ورأيت بخط القاضى ناصر الدين بن النشائى أن مكاتبته الأسم و«السامى» بغير ياء . ثم قال : وما تقدم هو ما استقر عليه الحال آخر . قال : وقد يكون ذلك لأنه كان بها أمير طبلخاناه ، وتعريفه «النائب بعيتاب» .

الحادى عشر — نائب درنده . قال في "التثقيف" : إن كان طبلخاناه ف«السامى» بغير ياء ، وإن كان عشرة ف«مجلس الأمير» والعلامة الأسم بكل حال ، وتعريفه «النائب بدرنده» .

الثانى عشر — نائب القصير . قال في "التثقيف" : ورسم المكاتبة إليه «يعلم مجلس الأمير» والعلامة الأسم ، وتعريفه «النائب بالقصير» .

(١) تقدم للمؤلف فى ص ١٣٣ ج ٤ أن قال بفتح الهمزة المدودة . وقال صاحب القاموس «كسحاب» .

الثالث عشر - نائب الرَّأُونَدَان . ورسم المكاتبه إليه كمثل نائب القَصِيرِ ،
وتعريفه « النائب بالرَّأُونَدَانِ » .

الرابع عشر - نائب الرَّهَّا . قال في "التثقيف" : جرت العادة أن يكون نائبها
طَبْلَخَانَاهُ ، فتكون مكاتبته « السامى » بغير ياء ، والعلامة الأسم . ثم قال : وقد
استقرت في الأيام المنصورية في سنة ثمان وسبعين وسبعائة مقدم ألف ، فقد
يكتب إليه نظير نائب البيرة وقلعة المسلمين ، يعنى فتكون مكاتبته « صدرت »
و « العالى » . والعلامة « والده » وتعريفه بكل حال « النائب بالرُّهَّا » .

الخامس عشر - نائب شَيْرِز . قد ذكر في "التثقيف" أن مكاتبته « هذه المكاتبه
إلى المجلس السامى » فتكون العلامة الأسم ، وتعريفه « النائب بشَيْرِز » .

السادس عشر - نائب كَرَكَر . ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في "التثقيف"
« يعلم مجلس الأمير » فتكون العلامة الأسم ، وتعريفه « النائب بكرَكَر » .

السابع عشر - نائب الكَخْتَا . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه « النائب
بالكَخْتَا » .

الثامن عشر - نائب بَغْرَاس . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه « النائب
ببَغْرَاس » .

التاسع عشر - نائب الشُّغْرُوبَكَاس . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه
« النائب بالشُّغْرُوبَكَاس » .

العشرون - نائب الدَّرْبَسَاك . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه
« النائب بالدَّرْبَسَاك » .

الحادى والعشرون — نائب إسفندكار . ذكر في "التثقيف" أن رسم المكاتبه إليه كذلك . ثم قال في "التثقيف" لكنني رأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشائي أن مكاتبته الأسم و«السامى» بغير ياء، يعنى «هذه المكاتبه إلى المجلس السامى» . قال : وما يبعدُ أنه كان إذ ذاك طبلخاناه . والمستقرّ عليه الحال ما تقدّم .

قلت : وقد ذكر في "التثقيف" ستّ قلاع استجدت مكاتبه تُوايها بعد ذلك ، ولم يذ كر رسم المكاتبه إليهم : وهم نائب سجر شغلان ، ونائب كومي ، ونائب قلعة كولاك ، ونائب قلعة بارى كروك ، استجدت مكاتبته في سنة ستين وسبعائة ، ونائب قلعة كاورا ، استجدت مكاتبته في سنة تسع وستين وسبعائة ، ونائب كرزآل ، استجدت مكاتبته في سنة سبع وسبعين وسبعائة . ولم يذ كر رسم المكاتبه إليهم . والذي يظهر أن رسم المكاتبه إلى كل منهم « يعلم مجلس الأمير » والعلامة الأسم ، والتعريف «النائب بفُلانة» . وحينئذ فيكون المكاتبون من نواب أعمال حلب سبعة وعشرين نائبا .

النيابة الثالثة

(نيابة طرابُلُس)

والمكاتبون بها عن الأبواب السلطانية أيضا على ضريين :

الضرب الأول

(من بمدينة طرابُلُس ، وهم اثنا)

الأول — نائب السلطنة بها ، ورسم المكاتبه إليه : « ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى » على الرسم المتقدم . والعلامة « والده » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بطرابُلُس المحروسة » .

الثانى — الحاجب بطرأبلس . ورسم المكاتبه إليه « صدرت » و « العالى » .
والعلامة « والده » وتعريفه « امير حاجب بطرأبلس المحروسه » . وليس بطرأبلس
قلعه فيكتب إلى نائبا .

الضرب الثانى

(من أعمال طرأبلس من التواب ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(تواب قلاع نفس طرأبلس ، وهم سبعة تواب)

الأول — نائب الأذقية . ورسم المكاتبه إليه « السامى » بغيرياء . والعلامة
الاسم ، وتعريفه « النائب بالأذقية » .

الثانى — نائب صهيون . ورسم المكاتبه إليه « يعلم مجلس الأمير » . والعلامة
الاسم ، وتعريفه « النائب بصهيون » .

الثالث — نائب حصن الأكراد . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه
« النائب بحصن الأكراد » .

الرابع — نائب بلاطس . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه « النائب
ببلاطس » .

الخامس — نائب المرقب . ورسم المكاتبه إليه كذلك .

السادس — نائب حصن عكار . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه
« النائب بحصن عكار » .

الصنف الثاني

(نواب قلاع الدعوة المضافة إلى طرابلس)

وهي : قلاعُ الإسماعيلية الذين يُسمَّون أنفسهم بأصحاب الدعوة الهاديَّة . وكانت سبع قلاع فأضيفت مضاف منها إلى دِمَشقَ على ما تقدّم في الكلام على المسالك والممالك ؛ وبقي من مضافات طرابلس ستُّ قلاع ، وهي الكهف ، والمينقة ، والعليقة ، والقدموس ، والحوّابي ، والرّصافة . ومكتبة كلِّ منهم « يعلم مجلس الأمير » والعلامة الأسم . وتعريف كلِّ منهم « النائب بقلانة » .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة)

والمكاتبون بها ضربٌ واحد بمدينة حماة خاصّة ، وهما اثنان :

الأول — نائب السلطنة بها . وقد تقدّم في أوائل هذا الطّرف أنها كانت بيد بقايا بني أيّوب ، يطلق عليهم فيها لفظ السلطنة ، يتولّونها من ملوك مصر إلى أن كان آخرهم الأفضل محمد بن المؤيد عماد الدين إسماعيل في الدولة الناصرية محمد ابن قلاوون ، ثم صارت نيابةً بعد ذلك يتداولها النواب نائباً بعد نائب . ورسم المكتبة إلى نائبها « ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالی » والعلامة « والده » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بحماة المحروسة » .

الثاني — الحاجب بها . ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامی » . والعلامة الأسم ، وتعريفه « الحاجب بحماة المحروسة » .

قال في "التتقيف" : ولم يكن بها قلعة فيُكْتَبُ إلى نائبيها . قلت : وليس بأعمالها توابٌ فيكتب إليهم إنما بها ولاةٌ يكتبون عن نوابها .

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد)

والمكتوبون بها ضُربَ واحد أيضا، وهم من المدينة خاصَّةً وهم ثلاثة :

الأول — نائبُ السلطنة بها . ورسمُ المكتبة إليه «ضاعفَ الله تعالى نعمةَ الجناب العالی» . والعلامة «والده» . وتعريفه «نائب السلطنة الشريفة بصَفَد المحروسة» .

الثاني — الحاجبُ بها . ورسمُ المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبةُ إلى المجلس السامی» . والعلامةُ الأسمُ . وتعريفه «الحاجب بصَفَد المحروسة» .

الثالث — نائبُ القلعة بها . ورسمُ المكتبة إليه « هذه المكتبةُ إلى المجلس السامی» . والعلامةُ الأسمُ . وتعريفه «نائب القلعة المنصورة بصَفَد المحروسة» .

قلت : ولم يكن بأعمالها توابٌ فيكتبون عن الأبواب السلطانية، بل بها ولاةٌ يكتبون عن نائبيها خاصَّةً كما تقدَّم في حمأة .

النيابة السادسة

(نيابة غزّة)

والمكاتبون بها أيضا ضرب واحد، وهم من المدينة خاصّة، وهما آثنان :

الأول — النائب بها . وقد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك أنه إن اجتمع له البلاد الساحلية والجبليّة ، عبّر عنه بنائب السلطنة ؛ وإن قُصِرَ أمره على البلاد الساحلية فقط ، عبّر عنه بمقدّم العسكر وكان تحت أمر نائب دمشق . وبكل حال فإن رسم المكاتبه إليه « أدام الله تعالى نعمة الجناح العالى » والعلامة « والده » . ثم إن أضيف له الجهتان قيل في تعريفه « مقدّم العسكر المنصور بغزّة » .

الثانى — الحاجب بها . ورسم المكاتبه إليه « يعلم مجلس الأمير » . والعلامة الأسم ، وتعريفه « الحاجب بغزّة المحروسة » .

قلت : وليس بعملها ثواب ، بل ولاة يكتبون عن نائبها أو مقدّم العسكر بها . إلا أنه قد استحدث في أواخر الدولة الظاهرية « برقوق » مكاتبه كاشف الرملة ، وأستقرت مكاتبته « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامى » . والعلامة الأسم ، وتعريفه « الكاشف بالرملة » .

النيابة السابعة

(نيابة الكرك)

والمكاتبون بها من المدينة خاصّة، وهما آثنان :

الأول — نائب السلطنة بها . ورسم المكاتبه إليه « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى » . والعلامة والده ، وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بالكرك » .

الثاني - وإلى القلعة بها . ورسمُ المكتبة إليه « هذه المكتبة إلى المجلس السامى » . والعلامة الأسم ، وتعريفه « وإلى القلعة المنصورة بالكرك المحروس » . قلت : ولم يكن بها حاجبٌ يكتبُ ولا بأعمالها تُوَاب ، بل ولاةٌ يكتبُون عن النائب بها خاصَّةً .

النيابة الثامنة

(نيابة سِيس)

وقد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك أنها مما استجدّ فتحه في الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » . وقد ذكر في « التثقيف » أن مكتبة النائب بها كانت « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » كائب طرابلس ومن في معناه . ثم قال : وقد صحّ لى بعد هذا أنه استقرتْ مكاتبته نظير غزّة . وهى « أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى » . والعلامة حينئذ « والده » ، وتعريفه « مقدّم العسكر المنصور بغزة » ^(١) وما ذكره آخرًا هو المستقرّ عليه الحال إلى آخر وقت . قال في « التثقيف » : ولم أطلع على مكتبة الحاجب بها . ثم قال : وما يبعد أن يكون « مجلس الأمير » لأنه فيما أظنُّ أمير عشرة . قال : وإن كان طلبخانا ، فالأسم و« السامى » بغير ياء إن كتب إليه . ولم يكن بها نائبٌ قلعة كما ذكره في الكلام على تُوَاب القلاع .

قلت : وهنا أمران أشار إليهما في « التثقيف » ينبغى التنبّه لهما .

(١) لعلها بسيس لأن الكلام فيها .

أحدهما — أن القاعدة فيمن عدا أكار التواب : كنواب القلاع والمجباب ونحوهم أن المكتوب إليه إن كان مقدما ف«والده» و«صدرت» و«العالى» . وإن كان طبلخاناه فالأسم و«السامى» بغير ياء . وإن كان عشرة ، فالأسم و«مجلس الأمير» . وحينئذ فلا يتوقف مع المكاتبات السابقة ، بل يُنظر من هو مستقر في ذلك الوقت ويكتب إليه بما تقتضيه رتبته ، فإنه تارة تكون عادة تلك النيابة طبلخاناه ثم تستقر عشرة وبالعكس ، وتارة تكون طبلخاناه يستقر فيها مقدم ألف وبالعكس . والعبرة في ذلك بحال من هو مستقر حال الكتابة ، خلا ما هو مستقر من قديم الزمان لا يتغير مثل مكاتبة نائب بهسى ونحوه .

وثانيتها — أن نائب السلطنة بدمشق ، ونائب السلطنة بحلب ، ونائب السلطنة بطرابلس ، ونائب السلطنة بحماة ، ونائب السلطنة بصفد ، ونائب السلطنة أو مقدم العسكر بغزة ، ونائب السلطنة بالكرك ، ونائب السلطنة بالقدس الشريف يكتب إليهم في جليل كل أمر وحقيره من المهمات السلطانية وخلاص الحقوق وغيرها .

أما من عداهم من نواب القلاع والتواب الصغار الذين بأعمال هذه الممالك والمجباب ، فإنه لا يكتب إليهم إلا في المهمات والأمور السلطانية : إما في مثال شريف مفرد لأحدهم ، أو في مطلق شريف عام لجمعهم أو لبعضهم ، وكذلك في البشري بوفاء النيل ، فإنه يكتب إلى كل واحد منهم مثال بمفرده ، خلا المجباب فإنه لا يكتب إليهم بذلك .

النوع الثاني

(مَنْ يَكْتُبُ بِالْمَمْلُوكِ الشَّامِيَّةِ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ، وَهُمْ صِنْفَانِ)

الصنف الأول

(أَرْبَابُ الْوِظَائِفِ الدِّيَوَانِيَّةِ)

والذي يَكْتُبُ مِنْهُمْ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ الْوَزِيرُ بِدِمَشْقَ ، أَوْ نَاطِرُ النَّظَارِ الْقَائِمُ مَقَامَهُ ،
حَيْثُ لَمْ يُصَرِّحْ لَهُ بِالْوِزَارَةِ .

أَمَّا الْوَزِيرُ بِدِمَشْقَ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" أَنَّهُ كُتِبَ لِلصَّاحِبِ عِزِّ الدِّينِ
أَبِي يَعْلَى حَمْزَةَ بْنِ الْقَلَاقِسِيِّ ^(١) « الْجَنَابِ » لِجَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَسَابِقَةِ خِدْمَتِهِ ، وَعِنَايَةِ
مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَأَنَّ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ لِلْوَزِيرِ بِالشَّامِ « الْمَجْلِسِ الْعَالِيِ »
بِالدَّعَاءِ . كَمَا كُتِبَ لِلصَّاحِبِ « أَمِينِ الدِّينِ » أَمِينِ الْمَلِكِ فِي وَزَارَتِهِ فِي الْأَيَّامِ
النَّاصِرِيَّةِ « مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ » « ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِ ، الْقَاضِيِ ،
الْوَزِيرِيِّ ، الْأَجَلِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الْعَالِمِيِّ ، الْعَادِلِيِّ ، الْمُؤَيَّدِيِّ ، الْأَوْحَدِيِّ ، الْقَوَامِيِّ ،
النِّزَامِيِّ ، الْمَدَبَّرِيِّ ، الْمَاجِدِيِّ ، الْأَيْمَرِيِّ ، الْمَشِيرِيِّ ، الْفَلَائِيِّ ، صِلَاحِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدِ الْوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، رَئِيسِ الْأَمْرَاءِ ، كَبِيرِ الرُّؤَسَاءِ ، بَقِيَّةِ الْأَصْحَابِ ،
مَلَاذِ الْكُتَّابِ ، عِمَادِ الْمَلِكِ ، خَالِصَةِ الدَّوْلَةِ ، مُشِيرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَلِيِّ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ » . وَالدَّعَاءِ ، ثُمَّ « صَدَرَتْ » . وَالْعَلَامَةُ « أَخُوهُ » . وَتَعْرِيفُهُ « مَدَبَّرِ
الْمَمْلُوكِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ » .

قال : ولم يكتب لأحد بذلك بعده ولا قبله . ثم قال : وأستقر في الدولة الناصرية
حسنين ، الصاحب نحر الدين بن قروينة وزيراً بالشام أيضاً على قاعدة جدّه لأمه ،
أمين الدين المذكور . ولم أعلم ما كُتِبَ بِهِ : هل كما كُتِبَ لجدّه المذكور أو دونه؟ .

(١) في "التعريف" القلاسي . (٢) ساقط من "التعريف" ولعله من النسخ .

وأما ناظر النظار، فقد ذكر في "التثقيف" أن المكتبة إليه «حرس الله تعالى مجده المجلس العالی، القضائي، الكبير، العالی، الفاضل، الكامل، الأوحدي، الرئيسي، الأثيري، القوامي، النظامي، المنقدي، المنتصر، العلامي، مجد الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، أوحده الفضلاء، جلال الكبراء، حجة الكتاب، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة أمير المؤمنين». والدعاء ثم «صدرت». والعلامة الأسم، وتعريفه «ناظر النظار بالشام المحروس» .

قال في "التثقيف" : وهذا هو الذي استقر عليه الحال إلى آخر وقت .

الصنف الثاني

(القضاة والعلماء)

قد ذكر في "التعريف" : أن المكتبة لقاضي القضاة الشافعي بالشام بـ «المجلس العالی» ولم يذكر صورتها . قال في "التثقيف" : والذي كُتِبَ به الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله، وهو قاضي القضاة بالشام : «أعز الله تعالى أحكام المجلس العالی، القاضي، الكبير، العالی، العامل، الأفضلي، الأكلبي، الأوحدي، البليغي، الفريدي، المفيدي، النجدي، القدوي، الحجي، المحقق، الإمامي، الأصيلي، الموقق، الحاكمي، الفلاني؛ جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العالمين، أوحده الفضلاء المفيدين، قُدوة البلغاء، حجة الأمة، عمدة المحدثين، نخر المدرسين، مفتي المسلمين، جلال الحكام، حكم الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين» . والدعاء ثم «صدرت هذه المكتبة». والعلامة «أخوه». وتعريفه «قاضي القضاة بالشام المحروس» .

ثم ذكر فيما بعد أنه كان يُكْتَب في نُعُوتِه : «صَدْرُ الشَّامِ ، مَعزُ السَّنَةِ ، مُؤَيِّدُ المِلَّةِ»
قال في "التتقيف" وكانت مكاتبُه « شمسُ الشريعة ، رئيسُ الأصحاب ، لسانُ
المتكلمين » ، ولم يعين مكانها . قال : وكتب بذلك إلى ولده قاضي القضاة
تاج الدين السبكي ، وهو قاضي القضاة بالشام غير مرة . ثم زيد في ألقاب أخيه
الشيخ بهاء الدين عند استقراره في القضاء بالشام مكانه بعد القاضوي « الشَّيْخِي »
وبعد المحققي « الوَرَعِي » ، الخاشعي ، النَّاسِكِي ، الإمامي ، العَلَّامِي ، الأَصِيلِي ،
العَرِيقِي » . وزيد في تعريفه بعد جلال الحكام « بركةُ الدولة » .

النوع الثالث

(ممن يكاتب بالبلاد الشامية العُربان)

قد تقدّم في الكلام على أنساب العُرب في المقالة الأولى، فيما يحتاج إليه الكاتبُ
أنَّ عرب الشام عدّة بطون من عدّة قبائل . وقد قال في "التعريف" : إنهم جُلُّ
القوم وعين الناس ، لاعتناء الملوك لإلّا بهم ، ولا مبالاة بغيرهم .
ونحن نذكر هنا ما يتعلق بالمكاتبات إلى أمّرائهم ومشايخهم خاصّة .

البطن الأوّل

(آل فضل من آل ربيعة)

وقد تقدّم أنهم من طيّب ، من كهلان ، من العاربة . قال في "التعريف" :
وآل فضل منهم هم الذين في نحر العدو، ولهم العديداً الأكثر، والمال الأوفر . قال :
وقد صاروا الآن أهل بيتين : بيت مهنا بن عيسى ، وبيت فضل بن عيسى .

قال : وهم في جوار الفرات . ولذلك يُضَاعَفُ إكْرَامُهُمْ ، وتُوَفَّرُ لَهُمُ الإِقْطَاعَاتُ
وُتُسْنَى . والإمرأة الآن منهم في بيت مُهَنَّا بن عيسى . وهو المعبر عنه بأمر آل
فضل . وقد ذكر في "التثقيف" أنه كان في زمانه قارا بن مهنا، ثم كان في الدولة
الظاهرية «برقوق» محمدنغير بن حيار بن مُهَنَّا بن [عيسى بن مهنا بن ماتع بن حديثة
أبن عُقْبَةَ بن فَضْل بن رَبِيعَةَ] ، ثم آسْتَقَرَّ بعده في الدولة الناصرية «فرج» أبنه
العجل ، وهو المستقر إلى الآن .

قال في "التعريف" : ورسم المكاتبية إلى الأمير منهم «أدام الله تعالى نعمة
المجلس العالی الأميری» «بألقابٍ جلیلةٍ معظّمةٍ منفضّمة . وذكر في "التثقيف"
أَن رَسَمَ المَكَاتِبِيَّةُ إِلَيْهِ «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی الأميری، الكبيری،
العالمی، المجاهدی، المؤیدی، الأوحدي، النصیری، العونی، الهمامی، المقدمی،
الظهیری، الأصيلی، الفلانی، عزّ الإسلام والمسلمين، شرف أمراء العربان
في العالمين، نصرّة الغزاة والمجاهدين، مقدّم العساكر، كهف الملة، ذخّر الدولة،
عماد العرب، ظهير الملوك والسلاطين، حُسام أمير المؤمنين» . ثم الدعاء
و«صدرت هذه المكاتبية» . والعلامة «أخوه» . وتعريفه «فُلَان بن فلان» .

قال في "التعريف" أما من هو نظيره أو مُدَانِيهِ وَعَدَّتْهُ الإمرأة ، فرسم المكاتبية
إليه : «صدرت هذه المكاتبية إلى المجلس العالی» ومن دونه «السامی الأميری» .
قال : ولكلّ هؤلاء العلامة الشريفة «أخوه» ولعنّ دون هؤلاء «السامی الأمير»
والعلامة الشريفة الأسم الشريف .

وقد ذكر في "التثقيف" أسماء جماعة من أكابر بيت مُهَنَّا بن عيسى، وبيت
فضل بن عيسى وذكر لكل منهم رسم مكاتبية .

فأما بيت مهنا المذكور، فهم خمسة :

الأول منهم — عَسَّافُ بنُ مُهَنَّأ . ورسم المكتبة إليه : « هذه المكتبةُ إلى المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الفازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحى ، الأصيل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نحر القبائل ، زين العشائر ، عماد الملوك والسلاطين » والدعاء ثم « صدرت » والعلامة « والده » وتعريفه اسمه .

الثانى — عَنَقَاءُ بنُ مهَنَّأ أخو عَسَّاف . مثله فى المكتبة على السواء .

الثالث — زاملُ بنُ موسى بنُ مهَنَّأ ، « صدرت » و« السامى » . والعلامة « والده » وتعريفه اسمه .

الرابع — محمد بن حيار بن مهنا : وهو نُعَيْرٌ ، مثل عمِّيه : عَسَّاف وعَنَقَاء .

الخامس — على بن سليمان بن مهَنَّأ . ذكر أنه كان يكتب بـ « السامى » بالياء . والعلامة الأسم . وذكر أن أخاه عَوَّادا لم يعلم أنه كُوتِبَ عن الأبواب السلطانية .



وأما بيت فضل ، فذكر منهم مُعَيْقِلُ بنُ فَضْل ، وقال : إن رسم المكتبة إليه « السامى » بالياء . والعلامة « والده » . ثم قال : ولم يكتب الآن من بنى فضل غيره ، فإن أخويه : سَيْفًا وأبا بكر كانا يكتبان عن الأبواب الشريفة ، ثم توفيا إلى رحمة الله تعالى ، ولم يبق من أكا بر بنى فضل غيره هو وأولاد أخويه ، لكنهم لم يكتبوا بشيء . فإن أتفق أن يكتب أحد من أولاد أخويه المذكورين أو من أولاد مهَنَّأ ، مثل أولاد فياض ، وبقية أولاد حيار ورُمَيْثَةَ بنِ عُمَرَ بنِ موسى ونحوهم ، فأعلاهم الأسم و« السامى » بغير ياء ، وأدناهم الأسم و« مجلس الأمير » .

البطن الثاني

(آلِ مِرَا)

قد تقدّم في الكلام على أنساب العرب فيما يحتاج إليه الكاتب، في المقالة الأولى، أن مِرَا وفضلاً أخوان . قال في "التعريف" : ومنازلهم بلاد حوران . وقد ذكر في "التثقيف" أن الإمرة في زمانه كانت مقسومة نصفين بين عَنَاء بن شَطِيْء بن عمرو بن نُونة ، وعمّه فضل بن عمرو بن نُونة . ثم قال : ومكاتبه كلُّ منهما «صدرت» و«السامى» . والعلامة «والده» وتعريفه «فلان بن فلان» .

البطن الثالث

(آلِ عَلِيٍّ)

وقد تقدّم في الكلام على الأنساب أنهم من آلِ فضل . قال في "التعريف" : وإنما نزلوا غُوطةَ دمشق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مُهَنَّأ ، وبقى عيسى جارَ الفُرات في تَلَايِبِ التَّار . قال في "التعريف" : ورسم المكاتبه إلى أميرهم «صدرت» هذه المكاتبه إلى المجلس السامى الأميرى . والعلامة الشريفة «أخوه» . وقد ذكر في "التثقيف" أن أميرهم في زمانه كان عيسى بن رَمَلَة بن جَمَّاز . وقال : إن رسم المكاتبه إليه كما ذكر في "التعريف" وهى : «صدرت» و«السامى» لكنه ذكر أن العلامة «والده» . وتعريفه «فلان بن فلان» .

البطن الرابع

(بنو مهدي)

وقد تقدم في الكلام على الأنساب أن منازلهم البلقاء من مضافات دمشق .
قال في "التعريف" : والإمرة فيهم في أربعة ، رسم المكتبة إلى كل منهم « مجلس
الأمير » . وذكر في "التثقيف" أنها كانت في زمانه باسم برو بن ذؤيب بن سعيد
ابن محفوظ العقيسي ، وسعيد بن نجسرى بن حسن العقيسي ، وزامل بن عبيد بن
محفوظ العقيسي ، ومحمد بن عباس بن قاسم بن محمد بن راشد العسري . وأن مكتبة
كل منهم « مجلس الأمير » كما تقدم في "التعريف" . ثم قال : ومن كان معه
نصف الإمرة منهم ، كانت مكاتبته الاسم و « السامي » بغيرياء ، وتعريف كل منهم
« فلان بن فلان » .

البطن الخامس

(بنو عقبة)

وقد تقدم في الكلام على الأنساب أن مرجعهم إلى جذام ، وأن منازلهم الكرك
والشوبك . قال في "التعريف" : ورسم المكتبة إلى أميرهم مثل أمير آل مرآ .
وكذلك رسم المكتبة إلى أقاربه كرسم المكتبة إلى أقارب أمير آل مرآ أيضا ، فتكون
مكتبة أميرهم « صدرت » و « السامي » . ومكتبة أعيان أقاربه « السامي الأمير »
ولمن دونهم « مجلس الأمير » . وقد ذكر في "التثقيف" أن إمرةهم في زمانه كانت
باسم خاطر بن أحمد بن شطى بن عبيد . وذكر أن رسم المكتبة إليه الاسم
و « السامي » بالياء ، وتعريفه « فلان بن فلان » ولم يتعرض لأقربائه .

(١) في ج ٤ ص ٢١٣ من هذا المطبوع « ابن ذئب بن محفوظ العنسي » ويظهر أنها هي الصواب .

(٢) الذي تقدم هناك « بحري » بالياء والحاء .

البطن السادس

(جَرم)

وقد تقدّم في الأنساب أن مرّجهم إلى طيّ، وأن منازلهم ببلاد غزّة .
وقد ذكر في "التعريف" أن إمرتهم في زمانه كانت بأسم فضل بن حمّي^(١) . وذكر
أن رسم المكتبة إليه « مجلس الأمير » . والذي ذكره في "التثقيف" أن لهم مقدّما
لا أميراً ، وأنه كان في زمانه عليّ بن فضل . وذكر أن رسم المكتبة إليه الأسم
و « السامى » بغيرياء . وهذا عجّب فإنه إذا كان أميراً ورسم المكتبة إليه « مجلس
الأمير » فكيف يكون رسم المكتبة إليه « السامى » بغيرياء وهو مقدّم ، والإمارة
فوق التّقدمة بلا ريب .

قال في "التعريف" : وأما بقية عرب الشام ، نحو زبيد المَرَج ، وزبيد حوران ،
وخالد حمص ، والمشاركة ، وغزيرة إذا أطاعوا ، وزبيد الأحلاف ، فأجل كبرائهم
وأشياخهم من يُكْتَب له « مجلس الأمير » . وذكر في "التثقيف" نحوه ، ثم قال :
هذا إن انفرد أحد منهم بالمكتبة ، وإلا فالعادة أن يُكْتَب لكل طائفة من هؤلاء
مطلق شريف . ثم قال : على أنه لم تجر العادة بمكتبة أحد من هؤلاء القبائل ،
لا على الأفراد ولا على الاجتماع . وهذا كلام متناقض ؛ حيث يقول : إن العادة
أن يُكْتَب لكل طائفة منهم مطلق شريف ، ثم يقول : إن العادة لم تجر بمكتبة
أحد منهم لا على الأفراد ولا على الاجتماع .

قلت : وقد تقدّم الكلام على أنساب جميع هذه البُطون وأما كنها مستوفى
في الكلام على الأنساب في المقالة الأولى . ووقع بسط الكلام على ذلك وغيره
في كتابنا المسمى "نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب" .

(١) الذي في التعريف "حمي" ولكنها وردت في نسختنا في مواضع كثيرة "حمي" كما هنا . انظر ج ٤
ص ٢١١ ، وكذلك وردت في الضوء للزلف أنظر ص ٣٢١ . (٢) تقدم في ج ٤ من هذا المطبوع .

النوع الثالث

(من يكتَبُ بالممالك الشامية، التُّركان)

قد تقدّم ذكرُ نَسَبِ التُّركانِ في الكلامِ على أنساب الأُممِ في المقالة الأولى .
وقد ذكر في "التتقيف" أن التُّركانِ بهذه المملكة طوائفٌ كثيرةٌ، وجماعةٌ كبيرةٌ .
ثم قال: وغالبهم لا يكتَبُ إليه إلا إذا ضمَّهم مطلقاً شريف . فإن كتب إلى أحد من
أعيانهم، كتب إليه الأسم و«السامى» بغير ياء إن كان طبلخاناه؛ وإن كان عشرةً
أو عشرين، كتب إليه الأسم و«مجلس الأمير» لا غير، ثم أخلوا بياضاً متسعاً
ولم يصرّح باسم أحد منهم . ثم ذكر في الكلام على تُركانِ البلاد الشرقية عدّة
طوائف، عدّ منهم الأوسرية، وقال: هم تُركانِ حَلَبَ، والورسقى . وقال: وهم
تُركانِ طرسوس، ولم يتعرّض لمواضع غيرهم . وسيأتى كلامه مستوفى عند الكلام
على تُركانِ البلاد الشرقية إن شاء الله تعالى .

النوع الرابع

(من يكتَبُ بالممالك الشامية الأكرادُ)

وقد تقدّم ذكرُ نَسَبِهِم في الكلامِ على أنساب الأُممِ في المقالة الأولى . وقد ذكر
في "التتقيف" أن بهذه المملكة منهم طوائفٌ كثيرةٌ كالتُّركانِ، وأنّ غالبهم لا يكتَبُ
إليه إلا إذا ضمَّهم مطلقاً شريف، وأنه إن كتِبَ لأحد من أعيانهم، كتِبَ له الأسم
و«السامى» بغير ياء، إن كان طبلخاناه . وإن كان أميرَ عشرةٍ أو عشرين، كتب
إليه الأسم و«مجلس الأمير» كما تقدّم في التُّركانِ من غير فرق .

القسم الثالث

(من يكتب بالبلاد الحجازية ، والمعتبر في المكاتبين منهم ثلاثة)

الأول - أمير مكة المعظمة .

وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك ذكر أمرائها من ابتداء الإمرة وهلمَّ جراً إلى زماننا ، والقائم بها الآن [حسن بن أحمد] ^(١) بن عجلان .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" : «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، العضدى ، النصيرى ، الذخرى ، الغوثى ، المفيدى ، الأوحدي ، الظهيرى ، الزعيمى ، الكافى ، الشريفى ، الحسبى ، النسبى ، الأصيلى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، جلال العترة الطاهره ، كوكب الأسرة الزاهره ، فرع الشجرة الزكية ، طراز العصابة العلوية ، ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير المؤمنين » ثم الدعاء المعطوف . وبعده «صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى بالسلام والثناء وتوضع لعلمه الكريم كذا وكذا» .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التثقيف" : «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الشريفى ، الحسبى ، النسبى ، العالمى ، المجاهدى ، المفيدى ، الأوحدي ، النصيرى ، العونى ، الهمامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الأصيلى ، العريقى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء الأشراف فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، كهف الله ، عون الأمة ، فخر السلالة الزاهره ، زين العترة

(١) بياض بالاصل والتصحيح مما تقدم للؤلف (أنظر ج ٤ ص ٢٧٥) عند ذكر أمراء مكة المكرمة .

الطاهرة، بهَاءِ العِصَابَةِ العَلَوِيَّةِ، جمالِ الطائفةِ الهاشِمِيَّةِ، ظهيرِ الملوِكِ والسلاطينِ،
نَسِيبِ أميرِ المؤمنينِ» ثم الدعاءُ و«صدرتُ» .

وهذا دعاءٌ وصدرٌ يليقُ به ذَكَرَهُ في "التعريف" : « ولا زال حَرَمُهُ آمِينًا،
ومكانُهُ مَكِينًا، وشرفُهُ بِيضٌ له ^(١) بجاورةِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهاً وَيُضِيءُ جَبِينًا .
صدرتُ هذهِ المَكاتِبَةُ إلى المجلسِ العالِيِ تَحْمِلُ إليه سَلامًا تَمِيلُ به الرِّكائبُ، وثناءٌ
تُثْنِي على مِسْكِهِ الحَقائبُ ، وشوقًا أوسقُ قلبَهُ لمن نُسِكُهُ مع الحِسابِ ، وتوضُّحٌ
لعلمه الكَريمِ» .



صدر آخر : ومَتَّعَ بِجِوَارِ بَيْتِهِ الكَريمِ ، وزاد بِجَمِيلِ مَساعِيهِ شَرفَ نَسبِهِ
الصِّمِيمِ ، وَأَنَسَهُ بِقَرَبِ الحِجْرِ الأَسْوَدِ والرُّكنِ والحِطِيمِ . صدرتُ هذهِ المَكاتِبَةُ إلى
المجلسِ العالِيِ تُهْدِي إليه سَلامًا، وثناءٌ تَطِيبُ به الصِّبَا قبلَ أن تَحْمِلَ شَيْحًا أو نُحْرَامِي،
وتوضُّحٌ لعلمه الكَريمِ .



صدر آخر : وأَراه مَناسِكَه ، وَأَنَسَ بالتَقْوَى مَسالِكَه ، وأشهدَ على عَمَلِهِ
الصَّالِحِ بِطَحاءِهِ وما يَنْزِلُهُ [من] الملائِكَةِ . صدرتُ هذهِ المَكاتِبَةُ بِتَحِيَّاتِها المَبارِكَةِ ،
وأثْنِيتِها التي لا تَزَالُ إليه بها أَفئدَةٌ من الناسِ سالِكَةٍ ، وتوضُّحٌ لعلمه الكَريمِ .

الثاني - أميرُ المَدِينَةِ النَبوِيَّةِ على صاحِبِها أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ .

وقد تَقَدَّمَ في الكلامِ على أَمْرائِها في المَسالِكِ والمَمالِكِ من المَقالَةِ الثالِثَةِ أَن
إِمارتِها مَسْتَقَرَّةٌ في بَنِي الحُسَيْنِ ، وَأَها الأَنَ في بَنِي جَمَّازِ بنِ شَيْحَةَ ، وَأَن جَدَّهُم كانَ

(١) في التعريف "ينير" .

فقيهاً بالعراق، فقدم على السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» رحمه الله، فولاه المدينة فاستقرت فيها قدمه ثم قدمُ بنيه، وأنَّ القائم بها الآن [ثابت بن جَمَّاز^(١) ابن هبة بن جَمَّاز بن منصور بن جَمَّاز بن شيحة بن نعيم^(١)].

ورسَّمُ المكتبة إليه كرسَمِ المكتبة إلى أمير مكة على الاختلاف السابق في النقل عن "التعريف، والتتقيف". فقد ذكر كلُّ منهما رسَمَ المكتبة إلى أمير مكة. ثم قال: ورسَّمُ المكتبة إلى أمير المدينة كذلك.

وهذا صدرُ مكتبة يلقى به، وهو: ولا زال في جوار الله ورسوله، ومهبط الوحي ونزوله، ومكان يُردد فيه من أبويه الطاهرين بين حيدرته وبتوله. صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى بسلامٍ يُحدو ركابها، وثناء يزين في قبا قباها، وشوقٍ إلى رؤيته في الروضة التي طالما آستسقى فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سخابها، وتوضع لعلمه الكريم كذا وكذا.



صدر آخر: وزاده من الله ورسوله قُرباً، وأكَّده بحماية حرمه حباً، وأبهجه كُلماً رأى جدَّه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد جاور آلاً وجالس صحباً. صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى مطربةً بالسلام، مُطِبةً في ثناءه المفضَّل النظام، وتوضع لعلمه الكريم.

الثالث - النائب بالنبع.

(١) بياض بالأصل، والتصحيح مما تقدم في ص (٣٠١ ج ٤) عند الكلام على أمراء المدينة المنورة.

وقد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك أنها في بني حسن أيضا . قال
في "التثقيف" : ورسم المكتبة إليه «هذه المكتبة إلى المجلس السامي الأمير» .
والعلامة الأسم، وتعريفه «النائب بالينبع» .

أما سائر العربان بالحجاز فقد ذكر في "التثقيف" أن لبني حسن القوام بمكة
«مجالس الأمراء» . والعلامة الأسم . ومن عدا بني حسن فقد ذكر في "التعريف"
أنهم على ضربين :

الضرب الأول — أهل الدرّيين: المِصرى والشامى . قال : وليس فيهم من
هو في غير ولا تقيير، ولا يجل في ذروة ولا غارب ؛ وأجل من فيهم إذا كُتب له
«مجلس الأمير» كان كمن سور وطوق، لابل طيلس وتوج .

الضرب الثاني — شيوخ لام، وخالد، والمنيفق، وعائد الحجاز . قال : وهؤلاء
من كان منهم المشار إليه كُتب إليه «صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامي
الأميرى» والعلامة «أخوه» . ثم من يليهم بالسامي بغير ياء . ثم الأعيان من بقيتهم
«مجلس الأمير» .

المسلك الثاني

(في معرفة ترتيب المكاتبات المقدمة الذكر، وكيفية أوضاعها . وفيه مأخذان)
المأخذ الأول — في ترتيب متون المكاتبات، ولا يكون إلا ابتداءً . أما الجواب
فإنه لا يتأتى فيها .

ثم هي على ضربين :

الضرب الأول — ما يكتب في خلاص الحقوق .

وهو ما يكتب فيه لثواب الإسكندرية ، ونائبى الوجهين : القبلى والبحرى من الديار المصرية ، وولأيهما ، وثواب الشام ، وحلب ، وطرابلس ، وحماة ، وصفد ، والكرک ، ومقدم العسكر بغزة ، من الممالك الشامية على ما تقدم ذكره في الكلام على مكانة أهل المملكة .

والرسم في ذلك إذا كانت المكتبة إلى نائب الشام مثلاً ، بسبب قضية تتعلق بالأمر الدوادار أن يكتب : « أعز الله تعالى المقر الكريم » إلى آخر الألقاب والصدر ؛ ثم يكتب : « وتبدي لعلمه الكريم أن الجناب العالى » ويذكر ألقابه إلى آخرها « ضاعف الله تعالى نعمته عرفنا كذا وكذا » . ويذكر ما في قصته برمته . ثم يكتب : « ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بكذا كذا » ويأتى بما رسم له به إلى آخره ؛ ثم يقول : « فيحيط علمه بذلك » ويكمل على ما تقدم . وإن كان المكتوب بسببه أمير عشرة مثلاً ، كتب بدل « عرفنا » : « ذكر » . وإن كان من آحاد الناس كتب بدل ذلك : « إن فلانا أنهى » ويكمل على ما تقدم . وهذه نسخة مكاتبة إلى نائب الشام بسبب خلاص حق :

أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، العونى ، المئاغرى ، المرابطى ، المهدى ، المشيدى ، الزعيمى ، الظهيرى ، العايدى ، الناسكى ، الأنايكى ، الكفيلى ، الفلانى ، معز الإسلام ، والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، ملجأ الفقراء والمساكين ، أتايك العساكر ، زعيم الموحدين ، مهد الدول ، مشيد الممالك ، عون الأمة ، كهف

المَلَّة ، عماد الدولة ، ظهير الملوك والسلاطين ؛ عَضُد أمير المؤمنين ، ولا زال عالياً
قَدْرُهُ ، نافذا أمرُهُ ، جارياً على الألسنة حمدُهُ وشُكْرُهُ .

أصدرناها إلى المقرِّ العالی تُهْدِي إليه من السلام أُمَّة ، ومن الثناء أَعْمَهُ ؛ وتُبْدِي
لعلمه الكريم أَنَّ الجَنَابَ العالی ، الأميری ، الكبيری ، العالی ، العادلی ، المؤیدي ،
الغوثي ، الغيائي ، المرابطي ، الممهدي ، المشيدي ، الظهيري ، الزعيمي ، المقدمي ،
الفلاني ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين ؛ فلان رأس نوبة
الظاهری ضاعف الله تعالى نعمته عرفنا أَنَّ له دَعْوَى شرعية على أقوام بدمشق
المحروسة ، وهم فلان وفلان . ومرسومنا للمقرِّ الكريم أن يتقدم أمرُهُ العالی بمجلهم
صُحْبَةَ فلان فاصد المشار إليه ، إلى الأبواب الشريفة ، محتفظاً بهم ، قولاً واحداً ،
وأمرًا جازماً ، ليصل كلُّ ذی حقٍّ إلى حقه ، فيحيط علمهُ بذلك ، والله تعالى يؤيده
بمنه وكرمه .



آخر : وتبدي لعلمه الكريم أن المجلس السامي ، الأميري ، الكبيري ،
العَضُدِي ، الذُخْرِي ، الأُوْحْدِي ، الفلاني ؛ عمدة الملوك والسلاطين : فلان
أدام الله سعادته ، ذكر لنا أن الصَّدَقَاتِ الشريفة شملتَهُ بِخَلاصِ حَقِّهِ من فلان .
وقد وَكَّلَ في ذلك المجلس السامي القضاة الأَجَلِّيَّ فلان الدين . ومرسومنا للمقرِّ
الكريم أن يتقدم أمرُهُ العالی بِطَلَبِ الغريم المذكور ، وَخَلاصِ الحَقِّ منه بِتَمَامِهِ
وِكَالِهِ . وإن امتنع عن ذلك يُحْمَلُ للأبواب الشريفة مع الوصية بوكيله في ذلك ،
فيحيط علمهُ بذلك .



آخر : وتبدي لعلمه الكريم أن الأمير، الأجل، الكبير، فلان الدين، فلان الفلاني، أنهى أن بيده إقطاعاً بالحلقة الشامية، وأن الوزير بالشام المحروس في كل وقت يتعرض إلى إقطاعه، ويأخذ الموجب المقر له بغير طريق. ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بطلب المباشرين، والأرتجاع عليهم بما آتسوه من إقطاعه، على ما يشهد به الديوان المعمور، بتمامه وكاله، ويستقر هذا المثال الشريف بيده بعد العمل به، فيحيط علمه الكريم بذلك، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه.



آخر : وتبدي لعلمه الكريم أن فلانا الفلاني أنهى أن شخصاً يسمى فلانا تزوج بأخته، وهو مقيم بالشام المحروس، وتوفيت أخته إلى رحمة الله تعالى، ووضع الزوج المذكور يده على جميع مالها. ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بخلاص الحق على حكم الشرع الشريف مع الوصية به، فيحيط علمه بذلك.



آخر : وتبدي لعلمه الكريم أن قصة رفعت إلى أبوابنا الشريفة بأسم تجار الفرنج، أنهم فيها أنهم يبيعون ويتأعون البضائع، ويقومون بما عليهم من الموجب السلطاني. ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره بخلاص حقوقهم ممن تتعين في جهته على حكم الحق، وكف أسباب الضرر عنهم، ومنع من يتعرض إليهم بغير حق ولا مسند شرعي، والوصية بهم ورعايتهم وملاحظتهم، فيحيط علمه بذلك.

الضرب الثاني

(ما يكتب من متعلقات البريد في الأمور السلطانية، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ما يُكْتَبُ به ابتداءً)

ويختلف الحال فيه باختلاف مقتضيه : فإن كان مقتضيه بُرُوزَ أمر السلطان بفعل شيء أو تركه أو الحركة في شيء، كتب : « إنَّ المراسيم الشريفة أقتضتُ كذا وكذا » . أو « إن مَرَّ اسمينا الشريفة أقتضت كذا » . أو « إن المرسوم الشريف أقتضى كذا » . أو « إن مرسومنا الشريف أقتضى كذا » : فإن كان ذلك الأمر مما يحتاج إلى إدارة الرأي فيه ، كُتِبَ : « إنَّ الرأى الشريف أقتضى كذا » . أو « إنَّ آراءنا الشريفة أقتضت كذا » ، وما يجزئ هذا المجزئ . وإن كان مقتضيه بلوغ خبرٍ من حركة عدوٍّ أو اطلاع على أمر خفي ، كتب : « إنه أتصل بالمسامع الشريفة كذا وكذا » . أو « إنه أتصل بسماعنا الشريفة كذا وكذا » . وإن كان بسبب طلب مالٍ أو جبايةٍ تجرَّح ونحو ذلك ، كتب : « إنَّ لديوان خاصنا الشريف في الجهة الفلانية كذا » . أو « إنَّ لنا في الجهة الفلانية كذا » . ونحو ذلك مما يخرط في هذا السِّلْك ، ثم يكتب : « ومرسومنا للمقرِّ الكريم ، أو للجناب الكريم ، أو للجناب العالى » على حَسَبِ المكاتبَة « أن يتقدَّم أمره بكذا وكذا » على ما تبرز به المراسيم السلطانية .

وهذه مكاتبات من ذلك إلى نائب الشام، يُنسخ على منوالها .

مكاتبةٌ — باستقرار نائبٍ في نيابة بعض القلاع : وتبدى لعلمه الكريم أن المراسيم الشريفة أقتضت استقرار الأمير فلان الدين فلان في النيابة الشريفة

(١)

وجهنا مرسومه الشريفين على يد المتوجه بهذا المثال الشريف الأمير الأجل فلان الدين فلان ، أعزه الله تعالى . فيتقدم المقرّ الكريم تجهيزه إلى جهة قصده بما على يده من ذلك ، وإذا عاد ، يعيده إلى الأبواب الشريفة مكرّماً مرعياً على عوائد همته العلية ، فيحيط علمه بذلك .



مكاتبة — بنقل نائب سلطنة من نيابة إلى نيابة : وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف أقتضى نقل الجناح الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الغوثى ، الغياثى ، المقدمى ، الكافى ، الفلانى ، ظهره الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين ، فلان الظاهرى ، أعزّ الله نصرته — من نيابة السلطنة الشريفة بطرابلس ، إلى نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة . والجناح العالى الأميرى الكبرى الفلانى ، ظهره الملوك والسلاطين فلان الظاهرى من نيابة السلطنة بصفد المحروسة ، إلى نيابة السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة . والجناح العالى الفلانى الظاهرى من مقدمة العسكر المنصور بغزة المحروسة ، إلى نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة . وكتبنا لهم تقاليد شريفة بذلك ، وجهنا إليهم تشاريفهم وهى واصلة عقيها على يد متسقرهم ، وجهنا الأمير الأجل الأعز فلان الدين ، مؤتمن الملوك والسلاطين ، فلان الخاصكى الظاهرى أعزه الله تعالى للبشارة للشار إليهم بذلك : ليأخذوا حظهم من هذه البشرى ، وتضاعف أديعتهم بدوام أيماننا الشريفة ، وآثرنا إعلام المقرّ الكريم بذلك : ليكون على خاطره ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .

(١) بياض بالأصل ولعله "وجهنا مرسومه وتشريفه الشريفين" الخ .



مكاتبة — بجمل شخص للأبواب السلطانية : وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف أقتضى تقدم المقرّ الكريم حال وقوفه عليها، وقبل وضعها من يده بطلب فلان الفلانيّ وفلان الفلانيّ، وتجهيزهما إلى الأبواب الشريفة في أسرع وقت وأقربه، من غير قرة ولا توائن . ونحن نؤكد عليه غاية التأكيد في سرعة تجهيزهما إلى الأبواب الشريفة صحبة الأمير الأجل، فلان الدين فلان، إلى الأبواب الشريفة محتفظاً بهما، محتزاً عليهما؛ ومرسومنا للمقرّ الكريم أن يتقدم أمره العالی بأعتاد ما أقتضاه مرسومنا الشريف، والأهتمام بذلك، والاحتفال به، فيحيط علمه بذلك، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .



مكاتبة — باستقرار بعض الأمراء بالقدس الشريف بطالا : وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف أقتضى استقرار الأمير فلان أحسن الله تعالى عاقبته بالقدس الشريف مقيمًا بها، وشملتته الصدقات الشريفة أن ^(١) فلانة وفلانة باسمه، بمقتضى مرسوم شريف مجهز صحبة منسفره الأمير الأجل الكبير الأوحد، فلان الدين فلان، البريديّ بالأبواب الشريفة، أعزه الله تعالى، المتوجه بهذا المثال الشريف . ومرسومنا للمقرّ الكريم أن يتقدم أمره العالی بإثبات المرسوم الشريف المذكور بديوان الجيوش المنصورة بالشام المحروس على العادة؛ وتجهيز البريديّ المذكور إلى حدود الديار المصرية، مكرماً مرعياً على العادة؛ فيحيط علمه الكريم بذلك .

(١) بياض بالأصل ولعله "أن تقطع جهة فلانة" الخ .



مكاتبة — بيع غلّة لديوان السلطاني : وتبدى لعلمه الكريم أنّ آراءنا الشريفة أقتضت تجهيز كذا وكذا إردباً من القمح من ديواننا المفرد صُحبة فلان . ومرسومنا للمقرّر الكريم أن يتقدّم أمره العالی بطَلَب فلان الحاجب بالشام المحروس : ليتولّى بيع ذلك بسِعْرِ الله تعالى بما فيه الغبطة والمصلحة ، وتجهيز الثمن إلى الأبواب الشريفة برسالة دالّة على ذلك في أسرع وقتٍ وأقربه ، مع مُضاعفة الوصية بذلك والأحتفال به ، فيُحيط علمه بذلك .



مكاتبة — وتبدى لعلمه الكريم أنّ آراءنا الشريفة أقتضت توجه الأمير الأجلّ الكبير، الأوحد، فلان الدين فلان؛ إستاندار الأمير المرحوم فلان كان، بسبب أستخراج الأموال وبيع الغلال والأصناف الديوانية المتحصّلة من القرى المستأجرة، المرتجعة للورثة عن المشار إليه بمقتضى التذكرة المسطرة على يده . ومرسومنا للمقرّر الكريم أن يتقدّم أمره بمساعدة المذكور وتقوية يده على ما تضمّنته فصول التذكرة ومراعاة أحواله، وإزالة ضروراته، وخلاص الحق منه ممن يتعيّن في جهته، ويشمله بنظره الكريم فيما تعلق بفصول التذكرة . فإنّ تعلّقات الورثة المذكورين تحت نظرنا الشريف . فيبادر المقرّر الشريف إلى ذلك وسرعة عوده بعد قضاء شغله، وتجهيز المتحدّث والمباشرين للأبواب الشريفة، ومحبّتهم حسابهم عند نهاية فصول التذكرة المذكورة . ويقمّ عنهم من يعوضهم إلى حين عودهم من الأبواب الشريفة على ما هو المعهود من همّته الكريمة وأحتفاله، فيُحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة - بسبب طلب عصى الجواكين والكرايبيج والأكر: وتبدي لعلمه الكريم أن المرسوم الشريف أقتضى تجهيز عصى الجواكين والكرايبيج والأكر إلى السلاح خاناه من الشام المحروس، على العادة في كل سنة سريعا، وآثرنا علمه الكريم بذلك . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالی باعتماد ما اقتضاه مرسومنا الشريف من ذلك كله على جارى العادة في كل سنة ، والأهتمام بذلك ، والاحتفال به ، بحيث لا يتأخر ذلك غير مسافة الطريق ؛ فإن الأتظار واقعٌ لذلك ، وفي همته الكريمة ما يغني عن بسط القول في ذلك ، فيحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة - بسبب أستقرار قاض يدمشق عوض من كان بها : وتبدي لعلمه الكريم أن الصدقات الشريفة شملت المجلس العالی، القضائي، الكبيرى، العالمى، العلامى، الإمامى، الفلانى، الفريدى، المفيدى، المحيدى، الأصلى، العريقى، الأئبلى، الأثيرى، الأوحدى، الخطيبى، الشىخى، الحاكى، الفلانى؛ جلال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، إمام البلاء، خطيب الخطباء، شيخ مشايخ العارفين، ملاذ المرادين، مفتى الفرق، موضح الطرق، لسان المتكلمين، مفيد الطالبين، حكم الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلانى الشافعى . أعز الله تعالى أحكامه - بتفويض قضاء قضاة الشافعية بالشام المحروس إليه ؛ عوضا عمّن به ، بحكم عزله مضافا إلى خطابة الجامع الأموى ، ومشيخة الشيوخ بالشام المحروس . وكتبنا توقيعا شريفا له بذلك ، وجهازناه إليه قرين تشریف شريف على يد فلان المتوجه بهذا المثال الشريف . وآثرنا علمه الكريم بذلك ، ليكون ذلك على خاطره الكريم . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره الكريم بتقرير القاضى

فلان الدين فلان الفلاني فيما شَمَلته به الصدقاتُ الشريفةُ من ذلك كله ، وتقوية
يده في مباشرة ذلك والشَّد منه ، وتأيد أحكامه الشرعية ، وتنفيذ كلمته ، ورعاية
جانبه ، وإكرامه واحترامه ، على عادة هممه الكريمة ، وتقدّماته السعيدة ، فيُحيط
علمه بذلك .



مكاتبة — بسبب حمل الثلج إلى الأبواب السلطانية : وتبدي لعلمه الكريم
أنَّ المرسومَ الشريفَ اقتضى تجهيزَ نقلات الثلج إلى الشَّرابِ خاناه الشريفة على
العادة . ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالی بسرعة تجهيز النقلة الأولى ،
بمحيث لانتانحر أكثر من مسافة الطريق على ماهو المعهود من همته العالیة ، وتقدّماته
السعيدة . وقد جهّزنا هذا المثال الشريف على يد الأمير الأجل فلان الدين فلان
الفلاني ، أعزه الله تعالى ، فيُحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة — بتكفين شخص من الحضور للأبواب السلطانية . وتبدي لعلمه الكريم
أنَّ فلانا كان قصدَ الاجتماع بأهله وأقاربه بالقاهرة المحروسة . ومرسومنا للقر الكريم
أن يتقدم أمره العالی بتكينه من الحضور إلى القاهرة المحروسة على خيله : ليجتمع
بأهله وأقاربه . وقد جهّزنا بهذا المثال الشريف فلانا البريديّ بالأبواب الشريفة ،
فيُحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة — بمنع العُربان من الدُّخول إلى البلاد قبل فراغ الزرع . وتبدي لعلمه
الكريم أنَّ المراسيمَ الشريفةَ اقتضت أنه لا يدخُل أحدٌ من العُربان إلى البلاد الشامية

المحرّوسة : كبيرهم وصغيرهم ، جليلهم وحقيرهم ، إلى أن يُشال الزرع على العادة .
ومتى - والعيادُ بالله - حصل منهم مخالفةٌ لذلك ، حلَّ بهم من الانتقام الشريف
مالاً مزيداً عليه . ومرسومنا للمقرّر الكريم أن يتقدّم أمره العالى باعتماد ما اقتضته
المراسيمُ الشريفةُ من ذلك ، مع الأهتمام به ، والأحتفال والأجتهد فيه ، قولاً واحداً ،
وأمرأ جازماً ، على عادة همته العالية ، وتقدّماته المرضيّة ، فيحيط علمه بذلك .



مكاتبة - بحفظ السواحل : وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف اقتضى
الأجتهد في حفظ السواحل والموانى ، والأهتمام بأمرها ، وإقامة الأيذك والأبدال
في أوقاتها على العادة ، وإلزام أربابها بمواظبتها ، وكذلك المنورون بالديديانات
والمناظر والمناور ، في الأماكن المعروفة ، وتعهّد أحوالها : بحيث تقوم أحوالها على
أحسن العوائد وأكلها ، ولا يقع على أحد دركٌ بسببها . ومرسومنا للمقرّر الكريم أن
يتقدّم أمره العالى باعتماد ما اقتضاه مرسومنا الشريف من ذلك ، مع مضاعفة
الأحتفال بذلك والمبادرة إليه ، حسب ما اقتضته المراسيمُ الشريفةُ . وقد جهّزنا بهذا
المثال الشريف مجلس الأمير الأجلّ : فلان الدين فلان البريدى ، المقدم بالأبواب
الشريفة ، فيتقدّم أمر المقرّر العالى بتجهيزه إلى جهة قصده بما على يده ، وإعادته عند
عوده إلى الأبواب الشريفة ، على ما هو المعهود من همته ، فيحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة - باستعمال القماش . وتبدي لعلمه الكريم أن آراءنا الشريفة اقتضت
استعمال القماش الجارى به العادة برسم الركابجاناه ، والإصطبلات الشريفة ، على
ما استقر عليه الحال إلى آخر السنة الخالية والتي قبلها . وقد كتبت تذكرة شريفة

من ديوان آستيفاء الصُّحبة الشريفة مَفَصَّلةً بذلك ، وجَهَّزَها قَرِينَ هذه المفاوضة
 تُتْقَرَأُ على مَسَامِعِهِ الكريمة . ومرسومنا للمقرَّر الكريم أن يتقدَّم أمرُهُ العالى بتأمُّلها ،
 وُبرُوز أمره بَطَلَب وزير المملِكة الشريفة ، وناظر المُهَمَّات الشريفة ، وآسْتِعمال
 القُفَّاش الذى تَضَمَّنَتِه التذكرةُ الشريفة ، والأهْتامُ بذلك ، والأحْتفالُ بِسُرْعَتِهِ .
 وقد آكْتَفِينَا بِهَمَّةِ المقرَّر الكريم عن تجهيز أمير اخورية وأوجاقينة من إصْطَبَلَاتِنَا
 الشريفة لآسْتِعمال ذلك ، لأنَّ المهْمَاتِ الشريفةَ تحت نظره الكريم ، فيصْرِفُ هَمَّتِهِ
 العالِية إلى الإسراع في ذلك ، والأحْتفال به والأهْتام . وفي أهْتامِهِ وتَفْيِذِهِ لمراسمنا
 الشريفة ما يُغْنِي عن التأكيد في ذلك ، فَيُحِيطُ علمُهُ بذلك .



مكاتبه — بجواز . وتبدي لعلمه الكريم أنَّ مرسومنا الشريف آقتضى تجهيز
 فلان البريدى بالأبواب الشريفة ، أعزَّه الله تعالى ، إلى جهة فلان بما على يده
 وما حُجِّبَتْهُ . ومرسومنا للمقرَّر الكريم أن يتقدَّم أمرُهُ العالى بإزاحة أعذاره ، وتجهيزه
 إلى المشار إليه في أسرع وقتٍ وأقربِهِ . وإذا عاد يتقدَّم بتجهيزه إلى خدْمة الأبواب
 الشريفة على العادة في ذلك ، على عَادَةِ هَمَّتِهِ العلية ، وشِمْيِهِ المرْضِيَّة ، فيحيط علمُهُ بذلك .



مكاتبه — وتبدي لعلمه الشريف أن مرسومنا الشريف آقتضى أن لا يُمكن
 أحدٌ من نَقْلِ سلاحٍ ولا عُدَّةٍ حربٍ إلى جهة البلاد الرُومِيَّة . ومرسومنا للمقرَّر الكريم
 أن يتقدَّم أمرُهُ العالى بأن لا يُمكن أحدٌ من نَقْلِ سلاحٍ ولا عُدَّةٍ إلى جهة البلاد
 المذكورة ، والأحْترازِ على ذلك كَلِّ الأحْترازِ ، فيحيط علمُهُ بذلك .



مكتابة — وتبدي لعلمه الكريم أنه أتصل بالمسّامع الشريفة أن غالب البلاد بالصّفقة الفلانية مجيئة متجاهية على الكُشّاف والرّعايا، ويوون المفسدين . وأن يد الكُشّاف لاتصل إلى هذه البلاد، ولا إلى النّصفة ممن بها من المفسدين . وحصل بذلك الضرر للبلاد والعِبَاد . وأقتضى الرأى الشريف الكُشّف عن هذه البلاد وسائر الأعمال ، والمناداة في البلاد بإبطال الحِماية والرّعاية، والمساواة بين العِبَاد في سائر البلاد بالعدل والإنصاف ، وكفّ أكفّ الظلم والعُدوان . ومرسومنا للفقير الكريم أن يتقدم أمره الكريم بالمناداة في سائر البلاد بإبطال الحِماية والرّعاية ، والمساواة بين الخاصّ والعامّ، وتطهير الأرض من المفسدين ؛ وأن لايجي أحد ببلد من البلاد . ومن تظاهر بحماية أو إيواء مفسد ببلد من البلاد، حلّ ماله وروحه . والتأكيد على أهل البلاد في ذلك ، والتشديد والفحص عن يتجاهر بذلك وردعه ونشر العدل والإنصاف بتلك الأقطار، والأهتمام في ذلك كله، على عادة هممه الكريمة، وتقدماته السعيدة، فيحيط علمه الكريم بذلك ، والله تعالى يؤيده بالملائك .



مكتابة — وتبدي لعلمه الكريم أنه أتصل بمسامعنا الشريفة أن فلانا تعرّض للجهة الفلانية الحاربية في ديوان خاصنا الشريف ، وأخذ منها مبلغ كذا وكذا . ومرسومنا للفقير الكريم أن يتقدم أمره العالى بطلب الغريم المذكور، وتجهيزه إلى الأبواب الشريفة، وإلزامه بما استأده من ذلك، محترزاً عليه مع مضاعفة الوصية بمباشري الجهة المذكورة والإحسان إليهم، فيحيط علمه بذلك .

الصنف الثاني

(ما يكتب في الجواب عما يريد من الثواب وغيرهم)

والرسم فيه أن يكتب بعد التصدير : « إن مكاتبته الكريمة » أو « مكاتبته » على قدر رتبته من ذلك « وردت على يد فلان فوقفنا عليها وعلمنا ماتضمنته على الصورة التي شرحها » ثم يذكر ما يناسب الجواب في ذلك من شكر الأهتمام أو غيره . ثم إن أشتمت على مقصد واحد ، أجاب عنه .

وهذه مكتبة يُسج على منوالها ، وهي : وتبدي لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمة وردت على يد فلان فوقفنا عليها ، وعلمنا ما أصدرته من تجهيزه إلى خدمة أبوابنا الشريفة بما على يده من كتاب مخدومه . وقد وصل ، وأحاطت علومنا الشريفة بما تضمنته ، وأعدناه الآن بجوابه وبهذا الجواب الشريف ، فيحيط علمه الكريم بذلك .

وإن أشتمت المكتبةُ الجوابَ عنها على عدة فصول ، أتى على فصولها فصلاً فصلاً ، وربما قال : « فأما ما أشار إليه من كذا » إذا كان على الرتبة ، ككاتب الشام ونحوه ، « فقد علمناه » وصار على خاطرنا الشريف أو « فقد رَسَمنا به » أو « فلم نرسم به » . ونحو ذلك على ما يقع به الجواب السلطاني في الملخص المكتوب عن مكتبة المكتوب إليه بالجواب .

وهذه مكتبة من هذا النمط يُسج على منوالها ، وهي : وتبدي لعلمه الكريم ، أن مكاتبته الكريمة وردت على يد مملوكه الأمير الأجل فلان الدين فلان ، أعزه الله تعالى ، فوقفنا عليها ، وعلمنا ماتضمنته على الصورة التي شرحها ، وشكرنا همته العالية ، وتقدماته السعيدة ، ورأيه السعيد ، وأعتاده الحميد .

فأما ما أشار إليه من وصوله ومن صحبته ، ونائب السلطنة الشريفة بطرأبأس
وصفد المحروستين ، إلى ملطية المحروسة في التاريخ الفلاني ، وتلقى نائب السلطنة
الشريفة بجلب وحماة المحروستين ، المقر الكريم ، ومن معه على ظاهر المدينة
المذكورة ، واستمرار إقامتهم جميعاً بالمنزلة المذكورة إلى تسطير مكاتبته المشار إليها
في انتظار من رسم له بالحضور إليهم من عساكر القلاع المنصورة وغيرهم ، من أمراء
التركان والأكراد ومن معهم من أتباعهم والزامهم ، حسب ما اقتضته المراسيم
الشريفة في المهم الشريف وما كتب به إلى نائب طرأبأس ، وإلى قرايوسف النائب
بالرها المحروسة : من الحضور إلى المهم الشريف ، وإجابتهما إلى ذلك ؛ وكذلك
ما كتب به إلى الحاكم بسيواس ، وإلى أحمد بن طرغلي ، وما أجابا به من الحضور
إلى المهم الشريف ، والملتقى في المكان الذي عينه حاكم سيواس ، إلى غير ذلك مما
بسط القول فيه [فقد علمناه ^(١) على الصورة التي شرحها ، وتضاعف شكرنا لعمته
العلية وتقدماته السعيدة .

وأما ما أشار إليه من أعماده ما برزت به المراسيم الشريفة في الجواز الشريف
الوارد إليه على يد مجلس الأمير الأجل فلان الدين فلان ، والمطلق الشريف المجهز
على يده ، وأمثال ما تحمله من المشافهة الشريفة ، وتقديمه بجميع نواب السلطنة الشريفة
المكتوب إليهم ، وعقد المشورة معهم على اعتماد ما اقتضته المراسيم الشريفة ، وتعيين
جاليش العساكر المنصورة ونائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة ومن معه
من الأمراء المقدمين وأتباعهم من دمشق وحلب المحروستين ، ونائب السلطنة
الشريفة بحماة المحروسة ، ومن معه من العساكر المنصورة ، وسيرهم في التاريخ
الفلاني ، وسيره في أثرهم بن بقي معه من العساكر المنصورة الشامية الحلبية ؛

(١) الزيادة يقتضيا تصحيح الكلام ولعلها ساقطة من قلم الناسخ .

وأن سيرهم على جهة بلد كذا على الصورة التي شرحها لما قصدته من ذلك من المصلحة ، فقد علمنا ذلك على الصورة التي شرحها ، وشكرنا همته العالية ، وحسن فكرته الصحيحة .

وأما ما أشار إليه من أن نائب مَاطِيَةَ جَهَّزَ الكُتَابَ الواردَ عليه من ابن تمرلنك ، على يد قاصدٍ من جهة تَلَمَّانَ باللسان الأجمي^(١) ، وأنه عَرَّبَهُ وَفَهَّمْهُ مضمونه وجَهَّزَهُ لِيُحِيطَ العِلْمَ الشَّرِيفَةَ بِمضمونه ، وهي على الخواطر الشريفة ، فيكون ذلك على الخاطر الكريم ، وشكرنا همته العلية .

وأما ما أشار إليه من ورود كتاب تَلَمَّانَ عليه ، وهديته على يد قاصده ، وأنه لم يقبل هديته وأعاد جوابه ، فإنه إن كان مناصحاً في الخدمة الشريفة وهو صادق في كلامه ، فيحضر إلى المهم الشريف ، وما شرح في هذا المعنى فقد علمناه على الصورة التي شرحها ، وشكرنا جميل اعتماده وسعيه رأيه . وكذلك أحاطت العلوم الشريفة بما ذكره من أمر حاكم عرب كبر(؟) وما شرحه في ذلك ، فقد علمناه على الصورة التي شرحها .

وأما ما أشار إليه من أمر مَلَطِيَةَ المحروسة ، وأنها تحتاج إلى الفكر الشريف ، والنظر في أحوالها وترتيب مصالحها ، وإقامة عسكر لرجال يمجونها من طوارق الأعداء المخدولين : إلى غير ذلك مما شرحه في هذا المعنى ، فقد علمناه على الصورة التي شرحها ، وبقى ذلك على خواطرننا الشريفة . وعقبها إن شاء الله تعالى تبرز المراسيم الشريفة بما فيه المصلحة للبلد المذكور على أكمل ما يكون .

وقد استصوبوا رأي المقر الكريم في هذا الفكر الحسن ، فإنه أمر ضروري . وقد شكرنا للمقر الكريم جميل اعتماده ، وحسن رأيه ، وبذل همته واجتهاده في هذا

(١) كذا في الأصل غير واضح .

المهم الشريف . والقصد منه الاستمرار على ما هو فيه من بذل الاجتهاد في المهمات الشريفة بقلبه وقالبه ، والعمل على بياض وجهه عند الله تعالى ، من الذب عن عباده وبلادهم ، وبذل المال والروح في رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، واستقرار خواطرننا الشريفة بذلك . فإن المقر الكريم يعلم ما نحن متأبرون عليه ، ومُتقِّدون إليه ، من محبة رضا الله تعالى في النصيحة بصالح العباد ، وعمارة البلاد ، وتسطير ذلك في صحائف حسنات الدهر بين يدي الله تعالى . والمقر الكريم يعلم أن جل اعتمادنا عليه في أكبر دولتنا الشريفة . ونحن واثقون برأيه السديد في حركاته وسكاته في المهمات الشريفة والأشغال السلطانية . ولأجل ذلك قزبناه ، ورَضينا به لنا وعلينا ، وكَلِّمنا بلغنا عنه اعتماد حسن تتضاعف منزلته عندنا . والآن فإن تواب السلطنة الشريفة وأمرآء دولتنا كبيرهم وصغيرهم تحت أمره ومشورته ، وما بقي مثل هذه الأيام المباركة والأوقات السعيدة ، ولم يبق سوى آتهاز القُرص ، وأغتنام أوقات السعادة ، وهو الحاضرُ والنائب عنَّا في كل ما يحصل من المصالح العائد نفعها على البلاد والعباد . والمبادرة إلى عملها من غير معاودة الآراء الشريفة في كل قضية تتفق له ، فإن المسافة بيننا وبينه بعيدة ، وتَضِيعُ المصلحة في وصول الخطاب وعود الجواب . وقد فوّضنا إليه الرأي في ذلك ، والعمل بما تقتضيه المصلحة الحاضرة ، في جليل الأمور ودقيقها ، فيكون ذلك على خاطرهِ الكريم ، ويعمل بمقتضاه . وقد أعدنا مملوكه بهذا الجواب ، فيُحيط علمه بذلك .



وهذه نسخة مكتوبة في معنى الرضا عن ابن دلغادر التُّركماني وغير ذلك :

وتبدي لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمة وردت على يد فلان الدين فلان مملوكه ،

فوقفنا عليها وعلما ما تضمنته .

فأما ما ذكره في معنى 'أبن دلغادر، وتكرار كُتبه بالتصريح والتراخي عليه في سؤال الصدقات الشريفة في الرضا والعمو عنه ، فقد علمنا ذلك ؛ والذي نعرف به المقرّ الكريم أنا كما رسمنا بأن لا يُكتب له جواب وردّ كتابه وقاصده ؛ ولما تكرّر استشفاعه بالمقرّ الكريم، ودخل دُخُولَ الْحَرِيمِ، وعرفنا أنه ضاقت عليه الأرض برُحْبها وأخلص في النَّدَم، عطفت عليه الصدقاتُ الشريفةُ بِالْحُنُوِّ والعفو كرامةً للمقرّ الكريم ، وإعلاءً لشانه، ورفعاً لمكانته ومكانه . ورسمنا للمقرّ الكريم أن يكتب المذكور بهذا المعنى، ويلتزم على نفسه العفو الشريفة، والصّفْحُ المُنيّف ؛ وإيصال أنواع الخير و فوق مافي خاطره من الأمان على نفسه وماله ، وغير ذلك . والذي نعرفه أنه كان جرى على اللسان الشريف الحلف أنه لا بدّ من حضوره إلى الأبواب الشريفة ودّوس البساط الشريف ، ولا بدّ من تحقيق ذلك لحصول البرّ والحلاص من الحلف الشريف ، وقيام الناموس عند القريب والبعيد : ليعلموا أنّ سلطاننا غالبٌ على مَنْ تتمدّد ، ومرامحنا شاملة لمن يلتجئ إلى حرم عفونا الشريف ، وأنه قريبٌ منه .

وأما ما ذكره في معنى 'كشّف الصّفقة الفلانية ، ووقوع الاختيار على فلان الدين فلان ، وما عرّضه على الآراء الشريفة من تقريره في ذلك ، وبروز المراسيم الشريفة بكتابة مرسومه وتقرير غيره ، فقد علمنا ذلك ورسمنا بتقريره ، وكتبنا مرسومه الشريف ، وجهّزناه على يد فلان العائد بهذا الجواب الشريف .

وأما ما ذكره من جهة الزاوية المستجدة بسقّحَب وتجهيز قائمة متضمنة بما تدعو الضرورة إليه من تقرير السماط وأرباب الوظائف ، وما عرّضه على الآراء الشريفة من كتابة مرسومٍ شريفٍ مرّيع على حُكْمها ، أو بما تقتضيه الآراء الشريفة من زيادة أو نقص ، فقد علمنا ذلك ورسمنا به حسب ما اقتضته الآراء الشريفة : من استقرار

(١) امله وتقريره (٢) يظهر أن في الكلام سقطا ولعله «وما عرضه على الآراء الشريفة من الخ» .

فلان الدين فلان في الولاية في الثغر المذكور ، فقد علمنا ذلك ورسمنا به ، وكتبنا مرسومه الشريف ، وجهازه على يد العائد بهذا الجواب الشريف . فالمقر الكريم يوصيه بحسن السيرة وترك ما كان عليه .

وأما ما ذكره من جهة خفارة الجهة الفلانية ، وما عرضه على الآراء الشريفة : من إمضاء القائمة المجهزة بأسماء من قزره في الخفر المذكور ، فقد علمنا ذلك ورسمنا بإمضائه حسب ما قصده المقر الكريم .

وأما ما ذكره من جهة فلان المعتقل بقلعة دمشق ، ووقوف أولاده وعياله وشكواهم حالهم بعد كشف ما نقل عنه وعدم صحته وما عرضه على الآراء الشريفة من الإفراج عنه ، فقد علمنا ذلك ورسمنا به فيتقدم أمر المقر الكريم بالإفراج عنه .
وأما ما ذكره في معنى ما ورد به كتاب النائب بالرجبة المحروسة : من الأخبار والمتجددات ، فقد علمناه وصار على خواطرننا الشريفة .

وأما ما ذكره من وصول قاصدي حاكم الدر بند وحاكم القنيطرة بما على أيديهما وتجهيز ماورد معهما من الكتب وأستئذان الآراء الشريفة على ما نعتد في أمرهما وفيمن يحضر بعدهما ، فقد علمنا ذلك ، وكتبنا الجواب عن ذلك ، وجهازه قرين هذا الجواب الشريف ، فيتقدم باعادتهما إلى مرسلهما . وكذلك يفعل في كل من حضر من تلك النواحي إلا في مهم شريف على عوائدهم . وقد أعدنا مملوكه إليه بهذا الجواب الشريف ، فيحيط علم المقر الكريم بذلك .



مكاتبة أخرى — من هذ النمط في معنى أمور مختلفة . وتبدي لعلمه الكريم أن مكاتبة الكريمة وردت على يد المجلس السامي الأميري فلان . فوقفنا عليها وعلمنا ما تضمنته على الصورة التي شرحها .

فأما ما أشار إليه : من وصوله إلى دمشق المحروسة عائداً من الأغرور السعيدة ، وأنه وجدها وسائر أعمالها وضواحيها والسواحل والموانئ في حرز الأمن والسلامة ، فقد علمنا ذلك وحمدنا الله تعالى وشكرناه على ذلك .

وأما ما أشار إليه : من أنه جهّز من متحصّل دار الضرب السعيدة بدمشق المحروسة كذا وكذا مثقالاً بمقتضى رسالة وما قصّد من إعادة رجعة شريفة بذلك ، فقد علمناه ووصل المبلغ المذكور ، وكتب به رجعة شريفة على العادة في مثل ذلك ، وجهّزت على يد فلان المشار إليه ، فيكون ذلك على خاطره الكريم .

وأما ما ذكره : من أمر الثّحاس وقلته من عدم وصول شيء منه ، وأنه لم يوجد منه بعد الجهد سوى مبلغ عشرين قنطاراً عند الفرج ، وأمر الفلوس العتق وبقائها ، وكثرة الفلوس الجدد ، وقلة وجود الدرهم والدينار ، وتوقف المعاييش بسبب ذلك ، وما عرضه على الآراء الشريفة إن اقتضت الآراء الشريفة إبطال دار الضرب نحو شهرين إلى أن يحضّر نحاس يستعمل ، وتخيّف الفلوس ويستصرف ما في أيدي الناس ، فقد علمنا ذلك وأجبنا سؤاله فيه . ومرسومنا أن يعمل فيه بما تكون [به] المصلحة عامة للرعية ، وتبطل دار الضرب مدّة يراها المقرّ الكريم .

وأما ما أشار إليه : من أمر الأمير فلان وما قصده من حُسن النظر الشريف في حاله ، وما شرحه من ذلك ، فقد علمناه على الصورة التي شرحها ، وصار ذلك على الخواطر الشريفة .

وأما ما أشار إليه : من أمر فلان ، وما اتّفق من الكشّف عليه حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة ، وما ادّعى عليه من كذا وكذا ، وما كتب عليه من المحاضر وتجهيزها إلى الأبواب الشريفة ، وتجهيز المشار إليه إلى الأبواب الشريفة صحيفة البريديّ المجهّز

في طلبه في أثناء ذلك ، فقد علمنا ذلك على الصورة التي شرحها ، وأحاطت العلوم الشريفة به جملةً وتفصيلاً ، وبما أشتملت عليه المحاضر المذكورة ، وبقي ذلك على الخواطر الشريفة ؛ وأقتضت الآراء الشريفة إعادته ومن معه للخلاص من شكائته عند المقر الكريم ، وقد أعدناهم صحيفة من يحضرونهم إلى المقر الكريم ليكشف عليه وتنظم المحاضر وتجهز .

(١)

وأما ما أشار إليه من تجهيز وتعريف الحسبة بالأسعار عن البرّ الفلاني على العادة في ذلك إلى الأبواب الشريفة ، فقد علمنا ذلك ووصل ماجهزه من ذلك ، وأحاطت العلوم الشريفة بما أشتمل عليه ، وشكرنا همة المقر الكريم وسعيد تقدّماته ، وجميل أعمداته . وقد أعدنا الأمير فلانا بالجواب الشريف ، فيحيط علمه بذلك .

قلت : وعلى ذلك يُقاس ما يُكتب به إلى سائر التواب بالشام والديار المصرية فمن دونهم ممن جرت العادة بمكاتبته من الأبواب السلطانية في الابتداء والجواب .

المأخذ الثاني

(في معرفة أوضاع هذه المكاتب)

أول ما يجب من ذلك معرفة قطع الورق الذي يكتب فيه . وقد سبق في المقالة الثالثة في الكلام على قطع الورق بيان مقادير قطعه ، وأن من حملها قطع العادة : وهو القطع الصغير . وفي هذا القطع تُكتب عامة المكاتب المتقدمة ، مما يكتب به لأرباب السيوف والأقلام بمصر والشام على اختلاف مقاديرهم ، وتباين مراتبهم

في الرَّفْعَةِ وَالضَّمْعَةِ؛ خلا ما تقدّم ذكره : من أنه كُتِبَ إلى والده السلطان الأشرف
« شعبان بن حسين » في قطع الشامى الكامل . وقد تقدّم هناك أنّ الكتابة في قطع
العادة جملةً تكون بقلم الرِّقَاع . فتكون كتابه جميع هذه المكاتبات به .

ثم أول ما يكتُبُ الكاتب في المكاتبه التعريف بالمكتوب إليه : وهو أن يكتُب
في رأس الدَّرَج ، من وجه الوصل ، من أوله ، من الجانب الأيمن « إلى فلان » .
ويكتب على سَمْتِه في الجانب الأيسر « بسبب كذا وكذا » . ويكتب في وَسْطِهما
على سَمْتِهما التعريف بالعلامة التي تُكْتَب . فإن كانت العلامة الأسم ، كتب « الأسم
الشريف » . وإن كانت بالأخوة ، كُتِب « أخوه » . وإن كانت بالوالدية ، كتب
« والده » . ثم يَقلِب الدَّرَج فيكتب على ظاهره عنوان المكاتبه في أسفل ما كتب
عليه في رأس الورق باطنا من أول عرض الدَّرَج إلى آخر ألقاب المكتوب إليه .
ويقلب الدعاء المبتدأ به في المكاتبه ، فيدعوه به في آخر الألقاب . ثم يخلى بياضاً
ويكتب تعريف المكتوب إليه : من نياية سلطنة أو ولاية أو أسم أو غير ذلك .
وتكون الأسطر متقاربة متلاصقة .

فإن كان المكتوب إليه النائب الكافل مثلاً ، كتب في العنوان : « المقرّ ، الكريم ،
العالى ، الأميرى ، الكبيرى » إلى آخر ألقابه . فإذا آتته إلى آخر الألقاب ، كتب
« أعز الله تعالى أنصاره » . ثم يترك بياضاً ويكتب : « كافل الممالك الشريفة
الإسلامية أعلاها الله تعالى » بحيث ينتهى آخر كتابة ذلك إلى آخر السطر .

وإن كان المكتوب إليه كافل السلطنة بالشام ، كتب : « المقرّ الكريم » إلى آخر
الألقاب « أعز الله تعالى أنصاره » ثم يترك البياض المذكور ، ثم يكتب : « كافل
السلطنة الشريفة بالشام المحروس » .

وإن كان المكتوب إليه نائب السلطنة بجلَب، كتب: «الجناب الكريم» إلى آخر ألقابه «أعز الله تعالى نصرته»، ثم يترك بياضا ويكتب: «نائب السلطنة الشريفة بجلَب المحروسة» .

وإن كان المكتوب إليه نائب الإسكندرية، أو نائب طرابلس، أو نائب حماة، أو نائب صفد، كتب: «الجناب العالی» إلى آخر ألقابهم «ضاعف الله تعالى نعمته»، ثم يترك بياضا ويكتب: «نائب السلطنة الشريفة بشغر الإسكندرية المحروس»، أو «نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة»، أو «نائب السلطنة الشريفة بحماة المحروسة»، أو «نائب السلطنة الشريفة بصفد المحروسة». وكذا في البواقي بحسب تعريف كل من المكتوب إليهم على ما مر ذكره في مواضعه .

ثم إذا كتب العنوان: فإن كان المكتوب إليه من يكتب له «المقر الكريم»، أو «الجناب العالی»، أو «المجلس العالی» مع الدعاء، ترك من أعلى الدرج ثلاثة أوصال بياضا بالوصل المكتوب في ظاهره العنوان، ثم تكتب البسملة في رأس الوصل الرابع بهامش من الجانب الأيمن .

وإن كان المكتوب إليه ممن يكتب له «المجلس العالی» مع «صدرت» فما دون ذلك، ترك في أعلى الدرج وصلان بياضا فقط . وتكتب البسملة في رأس الوصل الثالث؛ ثم يكتب سطران من أول المكاتبة تحت البسملة على سمتها ملاصقا لها؛ ثم يخطي بيت العلامة بياضا ويكتب السطر الثاني على رأس إصبع^(١) أو نحوه من أسفل ذلك الوصل؛ ثم يكتب السطر الثالث في الوصل الذي يليه على بعد ثلاثة أصابع معترضات من السطر الثاني، ويؤتى على ذلك إلى آخر المكاتبة .

(١) المراد على قدر إصبع .

وقد كانت أوصال الورق في الزمن المتقدم طويلةً : فكان يُكْتَبُ في كلِّ وَصَلٍ ثلاثة أسطر ، وبين كلِّ سطرين أكثر من عَرْضِ ثلاثة أصابع . أما الآن ، فقَصُرَت الأوصال ، وصار كلُّ وَصَلٍ لا يَسَعُ في الغالب أكثر من سطرين . فإذا انتهى إلى آخر المكتبة ، أُخْلِىَ بياضًا سيرًا ، ثم كُتِبَ في وَسَطِ الوصل : « إن شاء الله تعالى » ثم يكتب : « كتب في كذا من شهر كذا » في سطر ، وتحت سنة كذا وكذا في سطر تحته ، بينهما قدرُ إصبعين ؛ ثم يكتب المستند بعد تقدير إصبعين . فإن كان بتلقّي كاتب السرِّ كتب « حَسَبَ المرسومِ الشريف » . وعلى ذلك يجري الحكم في جميع ما يُكْتَبُ في البريد ، وهو المختصُّ بالأمور السلطانية .

وإن كان من دار العدل بتلقّي كاتب السرِّ أو أحد من كُتَّاب الدَّست ، كتب : « حَسَبَ المرسومِ الشريف » في سطر ، وتحت « من دار العدل الشريف » في سطر آخر . وإن كان بقِصَّة مشمولة بخطِّ السلطان ، كتب : « حَسَبَ الخطِّ الشريف » بمقتضى أعلى ذلك . وإن كان بخطِّ النائب الكافل ، كتب : « بالإشارة العالية الأميرية العالمية الفلانية » في سطر ، وتحت في سطر آخر « كافل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . وإن كان بأمر الوزير ، كتب « بالإشارة العالية الأميرية الوزيرية الفلانية » في سطر ، وتحت في سطر آخر « مدبر الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . وإن كان الوزير صاحب قلم ، كتب « بالإشارة العالية الوزيرية الصحافية الفلانية ، مدبر الممالك الشريفة الإسلامية ، أعلاها الله تعالى » سطرين على نحو ما تقدّم . وإن كان برسالة الدَّوَّار : فإن كان مقدّم ألف ، كتب « برسالة الجناب العالی الأميری الکبیری الفلانی » في سطر ، وفي سطر آخر تحت « الدَّوَّار الناصري أو الظاهري » ونحو ذلك « ضاعف الله تعالى نعمته » . وإن كان طبلخاناه ، كُتِبَ بدل الجناب « المجلس » ويدعوله « أدام الله تعالى

نعمته» . وإن كان بأمر الإستاذار ، كتب «بالإشارة العالية الأميرية الفلانية إستاذار الفلانية أعلاها الله تعالى» . وإن كان من ديوان الجيوش المنصورة ، كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، وتحت «من ديوان الجيوش المنصورة» في سطر آخر . وإن كان من ديوان الخواص الشريف ، كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف من ديوان الخواص الشريف» على ماتقدم . وإن كان من الدولة الشريف : بأن يكون بخط ناظر الدواوين وهو قليل ، كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف من الدولة الشريف» على نحو ماتقدم . وقد تقدم الكلام على المستندات في الجملة ، في مقدمة الكتاب عند الكلام على ديوان الإنشاء .

المَقْصِدُ الثَّانِي

(في المكتبات العامة إلى أهل هذه المملكة : وهي المطلقات)

قال في "التعريف" : وأقسامها لا تخرج عن ثمانية أقسام : إلى الوجه القبلي ، وإلى الوجه البحري ، وإلى عامة الديار المصرية ، وإلى بعض البلاد الشامية ، وإلى البلاد المصرية والشامية ، وإلى الممالك الإسلامية وما جاورها ، وإلى بعض أولياء الدولة ؛ كالأمرء بدمشق أو حلب ، وإلى قبائل العرب ، أو التركمان ، أو الأكراد أو بعضهم .

قلت : والقاعدة في المطلقات أنه إذا اجتمع في المطلق كبار وصغار ، يلقب حكم الأكبر منهم على الأصغر : تعظيماً لأمر الأكبر . فإن كان في المطلق من الألقاب ماتخص به الأكبر دون غيرهم ، استوفى للكبير ما يختص به من الألقاب وأتى بالقدر المشترك فيه بعد ذلك .

ثم المطلقات منها ما يُحْتَم . قال في "التعريف" : وهو ما كان لبعض أولياء الدولة إذا كان في سِرِّيَّتكم ولا يُراد إظهاره إلا عند الوقوف عليه ، فيُحْتَم على عادة الكُتُب . وهذا يكون عنوانه بظاهرة كما في غيره من المكاتبات المفردة .

ومنها ما لا يُحْتَم ، وهو سائر المطلقات . قال في "التعريف" : وعنوانها (مخالف لعنوان^(١)) الكُتُب المفردة للأحاد : فإنَّ تلك في ظاهر الورق ، وهذه في باطن الورق ، فوق وصلين أو ثلاثة ، فوق البسملة . ويقال فيها : مثلاً شريفٌ مطلقٌ إلى الولاية والثواب ، أو غير ذلك من نحو ما في الصدر ، فيضمَّن العنوانُ ملخَّص ما فيه . ثم يقال : على ما شرح فيه ، أو حسب ما شرح فيه . ومن قاعدتها أن يصرَّح بذكر المكتوب إليهم في المطلق ، بخلاف غيرها من المكاتبات المفردة . قال في "التعريف" : ثم بعد التعريف في المطلقات الدعاء ، ثم الإفضاء إلى الكلام ، وفي آخرها يتعيَّن أن يقال : «فليعلموا ذلك ويعتمدوه» .

وحاصل مرجوعها إلى ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(المطلقات المكبَّرة)

قال في "التعريف" : وهي ما يكتب إلى سائر الثواب بالمالك الشريفة ، خلا سبب فإنها مستجدة ، غير أنه إن رُسم باضاقة إليهم ، فيحتاج إلى تحرير الحال في أمره : هل يُكْتَب له بعد نائب طرابُلُس أو بعد نائب صفد ؟ ولا يمكن أن يكون بعد مقدم العسكر بغزة ، ولا نائب الكرك ، لأن رتبته في المكاتبه أعلى منهما . فإنها نظير مكاتبه نائب طرابُلُس وحماة وصفد .

(١) في الأصل "وعنوانها كعنوان" الخ وهو خطأ والنصحیح من التعريف (ص ٨٢)

قلت : هذا على ما كان الامر أستقر عليه من كونها نياحة في أول الامر ، أما بعد
 أستقرارها تقدمت عسكراً ، فإنه يكون بعد مقدم العسكر بغزة : لأن كلاً منهما مقدم
 عسكراً ، ومقدم العسكر بغزة أقدم من مقدم العسكر بسيس . وأيضاً فإن غزوة
 مضافة إلى دمشق وسيس مضافة إلى حلب ، ودمشق أكبر من حلب .

قال في "التتيف" : وصورة هذا المطاق أن يكتب في الطرة : «مثال شريف
 مطلق إلى الجنابين الكريمين ، العالين ، الأميرين ، الكافلين ، الفلانيين ، نايجي
 السلطنة الشريفة بالشام وحلب المحروستين ، أعز الله تعالى نصرتهما ، وإلى الجنابات
 العالية الأميرية الفلانية أو الفلاني والفلاني» على الترتيب . ثم يقال : «تؤاب السلطنة
 الشريفة بطرابلس وصفد وحماة المحروسات . وإلى الجناب العالی والمجلس العالی
 الأميری الأميرین الفلانيين أو الفلاني والفلاني ، مقدم العسكر المنصور بغزة
 المحروسة ، ونائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس ، أدام الله تعالى نعمتهما ، بما رسم
 لهم به أن يتقدم أمرهم الكريم بكذا وكذا ويشرح ما رسم به إلى آخره . ثم يُحلي
 بيضاء سيرا . ثم يكتب «على ما شرح فيه» ويترك ثلاثة أوصال بيضاء بالوصل الذي
 تكتب فيه الطرة . ثم تكتب البسملة في أعلى الوصل الرابع . ثم يكتب قبل آخره
 بإصبعين ماصورته : «أعز الله تعالى نصره الجنابين الكريمين ! وضاعف وأدام نعمة
 الجناب العالی ، والمجلس العالی ، الأميرية ، الكبيرة ، العالمة ، العادلية ، المؤيدية ،
 الزعيمية ، العوثية ، العياثية ، المتأخرية ، المرابطية ، المشيدية ، الظهيرية ، الكافية ،
 الفلانية أو الفلاني والفلاني» إلى آخرهم : «أعزاء الإسلام والمسلمين ، سادات
 الأمراء في العالمين ، أنصار الغزاة والمجاهدين ، زعماء الحيوش ، مقدمي العساكر ،
 مهدي الدول ، مشيدي الممالك ، عمادات الملة ، أعوان الأمة ، ظهيري الملوك
 والسلاطين ، سيوف أمير المؤمنين ، تؤاب السلطنة الشريفة بالشام وحلب

وطرأ بلس وحمأة وصفد المحروسات ، ومقدم العسكر المنصور بغزة المحروسة ،
 ونائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس « ثم الدعاء لهم بصيغة الجمع . ثم يقال :
 « صدرت هذه المكاتب إلى الجنابين الكريمين والجنابات العالية ، والمجلس العالى ،
 تهدي إليهم من السلام كذا ، وتوضح لعلمهم الكريم كذا وكذا ، فيحيط علمهم الكريم
 بذلك ، والله تعالى يؤيدهم بمنه وكرمه » . وتكلم بالمشيئة وما بعدها . والعلامة
 « أخوهم » . قال : في « التثقيف » : وإن أضيف إليهم نائب سيسى (١)
 في الطرة والصدر حسب ما تقدم ذكره .

قال في « التثقيف » : ومما ينبه عليه أنه قد يكتب تارة إلى بعض هؤلاء التواب
 ويختصر البعض ، بحسب ما تدعو الحاجة إليه ، فيكتب كذلك ويختصر منه من
 رسم باختصاره ، ويذكر كل واحد منهم في محله ومرتبته على الصورة المتقدمة من
 غير تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة ولا نقص . ثم قال : وهذا هو الذى لم يزل الحال
 مستقرا عليه حين كانت مكاتبه نائب الشام « الجناب الكريم » نظير نائب حلب .
 أما الآن حيث استقرت مكاتبته « المقر الكريم » . فإنه لا يليق أن يكتب لغيره بألقابه
 الخاصة به . وإن اختصرت الألقاب الخاصة به كان فيه نقص لرتبته ؛ فيلزم من
 ذلك أن يكتب إليه على أفرادها ، ويكتب المطلق لمن رسم به ممن عداه من
 التواب المذكورين .

قلت : وقد رأيت في بعض الدساتير كتابة المطلق الشامل لكافل الشام وغيره من
 التواب بعد استقرار مكاتبه نائب الشام بالمقر الكريم على صورتين :

(١) بياض بالأصل ولعله يضاف ، أو أضيف في الطرة الخ .

الصورة الأولى — أن تُستوفى ألقابُ المقترِّ الكَرِيمِ بدعائه، ويؤثى بألقابه الخِصَّةَ به، ثم يُعطَفُ عليه الجَنابُ الكَرِيمُ، والجَنابَاتُ العَالِيَةُ، والمَجَالِسُ العَالِيَةُ، بالألقابِ المُشْتَرَكَةِ؛ ويميِّزُ ما يَمَكُنُ تَمييزُهُ مِنْهَا، وَيَكْمَلُ عَلَيَّ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ: وَذَلِكَ بَأَن يَكْتُبَ فِي الطَّرَةِ «مِثَالُ شَرِيفٍ مُطَلَّقٌ إِلَى كَافِلِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ المَحْرُوسِ، أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ؛ وَتُؤَابِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِجَلْبَ، وَطَرَابُلسَ، وَحِمَاةَ، وَصَفَدَ، ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُمْ؛ وَمَقَدَّمَ العَسْكَرَ المَنْصُورَ بَغزَةَ وَسِيسَ المَحْرُوسَتَيْنِ، أَدَامَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُمَا بِمَا رَسَمَ لَهُمْ بِهِ» إِلَى آخِرِهِ. ثُمَّ يُجَلِّي ثَلَاثَةَ أَوصَالٍ، عَلَيَّ مَا تَقَدَّمَ؛ وَيُكْتُبُ تَلَوَّ البِسْمَلَةِ فِي أَوَّلِ الوَصْلِ الرَّابِعِ: «أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ المَقْتَرِ الكَرِيمِ العَالِيِ، المَوْوَلِيِّ، الأَمِيرِيِّ، الكَبِيرِيِّ، العَابِدِيِّ، النَّاسِكِيِّ، الأَتَايَكِيِّ؛ وَنُصْرَةَ الجَنَابِ الكَرِيمِ، وَضَاعَفَ وَأَدَامَ نِعْمَةَ الجَنَابَاتِ، وَالمَجَالِسِ العَالِيَةِ، الأَمِيرِيَّةِ، الكَبِيرِيَّةِ، العَالِمِيَّةِ، العَادِلِيَّةِ، المِثَاغِرِيَّةِ، المِرَابِطِيَّةِ، العَوْنِيَّةِ، الذُّخْرِيَّةِ، الغِيَاثِيَّةِ، المَهْدِيَّةِ، المَشِيدِيَّةِ، المَقْدِمِيَّةِ، الظَّهْرِيَّةِ، الكَافِلِيَّةِ، الفَلَانِي وَالفَلَانِي» إِلَى آخِرِهِمْ: «مَعَزَّ وَعَزَّ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ، سَيِّدِي الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ، نَاصِرَ وَنُصْرَةَ العَزَاةِ وَالمَجَاهِدِينَ، رُحَمَاءَ الجِيُوشِ أَتَاكَ وَمَقَدَّمَ العَسَاكِرَ، مَهْدِي الدُولِ، مَشِيدِي المَمَالِكِ، أَعْوَانَ الأُمَّةِ، كُهُوفَ المَلَّةِ، طُهْرَاءَ المُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ، عَضُدَ وَسِوْفِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، كَافِلِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ المَحْرُوسِ، وَتُؤَابِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِجَلْبَ، وَطَرَابُلسَ، وَحِمَاةَ؛ وَمَقَدَّمَ العَسْكَرَ بَغزَةَ وَسِيسَ؛ وَنَائِبِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالكَرْكِ المَحْرُوسِ» وَلَا زَالَ إِلَى آخِرِهِ. «أَصْدَرْنَاهَا إِلَى المَقْتَرِ وَالجَنَابِ الكَرِيمِ وَالجَنَابَاتِ وَالمَجَالِسِ العَالِيَةِ، تُهْدِي إِلَيْهِمُ مِنَ السَّلَامِ كَذَا، وَمِنَ التَّنَائِ كَذَا، وَتُبْدِي لِعَلْمِهِمُ الكَرِيمِ كَذَا وَكَذَا. وَمَرْسُومُنَا لِلْمَقْتَرِ وَالجَنَابِ الكَرِيمِ وَالجَنَابَاتِ وَالمَجَالِسِ العَالِيَةِ أَنْ يَتَقَدَّمُوا بِكَذَا وَكَذَا، فَيُحِيطُ عَلْمُهُمْ بِذَلِكَ».

الصورة الثانية - أن تُكْتَبَ الطَّرَّةُ على ماتقدم؛ ثم تكتبُ ألقابُ المقرِّ إلى آخرها . ثم يقال : « وتبدي لعلمه الكريم وعلم الجنب الكريم والجنابات العالية والمجلس العالی الأميرية الكبيرة » إلى آخر الألقاب « أن الأمر كذا وكذا . ومرسومنا للمقر والجناب الكريمين والجنابات العالية والمجلس العالی أن يتقدموا بكذا وكذا ، فيحيط علمهم بذلك » والعلامةُ في هذا المطلق « أخوهم » اعتبارا بالعلامة إلى كافل الشام ونائب السلطنة بحلب .

الضرب الثاني

(المطلقات المصغرة)

وقد ذكر لها في "التعريف" قواعد كلية، وأشار إلى اختلاف مقاصدها في ضمن الكلام الجُملي، فقال : وفي كلها يُكْتَبُ : « مثالنا هذا إلى كلِّ واقف عليه من المجالس السامية ، الأمراء ، الأجلء ، الأكابر ، المجاهدين ، المؤيدين ، الأنصار ، الغزاة ، الأتجاد ، الأتجاد ، أمجاد الإسلام ، أشراف الأمراء ، أعوان الدولة ، عَدَد الملوك والسلطين : الولاة ، والنواب ، والشادين ، والمتصرفين ، بالوجه الفلاني ، أو بالديار المصرية ، أو بالبلاد الشامية ، [أو بالبلاد الفلانية ، أو بالديار المصرية والبلاد الشامية^(١)] وسائر الممالك الاسلامية » . قال : وقد يزداد في هذا لمقتضيه : « والتتور والحُصون والأطراف المحروسة » . قال : فإذا كان إلى الممالك الاسلامية ، قيل « بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، وسائر الممالك المحروسة ، وما جاورها من البلاد الشرقية ، والممالك القانية » . وقد تكون إلى جهة الرُّوم . فيقال : « وما جاورها من البلاد الرومية وما يليها » . ثم عَقَّب ذلك بأن قال : فأما إذا كان إلى بعض أولياء

(١) ساقط من فم الناسخ والتصحيح من التعريف .

الدولة نظر : فإن كان إلى عامّة أمراء دِمَشقَ ، قيل : « صدرت هذه المكتبة إلى المجالس العالية الأمراء » . وبقية الألقاب من نسبة ما يكتب للجلوس العالي . فإذا آتتهى إلى أعضاء الملوك والسلاطين ، [أو عضد الملوك والسلاطين ويحوز إطلاق هذا الافراد على الجمع ^(١)] قال : جماعة الأمراء مقدمى الألوّف ، وأمراء الطبليخاناه ، وسائر [مجالس الأمراء] أمراء العشرات ، ومقدمى الحلقة المنصورة . وإن كان يكتب إلى حلب أو غيرها من الممالك فبالسامية . وإن كان لأمراء العربان أو التركان أو الأكراد ، كتب على عادة المطلقات بالسامية ، وكتب بعد عدد الملوك والسلاطين « الجماعة الفلانية » أو غير ذلك مما يقتضى التعريف بمن كتب إليه .

أما فى "التتقيف" فقد رتبّ المطلقات المصغرة على ستة أصناف :

الصنف الأول — المطلقات إلى جميع نواب القلاع بالمملكة الشامية ، أو بالمملكة الحليّة .

وصورة ما يكتب إليهم فى الطرة : « مثأل شريف مطلق إلى المجالس العالية والسامية الأميرية ، ومجالس الأمراء النواب بالقلاع الفلانية المحروسة ، أدام الله تعالى نعمتهم بما رسم لهم به من كذا وكذا » إلى آخره . ثم يقال : على ما شرح فيه ، ثم يُحلى وصلان بياضا بوصل الطرة ؛ ثم تكتب البسملة فى أعلى الوصل الثالث ؛ ثم يكتب بعد البسملة : « صدرت هذه المكتبة إلى المجالس العالية والسامية الأميرية » وبقية ألقابهم . « ومجالس الأمراء الأجلاء ، الأكابر ، المجاهدين ، المؤيدين ، الأنصار ، أجداد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، أنصار الغزاة والمجاهدين ، مقدمى العساكر ، كهوف الملة ، أعوان الأمة ، ظهرى الملوك

(١) الزيادة من التعريف .

والسلاطين، التّواب بالقلاع المنصورة بالملكة الفلانية المحروسة». والدعاء إلى آخره «موضحة لعلمهم كذا وكذا . ومرسومنا للجالس العالية والسامية ، ومجالس الأمراء أن يتقدموا بكذا وكذا ، فيحيطُ علمهم بذلك . والله تعالى يؤيدهم بمنه وكرمه» والعلامة «والدهم» .

الصف الثاني — المطلقات إلى أصغر تواب القلاع، ممن يكتب إليه بالسامية بالياء، أو بالسامى بغير ياء، أو بمجلس الأمير .

وصورة ما يكتب إليهم في الطرة : « مثلاً شريف مطلق إلى المجالس السامية، ومجالس الأمراء التواب بالقلاع الفلانية ، أو يولاية فلانة وفلانة ، أدام الله تعالى علوهم» بما رُسم لهم به نظير ما تقدم . وبعد البسملة : «مثالنا هذا إلى كل واقف عليه من المجالس السامية، ومجالس الأمراء، الأجلاء، الأكابر، الغزاة، المجاهدين، المؤيدين، الأنصار، أمجاد الإسلام ، أشرف الأمراء، زُيون المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين، أو عدد الملوك والسلاطين، التواب بالقلاع الفلانية المحروسة» حسب ما كتب في الطرة ، والدعاء « يتضمن إعلامهم أن الأمر كذا وكذا ومرسومنا للجالس السامية ومجالس الأمراء أن يتقدموا بكذا وكذا ، فليعلموا ذلك ويعتمدوه ويعملوا بحسبه ، والله الموفق بمنه وكرمه» والعلامة الأسم الشريف .

الصف الثالث — المطلقات إلى عربان الطاعة بالمالك الشامية .

والأمر فيه كما في الصف الذي قبله . قال في «التثقيف» : فإن كان المطلق إلى طائفة من العربان ممن له عادة بمكاتبة جليلة : بأن تكون العلامة « والده» أو نحو ذلك : كآل مهنا، وآل فضل، وآل علي، وآل مرآ، ونحوهم، فإنه تكون صورة ما يكتب في الطرة : «مثال شريف مطلق إلى جماعة العربان، آل فلان»

إلى آخره . وفي الصدر بعد البسملة : «مثالنا هذا إلى كلِّ واقف عليه من المجالس السامية ومجالس الأمراء» وبقية الألقاب «الكُشَّاف^(١) والوَلَاة والتَّوَاب بالوجهين القبلي والبحريّ» . ثم الدعاء . ثم يقال : «يتضمَّن إعلامهم كذا وكذا» . ثم البقية من نسبة ما تقدَّم .

قال في «التثقيف» : وغالبا يُفرد الوجه القبلي بمطلق شريف ، والوجه البحريّ بمطلق شريف . قال : وقد تضاف إلى الوجه البحريّ الثُّغُور . فيقال : «الكُشَّاف والوَلَاة والتَّوَاب بالوجه البحريّ والثُّغُور المحروسة» . قال : وإضافة الثُّغُور لاتقع إلا نادرا ، لا سيما وقد صار نغرا الإسكندرية نياحة لا ولايةً . ثم قال : وفي هذا الوقت قد يتعدَّر إضافة نائب الوجه القبلي مع الوَلَاة في المطلق لأرتفاع مكاتبته عنهم بدرجات ، فيفرد بمثال شريف ، ويكتب المطلق إلى بقية الكُشَّاف والوَلَاة . ثم قال : هذا الذي يظهر .

قلت : ويمكن أن يجمع معهم ، بأن يكتب : «أدام الله تعالى نعمة الجنب العالی» إلى آخره . ثم يقال : «صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالی» إلى آخره «وتوضَّح لعلمه الكريم وعلم المجالس السامية ومجالس الأمراء» إلى آخر ألقابهم «الوَلَاة بالوجه القبلي» أن الأمر كذا وكذا : ويكمل على ما تقدَّم .

قال في «التثقيف» : ومما جرت العادة به أن يكتب مطلق شريف إلى الأمراء بالملكة الطرابلسية ، أو الحموية ، أو الصَّفدية وغيرها ، عند ولاية نائب السلطنة

(١) من هنا إلى قوله بعد قال في التثقيف ومما جرت العادة به الخ لا يتعلق بالكلام على مطلقات عربان الطاعة بالملك الشامية الذي هو موضوع الصنف الثالث كما لا يخفى ، ولعله مقدَّم مما يأتي بعد في الكلام على المطلقات بالديار المصرية فتنبه .

بتلك المملكة بإعلامهم بذلك ؛ فيكتب على هذا الحكم ، ولكنه بعنوانٍ بغير طُرَّة .
قال : وصورته في الصدر بعد البسملة : « مثألنا هذا إلى كل واقف عليه من المجالس
السامية ، ومجالس الأمراء الأجلّاء الأكبر » إلى آخر الألقاب ، والدعاء « يتضمن
إعلامهم كذا وكذا » إلى آخره كما تقدم ، ولكنه لا يصرّح بذكر الولاية والنواب كما يصرّح
بذكر من يُكتب إليه المطلق في غير هذه الحالة . والعنوان : « المجالس السامية
ومجالس الأمراء الأجلّاء الأكبر » إلى آخر الألقاب والنعوت جميعها ، والدعاء ،
والتعريف « أمراء الطبّخانات والعشّرات بطرابلس المحروسة ، أو بحماة ، أو بصفد ،
أو بغزة . قال : أما مملكتنا الشام وحلب ، فإنه لم تجر العادة بكاتبه مطلق بولاية
نائبهما ، بل يكتب إلى أمير حاجب بتلك المملكة بإعلامه بذلك . وأما الكرك :
فإنه يكتب إلى والي القلعة به بمثل ذلك . وكذلك يكتب إلى الحاجب
بالإسكندرية مثل ذلك .

وهذان شيان يجب التنبه لهما .

(١)

أحدهما كل ما كان من ألقاب المطلقات بصيغة الجمع وهو
كأعضاء ، فإنه يجوز فيه الأفراد فيقال : فيه عَضُد ، وهذا مما نبّه عليه في "التعريف"
في الكلام على المطلقات .

الثاني . قال في "التثقيف" : فإن قلت : لأي شيء تُدّكر أسماء الولاية والنواب
والعُربان وغيرهم في الصّدر بعد تمام النعوت وقبل الدعاء ، ولا تُكتب في صدر
المطلقات إلى الأمراء بالملك المتقدمة الذكر عند ولاية النائب بها أو غيره ؟

(١) يياض بالأصل . ولعله وهو في الأصل مصدر كأعضاء الخ كما تقدم مثله للؤلؤ في الألقاب

فالجواب أن ذلك في صدر المثال الشريف هو التعريفُ الذي من عادته أن يكون في العُنوان ولا يُستغنى عنه فهو قائم مقامه ، حيث لأعنوان لذلك المطلق ، إنما هو بَطْرَةٌ لا غير ، ولها عُنوانات ، والتعريف مذكورٌ فيها فلا حاجة إلى ذكره في الصدر . ثم قال : ومن الجماعة من يُنازع في ذلك ، ويدعى أن ذلك في الطرَّة كافٍ ومعنى عن ذكره في الصدر، وقائمٌ مقام التعريف في العُنوان . ثم قال : وهو خطأ، وليس بشيء . والأصح ما قلناه .

(١)
[الصنف] الرابع — قال في "التثقيف" : إذا كان المطلق في أمر يتعلق بالديار المصرية والبلاد الشامية، تكون صورته « إلى الكُشَّاف والوَلَاة والنوَاب والشادِّين والمتصرفين بالطُّرقات المصرية والبلاد الشامية . وإن كان يتعلق بالبلاد الشامية خاصة، أَخْصِر منه ذكر الطرقات المصرية » .

(١)
[الصنف] الخامس — ذكر في "التعريف" أنه يقال في آخر المطلقات بعدَ فليعلموا ذلك ويعتمدوه : « بعد انخط الشريف » . قال في "التثقيف" ولعل هذا كان في الزمن الذي كان هو مباشرا فيه ، أما الآن فإنه لم تجر بذلك عادةً ، ولم يكتب ذلك في مطلق شريف مكبرٌ ولا غيره أصلا .

(١)
[الصنف] السادس — ذكر في "التثقيف" أنه رأى بخط القاضي ناصر الدين ابن النشائي أنه كتب مطلقا إلى المجاهدين بمصياف ؛ يعني السداوية صورته : « يعلم كل واقف على مثالنا هذا من المقدمين الأجلء الغزاة المجاهدين المؤيدين الأنصار، الأتابك فلان والأتابك فلان جماعة المجاهدين » ثم الدعاء .

(١) زدنا هذا اللفظ توضيحا للقام وتبينا لمقسم الكلام .

الضرب الثاني

(من المطلقات، البرّاع)

(١) بالباء الموحدة والراء المهملّة والألف واللام والغين المعجمة جمع برّاع، وهي لفظة تركية معناها المرسوم؛ وعليها جرى عُرف كُتاب بلاد الشرق، وقيل أن تُكتَب بالديار المصرية، ولذلك لم يتعرّض لها في "التعريف" ولا في "التتقيف": وهذه صورة برّاع شريف رأيتها في تذكرة المقتّر الشهابي بن فضل الله في الجزء السادس والأربعين منها، بخط أخيه المقتّر العلائي بن فضل الله رحمهما الله تعالى؛ كتب في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون». في عاشر شهر رجب الفرد سنة تسع وعشرين وسبعائة لتمرّبغاً، الرسول الواصل إلى الديار المصرية، عن القان أبي سعيد صاحب مملكة إيران بالإكرام والمساحة بما يلزمه. وصورته في أول الدرج.

مثال شريف مطلق إلى كافة من يصل إليه، ويقف عليه، للجلس السامى الأميرى السيفى تمرّبغا الرسول، بالطرخانية، وتمكين أصحابه من التردد إلى الممالك الشريفة الإسلامية، وإكرام حاشيتهم وتسهيل مطالبهم، ومساعدتهم في البيع والشراء بما طلب من الحقوق على اختلافها، وتحذير من سيمع هذه المراسيم المطاعة ثم أقدم على خلافها. وبعد البسملة:

الحمد لله الذى بسط أيدينا الشريفة بالحدود، ونصب أبواننا الشريفة كعبة تهوى إليها أفئدة الوفود، وأطاب مناهلها لكافة الأمم لتتناها في الصدور والورود.

نحمده على نعمه التى كم بلغت راجياً ما يرجوه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبيّض بها الوجوه، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى ندب

(١) كتب بهامش الأصل ما نصه «لولم يقيدته بالباء الموحدة لكان أولى على ما لا يخفى» ومراده أنه بالبناء التحتية كما تقدم.

إلى مكارم الاخلاق بقوله : « إذا أناكم كريم قويم فأكرموه » ؛ صلى الله عليه صلاةً تزيد من يقرن الثناء بهاتكريما ، ثم على آله وصحبه وسلم تسليما .

وبعد : فإنه لما حضر المجلس السامى الأميرى ، الأسفَهَسَلارى ، السيفى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء المقدمين ؛ ناصح الدولتين ، ثقة المملكتين ؛ نحرُ الخواصِّ المقرَّبين ، عضدُ الملوك والسلاطين ؛ تمرُّغا الرسول - أنجح الله تعالى مساعيه ، وأوجب الرعاية لمن يُراعيه - إلى أبوابنا الشريفة ونورُ ولائهِ يَسْعَى بين يديه ، وإخلاصُ نيته يظهر عليه ؛ بلغ إلينا ما أرسل فيه عن الحضرة الشريفة العالِية ، السلطانية ، العالمية ، العادلية ، الشاهنشاهية ، القانئية ، الأوحديّة ، الولديّة ، العزيزية ، المعظمية ، الملكية ، العالئية ؛ أبى سعيد بهادر خان - زِيدتُ عظمتُهُ - وظهر لنا من كمال صفاته مارحى البدر التمام بنقصه ، ومن حسن تآتئهِ فى خِدمة من أرسله ما يُعرِّف به أنه أرسل حكما ولم يُوصِّه ؛ وعرض على نظرنا الشريف البرغ الشريف المكتتب له عن الحضرة الشريفة ، السلطان الأعظم ، الولد العزيز المعظم ؛ الملك بوسعيد ، أعز الله تعالى شأنه بالطرخانبة ، وما نبه عليه من مكانته العلية ، ورفه مطالبه من تأكيد الوصية ؛ ثم رغب إلينا فى الكتابة على حُكْمِهِ إلى كافة الممالك ، وأن يُسَطَّر له منها صحائفُ حَسَنات تقضى بها الملوك وترضى بها الملائك ؛ فأجرته مراحنا الشريفة على كرمها المُعتاد ؛ وأجارتها نِعْمنا الجزيلة وجاورته حيث سار من الأرض أو أقام من البلاد ؛ وأجابت صدقاتنا الشريفة بتحقيق المأمول ، وأكرمت كتابه بما يستحق أن يكرم به كتابُ الرسول . ومرسومنا إلى كل واقف عليه من النُواب والوَلَاة والشاديين والمتصرفين والمباشرين والمتحدّثين وبقية الحكام أجمعين إلى كافة الممالك الشريفة الإسلامية شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ؛ أيدهم الله بالتوفيق ، ويسر لهم الطريق ، وجعل حُسن تلقّيبهم الوفود يأتى بهم من كل فجٍّ عميق ؛ أن يُجرى

الأمير الكبير المقرب ترمبغا الرسول على ما ألقه في أبوابنا الشريفة من كرم إكرامه ، وفارقنا عليه من توفير جانبه وتوفير احترامه ؛ ويُفسح لكل من يصل من جهته في التردد إلى هذه الممالك الشريفة ، والتردى بملابس النعم المطيفة ؛ وأن تضاعف له الإعانة والعناية ، والمراعاة والرعاية ؛ ولا يُطلب أحد منهم في البيع والشراء ، والأخذ والعطاء ؛ بشيء من المقررات الديوانية ، والموجبات السلطانية ؛ ولا يؤخذ منهم عليها شيء سواء كان قليلاً أو كثيراً ، جليلاً أو حقيراً ؛ ولا يتأول عليهم أحد في هذا المرسوم الشريف ، ولا يتعدى حكمه في تصرف ولا تصرف ؛ بل يقف كل واقف عليه عنده ، ويعمل به في اليوم وما بعده ، ولا يحظ منه على من خالفه سيقاً مسلولاً وعلى من تجاوز حده ؛ فنحن نحذر وننذر من سطواتنا الشريفة من سمعه ثم زاغ قلبه عنه ، أو من بلغه من لا يفهم مضمونه ثم لا يسأل عما هو قرب حامل كلام إلى من هو أوعى منه ؛ فلتكن عيونهم له مُراعِيه ، ومسامعهم منصتة إلى سماعه بأذن واعيه ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى وشرقه .

المقصد الثالث

(من المكاتبات ، في أوراق الجواز وبطاق الحمام ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أوراق الجواز)

وهي المعبر عنه في زماننا بأوراق الطريق . قال في "التثقيف" : تكون ورقة الطريق في ثلاثة أوصال في قطع العادة ، يُكتب في أعلاها سطر واحد ، صورته : « ورقة طريق على يد فلان بن فلان الفلاني » لا غير . ثم يُجلى بيت العلامة تقدير شهر ، ويكتب في بقية ذلك الوصل قبل الوصل الثاني بأربعة أصابع مطبوقه بغير

بسملة : « رُسِمَ بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن يَمَكَّن فلان الفلانى » . وتذكر ألقابه إن كان أميراً ، أو متعمماً كبيراً ، أو ممن له قدر ، أو له ألقاب معهودة أو غير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال « من التوجه إلى جهة قصده والعود . ويحمل على فريس واحد أو أكثر من خيل البريد المنصور من مركز إلى مركز على العادة متوجّهاً وعائداً » فإن كان متميز المقدار كُتِبَ : « ويعامل بالاكرام والاحترام ، والرعاية الوافرة الأقسام ؛ فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ، من غير عدول عنه بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه » . قال : وما تقدم من كتابة أنه يَمَكَّن من التوجه والعود ، هو فيما إذا كان عائداً ورُسِمَ بتَمَكِينه من العود ، وإلا فيكتب « أن يَمَكَّن من التوجه إلى جهة قصده » . فإن كان قد حضر إلى الأبواب وهو عائداً ، فالأحسن أن يكتب فيه « أن يَمَكَّن من العود إلى جهة قصده » . وكذا « ويعامل بالإكرام والاحترام » لا يكتب إلا لأمر ، أو ذى قدر كبير . فإن كان غيره ، كتب [بد] له « مع الوصية به ورعايته » ونحو ذلك . وإن رسم له بنفقة ، كتب بعد ذكر خيل البريد : « ويصرف له من النفقة في كل يوم كذا وكذا درهما » خلا الأماكن المرسوم باطلها . وذلك أن بالطرق أماكن لا يُصرف فيها شيء الآن ، فيحتاج إلى أن تُسْتَنْقَى ، وكانت قبل ذلك تُعَيَّن ، وهى : بلبس ، وطفيس ، وأربد وغيرها . ثم كثرت عن التعداد ، فصار يكتب كذلك . ثم قال : ومما ينبى عليه أن صاحب ورقة الطريق إن كان من ممالك التواب أو رُسل أحد من أكابر البلاد ، ذكر فيه بعد ذكر ما يليق به من الألقاب : « فلان مملوك فلان أو رسول فلان » . وتذكر ألقاب مخدمه التى كوتب بها اختصاراً . ^(١) والا تذكر نعوته على يد من رسم بنفيه ،

(١) كذا فى الاصل ولعله ولا تذكر نعوته وعلى يد من ، وإن رسم بنفيه كتب الخ تأمل .

كتب : « أن يمكّن الأميرُ فلان الدين فلان من التوجه صُحبةَ فلان البريديّ بالأبواب الشريفة، أو أحد النقباء بالبواب الشريف ليوصله إلى المكان الفلاني، ويحمل على كذا وكذا فرساً من خيل البريد المنصور » إن كان قد رُسم له بشيء من خيل البريد « ويحمل البريديّ على كذا من خيل البريد المنصور » أو « ويحمل النقيبُ على فرسٍ واحدٍ من خيل الكبراء من ولاية إلى ولاية على العادة في ذلك، ويمكّن البريديّ إن كان بردياً أو النقيبُ إن كان نقيباً من العود إلى الباب الشريف » . ثم يكمل بنسبة ماتقدم . وإذا فرغ من صورته، كتب بعد ذلك « إن شاء الله تعالى » ، ثم التاريخ والمستند على العادة .

قال : في «التثقيف» : والمستند في أوراق الطريق أحدُ ثلاثة أمور : إما خُطُّ كاتب السر، وهو الغالب . أو رسالةُ الدوّادار، وهو كثير أيضاً . أو إشارةُ نائب السلطان إن كان ثمّ نائب، وهو نادر . فإن كان بخطّ كاتب السر، كُتِبَ على الهامش من الجانب الأيمن سَطْرٌ واحدٌ يكون آخرُه يقابل السطرَ الأول الذي هو رُسم بالأمر الشريف ، وهو « حَسَبَ المرسوم الشريف » . وكذا إن كان بإشارةِ النائب، كُتِبَ سطران على الهامش المذكور آخرهما أيضاً يقابل أول السطر الأول « بالإشارةِ العاليةِ » كما تقدّم في الكلام على المستندات في المقالة الثانية . قال :^(١) وفي هاتين لا يُكْتَبُ في ذيلهما بعد التاريخ سوى الحسبلة لغيره . وإن كان برسالة الدوّادار، كتب على الهامش « حَسَبَ المرسوم الشريف » فقط ، وكُتِبَ تحت التاريخ سطران هما « رسالةُ المجلس العالی الأميریّ الفلانیّ فلان الدوّادار المنصوریّ أدام الله تعالى نعمته » ، ثم الحسبلة .

(١) صوابه الثالثة . والذي تقدم في ج ٦ ص ٢٦٤ « فيكتب » - بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الكافية، كافل المسالك الشريفة الاسلامية أعلاها الله تعالى - سطرين ويكون آخر السطر الأول الكافية الفلانية .

الجملة الثانية

(في نُسْخِ البَطَائِقِ ، وهى على ضريين)

الضرب الأول

(أن تكون البِطَاقَةُ بعلامةٍ شريفةٍ)

قال في "التثقيف" : وتكونُ نحوَ ثلثي وَصَل من ورق البَطَائِقِ . قال : وصورتها أن يكتب في رأس الورق المذكور في الوسط سَوَاءً « الأسمُ الشريف » وتحتَه مُلصَقًا به من غير بياض سَطْرٌ واحدٌ كامل من يمين الورق بغير هامش بما يأتي ذكره . ثم يُجْلَى بيْتُ العلامةِ تقديرًا أربعة أصابع مطبوقَةٍ ، ثم تُكْتَبُ نِمْطَةُ الكلامِ أسطرًا متلاصقةً بنسبةِ الأولِ ، بغير هامش أصلا إلى آخره . والذي يكتب من يمين الورق . « الله الهادى . سُرح الطائر الميمونُ ورفيقُه ، هداهما الله تعالى في الساعة الفلانية من اليوم الفلاني من الشهر الفلاني من سنة كذا وكذا ، إلى المجلس الكريم ، أو النسامي ، الأمير فلان وإلى فلانة ، أو نحو ذلك ، يُعلمُه أنَّ الأمر كذا وكذا . ومرسومنا له أن يتقدم بكذا وكذا ، فليعلم ذلك ويعتمده ، والله الموفق بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى ، حَسْبنا الله ونعم الوكيل » . والمستند لها « حَسَبَ المرسوم الشريف » .

الضرب الثاني

(أن تكون بغير علامة)

وصورتها أن يكتب في رأس الورقة في الوسط موضعَ الأسمِ : « الله الهادى بكرمه » ، والأسطر متلاصقةً بغير هامش ، ولا يُجْلَى فيها بيْتُ علامة . وصورة

ما يكتب فيها : « المرسوم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ،
 الفلانى ، الفلانى ، أعلاه الله تعالى وصرّفه - أن يمرّح هذا الطائر الميمون ورفيقه ،
 هداهما الله تعالى فى وقت كذا وكذا » . ويكجلى على حسب ما تقدّم « والله الموفق ،
 حسب المرسوم الشريف ، إن شاء الله تعالى » . قال فى « التثقيف » : وقد يقتضى
 الحال نقلها من مكان إلى مكان آخر ، مثل أن تنقل من بلبس إلى قطياً ، فيكتب بعد
 ذكر المرسوم به : « ويتقدّم بنقل هذه البطاقة إلى فلان الفلانى ليعتمد مضمونها
 ويعمل بحسبها » . فإن كانت منقولة إلى مكان ثالث ، كتب بعد ذلك : « ثم ينقلها
 إلى فلان ليعتمد مضمونها أيضا ويعمل بمقتضاها فيعلم ذلك ويعتمده » . والتتمة
 حسب ما تقدّم .

الطرف الثالث

(فى المكاتبات إلى عطاء ملوك الإسلام ، ومن أنطوت عليه ممالكهم من دونهم
 من الملوك والحكام المنفردين ببعض البلدان ، والأمراء والوزراء وسائر
 من صمّه نطاق كل مملكة من تلك الممالك ، ممن جرت العادة بمكاتبتهم
 عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، ممن هو مستمر المكاتبه
 أو زالت مكاتبته بزواله : ليقاس عليه من لعله يظهر مظهره)
 وأعلم أن مكاتب الديار المصرية يرأعون فى المكاتبه إلى كل مملكة صورة المكاتبه
 الواردة عن تلك المملكة فى غالب حالها : فى الأبتداء والخطاب والأختتام وغير ذلك .

وفيه أربعة مقاصد :

المقصود الأول

(في المكاتب إلى عطاء ملوك الشرق، ومن أنطوت عليه كل مملكة من ممالكهم، ممن جرت العادة بمكاتبته، وفيه أربعة مهايع)

المهيع الأول

(في المكتبة إلى الملوك والحكام، ومن جرى مجراهم بمملكة إيران، وهي مملكة الأكَسَرَة الصائِرَة إلى بيت هولاكو من بني جنكوخان)

وقد تقدم في المقالة الثالثة في الكلام على المسالك والممالك ذكر حدود هذه المملكة وقواعدها ومُدُنُها، وإلى من تُنسب، ومن ملكها جاهليَّةً وإسلامًا إلى زماننا. والمقصود هنا ذكر المكاتب فقط؛ ويشتمل المقصود منها على ثلاث مجل.

الجملة الأولى

(في رسم المكتبة إلى قانها الأعظم الجامع لحدودها، على ما كان الأمر عليه من مبدأ ملك بيت هولاكو وإلى آخر دولة أبي سعيد، وله حالتان)

الحالة الأولى — ما كان الأمر عليه في رسم المكتبة في أوائل الدولة التُركية، والعداوة بعد قائمة بين ملوك الديار المصرية وبين ملوكها. وفيه أسلوبان

الأسلوب الأول — أن يكتب تحت البسملة من الجانب الأيمن «بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى» ويكون «بِقُوَّةِ اللَّهِ» سطرًا و«تعالَى» سطرًا؛ ثم يكتب من الجانب الأيسر: «بِإِقْبَالِ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْفُلَانِيِّ». ويكون «بِإِقْبَالِ دَوْلَةِ» سطرًا، وباقي الكلام سطرًا ثانيًا. ثم يكتب تحت ذلك «كَلَامُ فُلَانٍ» سطرًا ثانيًا «إِلَى السُّلْطَانِ فُلَانٍ سَطْرًا ثالثًا». ثم يُؤْتَى بِبَعْدِيَّةٍ وَخُطْبَةٍ، وَيُؤْتَى بِالْمَقْصُودِ.

وطريقهم فيه على التكلم عن لسان صاحب مصر بنون الجمع ، والخطاب لسلطان إيران بيمين الجمع الغائب ، مضاهاة لمكاتبتهم الواردة عنهم في جميع ذلك .
وهذه نسخة كتاب ، كُتِبَ به عن السلطان الملك المنصور قلاوون ، صاحب الديار المصرية ، في جواب كتاب ورد عن السلطان أحمد القان بيران في زمانه .
يذكر فيه أنه أسلم ، إذ كان أول من أسلم من ملوكهم ، ويذكر فيه أن أخاه الكبير كان قد عزم على دخول ممالك الديار المصرية قبل موته ، وأنه منع ذلك ، وأنه لا يجب المسارعة إلى القتال ، وأن المشير بذلك الشيخ عبد الرحمن : أحد صلحاء بلادهم ، وأنه حرم على عساكره الغارات على البلاد ، وتعرض فيه إلى أمر الجواسيس ، وأشار إلى أن الاتفاق فيه صلاح العالم ، وأشار إلى أشياء حملها لرسله يذكرونها مشافهة ، ووقع الجواب عن جميع ذلك على ما سيأتي ذكره في الكتب الواردة على الديار المصرية .
وكتب بخط ناصر الدين شافع بن علي بن عباس : أحد كتّاب الإنشاء ، في رمضان سنة إحدى وثمانين وستمائة . والتكلم بنون الجمع ، والخطاب بالجمع الغائب كما تقدم في الأسلوب الأول ، وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باقبال دولة
السلطان الملك المنصور

بقوة الله
تعالى

كلام قلاوون

إلى السلطان أحمد

أما بعد حمد الله الذي أَوْصَحَ بنا ولنا الحَقَّ مِنْهَا جَا ، وجاءَ بِنَاءِ نَصْرِ اللَّهِ وَالْفَتْحِ
وَدَخَلَ النَّاسَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ

على كلِّ نبيٍّ نبيٍّ به أمته وعلى كلِّ نبيٍّ ناجا، صلاةٌ تُنير مادجاً ؛ فقد وصل الكتابُ الكريم، المتلقّى بالتكريم، المشتملُ على النَّبِيَّ العَظِيمِ ؛ من دُخُولِهِ فِي الدِّينِ ، وَخُرُوجِهِ عَمَّنْ سَلَفَ مِنَ العَشِيرَةِ الأَقْرَبِينَ ؛ ولما فُتِحَ هَذَا الكِتَابُ بِهَذَا الخَبْرِ العَلَمِ المُعْرَمِ ، والحديثِ الَّذِي صَحَّحَ عِنْدَ أَهْلِ الإِسْلَامِ إِسْلَامَهُ وَأَصَحَّ الحَدِيثَ مَارُويَ عَنِ مُسْلِمٍ ، تَوَجَّهَتِ الوُجُوهُ بالدعاءِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَنْ يُشَبِّتَهُ عَلَى ذَلِكَ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ ، وَأَنْ يُنَيِّتَ حَبَّ حَبِّ هَذَا الدِّينِ فِي قَلْبِهِ كَمَا أَثْبَتَ أَحْسَنَ الثَّبَتِ مِنْ أَخْشَنِ المَنَابِتِ ؛ وَحَصَلَ التَّأَمُّلُ لِلْفَصْلِ المَبْتَدِئِ بِذِكْرِهِ مِنْ حَدِيثِ إِخْلَاصِهِ فِي أَوَّلِ عُنْفَوَانِ الصَّبَا إِلَى الإِقْرَارِ بِالوَحْدَانِيَةِ ، وَدُخُولِهِ فِي المِلَّةِ المَحْمُودِيَةِ ، بِالقَوْلِ وَالعَمَلِ وَالنِّيَّةِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ شَرَحَ صُدْرَهُ للإِسْلَامِ ، وَأَلْهَمَهُ شَرِيفَ هَذَا الإِلْهَامِ ؛ فَحَمِدْنَا اللَّهَ عَلَى أَنْ جَعَلْنَا مِنْ السَّابِقِينَ إِلَى هَذَا المَقَالِ والمَقَامِ ، وَثَبَّتَ أَقْدَامَنَا فِي كُلِّ مَوْقِفٍ أَجْتِهَادٍ وَجِهَادٍ تَتَرَلَزَلُ دُونَهُ الأَقْدَامُ .

وَأَمَّا إِفْضَاءُ التَّوْبَةِ فِي المُلْكِ وَمِيرَاثُهُ بَعْدَ وَالدِّهِ وَأَخِيهِ الكَبِيرِ إِلَيْهِ ، وَإِفْاضَةُ جَلَابِيْبِ هَذِهِ النِّعْمَةِ العَظِيمَةِ عَلَيْهِ ؛ وَتَوَقُّفُهُ لِلاِسْرَةِ الَّتِي طَهَّرَهَا اللَّهُ بِإِيْمَانِهِ ، وَأَظْهَرَهَا بِسُلْطَانِهِ ؛ فَفَلَقْدَ أَوْرَثَهَا اللَّهُ مَنْ أَصْطَفَاهُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَصَدَّقَ المَبْشُرَاتِ مِنْ كِرَامَةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ .

وَأَمَّا حِكَايَةُ الإِخْوَانِ والأَمْرَاءِ الكِبَارِ وَمَقْدِمِي العَسَاكِرِ وَزُعْمَاءِ البِلَادِ فِي مَجْمَعِ فُورِيَلِيَايِ الَّذِي يَنْقَدِحُ فِيهِ زَنْدُ الآرَاءِ ، وَأَنْ كَلِمَتُهُمْ أَتَفَقَّتْ عَلَى مَا سَبَقَتْ بِهِ كَلِمَةُ أَخِيهِ الكَبِيرِ فِي إِفْضَاءِ العَسَاكِرِ إِلَى هَذَا الجَانِبِ ، وَأَنَّهُ قَدْ فَكَّرَ فِيهَا أَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ آرَأُهُمْ ، وَأَتَتْهُ إِلَيْهِ أَهْوَاؤُهُمْ ؛ فَوَجَدَهُ مَخَالَفًا لِمَا فِي ضَمِيرِهِ : إِذْ قَصَدَهُ الصَّلَاحُ ، وَرَأْيُهُ الإِصْلَاحُ ؛ وَأَنَّهُ أَطْفَأَ تِلْكَ النَّارَ ، وَسَكَّنَ تِلْكَ النَّارَ ؛ فَهَذَا فِعْلُ المَلِكِ المَتَّقِي ، المُشْفِقِ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ ؛ المَفْكَرِ فِي العَوَاقِبِ ، بِالرَأْيِ الثَّاقِبِ ؛ وَإِلَّا فَلَوْ تَرَكُوا

وَأَرَاءَهُمْ حَتَّى تَحْمِلَهُمُ الْغِزَاهُ ، لَكَانَتْ تَكُونُ هَذِهِ هِيَ الْكِرَاهُ ، لَكِنْ هُوَ كَيْفَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَلَمْ يُوَافِقْ قَوْلَ مَنْ ضَلَّ وَلَا فِعْلَ مَنْ عَوَى .

وَأَمَّا الْقَوْلُ مِنْهُ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَسَارِعَةَ ، إِلَى الْمَقَارَعَةِ ، إِلَّا بَعْدَ إِضْوَاحِ الْحُجَّةِ ، وَتَرْكِيبِ الْحُجَّةِ ، فَبِاتْتِزَامِهِ فِي سَلْكِ الْإِيمَانِ صَارَتْ حُجَّتَنَا وَحُجَّتَهُ مَتْرُكَةً ، عَلَى مَنْ غَدَّتْ طَوَاغِيئُهُ عَنْ سَلُوكِ هَذِهِ الْحُجَّةِ مُتَنَكِّبَةً ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى وَالنَّاسَ كَافَّةً قَدْ عَلِمُوا أَنَّ قِيَامَنَا إِنَّمَا هُوَ لِنُصْرَةِ هَذِهِ الْمِلَّةِ ، وَجِهَادِنَا وَاجْتِهَادِنَا إِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ ، وَحَيْثُ قَدْ دَخَلَ مَعْنَى فِي الدِّينِ هَذَا الدُّخُولُ ، فَقَدْ ذَهَبَتْ الْأَحْقَادُ وَزَالَتْ الدُّخُولُ ، وَبَارْتِفَاعِ الْمُنَافَرَةِ ، تَحْصُلُ الْمُظَافَرَةُ ، فَالْإِيمَانُ كَالْبُنْيَانِ يُسَدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَمَنْ أَقَامَ مَنَارَهُ فَلَهُ أَهْلٌ بِأَهْلِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَجِرَانٌ بِجِرَانٍ بِكُلِّ أَرْضٍ .

وَأَمَّا تَرْتِيبُ هَذِهِ الْفَوَائِدِ الْجَمَّةِ عَلَى إِذْكَارِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ قُدْوَةَ الْعَارِفِينَ كَمَا لَدَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَعَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ ، فَلَمْ يُرَ لَوْ أَنَّ قَبْلَهُ كَرَامَةً كَهَذِهِ الْكَرَامَةِ ، وَالرَّجَاءُ بِبَرَكَتِهِ وَبِرَكَّةِ الصَّالِحِينَ أَنْ تُصْبِحَ كُلُّ دَارٍ إِسْلَامَ دَارٍ إِقَامَهُ ، حَتَّى تَمَّ شَرَايِطُ الْإِيمَانِ ، وَيَعُودَ شَمْلُ الْإِسْلَامِ مَجْتَمِعًا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ ، وَلَا يُنْكَرُ لِمَنْ بِكَرَامَتِهِ أَيْتِدَاءُ هَذَا التَّمَكِينِ فِي الْوُجُودِ ، أَنَّ كُلَّ حَقٍّ بِبَرَكَتِهِ إِلَى نِصَابِهِ يَعُودُ .

وَأَمَّا إِنفَادُ أَقْضَى الْقَضَاةِ قُطْبِ الْمِلَّةِ وَالِدِينِ ، وَالْأَتَابِكِ بَهَاءِ الدِّينِ ، الْمَوْثُوقِ بِنَقْلِهِمَا فِي إِبْلَاحِ رِسَائِلِ هَذِهِ الْبَلَاغَةِ ، فَقَدْ حَضَرْنَا وَأَعَادَا كُلَّ قَوْلٍ حَسَنِ مِنْ أَحْوَالِ أَحْوَالِهِ ، وَخَطَرَاتِ خَاطِرِهِ ، وَمَسْطَرَّاتِ نَاطِرِهِ ، وَمَنْ كُلِّ مَا يُسْكِرُ وَيُجِدُّ ، وَيَعْنَعُنُ حَدِيثُهُمَا فِيهِ عَنْ مُسْتَدِّ أَحْمَدَ .

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ النَّفْسَ ^(١) إِنْ كَانَتْ تَتَطَلَّعُ فِي إِقَامَةِ دَلِيلٍ ، تَسْتَحْكِمُ [بِهِ] دَوَاعِيَ الْوَدِّ الْجَمِيلِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَا ظَهَرَ مِنْ مَآثِرِهِ ، فِي مَوَارِدِ الْأَمْرِ وَمَصَادِرِهِ : مِنَ الْعَدْلِ

(١) لعل زيادة "إن" من قلم النسخ

والإحسان، بالقلب واللسان، والتقدم بإصلاح الأوقات ، فهذه صفات من يريد
لملكه الدوام ؛ فلها ملك عدل، ولم يلتفت إلى ثوم من عدا ولا لوم من عدل . على
أنها وإن كانت من الأفعال الحسنه ، والمثوبات التي تستنطق بالدعاء الأئسنه ؛
فهى واجبات تؤدى ، وهو أكبر من أنه يؤخر غيره أو عليه يقتصر ، أوله يدخر ؛
إنما يفتخر الملك العظيم بأن يعطى ممالك وأقاليم وحُصون ، أو يسئل فى تشيد
ملكه أعزّ مصون .

وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالأطراف التعرض إلى أحد
بالأذى ، و [تحميم] إصفاء موارد الواردين والصادر من القذى ؛ فمن حين بلغنا تقدمه
بذلك تقدمنا أيضا بمثله إلى سائر الثواب ، بالرحبة وحلب وعينتاب ؛ وتقدمنا إلى
مقدم العساكر بأطراف تلك الممالك ، بمثل ذلك ؛ وإذا آتحد الإيمان ، وأنعدت
الإيمان ؛ تحتم إحكام هذه الأحكام ، وترتب عليه جميع الأحكام .

وأما الجاسوس الفقير الذى أمسك وأطلق وأن بسبب من تزيًا من الجواسيس
بزي الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصلحاء رجما بالظن ، فهذا باب من ذلك
الجانب ستروه ، وإلى الأطلاع على الأمور صوروه ؛ فظفر الثواب منهم بجماعة فرجع
عنهم السيف ، ولم يكشف ماغظته خرقه الفقر ولا كيف .

وأما الإشارة إلى أن فى اتفاق الكلمة يكون صلاح العالم ، وينتظم شمل بنى آدم ؛
فلا راد لمن طرق باب الأتحاد ، ومن جنح للسلم فجار ولاحاد ؛ ومن ثنى عنائه
عن المكافه ، كمن يريد المصاحفة للصلح ؛ والصلح وإن كان سيد الأحكام فلا بد
من أمور ثنى عليها قواعد ، وتعلم من مدلوها فوائده ؛ فإن الأمور المسطورة فى كتابه
عن كليات لازمة ينعم بها كل معنى معلوم إن تهبأ صلح أو لم ، وثم أمور لا بد أن تحكم ،
وفى سلكها عقود العهود تنظم ؛ قد تجملها لسان المشافهة التي إذا أوردت أقبلت

من معنى دخوله في الدين ، وانتظام عقده بسلك المؤمنين ؛ وما بسطه من عدل وإحسان ، وسيرة مشهورة بكل لسان ، فالمنة لله في ذلك فلا يشبها منه بامتنان ؛ وقد أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في حق من آمن بإسلامه :
 ﴿ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ .

ومن المشافهة أنه قد أعطاه الله من العطاء ما أغناه به عن امتداد الطرف إلى ما في يده من أرض ومال ، فإن حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمن حاصل ؛ فالجواب أن ثم أموراً متى حصلت عليها الموافقة ، تمت المصاحبة والمصادقة ؛ ورأى الله تعالى والناس كيف يكون إذلال معادينا ، وإعزاز مضافينا ؛ فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الأب والأخ والقرابة ، وما تم أمر الدين المحمدي وأستحكم في صدر الإسلام إلا بمظاهرة الصحابة ؛ فإن كانت له رغبة مصروفة إلى الاتحاد ، وحسن الوداد ، وجميل الاعتضاد ، وكبت الأعداء والأضداد ، والاستناد إلى من يستند به الأزرق عند الاستناد ، فقد فهم المراد .

ومن المشافهة إذا كانت رغبتنا غير ممتدة إلى ما في يده من أرض ومال ، فلا حاجة إلى إنقاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود ؛ فالجواب أنه لو كُف كُف العدوان من هنالك ، وحل للملوك المسلمين ما لهم من ممالك ؛ سكنت الدهماء ، وحقت الدماء ؛ وما أحق به أن لا ينهى عن خلق ويأتي مثله ، ولا يأمر بشيء وينسى فعله ؛ وقنرطاب بالرؤم الآن ، وبين بلاد في أيديكم خراجها يجبي إليكم ، فقد سَفَكَ فيها وقتك ، وسبى وهتك ؛ وباع الأحرار ، وأبى إلا التمدد على ذلك والإصرار .

ومن المشافهة أنه إن حصل التصميم على أن لا تبطل هذه الإغارات ، ولا يقتصر عن هذه الإثارات ؛ فتعين مكانا يكون فيه اللقاء ، ويعطى الله النصر لمن يشاء ؛

فالجواب عن ذلك أن الأماكن التي اتَّفَقَ فيها ملتقى الجمعين مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً قد عافَ مواردُها من سلفٍ من أولئك القوم ، وخافَ أن يعاودها فيعاوده مُصرَعُ ذلك اليوم ؛ ووقَّتَ اللقاءَ علمه عند الله لا يُقدَّر ، وما النصر إلا من عند الله لمن أقدرَ لمن قدر ؛ وما نحن ممن ينتظرُ فلتَه ، ولا يَمُنُّ له إلى غير ذلك لَفْتَه ، وما أمرُ ساعةِ النصر إلا كالساعة التي لا تأتي إلا بَغْتَه ؛ والله تعالى الموفِّق لما فيه صلاحُ هذه الأمة ، والقادر على إتمامِ كلِّ خيرٍ ونعمه ؛ إن شاء الله تعالى . مُستَهَلَّ شهر رمضان المعظم قدره ، سنة إحدى وثمانين وستمائة . الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه . حسبنا الله ونعم الوكيل .

الأسلوب الثاني

(أن يُكْتَبَ تحتَ البِسْمِلةِ على حِيَالِ وَسَطِهَا « بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى

وَمِيَامِينَ الْمَلَةِ الْمُحْمَدِيَّةِ »)

ويكون « بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى » سطرا . و « مِيَامِينَ الْمَلَةِ الْمُحْمَدِيَّةِ » سطرا ثانيًا . ثم يُوقَى ببُعْدِيَّةٍ وَخُطْبَةٍ مَخْتَصَرَةٍ ؛ ثم يُكْتَبُ سطرانِ بِياضٍ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، فِيهِمَا : « بِإِقْبَالِ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْفُلَانِي ، كَلَامِ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ » . وَيَكُونُ السُّطْرُ الْأَوَّلُ « بِإِقْبَالِ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ » وَبَاقِي الْكَلَامِ فِي السُّطْرِ الثَّانِي . ثُمَّ يُقَالُ : « فُلَيْعَلَمْ السُّلْطَانِ فُلَانٍ » . وَيُوقَى عَلَى الْمَقْصُودِ إِلَى آخِرِهِ .

وهذه نسخةُ كتابٍ من إنشاء القاضي علاء الدين علي بن فتح الدين محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر ، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية في جواب كتابٍ وردَّ عن السلطان محمود غازان ، القان بمملكة إيران ، يذكر فيه أنَّ جماعةً من عساكر البلاد الشاميَّة أغاروا على ماردين ، وأن الحميَّة أقنضت الرُكُوبَ في مُقَابَلَةِ

ذلك . وذكر أنه قدّم الرُّسُلَ بالإنذار . ويذكر فيه أنهم صَبَرُوا على تماديهم في غيِّهم ؛
ويذكر فيه نُصْرَتَهُ على العساكر الإسلامية في المرّة السابقة . ويذكر فيه أنه أقام
بأطراف البلاد ، ولم يَدْخُلْهَا خَوْفَ التخريب والفساد . ويذكر فيه جمع العساكر
وتهيئةَ المَجَانِيقِ وغير ذلك من آلة القتال . ويذكر أنه إذا لم تَجْرِ مَوْجِبَاتُ الصلح
كانت دماءُ المسلمين مطلولةً ؛ ويذكر إرسال رُسُلِهِ بكتابه ويلتمس التَّحْفَ والهدايا ،
مما كُتِبَ به عن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في المحرم سنة إحدى
وسبعائة وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى

وَمِيَامِينِ الْمَلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

أما بعد حمد الله الذي جعلنا من السابقين الأولين ، الهادين المهتدين ، التابعين
لسنة سيد المرسلين ، بإحسانٍ إلى يوم الدين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه الذين فضّل الله من سبق منهم إلى الإيمان في كتابه المكنون . فقال
سبحانه وتعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

بإقبال دولة السلطان الملك

الناصر كلام محمد بن قلاوون .

فليَعْلَمِ السُّلْطَانُ المَعْظَمُ محمود غازان أن كتابه ورد ، فقابلناه بما يليق بمثلنا لمثله
من الإكرام ، ورعينا له حقَّ القصد فتلقيناه منا بسلام ؛ وتأمّلناه تأمل المتفهم
لدقائقه ، المستكشف عن حقائقه ؛ فألفيناه قد تضمّن مؤاخذات بأمويرهم بالموأخذة

عليها أخرى، معتذرا في التعدي بما جعله ذنوبا لبعض طالب بها الكل، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

أما حديث من أغار على ماريدين من رجالة بلادنا المتطرفة وما نسبوه إليهم من الأمور البديعة، والآثام الشنيعة؛ وقولهم: إنهم أنفوا من تهجمهم، وغاروا من تهجمهم؛ وأقتضت الحمية ركونهم في مقابلة ذلك، فقد تلمحنا هذه الصورة التي أقاموها عذرا في المدون، وجعلوها سببا إلى ما ارتكبه من طغيان؛ والجواب عن ذلك أن الغارات من الطرفين [و] لم يحصل من المهادنة والمواذعة ما يكف يدنا الممتدة، ولا يقتر همها المستعدة؛ وقد كان أبائكم وأجدادكم على ما علمتم من الكفر والشقاق، وعدم المصافاة للإسلام والوفاق؛ ولم يزل ملك ماريدين ورعيته منقذين ما يصدر من الأذى للبلاد والعباد عنهم، متولين كبر تكريمهم؛ والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ . وحيث جعلتم هذا ذنبا للحمية الجاهلية، وحاملا على الانتصار الذي زعمتم أن همتمكم به عليه؛ فقد كان هذا القصد الذي ادعيتموه يتم بالانتقام من أهل تلك الأطراف التي أوجب ذلك فعلها، والاقتصار على أخذ النار من نار، أتباعا لقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ لأن تقصيدوا الإسلام بالجموع الملققة على اختلاف الأديان، وتطأوا البقاع الطاهرة بعبدة الصلبان؛ وتنهكوا حرمة البيت المقدس الذي هو ثاني بيت الله الحرام، وشقيق مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ وإن احتججتم بأن زمام تلك الغارة بيدنا، وسبب تعديهم من سنتنا؛ فقد أوضحنا الجواب عن ذلك، وأن عدم الصلح والمواذعة أوجب سلوك هذه المسالك .

وأما ما ادعوه من سلوك سنن المرسلين، واقتفاء آثار المتقدمين، في إنفاذ الرسل أولا، فقد تلمحنا هذه الصورة، وفهمنا ما أوردوه من الآيات المسطورة؛ والجواب

عن ذلك أنّ هؤلاء الرُّسُلَ ما وضُّوا إلينا إلا وقد دنتِ الحِيَامُ من الحِيَامِ، وناضلتِ السَّهَامُ السَّهَامَ، وشارفَ القومُ القومَ، ولم يبقَ للقاءِ إلا يومٌ أو بعضُ يومٍ؛ وأُشْرِعتِ الأَسِنَّةُ من الجانيينَ، ورأى كلُّ خصمه رأى العينَ؛ وما نحنُ من لاحتَ له رغبةٌ راعيةٌ فتشاعَلَ عنها، ولا من يُسالمُ فيقابلُ ذلكَ بِجَفْوَةِ النَّفَارِ، واللهُ تعالى يقولُ : **﴿وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾** . كيف والكتابُ بعُنوانه ! وأميرُ المؤمنينِ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنه يقولُ : « ما أَصَمَّ إنسانٌ شيئاً إلا ظَهَرَ في صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ » . ولو كان حضورُ هؤلاءِ الرُّسُلِ والسيوفِ وادعةٌ في أعْمالِها، والأَسِنَّةُ مستكنةٌ في أعوادِها؛ والسَّهَامُ غيرُ مَفَوَّقه ، والأَعْنَةُ غيرُ مُطْلَقة ؛ لسمِعنا خِطابَهُمْ ، وأعدنا جوابَهُمْ .

وأما ما أطلقوا به لسانَ قلمِهِمْ ، وأبدَوْه من غليظِ كَلِمَتِهِمْ ؛ في قولِهِمْ : فصبرنا على تَمَادِيكُمْ في غِيَمِكُمْ ، وإخْلادِكُمْ إلى بَغِيَمِكُمْ ؛ فأشَى صَبْرٌ مِنْ أُرْسَلِ عِناهُ إلى المِكْلَافَةِ ، قبل إرسالِ رُسُلِ المِصالحَةِ ؛ وجاسَ خِلالَ الدِّيارِ ، قبل ما زعمَهُ من الإِعْذارِ والإِنْذارِ ؟ وإذا فَكَّرُوا في هذه الأسبابِ ، ونظروا ما صدرَ عنهم من خِطابِ ؛ علموا العُدْرَ في تأخيرِ الجوابِ ، وما يتدَكَّرُ إلا أولُوا الألبابِ .

وأما ما تَبَجَّحُوا به مما أَعْتَقَدُوهُ من نُصْرِهِ ، وظنُّوه من أنّ الله جعل لهم على حِزْبِهِ الغالبِ في كلِّ كَرَةِ الكَرْهِ ؛ فلو تأملُوا ما ظنُّوه ربِحاً لوجُدُّوه هو الخُسْرانِ المِمينِ ، ولو أنعمُوا النَّظَرَ في ذلكَ لما كانوا به مَفْتَحِرِينَ ؛ ولتَحَقَّقُوا أنّ الذي أتفقَ لهم كان عُزْرًا ما لا عُنْماً ، وتدَبَّرُوا معنى قولِهِ تعالى : **﴿إِنَّمَا تُمَلَى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾** . ولم يخفَ عنهم ما نالته السيوفُ الإسلاميةُ منهم ، وقد رأوا عِزْمَ مَنْ حضرَ من عساكرنا التي لو كانت مجتمعةً عندَ اللِّقاءِ ما ظهرَ خِبرُ عنهم ؛ فإننا كُنَّا في مُفْتَحِّحِ مُلْكنا ، ومبتدأِ أمرِنا ؛ حلَّنا بالشَّامِ للنظرِ في أمورِ البلادِ والعبادِ . فلما تحقَّقنا خِبرَكُم ، وقَفَّونا أثرَكُم ؛

بأذننا نُقدِّم أديم الأرض سيرا، وأسرعنا لندفع عن المسلمين ضرا وضيرا؛ ونؤدى من الجهاد السنة والقرض، ونعمل بقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾. فاتفق اللقاء بين حضر من عساكرنا المنصوره، وتوفا بقوله تعالى: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾. وإلا فأكبركم يعلمون وقائع الجيوش الإسلامية التي كم وطئت موطئا يغيظ الكفار فكتب لها عمل صالح، وسارت في سبيل الله ففتح عليها أبواب المناجح؛ وتعددت أيام نصرتها التي لو دققتم الفكر فيها لازالت ما حصل عندكم من لبس، ولما قدرتم أن تشكروها وفي تعب من ينكر ضوء الشمس، وما زال الله نعم المولى ونعم النصير، وإذا راجعتموهم قصوا عليكم نبأ الأستظهار ولا يثبتك مثل خير؛ وما زالت تتفق الوقائع بين الملوك والحروب، وتجرى المواقف التي هي بتقدير الله فلا فخر فيها للغالب ولا عار على المغلوب؛ وكم من ملك أستظهر عليه ثم نصر، وعاوده التأييد فجز بعد ما كسر؛ خصوصا ملوك هذا الدين، فإن الله تعالى تكفل لهم بحسن العقبى فقال تعالى: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ ﴾.

وأما إقامتهم الحجة علينا، ونسبتهم التفريط إلينا؛ في كوننا لم نسير إليهم رسولا عند ماحلوا بدمشق، فنحن عند ما وصلنا إلى الديار المصرية لم نزد على أن أعدتنا وجمعنا جيوشنا من كل مكان، وبذلنا في الأستعداد غاية الجهد والإمكان؛ وأنفقنا جزيل الأموال في العساكر والمخافل، ووثقنا بحسن الخلف لقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ﴾. ولما خرجنا من الديار المصرية، بلغنا خروج الملك من البلاد، لأمر حال بينه وبين المراد؛ فتوقفنا عن المسير توقف من أغنى رعبه عن حث الركاب، وتثبتنا تثبت الراسيات ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾. وبعثنا طائفة من العساكر

لمقاتلة من أقام بالبلاد فما لاح لنا منهم بارق ولا ظهر ، وتقدمت فخطفت من حملة على التائر الغرر ، ووصلت إلى الفرات فما وقفت للقوم على أثر .

وأما قولهم : إننا ألقينا في قلوب العساكر والعوام أنهم فيما بعد يتلقونا على حلب أو الفرات ، وأنهم جمعوا العساكر ورحلوا إلى الفرات وإلى حلب مرتقين ، فالجواب عن ذلك أنهم من حين بلغنا حركتهم جزمنا ، وعلى لقاءهم عزمنا ، وخرجنا وخرج أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ابن عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب الطاعة على كل مسلم ، المفترض المبايعة والمتابعة على كل منازع ومسلم ، طائعين لله ولرسوله في أداء مفترض الجهاد ، باذلين في القيام بما أمرنا الله تعالى غاية الاجتهاد ، عالمين بأنه لا يتم أمر دين ولا دنيا إلا بمشايعته ، ومن والاه فقد حفظه الله تعالى وتولاه ، ومن عانده أو عاند من أقامه فقد أذله الله ، فحين وصلنا إلى البلاد الشامية تقدمت عساكرنا تملأ السهل والجبل ، وتبلغ بقوة الله تعالى في النصر الرجاء والأمل ، ووصلت أوائلها إلى أطراف حماة وتلك النواحي فلم يقدم أحد منهم عليها ، ولا جسر أن يمدح حتى ولا الطرف إليها ، فلم نزل مقيمين حتى بلغنا رجوع الملك إلى البلاد ، وإخلافه موعد اللقاء والله لا يخلف الميعاد ، فعدنا لاستعداد جيوشنا التي لم تزل تندفع في طاعتنا أندفاع السيل ، عاملين بقوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ .

وأما ماجعلوه عدرا في الإقامة بأطراف البلاد وعدم الإقدام عليها ، وأنهم لو فعلوا ذلك ودخلوا بجيوشهم ربما أنحرب البلاد مرورها ، وبإقامتهم فسدت أمورها ، فقد فهم هذا المقصود . ومتى ألفت العباد والبلاد منهم هذا الإشفاق ؟ ومتى أتصفت جيوشهم بهذه الأخلاق ؟ وها آثارهم موجودة على ملك آل سلجوق وما تعرضوا

لدارٍ ولا جارٍ ، ولا عَفْوًا أَثْرًا مِنَ الْآثَارِ ؛ وَلَا حَصَلَ لِمُسْلِمٍ مِنْهُمْ ضَرَرٌ ، وَلَا أُوْذِيَ فِي وِرْدٍ وَلَا صَدْرٍ ؛ وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَشْتَرِي قُوَّتَهُ بِدِرْهَمِهِ وَدِينَارِهِ ، وَبِأَبِي أَنْ تَمْتَدَّ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُدْإِضِرُّهُ ؛ هَذِهِ سُنَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَفِعْلٌ مَنْ يُرِيدُ الْمَلِكَةَ الدَّوَامَ .

وأما ما أُرْعَدُوا بِهِ وَأَبْرَقُوا ، وَأُرْسَلُوا بِهِ عِنَانَ قَلْبِهِمْ وَأُطْلِقُوا ؛ وَمَا أَبَدُوا مِنَ الْأَهْتَامِ بِجَمْعِ عَسَاكِرِهِمْ وَتَهْيِئَةِ الْمَجَانِيقِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَهُ مِنَ التَّهْوِيلِ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

وأما قولهم : وَإِلَّا فِدْمَاءُ الْمُسْلِمِينَ مَطْلُوبَةٌ ، فَمَا كَانَ أَغْنَاهُمْ عَنْ هَذَا الْخِطَابِ ، وَأَوْلَاهُمْ بَأَنْ لَا يَصْدُرَ إِلَيْهِمْ عَنْ ذَلِكَ جَوَابٌ ؛ وَمَنْ قَصَدَ الصُّلْحَ وَالْإِصْلَاحَ ، كَيْفَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي عَلَيْهِ فِيهِ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ جِهَةِ رَسُولِهِ أَيْ جُنَاحٌ ؟ وَكَيْفَ يُضْمِرُ هَذِهِ النِّيَّةَ ، وَيَتَّبِعُ بِهَذِهِ الطَّوْيَةَ ؟ وَلَمْ يَخْفَ مَوَاقِعَ زَلَلِ هَذَا الْقَوْلِ وَخَلَّهِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” نِيَّةُ الْمَرْءِ أُنْبِغُ مِنْ عَمَلِهِ ” وَبِأَيِّ طَرِيقٍ تُهْدِرُ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي مِنْ تَعَرُّضِ إِلَيْهَا يَكُونُ اللَّهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَطَالِبًا وَغَيْرِيًا ، وَمَوْأَخِدًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ ؟ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَالْبُشْرَى لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْهِمَمِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَى الْأَسْتِعْدَادِ ، وَجَمْعِ الْعَسَاكِرِ الَّتِي تَكُونُ لَهَا الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَنْجَادِ ، وَالْأَسْتِكْرَارِ مِنَ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُتَوَقِّةِ الْعَدَدِ ، الْمُتَكَاثِرَةِ الْمَدَدِ ، الْمُوَعُودَةِ بِالنَّصْرِ الَّذِي يُحْفَظُ فِي الظَّنِّ وَالْإِقَامَةِ ، الْوَاتِقَةِ [بِهِ] مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ^(١) ”

(١) أي بالنصر وزدنا الجار والمجرور لاقضاء الكلام إياه .

على عدوهم إلى يوم القيامة . المبلغة في نصردين الله آملا، المستعدة لإجابة داعي الله إذا قال : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ .

وأما رسلهم فلان وفلان فقد وصلوا إلينا، ووفدوا علينا، وأكرمنا وفادتهم، وغررنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم، وسمعنا خطابهم، وأعدنا عليهم جوابهم، هذا مع كوننا لم يخف علينا انحطاط قدرهم، ولا ضعف أمرهم، وأنهم ماذقوا لأفواه الخطوب، إلا لما ارتكبه من ذنوب، وما كان ينبغي أن يرسل مثل هؤلاء لثقتنا من مثله، ولا يتدب لمثل هذا الأمر المهم إلا من يجمع على فصل خطابه وفضله .

وأما ما آتمسوه من الهدايا والتحف، فلو قدموا من هداياهم حسنة لعوضناهم بأحسن منها، ولو أنحفونا بثخفة، لقابلناها بأجل عوض عنها . وقد كان عمهم الملك أحمد راسل والدنا الشهيد، وناجى بالهدايا والتحف من مكان بعيد، وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب، فأحسن له الجواب، وأتى البيوت من أبوابها بحسن الأدب، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب .

والآن حيث انتهت الأجوبة إلى حدها، وأدركت الأنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدتها، فنقول : إذا جنح الملك للسلم جنحنا لها، وإذا دخل في الملة الحمديّة ممثلاً ما أمر الله تعالى به مجتنباً ما عنه نهى، وانتظم في سلك الإيمان، وتمسك بموجباته تمسك المتشرف بدخوله فيه لا المنان، وتجنب التشبه بمن قال الله تعالى في حقهم : ﴿ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ . وطابق فعله قوله، ورفض الكفار الذين لا يحل له أن يتخذهم حوله، وأرسل إلينا رسولا من جهته يرتل آيات الصلح ترتيلاً، ويروق خطابه وجوابه حتى يتلو كل أحد عند عوده : ﴿ يَا لَيْتَنِي آتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾ .

صارت حجتنا وحجته مركبةً على مَنْ خالف ذلك ، وكلمتنا وكلمته قامةً أهل الشرك في سائر الممالك ، ومظافرتنا له تكسب الكافرين هواناً ، والشاهد لمصافاتنا مفادُ قوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ . وينتظم إن شاء الله تعالى شمل المصالح أحسنَ انتظام ، ويحصل التمسك من الموادعة والمظافرة بعروة لا انفصال لها ولا انفصام ، وتستقر قواعد الصلح على ما يرضى الله تعالى ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام .

الحالة الثانية

(ما كان عليه رسم المكاتب في الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" إلى أبي سعيد بهادرخان بن خدابندا : آخر ملوك بني هولاكو، ملك إيران)

قال في "التعريف" : وهو كتاب يكتب في قطع البغدادى الكامل ؛ يتبدأ فيه بعد البسملة وسطر من الخطبة الغراء المكتوبة بالذهب المزكم ، بألقاب سلطاننا على عادة الطغراوات ؛ ثم تكمل الخطبة وتفتح ببعدية إلى أن تساق الألقاب ، وهى : « الحضرة الشريفة ، العالمة ، السلطانية ، الأعظمية ، الشاهنشاهية ، الأوحدية ، الأخوية ، القانية ، الفلانية » من غير أن يخلط فيها « الملكية » هوانها عليهم وأخطاها لديهم ثم يدعى له بالأدعية المعظمة المفخمة الملوكية : من إعزاز السلطان ونصر الأعوان ، وخلود الأيام ، ونشر الأعلام ، وتأييد الجنود ، وتكثير الوفود . وغير ذلك مما يجرى هذا الجرى . ثم يقال ما فيه التلويح والتصريح بدوام الوداد ، وصفاء الاعتقاد ، ووصف الأشواق ، وكثرة الأتواق ، وما هو من هذه

(١) في التعريف ص ٤٤ "بالطغراء" وهو تصحيف .

النسبة . ثم يؤتى على المقاصد ، ويختتم بدعاء جليل ، وتستعرض المراسيم والخدم ،^(١)
ويوصف التطلع إليها ، ويظهر التهاقت عليها .

وهذا الكتاب تكتب جميع خطبته وطفراه [وعنوانه] بالذهب المزكم ، وذلك^(٢)
كل ما وقع في أثنائه من أسم جليل ، وكل ذى شأن نبيل : من أسم الله تعالى ،
أو لنبينا صلى الله عليه وسلم ، أو لأحد من الأنبياء ، أو للملائكة عليهم السلام ،
أو ذكر دين الإسلام ، أو ذكر سلطاننا ، أو السلطان المكتوب إليه ، أو ما هو متعلق
بهما . مثاله « عندنا وعندكم » و « لنا ولكم » و « كتابنا وكتابكم » . كل هذا يكتب
بالذهب ، وما سواه يكتب بالسواد .

فأما العنوان ، فهو بهذه الألقاب إلى أن ينتهى إلى اللقب الخاص ، ثم يدعى له
بدعوة أو اثنتين ، نحو : « أعز الله سلطانها ، وأعلى شأنها » أو نحو ذلك . ثم يسمى
أسم السلطان المكتوب إليه ، ثم يقال « خان » كما كنا نكتب ، فنقول : « بوسعيد
بهادرخان » فقط . ويطمغ بالذهب بطمغات عليها ألقاب سلطاننا ، تكون على
الأوصال ، يبدأ بالطمغة على اليمين في أول وصل ، ثم على اليسار في ثاني وصل ، ثم
على هذا النمط إلى أن ينتهى في الآخر إلى اليمين . ولا يطمغ على الطرة البيضاء .
والكاتب يخلى لمواضع الطمغة مواضع الكتابة ، تارة يمنة ، وتارة يسرة .

وأوضح ذلك في "التثقيف" وبينه ، فقال : والمكتابة إليه في عرض البغدادى
الكامل ، والطرة ثلاثة أوصال ، والبسملة ذهب مزكم بالفات طوال بالمسطرة
بحط الذهب ، ثم الخطبة ، وأولها « الحمد لله » والسطر الذى يلى البسملة الشريفة

(١) في التعريف ص ٥٤ « الحواجج » .

(٢) الزيادة من التعريف .

وثانيه من أوائل الورق زائدان عن بقية السطور التي من أول السطر الثالث إلى آخر الكتاب . وبين هذين السطرين المذكورين ، (وهو موضع بيت العلامة الشريفة) طرقة ذهب بالألقاب الشريفة ، ثم بعد هذين السطرين الملاصقين للطرة المذكورة بقية السطور بهامش جيد في يمين الورق على العادة . وجميع السطور مكملة إلى آخر الورق ، لا يخلى فيها للطمغة مكان . وبعد الخطبة ما يناسب الابتداء إن كان ، أو الجواب إلى أن يتصل الكلام بالألقاب ، وهي : «الحضرة، الشريفة، العالية، السلطانية، الأعظمية، العالمية، العادلية، الأكلية، القانية، الشاهنشاهية، الولديّة، العزيزية، الملكية، الفلانية» . ثم الدعاء . وفي أثناء خطابه «الحضرة الشريفة» تارة، وتارة «الحضرة العالوية» والدعاء في أوساطه نحو «زيدت عظمته، ودامت معدلته، وأعلى الله مقامه، وأعز الله شأنه» . والخطبة جميعها بالذهب المزمك . وبعدها بالأسود خلا ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو ما أضيف إليهما ، أو ما يعظم ذكره : كالحق والعدل وأمثالهما ، أو كل لقب أو نعت ، أو كلمة مضافة إلى المكتوب عنه أو المكتوب إليه ، أو ضمير فيهما ، فإنه بالذهب . والعنوان بألقابه كاملة ، وفي آخرها الدعاء له من غير توقف .

قال : وكان قد استقر من أمر العلامة الشريفة أن يكتب على جانب يمين السطرين : الثاني والثالث ، وهو مما يلي بيت العلامة «المُشْتاق محمد» . ثم قال : ورأيت بخط القاضي المرحوم ناصر الدين بن النشائي أن ذلك نظير الكتاب الوارد منه في رجب سنة تسع وعشرين وسبعائة . ثم قال : وقد ذكر في "التعريف" ثلاثة أمور زائدة ^(١) التنبيه عليها .

(١) بياض بالاصل ولعله لا بد من التنبيه .

أحدها — أنه يذكر تعريفه في العُنوان . فيكتب بعد ذكر الأسم « خان » .
 فيقال : « بوسعيد بهادرخان » .

ثانيها — أنه تستعمل الطمغات على الأوصال .

ثالثها — أنه لا يكتب في ألقابه « الملكية » . وذكر أنه لم يكتب لأحد بهذه
 المكتبة بعد السلطان أبي سعيد ، خلا ما ذكر القاضى ناصر الدين بن النشائى أنه كتب
 نظير ذلك بعد أبى سعيد لطفائى تمرخان . قال : ولو كتب بالمغلية كتب فى القطع
 المذكور . أما اللطفات ، فى قطع الثلث .

وهذه نسخة مكتبة كتب بها المقرّ الشهابى بن فضل الله عن السلطان الملك الناصر
 « محمد بن قلاوون » إلى السلطان أبى سعيد بهادرخان المقدم ذكره ، وهى :

الحمد لله الذى جعلنا بنعمته إخوانا ، وجمعنا على طاعته أصولا لا تتفرق أغصانا ،
 نحمده على ما أولانا ، ونشكره على ما أولانا ، ونرغب إليه فى مزيد أطفاه التى شملت
 أقصانا وأدنانا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة كالشمس لا تتدع
 فى الأرض مكانا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى شيد بنا لشريعته
 أركاننا ، وشد بعضنا ببعض لنكون كما شهبنا به بنانا أو بنينا ، صلى الله عليه وعلى
 آله صلاة لا تتوانى ، ورضى الله عن أصحابه والتابعين لهم بإحسان وزادهم إحسانا ،
 وسلم تسليما كثيرا .

وبعد : فإن من أعظم المبهجات لدينا ، المنهجات لطريق السرور إلينا ، الملهجات
 بوصف أكرم وارد علينا ، هو الكتاب الشريف ، بل السحاب المطيف ، بل البحر
 الذى يقذف دررا ، ويقص عن السحاب أثرا ، ويرفع سررا ، ويطلع قمرأ ، ويطول
 أوضاحا وغررا ، ويحدث عن العجائب خبرا ، بل ينشر الروض حبرا ، ويهب الرياح

سَحْرًا، وَيُبْرِقُ ذَهَبُهُ الْمَوْهَ أَصَالًا وَبُكْرًا؛ الصَادِرُ عَنِ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ الْعَالِيَةِ السُّلْطَانِيَّةِ،
الْأَعْظَمِيَّةِ، الْعَالِمِيَّةِ، الْعَادِلِيَّةِ، الشَّاهِنشَاهِيَّةِ، الْأَخْوِيَّةِ، الْقَانِيَّةِ؛ زَادَهَا اللَّهُ شَرْفًا،
وَأَدَامَ بِهَا نُحْفًا؛ وَصَاغَ بِهَا لِكُلِّ سَمْعٍ شَنْفًا، وَأَيْدَهَا بِزَائِدٍ مَزِيدِهِ حَتَّى تَقُولَ: حَسْبِي
وَكُنْفِي؛ فَإِنَّهُ وَصَلَ صُحْبَةَ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْأَمِيرِ، الْكَبِيرِ، الْمُقَرَّبِ، الْمُحْتَبَى، الْمُرْتَضَى،
الْمُخْتَارِ، شَرَفِ الدِّينِ، مَجْدِ الْإِسْلَامِ، زَيْنِ الْأَنَامِ، جَمَالِ الْمُقَرَّبِينَ، مَرْتَضَى الْمُلُوكِ
وَالسُّلْطَانِينَ، الْحَاجِّ أَحْمَدَ الْأَشْقَرِ؛ وَالشُّوقَ إِلَيْهِ شَدِيدًا، وَالتَّطَلُّعَ إِلَيْهِ كَمَثَلِ الْعِيدِ؛
فَقَرَّبَنَاهُ إِلَيْنَا نَجِيًّا، وَتَلَقَيْنَاهُ مِنْهُ مَهْدِيًّا؛ وَكَأَنَّ السَّمَاءَ أَلْقَتْ مِنْهُ حُلِيًّا، أَوْ أَقَلَّتْ كَوْكَبًا
دُرِّيًّا؛ أَوْ مَدَّتْ مِنَ الْحَجَرَةِ دَرَجًا، وَعَطَفَتْ مِنْ مَهْنَدَاتِ الْبُرُوقِ خُلُجًا؛ وَقَدَّتْ
مِنْ سَوَادِ الْقُلُوبِ شَطْرَ كُلِّ سَطْرِ فِيهَا، وَأَغَارَتْ مُقَلَّةَ كُلِّ رَيْمٍ قَامَ بِسَوَادِ نَاطِرِهِ
يُقَدِّمُهَا، وَسَرَّحْنَا مِنْهُ الْحَدَقَ فِي حَدَائِقِ، وَنَفَّحْنَا بِهِ لِلْحَقَائِبِ حَقَائِقَ؛ وَاسْتَطَلَعْنَا بِهِ
شُمُوسَ الْإِفْتِقَادِ، وَأَطَّلَعْنَا مِنْهُ عَلَى نُفُوسِ نَفَائِسِ الْوِدَادِ؛ وَصَادَفَ مِنَّا قَلْبًا صَادِيًّا
إِلَى مَا يَرُوقُ مِنْ أَخْبَارِهِ، وَشَوْقًا إِلَى مَا يَهْبُ مِنْ نَسِيمِ دِيَارِهِ؛ وَتَطَّلَعْنَا إِلَى مَنْ يَرِدُ
مِنْ رُسُلِهِ الْكِرَامِ، وَيُقْصُ عَلَيْنَا مَا لَا يُسْتَقْضَى مِنْ مَوَاقِعِ الْعَمَامِ؛ وَعَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا
ذَكَرَهُ الْمُقَرَّبُ الْحَاجُّ شَرَفُ الدِّينِ أَحْمَدُ مَالِ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ يَلْتَحِفُ
بِمَلَابِسِهَا، وَيَقْتَطِفُ مِنْ مَغَارِسِهَا؛ وَتُجْرَى فِي السَّيْفِ رَوْنَقًا، وَتُرَيِّنُ بِالْكَوَاكِبِ
أَفْقًا، وَتُجْرَى عَلَى الْكُثْبَانِ مِنَ الشَّمُوسِ رِدَاءً مَخْلَقًا. وَأَحْضَرْنَا الْحَاجَّ شَرَفَ الدِّينِ
أَحْمَدَ بَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ، وَشَمِلْنَاهُ بِحُسْنِ مُمْلِحَاتِنَا الَّتِي زَادَتْ تَشْرِيفَهُ؛ وَكَانَ
حُضُورَهُ وَرِكَابُنَا الشَّرِيفِ يَهْبِجَانِ الصَّيْدَ الْمَحْمُودَ، وَنَحْنُ نَأْلِهَجُ بِذِكْرِهِ عِنْدَ أَتْمَازِ كُلِّ
فُرْصَةٍ فِي الصَّبُودِ؛ وَمَا حَصَلْنَا فِيهِ عَلَى لَذَّةِ ظَفَرٍ إِلَّا وَتَمَنِينًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهَا مِشَارَكَةٌ
شُهُودًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ جَاضِرًا يَرَى كَيْفَ يُسَهِّلُ اللَّهُ لَنَا بَلُوغَ كُلِّ مَقْصُودٍ؛ وَنَحْجُ مَعَنَا
إِلَى الْمَصَائِدِ، وَتَفْرَجُ عَلَى الصَّائِدِ؛ وَرَأَى مَا حَفَّ بِمُوكَبِنَا الْمَنْصُورِ مِنْ ذَوَاتِ الْوَابِرِ

والجنّاح، وما سُخِّرَ لنا من جِياذ الخيول من الرياح؛ فشاهد ما أوتينا من المُلْكِ السُّلْمانِيّ
 في سُرْعَةِ السَّيرِ، وأخْتِلافِ ما جَمِعَ لنا من الإنس والوحش والطَّيرِ؛ وأسْتغرقتْ أوقَاتنا
 الشريفةُ في السُّؤالِ عن مِزاجِهِ الكَرِيمِ، وما هو عليه من السُّرورِ المُستدِيمِ؛ والتأييدِ
 الذي أنقلبَ به أولياؤه بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يَمَسَّهم سُوءٌ وأتبعوا رضوانَ الله
 والله ذو فَضْلٍ عَظِيمٍ؛ وتجددتِ المَسَرَّاتُ، بهذه البشائرِ المُسَرَّاتِ؛ وأضفنا هذه النعمةَ
 إلى ما نَحْمَدُ اللهَ عليه مما أيدنا به من النصرِ والظَّفَرِ والتأييدِ، والنعمِ التي توالَّتْ إلينا ونحن
 نرجو المَزِيدَ؛ ونُضاعِفُ الحمدَ والشكرَ لله على هذه المواهبِ التي أطافتْ بنا بِطافاتها
 الثمينةَ، وأنارتْ في آفاقنا أبقارها المِيبِنةَ؛ وشملتْ ملوكَ الإسلامِ نِعْمَها من كلِّ جانبٍ،
 وأشرقتْ شمسُها حتى ملأتْ بأنوارها المِشَارِقَ والمِغَارِبَ .

وأما ما أُنْحَفَتْ به من البلكاتِ الشريفةِ فقد وصلتْ ، وتَقَبَّلَتْ وَقَبِلَتْ ؛
 وأكْرمتْ لأنَّ مُهْدِيها كَرِيمٌ، وأُعْظمتْ لأنها تُحْفَةٌ من عَظِيمٍ ؛ وأشينا عليه بما
 طابَ، وشكَّرَ بحرْمنا الزائرُ جُودَ أخيه السَّحابِ .

وأما الإشارةُ العالِيةُ إلى تقاضى تجهِيزَةِ من الملاكين والسوقاتِ فقد رَسَمْنَا بالآتِهاءِ
 إليه، لأنه لا فرقَ بَيْننا وبيْنَ أخينا فيما يَخْصُ مِراسِمنا جَمِيعاً عليه ؛ وقد جُهِّزَ من
 الملاكين والطينِ المَحْتومِ ما أمكَنَ الآنَ، ومنه ما نُكِّمنا بِاسْتِعمالِهِ من البلكاتِ بِاسْمِهِ
 الشريفةِ وتأنرَ ؛ فلما فَرَّغَ جُهِّزَ معه ، وبعدَ هذا مُجَهِّزٌ من يتوجَّهُ إلى حَضْرتهِ
 العالِيةِ ليجدَّ عَهْداً، ويؤدِّيَ إليه وُداً؛ وما يتأنرُ إلا رِثِمًا تَجَلَّى السُّحْبُ المتواليهَ ،
 ويمكنُ التوصلُ سالماً إلى حَضْرتهِ العالِيةِ .

(١) حقيقته السارات وإنا أتى به بهذه الصيغة على توهم أسره بمعنى أفرحه كما حكاه ابن سيده في تفسير

المثل « كل مجر بانغلا. مسر » انظر اللسان (ج ٦ ص ٢٦) .

وأما غير هذا : فهو أن الحاج أحمد أحضر إلينا ورقةً كريمه ، بل دُرَّةً يَتِيَمَه ؛ بخط يد الحضرة الشريفة فَأُعْجِبْنَا بِهَا ، ووجدناها في غاية الحُسْنِ التي لا يعدُّ زَهْرُ الرياض لها مُشْبِهًا ، وما رأينا مثل ما كُتِبَ فيها ، كأن السماء قد نَظَّمَتْ في سَطُورِهَا النجومَ الزَّهْرَ من دَرَارِيهَا ؛ فَأَكْرِمَ بِيَدِ كِتَابَتِ سَطُورًا اعْتَرَفَ بِهَا الرَّحْمَ لِلْقَلَمِ ! وَأَسْتَمَدَ السَّحَابُ من طُرُوسِهَا الكَرَمَ ! وَجَرَتْ بِجَامِدِ ذَهَبٍ وَسَائِلِ دَمٍ ، وَتَنَافَسَتْ عَلَى إِبَاتِهَا صَحَائِفُهُ وَأَقْلَامُهُ وَدُويُهُ وَالْحَقُّ وَالْبُرُوقُ وَالذَّيْمُ ؛ وَطَلَعَتْ مِنْهَا تَبَاشِيرُ النَّجَاحِ ، وَتَحَاسَدَ عَلَيْهَا مِسْكُ اللَّيْلِ وَكَافُورُ الصَّبَاحِ ؛ وَأَتَفَقَتْ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَقَدْ تَوَعَّتْ قَسِمًا ، وَأَشْرَقَتْ فَتَمَنَّتْ السَّمَاءُ أَنْ تَكُونَ لَهَا صَحِيفَةً وَالْبَرْقُ قَلَمًا ؛ فَأَرْخَصَتْ قَدْرَ يَاقُوتٍ فِي التَّقْلِيْبِ ، وَحَسَّنَتْ بِمَاجِرَانِ حَبِيبٍ ؛ لَقَدْ أُوتِيَتْ مِنْ انْخِلَاطِ غَايَةِ الْكَمَالِ ، وَبَسَطَتْ يَدَ ابْنِ هَلَالٍ فِيهِ عَنِ فَمِ ابْنِ هَلَالٍ ؛ فَأَمَّا الْوَلِيُّ فَإِنَّهُ مِنْ أَوْلِيَائِهَا ، وَأَنْوَاؤُهُ مِمَّا فَاضَ مِنْ إِنْثَائِهَا ؛ طَالَمَا حَدَّقَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ فَأَخْتَلَفَ بَرْقُهُ أَبَاهُ مُقْلَهُ ، وَفِطْنُ ابْنِ أَسَدٍ أَنَّهُ لَوْ أَدْرَكَهُ أَبُوهُ لَنَسِيَ شِبْلَهُ ؛ فَسَبِحَانَ مِنْ صَرَفٍ فِي يَمِينِهِ الْقَلَمَ بِلِ الْإِقَالِيمِ ، وَوَهَبَهُ مِنْ أَفْضَلِ كُلِّ شَيْءٍ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

وقد أعيد المقربُ شرفُ الدين أحمد ، وحمل من المشافهات الشريفة ما تفض على أختينا عقوده ، وتفاض بروده ؛ والحضرة الشريفة لا تقطع أخبارها عنا التي تسر بأنبيائه ، وتسير بجم سنامه ؛ لازالت مناقبه مسموعة ، والقلوب على ما يجمع كلمة الإيمان مجموعته . إن شاء الله تعالى .

تنبيه — أما الملتقطات التي كانت تُكْتَبُ إلى هذا القان ، فقد ذكر في "التشفيق" أنها في قطع الثلث ، وكذا ما يُكْتَبُ به بالمُعْلَى ، فإنه يكون في القطع المذكور أيضا .

الجملة الثانية

(في المكاتب إلى من ملك توريذ وبغداد بعد موت أبي سعيد)

قد تقدم أنه ملك توريذ وبغداد بعد السلطان أبي سعيد (موسى خان) ثم محمد بن عبدجى، ثم الشيخ حسن الكبير، ثم ابنه الشيخ أويس، ثم ابنه حسن، ثم أخوه أحمد. ومنه أتت عن تمولك. وذكر في "التقيف" أنه ملك بعد أبي سعيد أرفاخان، ثم موسى خان، ثم طغاي تمرخان؛ بعد أن ذكر أنه لم يكتب إلى أحد بعد أبي سعيد بالمكاتب المتقدمة. ثم قال: ورأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشائي أن مكتبة طغاي تمرخان كانت نظير مكتبة أبي سعيد. ثم قال: وهذا يدل على أنه لم يكتب بذلك بعد أبي سعيد غير طغاي تمرخان المذكور.

قلت: وقد وقفت على مكتبة عن الملك الناصر «محمد بن قلاوون» إلى موسى خان المقدم ذكره من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، فيما ذكره صاحب "الدرر الملتقط" جواباً عن كتاب ورد منه يذكر فيه النصرة على عدوله؛ والقائم بتدبير دولته يومئذ على باشا. بدأ فيها بعد الافتتاح بآية من القرآن الكريم في معنى النصرة بقوله:

«إلى الحضرة الشريفة» إلى آخر الألقاب المناسبة «من أخيه ومحبه»؛ ثم خطبة بعد ذلك مفتوحة: «الحمد لله». ثم «وبعد» فقد ورد الكتاب الشريف. والخطاب بـ «الحضرة الشريفة». والأختتام بالدعاء. ولاخفاء في أن هذه نحو المكتبة إلى أبي سعيد؛ لكني لم أقف على مقدار قطع الورق فيها، ولاصورة الكتاب. وهذه نسختها:

(١) كذا في الأصل هنا وتقدم في ج ٤ ص ٢٤٤ (عبرجى).

(وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور). (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصرون يشاء وهو العزيز الرحيم).

إلى الحضرة الشريفة العالية، السلطانية، الأعظمية، العالمية، العادلة، الأوحديّة، الشاهنشاهيّة، القانيّة، الأخوية، الأخ العزيز، الكبير، المعظم، موسى خان، أعز الله سلطانه، وثبت بسعادة ملكه أوطانه. من أخيه ومحبه، الخالص في حبه، الصادق المودّة له في بعده وقربه.

الحمد لله الذي أيد الإسلام بنصره، وضيق على أعدائه مجال حصره، وجدد بتأييده في زمانه ما تمخلى به أعطاف عصره. نحمده عن الدين الحنيف على نصرة أضاء لها الوجود بأسره، وأوقعت كل خارج على الدين والمملك في قبضة أسره؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يخلص قائلها غاية أجهاده، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تستقل ببشائرها أعباء عباده؛ وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فقد ورد الكتاب الشريف من الحضرة الشريفة العالية، السلطانية، القانيّة، أحنينا وولدنا العزيز، المؤيد بالنصر على الأعداء والفتح الوجيز؛ لالزت دولته الشريفة دائمة الإقبال، متريدة تزيد الهلال، على يد المجلسين الساميين، الأميرين، الكبيرين؛ عضدى الملوك والسلاطين: "مدلنجي، وكراي" أدام الله تعالى عزتهما - بالبشائر بنصرة الإسلام، وتأيد أحنينا على عدوه الخارج على الدين والمملك. (١) وحمدا لله تعالى على هذه النصرة، وتضاعفت بها المسرة؛ ونحن كفا خارجين بجميع العساكر والجيوش المنصورة الإسلامية، لتساعدكنا على نصرة الإسلام. وما تأخرنا

(١) في الأصل "خارجي".

إلا لما جاءت إلينا ماري (؟) الأخبار وما كانت تحققناها ثم تحققنا بحمد الله تعالى هذه الأخبار؛
 وضر بنا لها البشائر في سائر الأقطار، وعرفنا بها عناية الله تعالى بأخذ المسلمين بنواصي
 الكفار؛ وقيام الجناب الكريم العالی الأمير الكبير التوین العادل المعظم على باشا،
 أعز الله تعالى نصرته في إعادة الحق إلى أهله، وصبره على ما سبق به كل أحد
 إلى جميل فعله، وأجتهاده في هذا الأمر الأجهاد الذي ما كان يُطلب إلا من مثله؛
 وكذلك الجنابات العالیة الأمراء التوینات الأکابر، زیدت سعادتهم! فإنهم سارعوا
 إلى ما كان يجب ويتعين عليهم في خدمة سلطانه، ومن هو أحق بهم وأولى من عظيم
 عظم قانهم؛ وما من الأمير التوین العادل على باشا وبقية الأمراء الأکابر إلا من قام
 بما كان عليه من العهود، وبذل آجهاده حتى حصل بحمد الله المقصود؛ وما
 قصروا في قيامهم حتى تسلم المستحق حقه وميراثه وما هو أحق به وأولى. وهم -
 جزاهم الله الخیر- قد عملوا ما يجب عليهم، وبقى ما يجب على الحضرة الشريفة من
 الإحسان إليهم.

وأما قول الحضرة الشريفة: إنه مثل ولدنا فهو هكذا مثل الولد وأعز من الولد،
 وكل أحد منا لأخيه في الاتفاق على المصالح الإسلامية عضد ويد، وذخر وسند؛
 وقد سبق من تألف القلوب ما أشدت به الآن وأخيه، وأضحى له منا شفقة
 الولد على الولد وتوقير الأخ لأخيه؛ وقد أعدنا رسله الكرام وحملائهم مشافهة ووصية
 للحضرة الشريفة في أمور تقتضيها مصلحته، فإنه عندنا أعز من الولد. وما القصد
 إلا الاتفاق على مصالح الإسلام، وما فيه نظام كلمة الوفاق [والوئام]، فيديم المواصلة
 بكتبه وأخباره السارة، والله تعالى يديم مساره ويضاعف مباره؛ إن شاء الله تعالى.
 ولم أقف لهذه المكاتبه على قطع ورق، والظاهر أنها في قطع النصف لما سياتي
 أنه الذي عليه الحال في مكاتبه صاحب بغداد وتوريز، فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأعلم أن صاحب "التثقيف" قد ذكر أن المكاتبه إلى الشيخ أويس : صاحب بغداد وتوريز، وأبنة حسن بعده في ورق قطع النصف . ورسمها : «أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالی، الكبيری، السلطانی، العالمی، العادلی، المجاهدی، المؤیدی، المرابطی، المنصوری، الملکی، الفلانی» بلبق السلطنة «الفلانی» بلبقه الخاص . والدعاء بما يناسبه «أصدرناها إلى المقام الشريف تهدي وتبدي» و«القصد من المقام الشريف» . ويختتم بدعاء يناسب، مثل : «أعز الله أنصاره» ونحو ذلك . ومحاطبته بـ«المقام الشريف» . والعنوان «المقام الشريف» إلى آخر الألقاب المذكورة . والدعاء «أعز الله تعالى أنصاره» . وتعريفه «فلان بهادرخان» مثل أن يقال : «الشيخ حسن بهادرخان» . والعلامة إليه «أخوه» . قال في "التثقيف" : وكان الشيخ أويس المذكور عند استقراره بتوريز وبغداد يكتب له «المقام العالی» ، ثم كتب له بعد ذلك «المقام الشريف» .

وهذه نسخة مكاتبه كتب بها إلى الشيخ أويس المقدم ذكره، جواباً عن كتاب ورد منه، من لإنشاء القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش، حين كان يكتب إليه «المقام العالی» لأبتداء أمره، على ما تقدم، وهي :

أعز الله تعالى أنصار المقام العالی، إلى آخر ألقابه، ولا زال الملك زاهراً زاهياً بشرف سلطانه، والملك يجري بإعزاز قدره، وإحراز نصره، مدى زمانه، والفتك منه بالأعداء يسر الأولياء من أهل مودته وإخوانه، وسلك جواهر عقد ولانه منظم من الإخلاص بجمانه، ولا برح مؤيدا بأنصار الإسلام وأعوانه، مجددا سعده الذي يبيلغه جميل أوطاره في جميع أوطانه .

أصدرناها إلى المقام العالی تصف ما لدينا من المحبة التي ظهر دليلها بواضح برهانه، وتبث لنا أبناء مكنون المودة التي تغني عن صريح القول وتبينانه، وتبدي لعلمه

الكريم أن كتابه الكريم ورد على يد فلان رسوله فأقبلنا عليه، وصرفنا وجه الكرامة إليه؛ وعلينا ما تضمّنه من محبته وموالاته، ومخالصته ومصافاته؛ وما أشتمل عليه ضميره من صحيح الوداد، وصريح الأتحاد؛ وجميل الاعتقاد، وجزيل المخالصة التي يتم بها الأمل والمُراد . وأن المقام العالى جهز رسوله المشار إليه ليوضح إلينا ماهو عليه من ذلك، ويُنهي إلينا أسباب الائتلاف التي عمّرت أرجاء الجهتين هنا وهناك؛ ويبيد ما تتحمّله عنه من المشافهات، وتفهمه من الرسائل والإشارات؛ وقد أحطنا علماً بذلك ووصل رسوله المذكور، وتمثّل بمواقف سلطاننا المنصور؛ وسَمِلَه إقبالنا الشريف، وإعنا المُنطيف؛ وسمعنا جميع كلامه، وما تتحمّله من المشافهة الكريمة من على مقامه؛ وشكرنا محبة المقام العالى ووّده الجميل، وأثنينا على موالاته التي لا تَمِيدُ عنها ولا تَمِيلُ، وآبتهجنا بسلامة مقامه الجليل . وقد أعدنا فلانا رسوله المذكور بهذا الجواب الشريف، إلى المقام العالى أعزَّ الله أنصاره، فُتِحَ بمكاتباته ومهمّاته، والله تعالى يمدّه بالتأييد في حركاته وسكّاته، ويعزُّ نصره ويزيد في حياته .



أما المنفرد بتّويريز خاصّة، فقد ذكر في "التتيف" أنّ المكتبة إلى الأشرف (أبن علاء الدين تمرناش) الذي كان قد وثب على تيريز خاصّة فلُكها، في قطع الثلث بقلم التوقيعات «ضاعف الله تعالى نعمة الجنا ب العالى الأميرى الكيرى» وبقية الألقاب والتعوت، ومنها التّوينى . ثم الدعاء . «صدرت هذه المكتبة إلى الجنا ب العالى وتوضّح» والعلامة «أخوه» . وتعريفه «الأشرف بن تمرناش» .

ثم ذكر أنّ أنحى جق الذى وثب عليه وقتله وأستولى على تيريز بعده أستقرت مكاتبته كذلك، وأنه كان يُكْتَب في تعريفه «أنحى» لا غير . ثم قال: وقد ماتا وبطل ذلك .

(أبو بكر بن خَوَاجَا على شاه) وزير صاحب تَبْرِيزَ «الأسْمُ» و «السامى» وتعريفه أبو بكر ابن الخوِاجَا المرحوم على شاه . قال في «التثقيف» : ولم أعلمُ وُزَرَ في زَمَنٍ من من المتولين

(عُمَرُ بك) أحد أمراء الأشراف بن تمر تاش صاحب تَبْرِيزِ في قَطْعِ الثالث ، الدعاء و «العالى» والعلامة «أخوه» وتعريفه «عمر بك» . قال في «التثقيف» : وهذا ممن بطل حكمة بزوال مَخْدومه .

الجملة الثالثة

(في رسم المكتابة إلى من أنطوت عليه مملكة إيران، ممن جرت عاداته بالمكتابة عن الأبواب السلطانية، في أيام السلطان أبي سعيد فمن بعده، وهم ثمانية أصناف)

الصنف الاول

(كُفَّالِ المملِكة بحضرة القان ، وهم على ضريين)

الضرب الاول

(كُفَّالِ المملِكة بالحضرة في زمن القانات العظام كابى سعيد ومن قبله من ملوكهم حين كانت المملِكة على أتم الأبهة وأعلى الترتيب)

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثالثة أن القائم بتسيير العسكر لهذه الدولة حين كانت قائمة على نمط القانية المتقدم إلى آخريين أبى سعيد أربعة أمراء، يعبر عنهم بأمراء الأوس، ويعبر عن أكبرهم بيكلارى بك بمعنى أمير الأمراء . وربما أطلق عليه أمير الأوس أيضا . والقائم بتسيير الأمور العامة هو الوزير .

(١) يظهر قياسا على ما قبله أنه سقط هنا من قلم الناخذ شيء نحو المكتابة ضاعف الله الخ . ثم الدعاء والعالى الخ .

فأما الأمراء المذكورون ، فقد كان كلُّ من الأمراء الأربعة والوزير يكاتب عن الأبواب الشريفة السلطانية . وقد ذكر في "التعريف" أن المكتبة إلى بكلارى بك في قطع النصف : « أعزَّ الله تعالى نصرَ المقرِّ الكريم » . وإلى الثلاثة الذين دونه في قطع الثلث : « أدام الله تعالى نصرَ الجنب الكريم » . وأنه يقال لكلِّ من الأربعة « التَّوَيْتِي » . ثم قال : ومثُل هذا مكتبة أرتنا بالرُّوم ، وأمير التُّومان بديار بَكر : من سُوناى وبنيه وكذلك سائرُ الامراء التَّوِينات : وهم أمراء التَّوامين .

والذى ذكره في "التثقيف" أن المكتبة إلى الشيخ حسن الكبير أمير الألوس كانت على ما استقرَّ عليه الحال إلى حين وفاته ببغداد في قطع الثلث بقلم التوقعات : « أعزَّ الله تعالى أنصارَ الجنب الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الرِّعيمي ، العونى ، الغيائى ، المثاغرى ، المرابطى ، الممهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، التَّوَيْتِي ، الفلانى : عون الإسلام والمسلمين ، سيِّد الأمراء فى العالمين ، ناصرِ الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحِّدين ، مُمهد الدَّول ، عمادِ الملل ، عونِ الأُمم ، كافي الدولة القانيَّة ، كافي الملكة الشَّرقيَّة ، أميرِ التَّوامين ، أميرِ الألوس ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضدِ أمير المؤمنين » . والدعاء أربع قرائن أو أكثر : « أصدرناها إلى الجنب الكريم » و « تبدى » و « القصد من الجنب الكريم » . والعلامة « أخوه » . وتعريفه « الشَّيخ حسن أُلوس بك » .

قال في "التثقيف" : « ولما تُوفِّي الشَّيخُ حسنُ المذكور إلى رحمة الله تعالى لم يُقْم غيره مكانه فيما أظن ، ولا كُوتِب أحدٌ بعده بهذه المكتبة . قال : والتَّوَيْتِي فى ألقاب هؤلاء بدل «الكافلى» فى ألقاب التَّوَاب ، يعنى بالملكة المِصريَّة والشامية . ثم قال : وهو نعتٌ يُستعمل دائماً لأهل تلك البلاد ، ولا يُستعمل الكافلى أصلاً .

وهذا عجيب منه ! فقد أثبت هو «الكافلي» في الألقاب التي أوردتها في المكتبة إلى الشيخ حسن الكبير .

وأما الوزير بهذه المملكة فقد ذكر في «التعريف» أن رسم المكتبة إليه في قطع الثلث «ضاعف الله تعالى نعمة المجلس العالي الأميري الوزيري» على عادة المكتبات إلى الوزراء بالألقاب الوزارة . قال : فإن لم تكن له إمرة ، فيقال له «الوزيري» ولا يُقال له «الصاحبي» لهُوانها لديهم . ولم يتعرض في «التتقيف» إلى المكتبة إلى وزير هذه المملكة ، ولا إلى الأمراء الثلاثة الباقين من أمراء الأئوس ، بل عدل عن ذلك إلى المكتبة إلى الوزير ببلاد أربك . وسيأتي ذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد مُحِيت رسوم تلك المملكة ، وعُفَّت آثارها بزوال ترتيب المملكة بموت السلطان أبي سعيد : آخر ملوك بني جنكرخان بهذه المملكة . وإنما ذكرنا ذلك حفظاً لما كان الأمر عليه : لاحتمال طُرُق مثل ذلك فيما بعد ، فيُنسَج ما يأتى على منوال ماضى ، ويُجرى في المستقبل على منباج الماضى ؛ فالأمور ترتفع ثم تنخفض ، وربما أنخفضت ثم ارتفعت . والله تعالى يقول : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

الضرب الثاني

(كُفِّأَلِ الْمَمْلُكَةِ بِالْحَضْرَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي سَعِيدٍ)

قد ذكر في «التتقيف» منهم جماعة : منهم محمد الكازروني وزكريا وزيراً الشيخ أويس . وقد ذكر أن رسم المكتبة إلى كلٍّ منهما في قطع العادة « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامي ، الأجلّي ، الكبيرى ، الأوحدي ، المقدمي ، المنتخبي ، الفلاني ؛ مجد الإسلام ، بهاء الأنام ؛ شرف الرؤساء ، أوحداً الأعيان ؛ صفوة الملوك

والسلاطين» . ثم الدعاء . والعلامة «الأسْمُ الشريف» وتعريفه «فلان وزير الشيخ أويس بهادرخان» .

ومنهم - الطّواشي مرّجان، نائب القان أويس ببغداد، ولقبه أمين الدين بالس . ورسم المكتبة إليه «والده» و«السامى» بالياء . وتعريفه «خوآجا مرّجان» .

ومنهم - محمدفلتان، نائب الشيخ أويس أيضا . وذكر أنّ رسم المكتبة إليه مثل المكتبة إلى مرّجان . والعلامة «الأسْمُ الشريف» . وتعريفه : «فلتان نائب الشيخ أويس» .

قلت : فإن اتفق أن أقيم لصاحب بغداد : كأحمد بن أويس ومن في معناه مثل هؤلاء ، كانت المكتبة إلى كلّ منهم نظير مثله من المذكورين بحسب ما يقتضيه الحال .

الصنف الثاني

(مَنْ جَرَتْ العادة بمكاتبته بمملكة إيران عن الأبواب السلطانية، صِغَارُ الملوك المنفردين ببعض البلدان، والحكّام بها من هو بمملكة إيران)

قد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك أنّ مملكة إيران تشتمل على عدّة من الأقاليم داخلية في حدودها، منتظمة في سلكها . وقد ذكر في «التعريف» جملة من المكاتب عن الأبواب السلطانية إلى بعض هؤلاء الملوك . وخالفه في «التتقيف» في بعض المواضع وزاد عليه عدّة مكاتب . وها أنا أذكر ما ذكره من ذلك ، وأزيد ما اتّفق زيادته ممّيزا لكل إقليم من أقاليم هذه المملكة بمن فيه من الملوك والحكّام ومن جرى مجراهم .

فَمَنْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِمَكَاتِبِهِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ بِالْجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ، مِمَّا بَيْنَ دِجْلَةَ
وَالْفُرَاتِ مِنْ دِيَارِ بَكْرِ وَرَبِيعَةَ وَمُضَرَ وَغَيْرِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ
فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ

صَاحِبُ مَارِدِينَ — وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ أَنَّهَا مَدِينَةٌ ذَاتُ قَلْعَةٍ حَصِينَةٍ
بِدِيَارِ بَكْرِ مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، وَأَنَّهَا بِيَدِ بَقَايَا بَنِي أَرْثُشَاسْتِ^(١) الْمُسْتَقِلِّينَ بِمُلْكِهَا مِنْ قَدِيمِ
الزَّمَانِ وَإِلَى الْآنِ.

وَرَسَمُ الْمَكَاتِبَةِ إِلَيْهِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف": «اعزَّ اللهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ
الْعَالِي، الْكَبِيرِيِّ الْمَلِكِيِّ الْفُلَانِيِّ الْفُلَانِيِّ» يَعْنِي بِاللُّقْبِ الْمُلُوكِيِّ، وَاللُّقْبِ الْمُضَافِ إِلَى
الذِّينِ؛ مِثْلُ «الصَّالِحِي الشَّمْسِيِّ» وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. ثُمَّ الدَّعَاءُ. قَالَ فِي "التَّنْقِيهِ":
ثُمَّ يُقَالُ: «أَصْدَرْنَاهَا إِلَى الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ»، «وَتُبْدَى لَعَلْمَهُ الْكَرِيمِ». «فِي تَقَدُّمِ أَمْرِهِ
الْكَرِيمِ». وَيُحْتَمَّ بِمَا صَوَّرْتَهُ «فِي حَيْطِ عِلْمِهِ الْكَرِيمِ بِذَلِكَ». وَالدَّعَاءُ. وَالْعَلَامَةُ
«أَخُوهُ». وَتَعْرِيفُهُ «صَاحِبُ مَارِدِينَ». وَوَرَقُهُ قَطْعُ الْعَادَةِ. ثُمَّ قَالَ: وَيَتَعَيَّنُ أَنْ
تَكُونَ أَلْفَابُهُ إِلَى آخِرِ اللَّقْبِ الْمُلُوكِيِّ سَطْرَيْنِ سَوَاءً، وَأَنْ يَكُونَ لِقْبِهِ الْعَادِيَّ
كَالْفَخْرِيِّ مِثْلًا أَوَّلِ السَّطْرِ الثَّلَاثِ.

وَقَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" ثَلَاثَةَ صُدُورٍ لِمَكَاتِبَةِ تَتَعَلَّقُ بِصَاحِبِهَا فِي زَمَانِهِ، وَهُوَ
«الصَّالِحُ شَمْسُ الدِّينِ صَالِحٌ».

أَحَدُهَا — وَلَا زَالَ مَلِكًا تَأْجُهُ الْمَدَائِحُ، وَمِنْهَا جُهُ الْمَنَاحُ، وَطَرِيقَتُهُ إِذَا وُصِفَتْ
قِيلَ: هَذِهِ طَرِيقَةُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ. أَصْدَرْنَاهَا إِلَيْهِ وَشَكَرْنَا تَسْوِقَهُ إِلَيْهِ حُدَاةُ الرِّكَابِ،
وَتَشَوَّقُ مِنْهُ إِلَى لِقَاءِ الْحَبَائِبِ؛ وَتُنْتَبِئُ عَلَى مَكَارِمِهِ الَّتِي كَلَّمَا أَقْلَعَتْ مِنْهَا سَحَابُ
أَعْقَبَتْ بِسَحَابٍ؛ وَتُوَضَّحُ لِلْعِلْمِ الْكَرِيمِ.

(١) هُوَ بِهَذَا الضَّبْطِ كَمَا فِي ص ٨٦ ج ١ مِنْ تَارِيخِ ابْنِ خُلْكَانِ.

الثانى - ولا زالت شمسُه في قُبَّةِ فلَكِها ، وسمَاءُ ممالِكِه مملوءةٌ حَرَسًا شديدًا
وَشُهبا بملِكِها ؛ ونِعْمُه نعتب البِجارَ إذا وقفت في طريقيها ، والغائمَ إذا جازت
في مَسلكِها . أصدرناها إليه والسلامُ متنوعٌ على كَرَمِه ، متنوعٌ بأطيبَ من أنفاسِ
المِسكِ في نِعْمِه ، متسرعٌ إليه تَسرع مواهبِه إلى وفودِ حَرَمِه . وتوضَّح للعالمِ الكريمِ .
الثالث - ولا زالت العُفاةُ تلتحفُ بنِعائِه ، وتنتجعُ مَساقِطَ أنوائِه ، وتستضيءُ منه
بأشراقِ شمسِ طلعت من المُلْكِ في سَمائِه ؛ أصدرناها وشاؤها يسابقُ عَجَلًا ، ومدائحُها
تُجيدُ مترويًا ومُرْتَجَلًا ؛ وشكرُها لورُصِّع مع الجواهر لأقام عُذرَ الياقوتِ إذا آكُتسى
خَدُه الحمرَةَ عَجَلًا ، وتوضَّح للعالمِ الكريمِ .

قلت : وعلى نمط هذه الصدور يجرى الكاتبُ فيما يَكْتُبُه إلى صاحبها مناسبًا
لحالِه ولقَبِه بحسَبِ ما يقتضيه الحال من المُناسباتِ .

وهذه نسخةُ كتاب ، كُتِبَ به إلى الملكِ "الصلاح شرفِ الدين محمود بن الصالح"^(١)
صالح" ، جواباً عمماً ورد به كتابُه : من وفاةِ والده المنصور أحمد . نقلتها من مجموع
بخطِّ القاضي تقيّ الدين ابن ناظر الجيش وهو :

أعزَّ اللهُ تعالى نُصرةَ المقرَّرِ الكريمِ ، إلى آخر ألقابه - ولا زال الملكُ باقيا في بيته
الكريمِ ، والفلكُ جاريا بإظهارِ شرفِه العَميمِ ؛ وأعظَمَ له الأجرُ في أكرمِ مَلِكٍ أنتقل
إلى جنَّاتِ النعيمِ ، وهنَّاهُ بما أورثه من ذلك المحلِّ الأسنى الذي هو الأولى فيه بالتقديمِ ؛
وضاعفَ لسلطانِه الصالحِ علوُ جدِّه ، بما منحه من مُلكِه الموروثِ عن المنصورِ أبيه
والصلاحِ جدِّه ، وبما خصَّه من إقبالنا الشريفِ وإحساننا المستديمِ . أصدرناها مُعَرَّبَةً
عن الوُدِّ الثابتِ الصَمِيمِ ؛ مهنَّئةً له بقيامِه بأُمورِ مملكته التي تجلَّتْ بمحمودِ صفاته

(١) هو على ما يؤخذ من نسخة الجواب بعد : محمود بن أحمد بن صالح فنسبه إلى جدِّه .

وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَسْلَافِهِ فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ ، مُبْدِيَةً لِعِلْمِهِ الْكَرِيمِ أَنْ مَكَاتِبَتَهُ الْكَرِيمَةَ ،
وَمُخَاطَبَتَهُ الَّتِي فَضَّحَتْ مِنَ الدَّرِّ نَظِيمَهُ ؛ وَرَدَّتْ عَلَى أَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةَ عَلَى يَدِ فُلَانٍ
فَأَقْبَلْنَا عَلَيْهَا ، وَأَلْقَيْنَا وَجْهَ الْكِرَامَةِ إِلَيْهَا ؛ وَعَلِمْنَا مَا تَضَمَّتْهُ مِنْ أَسْتِمْسَاكِ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ
بِأَسْبَابِ الْوِدَادِ ، وَأَقْتَفَيْنَاهُ فِي ذَلِكَ سَبِيلَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ؛ وَمَا شَرَحَهُ فِي مَعْنَى 'مَا قَدَّرَهُ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَفَاةِ وَالِدِهِ طَابَ ثَرَاهُ ، مَسْتَمِرًّا عَلَى الْإِحْلَاصِ فِي الطَّاعَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ
شَانُهُ شَيْنٌ وَلَا أَعْتَرَاهُ ؛ وَأَنَّهُ مَضَى - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى الْجَنَّةِ وَقَدْ حَلَّفَ مِنْ
حَلْفِهِ ، وَأَرْتَضَى بِمَا نَالَ مِنَ الرِّضَا عَمَّا قَدَّمَهُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَسْلَفَهُ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ :
مِنْ أَنَّهُ إِنْ أَقْتَضَتْ مَرَأِسُنَا الشَّرِيفَةَ وَأَرَاؤُنَا الْعَالِيَةَ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، وَيَرْعَى فِي حَقُوقِهِ
وَمَصَالِحِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ ذِمَامَهُ ؛ فَزَسْمُ بِإِجْرَائِهِ عَلَى السُّنَّةِ الْمَعْتَادَةِ ، مِنْ إِحْسَانِ بَيْتِنَا
الشَّرِيفِ الَّتِي بَدَأَ بِهِ وَأَعَادَهُ ؛ وَإِلَّا فَتَبَرُّزُ الْأَوَامِرِ الشَّرِيفَةِ بِمَنْ يُسَدُّ آخِثَلَهَا ،
وَيُسَدِّدُ أَحْوَالَهَا ، وَيُسَيِّدُ مَبَانِيهَا وَيُصَلِّحُ أَعْمَالَهَا ؛ لِيَقْصِدَ الْمَقَامَ الشَّرِيفَ بِأَبْوَابِنَا
الشَّرِيفَةَ سَالِكًا سَبِيلَ الطَّاعَةِ الْمَيِّينِ ، مُنْتَظِمًا فِي سِلْكِ أَوْلِيَانَا الْمُقَرَّبِينَ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
مِمَّا حَمَلَهُ لِأَسْتَادِ دَارِهِ مِنْ مَشَافَهَتِهِ ، وَجَمِيلِ مَقَاصِدِهِ وَوَافِرِ مَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ ؛ وَقَدْ
أَحْطْنَا عَلَمًا بِذَلِكَ وَسَمِعْنَا الْمَشَافَهَةَ الْمَذْكُورَةَ ، وَشَكَرْنَا مَحَبَّتَهُ الْمَأْثُورَةَ ؛ وَإِحْلَاصَهُ
فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَجَمِيلِ الْمَوْلَاةِ الَّتِي تَمْنَحُهُ تَكْرِيمَهُ وَتَشْرِيفَهُ ؛ وَأَسْتِمْسَاكَ
بِسُنَّةِ آبَائِهِ الْكِرَامِ ، وَأَجْتِهَادَهُ فِي الْمُنَاصَحَةِ وَالطَّاعَةِ الَّتِي لِأَسْمَائِي مِنْ مِثْلِهِ وَلَا تُسَامُ ؛
وَنَحْنُ نَعْرِفُ الْمَقَرَّ الْكَرِيمَ أَنَّ مَحَلَّهُ وَمَحَلَّ بَيْتِهِ الْكَرِيمِ لَمْ يَزَلْ لَدِينَا رَفِيعًا مِقْدَارُهُ ، عَلِيًّا
مَنَارُهُ ؛ وَأَنْ مَكَاتِبَتَهُ مِنْ خَوَاطِرِنَا الشَّرِيفَةِ مِمَّا كُنْتُمْ ، وَمَنْزِلَتَهُ قَدْ صَحَّتْ أَحَادِيثُهَا
الْمَعْتَنَةِ ؛ وَهُوَ الْأَحَقُّ بِمَجَلِّ مُلْكِهِ ، وَالْأَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ مِنْ نِظَامِ عُقُودِ مُلُوكِهِ وَاسْطَةِ
سِلْكِهِ ؛ وَقَدْ أَقْتَضَتْ آرَأُونَا الْعَالِيَةَ أَنْ يَقُومَ مَقَامَ وَالِدِهِ الْمَرْحُومِ ، وَيَحُلَّ مَحَلَّ هَذِهِ
السُّلْطَنَةِ لِيَعْلُو قَدْرُهُ بِأَقْبَالِنَا الشَّرِيفِ عَلَى زُهْرِ النُّجُومِ ، وَيَجْلِسَ بِمَكَانِهِ ، وَلِيَسْتَسْطِ

المعدلة لتكون حلية زمانه ، وليستنصر على أعدائنا وأعدائه بأنصار الملك وأعوانه ؛ وليستقر على ما هو عليه من المحافظة على الوداد ، وليستمسك بعرى الإخلاص المبرأ من شوائب الانتقاد ؛ وليقتف في ذلك سبيل سلفه الكريم ، وليواصل بمكاتبته وأخباره على سننهم القويم ؛ وقد أعدنا إستاناد داره بهذا الجواب الشريف إليه .

وأعلم أنه قد ذكر في "التثقيف" أن من يكتب إليه عن الأبواب السلطانية من أتباع صاحب ماردين نائبه ، وذكر أنه كان اسمه في زمنه «بهادر» . وأن رسم المكتبة إليه الأسم والسامى بغيرياء ؛ وكذلك نائب الصالحية من عمل ماردين ؛ وأن رسم المكتبة إليه الأسم و «مجلس الأمير» . فليجرك الكاتب على سنن ذلك إن احتيج إلى مكاتبتهم .

صاحب حصن كيفا - وهي مدينة من ديار بكر من بلاد الجزيرة ، بين دجلة والفرات . وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك نقلا عن "التعريف" أن صاحبها من بقايا الملوك الأيوبية ، ومن تنظر إليه ملوك مصر بعين الإجلال : لمكان ولأهمهم القديم لهم ، وأستمرار الوداد الآن بينهم .

ورسم المكتبة إليه فيما ذكره في "التعريف" : «أدام الله نعمة المجلس العالى ، الملكى ، الفلانى» باللقب الملوكى «العالمى» ، العادلى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المرابطى ، المشاغرى ، الأوحدى ، الأصيلى ، الفلانى» باللقب المتعارف «عز الإسلام والمسلمين ، بقية الملوك والسلاطين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، شرف الدول ، ذخر الممالك ، خليل أمير المؤمنين» . وربما قيل : «عضد أمير المؤمنين» إذا صغر .

وذكر في "التثقيف" ما يخالف في بعض ذلك ، فقال : إن مكاتبته : «أدام

الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المرابطى ،

المثاغريّ، الأوحديّ، الفلانيّ» باللّقب الملوكي واللّقب المتعارف . «عزّ الإسلام والمسلمين، زعيم جيوش الموحدّين . دُخِر الملة، سليل الملوك والسلاطين، عضدّ أمير المؤمنين» . ثم الدعاء . «صدرت هذه المكاتبَةُ إلى المجلس العالی . «والعلامة» أخوه» وتعريفه «صاحب حصن كيفا» . قال : والكتابة إليه في قطع العادة . وقد ذكر في «التعريف» صدور المكاتبته .

صدر : وأستعاد به من الدهر من عهود سلفه ماتسلف ؛ وحازله من موارث الملك أكثر مما خَلَى له أوله وماخلف ، وحطّ للرحال في حصن كيفا به على ملك : أما المستجير به فيتحصن وأما فضله فلا يكف ؛ وأعان السحاب الذي كلّ عن مجاراته ويجرى هو ولا يتكلف . أُصدرت هذه المكاتبَةُ إليه ونوعها يصبوب ، ولأؤها تُشَقُّ به الظلماء الجيوب ، وثناؤها على حُسن بلائه في طاعة ربه يقول له : صبرا صبرا كما تعودتم يا آل أيوب .

صدر آخر : وشدّ به بقية البيت ، وحيّا طلله البالي وأحيار شمه الميت ؛ ودكر به من زمان سلفه القديم ما لا يُعرف فيه هيت ، وأبقى منه ملكا من بني أيوب لا يثني وعده اللئى ولا يقال فيه لبت ؛ ونور الملك بغرته لا بما قرع السمع عن الشّمع وورد المصابيح من الزيت ، وحفظ منه جوادا لو عينه أخوه السحاب على السبق ، لقال له : هيات كم خلقت مثلك خلفي وخليت . أُصدرت هذه المكاتبَةُ إليه ، أعزّ الله جانبه والتحيات موشحة بنطقها ، مصبحة لسجايه الكريمة بحلقها ، ساحبة إليه ذيل خيلائها : لأنها إذا آختالت به تختال ، وبسببه على السرور تختال . ملوك كيلان - قال في «التعريف» : وهم جماعة كل منهم مستقل بنفسه ، منفرد بملكه ، على ضيق بلادهم وقرب مجاورة بعضهم من بعض . وقد

(١) كذا بالأصل ، وفي التعريف «عنه» والاولى عاتبه أنظر كتب اللغة .

تقدم الكلام على بلادهم في المسالك والممالك . قال في " التعريف " : ورسلهم قليلة ، وكُتُبهم أقل من القليل .

ورسم المكاتبه إلى كل منهن على ما ذكره في " التعريف " نحو ما يكتب إلى صاحب حصن كيفا . يعنى يكتب لكل منهن : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الملكى الفلانى » إلى آخر ما تقدم هناك . قال في " التعريف " : إلا صاحب بومن فإنه يكتب له بـ «الجناب» . وهو مثلهم في بقية الألقاب . قال في " التثقيف " : ولم أر لهم مكاتبه ، ولا كتب لهم في مدة مباشرتى بديوان الإنشاء الشريف شىء ؛ غير أنى رأيت بخط المولى القاضى المرحوم زين الدين خضر ، أنه كتب أمثلة شريفة إلى جماعة ، منهم «حرم الدين» . بيومن ، ثم قال : وهذا هو الذى ذكر القاضى شهاب الدين أن مكاتبته أعلى مكاتبتهم ؛ وأنه يكتب إليه «الجناب» . قال : وما يبعد أن الجماعة الذين كتب إليهم على ما ذكر القاضى زين الدين المشار إليه هم من جملة ملوك كيلان . ثم عدد من كتب إليه منهم فقال : وهم نوباد شاه ، وسالوك ولده ، فى قطع العادة .

ورسم المكاتبه إليهما : «خلد الله تعالى سعادة الجنابين الكريمين ، العالين ، الكبيرين ، العاديين ، المجاهدين ، المرابطين ، الملكيين : الشرفى والسيفى» . والدعاء . والعلامة «أخوهما» . والعنوان سطران . وتعريفهما : نوباد شاه وسالوك ولده صاحباً كوحسفا (؟) .

ناصر الدين بهلوان ، وشرف الدين شرف الدولة صاحباً لاهجان مثل ذلك سواء .

فلك الدين صاحب دشت كذلك .

حُسام الدين صاحب بومين كذلك . ثم قال نقلا عن ابن الزبيني خضر أيضا :
وقيل إنَّ حُسام الدين هذا كان صاحب بومين ، وصاحبها الآن أخوه علي ما ذكره
محمود بن إبراهيم بن اسفندار الكيلاني حين كتب إليهم .

قلت : وهؤلاء هم ملوك كيلان ، وهذه مدنهم على ما تقدم في المسالك والممالك .
والعجب كيف وقع الشك في ذلك من صاحب "التتقيف" حتى قال : وما يبعد .
وأما التسوية في الآخرين صاحب بومين وغيره ، فيجوز أن قدره انحط بعد زمن
صاحب "التعريف" أو جهل الكاتب الثاني مقداره .

صاحب هرآة - وهي مدينة من حراسان . قال في "التعريف" : ولا يجزى على
الألسن الآن إلا صاحب هرئى . قال : وكان ملكها الملك غياث الدين . ولم أسمع
أعجمياً يقول إلا قياس الدين . وكان ملكا جليلا نبيلاً مفتحاً معظماً ، له مكانة عند
الملوك الهولوكوهية ، ومنزلة رفيعة عليه . وكان بينه وبين التوئين جوبان مودة أكيدة
وصداقة عظيمة ؛ فلما دارت به دوائر الزمان وأفضت به الحال إلى الهرّب ، لحا
إلى صاحب هرئى هذا ، على أنه يسئل له الوصول إلى صاحب الهند ؛ أو إلى ملك
ماوراء النهر ، فأجابه وأنزله ، وبسط أمله ؛ وأسر له الخداع حتى أطمأن إليه ،
فأصعدته إلى قلعته ليضيفه ، فصعد معه ابنه جلوقان ، وهو ابنه من خوند بنت
السلطان خدابندا ؛ وجلوقان هذا هو الذى أوجب إلى تزويجه بنت السلطان الملك
الناصر ، وعلى هذا تمت قواعد الصلح . وبني جوبان أمره على أنه بعد الترويح
ياخذ له ملك بيت هولوكو يشبه أنه ابن بنت خدابندا ؛ وأنه لم يبق بعد أبي سعيد
من يرث الملك سواه . ثم يستضيف له ملك مصر والشام يشبه أن بنت صاحب
مصر هي التي ترث الملك من أيها ؛ فحالت المنايا دون الأمانى .

وحال صعودِ جُوبان وأبنة جلوقان القلعة أمسكهما غياثُ الدين وختقهما ليُتخذ
وجهاً بذلك عند أبي سعيد ، وبعثَ بذلك إلى أبي سعيد ، فشكره إمساكهما ، وانكر
عليه التعجيلَ في قتلها ، فاعتذر بأنني لو لم أقتلها لم آمنِ استعدادَ مَنْ معهما لمحاصرتي ؛
فقبلَ عُذره ، وطلب منه إبهامَ جُوبانَ ليُعرفَ أنه قد قتلها ، وكان فيه زيادةُ سلعة
ظاهرة يُعرف بها ، فجهزه إليه فأكرمَ رُسله وبعثَ إليه بالخِلم ، وأمر بإصبعِ جُوبان
فطيف بها في الممالك . ثم سألتُ بغدادَ خاتونَ بنتِ جُوبان : امرأةُ أبي سعيد ، وكان
شديدَ الكلفِ بها ، في نقلِ أجسادهما فُنقلتُ ، فعمدتُ لها الماتمَ ، ثم أمرتُ بحملها
إلى مكةَ المعظمةَ ، ثم إلى المدينة المشرفة ليُدفنا في التربة الجُوبانية التي كان جُوبانُ
أعدّها لدفنه في حالِ حياته ؛ فمكنتُ من ذلك إلا من الدفنِ فإنهما دُفنا بالبقيع .
ثم حَصَرَ غياثُ الدين حضرةَ أبي سعيد ، فأكرمَ وأعطى العطايا السنيةَ ؛ ثم لم يلبثْ
أن مات وولىَ أبنة . قال : ولم يكن صاحبُ هذه المملكة ممن يكتب عن السلطان
حتى كانت واقعةُ جُوبان فكتبَ إليه .

ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في "التعريف" : « أعزَّ الله تعالى نصرَ المقرِّ
الكريم ، العالى ، العالمى ، العادلى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المرابطى ، المتأغرى ،
الأوحدى المَلِك الفلانى ، شرفِ الملوك والسلاطين ، خليلِ أمير المؤمنين » . قال
في "التثقيف" : ولم أُطَّلِعْ على ما يكتب إليه سوى ما ذكره القاضى شهابُ الدين
بعد واقعة جُوبان . قال : والذي يظهر لى أنه لم يكتب بعد ذلك هو ولا مَنْ قام
مقامه : لأنه لم تكن له مكاتبه مشهورة متداولة بين الموالى الجماعة ، ولا كتب إليه
في مدة مباشرتى شىء . على أن القاضى شهابَ الدين لم يذكر تعريفه

(١) أى أصبغه الابهام .

الحكام بهذه المملكة

(مَنْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِمَكَاتِبِهِ مِنَ الْحُكَّامِ بِالْجَزِيرَةِ الْقُرَاتِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ)

الحاكم بِشِمَشَاطٍ — وقد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك أنّها بلدة من ديار مَضْرِبِينَ آمِدٍ وَخَرَّتْ رِبْتَ . قال في "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إليه «السامى» بالياء . والعلامة الأسم . وتعريفه «الحاكم بِشِمَشَاطٍ» .

الحاكم بِمَيَّافَارِقِينَ — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنّها قاعدة ديار بَكْرٍ . قال : في "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إليه «السامى» بغير ياء . والعلامة الأسم . وتعريفه «الحاكم بِمَيَّافَارِقِينَ» .

الحاكم بِحَيْرَانَ — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنّها مدينة من ديار بَكْرٍ . قال في "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إليه «السامى» بالياء . والعلامة الأسم . وتعريفه «الحاكم بِحَيْرَانَ» وهو معدود في "التثقيف" في جملة الأكراد .

الحاكم بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنّها مدينة صغيرة على دجلة من غربيها . قال في "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إليه «السامى» بالياء . والعلامة له الأسم . وتعريفه «الحاكم بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ» . وذكره في "التثقيف" في جملة الأكراد، وقال : كان بها عز الدين أحمد اليخشى . وذكر أن رسم المكتبة إليه الأسم و«السامى» بغير ياء . وتعريفه «أحمد بن سيف الدين اليخشى الحاكم» . وأستقر بعد وفاته ولده عيسى ، وورد كتابه في صفر سنة أربع وستين وسبعائة ، أخبر فيه بوفاته والده وأستقراره مكانه . على أنه قد ذكر معبراً عنه بصاحب الجزيرة ، وسماه بكلمش . وذكر أن المكتبة إليه الأسم و«السامى» بغير ياء .

الحاكم بِسِنْجَارٍ — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنّها مدينة من ديار ربيعة . قال في "التثقيف" : وكان قد كتب لشيخو الحاكم بها مرسوم شريف بأن يكون

نائباً بها حسب سؤاله في سنة ثلاث وستين وسبعائة . قال : وكانت المكتبة إليه
أولاً الأسم و « مجلس الأمير » وكتب له حينئذ « السامى » بغير ياء .

الحاكم بتلّ أعفر — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنها قلعة بين سنجار
والموصل . قال في « التثيف » : ورسم المكتبة إليه « السامى » بالياء . والعلامة له
الأسم وتعريفه « الحاكم بتلّ أعفر » .

الحاكم بالموصل — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنها قاعدة بلاد الجزيرة كلّها
في القديم حيث كانت بيد الجرامقة . قال في « التثيف » : والمكتبة إليه في قطع
العادة الأسم ، و « صدرت » و « السامى » . وتعريفه « الحاكم بالموصل » . ورأيت
في بعض الدساتير أن العلامة استقرت له « والده » عند استقراره نائب السلطنة بها .

الحاكم بالحديثة — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنها بلدة على الفرات . قال
في « التثيف » : ورسم المكتبة إليه الأسم و « السامى » بالياء . وتعريفه « الحاكم
بالحديثة » . وهى غير حديثة الموصل . وهى بلدة شرقى دجلة تعدّ في بلاد العراق .

الحاكم بعانة — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنها بلدة صغيرة على جزيرة
في وسط الفرات . قال في « التثيف » : ورسم المكتبة إليه الأسم و « السامى »
بالياء . وتعريفه « الحاكم بعانة » . ورأيت في بعض الدساتير أن المكتبة إليه
« السامى » بغير ياء .

الحاكم بتكريت — وفي « التثيف » صاحب تكريت . وقد تقدّم في المسالك
والممالك أنها مدينة من آخر مدن الجزيرة بين دجلة والفرات . قال في « التثيف » :
ورسم المكتبة إليه مثل الحاكم بالموصل ، فتكون في قطع العادة . والعلامة الأسم .
وتعريفه « الحاكم بتكريت » .

(١) في معجم ياقوت بفتح التاء والعلامة يكسرونها .

الحاكم بقلعة كُشَاف - وقد تقدّم في المسالك والممالك أنها في الجَنُوب عن المَوْصِل بين الرّابِّ والشَّطِّ، وأنه عدّها في "تقويم البُلدان" من بلاد الجزيرة مرّةً، ومن عراق العجم أُخرى. وأنه أوردّها في "التثقيف" بإثبات الألف واللام. قال في "التثقيف": ورسمُ المكتبة إليه مثلُ حاكمي عانة والحديثة، فتكون المكتبة إليه «السامى» بالياء. ورأيتُ في بعض الدساتير أن المكتبة إليه «السامى» بغير ياء. وتعريفه «الحاكم بقلعة كُشَاف».

الحاكم بإسْعَرْد - وهي سِعْرَتْ. قد تقدّم في المسالك والممالك أنها مدينةٌ من ديار ربيعة. قال في "التثقيف": ورسم المكتبة إليه «مجلس الأمير». وحينئذ فتكون في قطع العادة. والعلامة الأسم. وتعريفه «الحاكم بإسْعَرْد».

صاحب حَاني - ويقال لها حَنَا. وهي مدينةٌ من ديار بكر. وقد ذكر في "التثقيف" أن صاحبها تاج الدين. ورسمُ المكتبة إليه الأسم «والسامى» بغير ياء.

من جرت العادة بالمكتبة إليه

بالجانب المختصّ بنبي جنكرخان من بلاد الروم من مارية وما معها

أرتنا، الذي كان قائماً بهذه البلاد عن نبي هولاكو من التتر. ورسم المكتبة إليه في قطع الثلث: «ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، العونى، الرعىمى، المهمدى، المشيدى، الظهيرى، التوينى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصر الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدّم العساكر، كهف الملة، دُخر الدولة، ظهير الملوك والسلطين، سيف أمير المؤمنين». والدعاء والسلام. والعلامة «أخوه».

وذكر في "التثقيف" أنه كتب إلى ولده محمد بعده كذلك في قطع الورق والمكاتبة والعلامة . وأنه كتب إلى علي بك بن محمد المذكور بعده كذلك ، إلا في العلامة فانها استقرت له «والده» وكتب تعريفه : «علي بك ابن أرتنا» .

من جرت العادة بمكاتبته من الحكام ببلاد العراق

الحاكم بهيت — وعبر عنه في "التعريف" بصاحب هيت . وقد تقدم في المسالك والممالك أنها شمالي الفرات من أعمال بغداد . قال في "التثقيف" : ورسم المكاتبه إليه الأسم و «السامى» بالياء ؛ وتعريفه «الحاكم بهيت» .

الحاكم بالقنيطرة — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها بلدة بالقرب من مرسى الحلة . قال في "التثقيف" : والمكاتبه إليه «السامى» بالياء . والعلامة الأسم . وتعريفه «الحاكم بالقنيطرة» . ثم قال : وأحرما استقرت مكاتبته عليه «السامى» بغير ياء . وعبر عنه في موضع آخر «ابراهيم صاحب القنيطرة» . وذكر أن المكاتبه إليه الأسم و «السامى» . وأن تعريفه اسمه خاصة .

من جرت العادة بمكاتبته من الحكام ببلاد الجبل

«وهى عراق العجم»

الحاكم بإربيل — وعبر عنه في "التثقيف" بصاحب إربيل . قال في "التثقيف" : كان بها الشريف علاء الدين على الدلقندى ؛ ثم استقر بها الشريف يحيى ؛ ثم استقر بها على ولده . قال : والمستقر بها الآن على ماتحزور في سنة ثلاث وسبعين وسبعائة أسد الدين أسد . ورسم المكاتبه إليه الأسم و «السامى» بغير ياء . وتعريفه «الحاكم بإربيل» .

صاحب قاشان - وسمّاها في "التثقيف" قَيْشَان. ورسم المكتابة إليه «السامى»
بغير ياء .

صاحب باب الحديد - المعروفة عند الترك بِمَرَّ قَابُو . وهى باب الأبواب .
قال في "التثقيف": كان بها كأووس ، وكتب إليه جوابٌ في ثمانى عشر ربيع الأول
سنة اثنتين وستين وسبعائة أويس في قَطْع الثُلُث ، والدعاء والعالى . وتعريفه
أَسْمُهُ لَا غَيْرُ .

مَنْ جرت العادة بمكاتبته من الحُكَّام ، ببلاد فَارِسَ

الحاكم شيراز - وقد تقدّم في المسالك والممالك أنها قاعدة بلاد فارس . قال
في "التثقيف": والمستقرّ بها على ماتحرّر في سنة ثلاث وسبعين وسبعائة ، شاه شجاع ،
أخو شاه ولى . وذكر أنه لم يُكْتَب إليه في مدّة مباشرته من ديوان الإنشاء ،
ولا وقف على مكتبةٍ إليه . ثم قال : غير أنه يمكن أن تكون المكتبةُ إليه نظير
المكتبة إلى الأشرف تمرتاش المستولى على تيريز ، فإنه قال : إنّ شيراز قدر تيريز
ونظيرها . فعلى هذا يكون رسم المكتبة إليه في قَطْع الثلث : «ضاعف الله تعالى نعمته
الجناب العالى الأميرى ، الكبيرى» وبقية الألقاب والنوعوت . ويكون فيها «الثوينى»
كما في مكتبة المستولى على تيريز .

من جرت العادة بمكاتبته ببلاد كَرْمَانَ

صاحب هُرْمُز - قد تقدّم في المسالك والممالك أنّ قاعدة كَرْمَانَ القديمة السِّرْجَان
وأن هُرْمُز فُرْضة كَرْمَانَ ، وأنها حربها التتر عند نُجُوجهم على تلك البلاد بكثرة
الغارات ، وانتقل معظم أهلها إلى جزيرةٍ يبحيرة ببحر فارس على القُرب منها تسمى
وَزْرُونَ . وقد كُتِب إلى صاحبها عن سلطان العصر "الملك الناصر فرج" ابن الظاهر
(٢)

(١) كذا في الاصل ولعله زائد من قلم الناسخ (٢) هى بهذا الضبط فى الأصل ولم تذكر فى المعجم ولا فى التقيوم

(١)

برقوق في سنة ثلاث عشرة ومائاتة مفاحة في قطع

من جرت العادة بمكاتبته من بلاد أرمينية وأران وأذربيجان

النائب بخلاط من أرمينية — قد تقدم في المسالك والممالك أنها كانت قاعدة بلاد الكرج . قال في "التثقيف" : ويقال إن حاكمها من الأكراد ، وأسمه أبو بكر بن أحمد بن أربك . ثم قال : ورسم المكتبة إليه الأسم و «السامى» بالياء ؛ فيكون في قطع العادة . وتعريفه «النائب بخلاط» .

الحاكم بحصن أرزن — وهى أرزن الروم . قال في "التثقيف" : وهو — على ما أتضح آخراً في رمضان سنة ست وسبعين وسبعماية — علاء الدين على بن قرأ . وردت مكاتبته أن صاحب حصن كيفا ابن خاله . ورسم المكتبة إليه على ما في "التثقيف" مثل صاحب حصن كيفا من غير زيادة ولا نقص . على أنه في "التعريف" قد ذكر أن المكتبة إليه «السامى» بالياء . قال في "التثقيف" : والصحيح ما تقدم ، فإنى كتبت إليه بهذه المكتبة مرات ، وهو المتداول بين الموالى الجماعة إلى آخر وقت . وقد تقدم في المسالك والممالك أنها في آخر بلاد الروم من جهة الشرق .

صاحب بدليس — قد ذكر في "التعريف" أنه كان في زمانه الأمير شرف الدين أبو بكر . وقال : إنه يتهم بمذهب النصيرية . ثم قال : وبلده صغير ، ودخله يسير ، وعمله

ضيق . وهو طريقُ المازة وقصَادِ الأبواب السلطانية إلى الأردن وإذا لم يكن بالعراق وله خِدْمَة مشكوره . وعده في "التثقيف" في جملة الأكراد . قال في "التعريف" :
 ورسمُ المكتبة إليه : « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامي الأميري » أسوة
 الأمراء . وذكر في "التثقيف" أنه كان بها ضياءُ الدين أبو الفوارس الروشكي أخو
 الغرس بالوب، وأن المكتبة إليه الأسم و« السامي » بالياء . وتعريفه «صاحب بَدْلَيْس» .
 وأنه استقرَّ بعده ولده الرحاح ، وكتب بمثل ذلك سنة ثلاث وخمسين وسبعائة .
 صاحب موقان — وهي مَوْغانُ . وسمّاها في "التثقيف" ميوغان . قال
 في "التثقيف" : وكان بها محمد شاه بن أميرشاه ، وكتب إليه مستجداً في سنة سبع
 وستين وسبعائة « السامي » بغير ياء .

النائب بحرّت برت — وهي حصنُ زياد . ذكره في "التثقيف" من جملة تُرْكُمان
 البلاد الشرقية ، وذكر أن اسمه يومئذ باليس ، وأن رسم المكتبة إليه الأسم و« السامي »
 بالياء . وتعريفه اسمه ، ثم قال : وهكذا كان يكتب إلى صاحب حرّت برت قبله .
 ثم ذكر أنه رأى بخط القاضي شهاب الدين بن الصفدي أنه استقرَّ بها علاء الدين
 ابن خالد المليكنشي بعد حُسام الدين نحرْبَنْدَة ، وأن مكاتبته « السامي » بالياء .

الصنف الثالث

(من يكتب بهذه المملكة العربان ، وهم : عبادة وحقاجة)

وقد تقدّم في الكلام على أنساب العرب أن نسبهما في عامر بن صعصعة من
 قيس عيلان . وأجل من يكتب إليه منهم رسمه « هذه المكتبة إلى المجلس السامي
 الأمير » . على أن صاحب التثقيف قد ذكر أنه لم يطلع على مكتبة إليهم .

الصنف الرابع

(من يكتاب بهذه المملكة التُّركان)

قال في "التثقيف": والأكابرُ في البلاد الشرقية الذين يُكْتَب إليهم من هذه الطائفة مفردا قليلٌ . أما بقيتهم من تُركان الطاعة الشريفة، فقد يُكْتَب إليهم عند المهمات مُطلقاً شريفة، ثم ذكر جماعةً ممن يكتب إليه على أنفراده، ولم يعين لأحد منهم بلدا ولا رياسة قومٍ معروفين . وها أنا أذكرهم على ما ذكرهم : ليقاس عليهم لدى تحقق مقامهم .

منهم - مُراد خَواجَا . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بغير ياء . وتعريفه أسمه .

ومنهم - باكيش الكبير ابن أنحى تُوْزطوغان . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بغير ياء . وتعريفه أسمه .

ومنهم - زَيْنُ الْمَلِكِ تُوْزطوغان . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بغير ياء . وتعريفه «مُقَدِّمُ التُّركان بالبلاد الشرقية» .

ومنهم - على بن إينال التُّركانى من الطائفة البوزقية . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بغير ياء وتعريفه أسمه .

ومنهم - يعقوب بن علي شار . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بالياء . وتعريفه أسمه . قال في "التثقيف": وقد ذكر القاضى ناصر الدين بن النشائى أنه كتب إليه كذلك في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

ومنهم - سالمُ الدلكرى، ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بالياء، وتعريفه أسمه .

وأعلم أنه قد تقدّم في الكلام على تُرْجَانِ البلاد الشامية نقلاً عن "التتيف" أن من طوائف التُّرْجَانِ الذين هم تحت الطاعة مَنْ لم يُكْتَبْ إليه بعد؛ بل إذا كَتِبَ في مهمٍّ شريفٍ، كَتِبَ إلى كلِّ طائفة منهم أو إلى سائر الطوائف مطلقاً شريف . وعد منهم طوائف :

الأولى — البوزقية : جماعة ابن دلغادر وابن إينال المقدم ذكره .

الثانية — أولاد رمضان : الأمرية .

الثالثة — الأوشرية : تُرْجَانِ حَلَبَ .

الرابعة — الدلكرية : جماعة سالم الدلكري .

الخامسة — الخربندلية : جماعة مصطفي .

السادسة — الأغاجرية .

السابعة — الورسوق : تُرْجَانِ طَرَسُوسَ .

الثامنة — القنقية .

التاسعة — الباندرية : وهم القنقية^(١) .

العاشر — البكرية^(٢) : أولاد طشحون .

الحادية عشرة — البياضية .

ثم قال : وتمّ جماعٌ كثيرة لا يمكن آستيعابهم .

قلت : فإن كان من هذه الطوائف شيءٌ بهذه البلاد ، فحكه ماتقدّم في الكلام

على تُرْجَانِ البلاد الشامية .

(١) في الضوء ص ٣٢٧ وهم من القنقية .

(٢) في الضوء ص ٣٢٧ البلوية وأولاد طشحون .

الصفحة الخامسة

(ممن يكتب بهذه المملكة الأكراد)

وقد تقدم الكلام على طوائفهم ومنزلهم من بلاد الجبال من عراق العجم . قال في "التعريف" : وهم خلائق لا يُحصون ، ولولا أن سيف الفتنة بينهم يستحصد قائمهم ، ويُنبئهم ، وافاضوا على البلاد ، واستضافوا إليهم الطارف والتلاد ؛ ولكنهم رُموا بشتات الرأي وتفرق الكلمة ، لا يزال بينهم سيفٌ مسلول ، ودمٌ مطلول ، وعقد نظام محلول ، وطرفٌ باكية بالدماء مبلول . وهم على ضربين :

الضرب الأول

(المنسوب منهم إلى بلادٍ ومقراتٍ معروفة)

قال في "التعريف" : ولهم رأسان كلُّ منهما رجل جليل ، ولكلُّ منهما عدد غير قليل . أحدهما - صاحبُ جُولَمَرَك ، من جبال الأكراد من عراق العجم . قال في "التعريف" : وهو الكبير منهما الذي تتفق طوائف الأكراد مع اختلافها على تعظيمه ، والإشارة بأنه فيهم الملك المطاع والقائد المتبع . وهو صاحب مملكة متسعة ومدن وقلاع وحصون ، وله قبائل وعشائر وأنفار . قال : وهم ينسبون إلى عتبة ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . ثم قال : وكانت الإمرة قد آتته فيهم إلى أسد الدين موسى بن مجلي بن موسى بن منكلان . وكان رجلا كريما عظيما هابيا وهابا ، تُجَلُّه ملوك الممالك الجلييلة ، وتعظمه حكام الأردو وصاحب مصر . وإشارته مقبولة عند الجميع . وإذا اقتتل طائفتان من الأكراد فتقدم إليهما بالكف كفوا ، وسمعوا له سمع [مراع لاسمع^(١) مطيع . وذكر أن القائم

(١) الزيادة من التعريف ص ٣٨ .

فيهم إذ ذاك من بينه الملك عماد الدين مجليّ : وهو رجل يحب أهل العلم والفضل ،
ويجلّ منهم عنده من أتاه أعظم محل . وقد مضى القول على ذلك مستوفى في الكلام
على الأكراد عند ذكر عراق العجم من المسالك والممالك ، من المقالة الثانية . قال
في "التعريف" : ورسم المكتبة إليه «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی الأميری»
والألقاب التامة الكاملة .

الثاني — صاحب عقروش من بلاد الجزيرة . قال في "التعريف" : ومُلوكها
الآن من أولاد المبارزك . قال : وكان مبارز الدين كك هذا رجلا شجاعا كريما
تعلّب عليه [غرائب من] الهوس . فيدعى أنه وليّ من الأولياء يقبل النذور .
وكانت تُندّر له النذور تقرباً إليه ؛ فإذا أتاه النذرُ أضاف إليه مثله [من ماله] وتصدق
بهما جميعا . قال : وأهل هذا البيت يدعون عراقة الأصل في الإمرة وقدم السؤدد
والحشمة . ويقولون إنهم عُقدت لهم ألوية الإمارة وتساموا أزمة هذه البلاد
وتسّموا صهوات الصياصي بمناشير الخلفاء ؛ وأنهم كانوا لهم أهل وفاء . ولهم في هذا
حكايات كثيرة ، وأخبار مأثوره ؛ وهم أهل تنعم ورفاهية ونعمة ظاهره ، ويزة
فاحره ؛ وأدب من تحرفه ، ورياض موفوه ؛ وخيول مسومه ، وجوارح معلمه ؛ وخدم
وغلمان ، وجوارحسان ؛ ومعازف وقيان ، وسماط ممدود وخوان . قال : وموقع
بلادهم من أطراف بلادنا قريب ، والمدعو منهم من الرحبة وماجاورها يكاد يجيب .
ثم قال : ومُلوكنا تشكر لهم إخلاص نصيبه ، وصفاء سريره صحيحه . وذكر أن
القائم فيهم في زمانه شجاع الدين ابن الأمير نجم الدين خضر بن المبارزك ، إلا أنه

(١) الزيادة من التعريف ص ٣٨ .

(٢) في التعريف زيادة (بما تنفق عليه لا اعتقادا فيه فيسر بذلك) .

(٣) في التعريف ص ٣٩ زيادة (وأهل عشرة واخوان) .

لم يبلغ مبلغ أبيه، بل لأيقار به ولا يُدانيه؛ على أنه قد ملك مُلكه، ونظّم سلّكه .
 وقد تقدّم الكلام على ذلك أيضا في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية .
 ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في "التعريف" مثل صاحب جُولَمَرَك، وهى :
 «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الأميرى» . وذكر فى "التثقيف" أن المكاتبه
 كانت إلى خَضِرِ بْنِ الْمُبَارِزِ كُ «صدرت» و «العالى» . والعلامة «أخوه» .
 وتعريفه «خَضِرِ بْنِ الْمُبَارِزِ كُ» . مع عدم تعريجه على ما فى "التعريف" جملة .
 وقد ذكر فى "التثقيف" منهم جماعة سِوَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ بالجزيرة، كالحاكم
 بجزيرة ابن عمر، والحاكم بجانى، وصاحب عقرشوش . ولم يذكر بلاد من ذكره
 منهم ممن يأتى ذكره منهم ومن كان بكل بلد منهم من أكابره وحكامهم ؛ ورسم
 المكاتبه إليهم على ما ذكره ، وهم قسمان :

القسم الأول — من علمت المكاتبه إليه، وهم :

صاحب برخو — وهو يومئذ أمير حسين بن الملك أسد . ورسم المكاتبه إليه
 الأسم و «السامى» بالياء .

صاحب الباهتية — قال : وكان بها شمس الدين بن البيلىق ، ثم استقر بعده أخوه
 أحمد . ورسم المكاتبه إليه الأسم و «السامى» بالياء أيضا .

صاحب الدرْبَنْدَه — وهو سيف الدين أصبر بن أزشير الحسينانى . ورسم المكاتبه
 إليه الأسم و «السامى» بغير ياء . وتعريفه «أمير أزشير الحسينانى صاحب الدرْبَنْدَه» .

صاحب كَرَمَلِيس — وهو سحج مسعود . ورسم المكاتبه إليه الأسم و «السامى»
 بغير ياء .

(١) فى التعريف ولا أظنه يقاربه الخ .

(٢) لعله وهو المعروف بخت مسعود .

صاحب العِمَادِيَّة — عمادُ الدين إسماعيلُ بن عليّ بن موسى . ورسمُ المكتبةِ إليه «السامى» بغير ياء . وتعريفه «صاحب قلعة العِمَادِيَّة» . وقد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك أنهم بالقرب من طائفة الجولمركية . قال في «التتقيف» وكان بها أولادُ الحاجّي بن عمر، وردت مطالعته كذلك «الحاجّي بن عمر صاحب العِمَادِيَّة» في سنة أربعين وسبعمائة .

صاحب ماز كرد — حسنُ بن إسماعيل . ورسمُ المكتبةِ إليه الأسمُ و «السامى» بغير ياء .

صاحب رندشت — بيجال همّدان وشهرزور . وهو عبدُ الله بن حسام الدين رسلان . ورسمُ المكتبةِ إليه الأسمُ و «السامى» بغير ياء .

صاحب جردقيل — بهاءُ الدين عمرُ بن إبراهيم الهكّارى . ورسمُ المكتبةِ إليه الأسمُ و «السامى» بغير ياء .

صاحب سكراك — كرجى بك . ورسمُ المكتبةِ إليه «مجلس الأمير» . والعلامة الأسم .

صاحب فلس — سلطان شاه . ورسمُ المكتبةِ إليه «مجلس الأمير» . والعلامة الأسم .^(١)

صاحب شكوش — أمير أحمد . ورسمُ المكتبةِ إليه «مجلس الأمير» . والعلامة الأسم .

صاحب جرموك — «مجلس الأمير» . والعلامة الأسم الشريف .

(١) كذا بهذا الرسم في الأصل ولم نعر عليها كما لم نعر على كثير غيرها من هذه الاسماء ويظهر أنها أسماء مدن حدثت أو تغيرت .

صاحب بهرمان - عبد الصمد . ورسمُ المكتبة إليه « مجلسُ الأمير » .
والعلامةُ الأسم .

صاحب حصن أَران - وهو حصن الملك - شجاع الدين خضر بن عيسى
الشهرى . ورسمُ المكتبة إليه « مجلسُ الأمير » والعلامةُ الأسم .

القسم الثاني - من ذكره في التثقيف ولم يذكر مكاتبته وقال : إنه وقف عليه
كذلك ، وهم :

صاحب خُفتيان - تاجُ الدين أخو باشاك .

صاحب سُوبج - أمير عيسى بن باشاك .

صاحب أكريسنا - ملك بن باشاك .

صاحب يزا كرد - بهاء الدين الزرزارى .

صاحب زاب - نغر الدين عثمان الزابى .

صاحب الرنسه - شمسُ الدين بن بهاء الدين .^(١)

صاحب الدرَبندات القَرابلية - على بن كراقى ، تعريفه « صاحب درَبند القَرابلى » .

صاحب قلعة الجبلين - حُسامُ الدين بن تاج الدين العالمى .

صاحب سيدكان - أمير على بن حسام الدين الزرزارى .

صاحب هرور - بهاء الدين حسن بن عماد الدين .

صاحب رمادان - أمير عبد الله الكركانى .

صاحب الشعبانىة - حُسامُ الدين أمير مرى السينى .

(١) كذا في الأصل بغير نقط .

- صاحب نمرية - بهاء الدين .
- صاحب سياح - سنقر^{مه} .
- صاحب المحمدية - الشيخ محمد .
- صاحب كركيك - .

الضرب الثاني

(من لم يُصَرِّح له بمكان)

وقد ذكر في "التثقيف" منهم جماعة ممن كان في الزمن المتقدم، وصرح بذكر المكتبة إليهم، فذكر منهم أبو بكر بن المبارز كك الاسم و «إلسامى» بغير ياء، وتعريفه اسمه .

• مبارز الدين عبد العزيز أخوه مثله .

• على وعمر ولدا ابن روى^(١) خليل بن روى^(١). ورسم المكتبة إلى كل منهما الأسم و «إلسامى» بغير ياء .

• خالد المليكشى كذلك .

• أولاده : محمود وأحمد «مجلس الأمير» .

• بهاء الدين بن الغرس بألو - الأسم و «إلسامى» بغير ياء .

• عبد الله الشهرى - الأسم و «إلسامى» بغير ياء .

• شجاع الدين خضر بن عيسى الشهرى أخو عبد الله الشهرى - الأسم و «إلسامى»

بغير ياء .

(١) كذا بالاهمال ولم نعر عليه بعد البحث .

مبارز بن عيسى بن حسن السلاري - الأسم و « السامى » بغير ياء . قال
فى « التثقيف » : ومكاتبته مستجدة فى العشر الأول من شعبان سنة ثلاث وستين
وسبعائة .

خضر بن محمد الهكاري - الأسم و « السامى » بغير ياء . قال : وهو مستجد المكتبة
أيضا فى العشر الآخر من صفر سنة تسع وستين وسبعائة .

قلت : فإن اتفق المكتبة إلى أحد من هؤلاء المجهولى الكتابة أو غيرهم من
الأكراد كتب له على قدر مقداره بالنسبة إلى من علمت المكتبة إليه .

قال فى « التعريف » هنا : ومما ينبه عليه أن فى طرق المارين ، ومسالك
المسافرين ، من بلادنا إلى نحرسان ومنها إلينا يظهر فى بعض الأحيان أهل فساد
يعمدون إلى عميد يقدمونه عليهم فيقطعون السبل ، ويخيفون الطرق ، وتطير سمعة
عميدهم ، وتنتشر فى قريتهم وبعيدهم ؛ فيكتب ذلك العميد من أبواب الملوك ،
ويضطر إليه لفتح الطريق بالسلوك ، ويكون من غير بيت الإمرة ، وربما هوى نجه ،
فانقطع بانقطاع عمره اسمه ، مثل الجموك الخارج بطريق نحرسان ، والغرس بالو
الخارج فيما يقارب بلاد شهر زور ، ومثل الخارجين على دربند القرايلى . قال :
وهؤلاء وأمثالهم يطلعون طلوع الكآة لأصل ممتد ، ولا فرع مشتد ؛ فهؤلاء لا يعرف
لأحد منهم رتبة محفوظة ، ولا قانون فى رسم المكتبة معروف ؛ وإنما الشأن
فما يكتب إلى هؤلاء بحسب الإحتياج وقدر ما يعرف لهم من اشتداد الساعد ، وعدد
المساعد . قال : ولقد كتبنا إلى كل من الجموك والغرس بالو ، بالسامى بالياء ،
وجّهت إليهما الخلع وأخفا بالتحف .

الصنف السادس

(من يكتب بمملكة إيران أرباب الأعلام)

ذكر في "التثقيف" أنه كتبت إلى مجد الدين أخى الوزير غياث الدين: «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى، الصاحي، الأجل، الكبرى، العالمى، الكافى، الماجدى، الزينى، الأميرى، الأوحدي، المعظمى، الذخرى، المجاهدى». قال في "التثقيف": هذا ما وجدته بخط القاضي ناصر الدين بن النشائي؛ ولم يذكر تعريفه ولا العلامة إليه. وكتب إلى علاء الدين صاحب الديوان مثله. والعلامة إليه «أخوه». قال في "التثقيف": هكذا وجدته في خط ابن النشائي ولم يذكر تعريفه.

الوزير شمس الدين — قال في "التثقيف": نقلت من خط القاضي شهاب الدين ابن الخضر أن مكاتبه في قطع العادة الأسم و «السامى الأميرى الشريفى الحسينى النسبى». وبقية الألقاب. ولم يكتب له «الصاحي» ولا «الوزيرى». قال: ولم يذكر شيئاً غير هذا. ثم قال: ولا أعلم لمن وُزّر المذكور، ولا من أى بلاد الشرق.

ضياء الدين صاحب الديوان — المكاتبه إليه حسب ما نقله في "التثقيف" عن خط ابن الخضر أيضا الأسم و «السامى الأمير الأجل». وذكر أنه كتبت إليه على يد سراج الدين قاضى قيسارية. قال في "التثقيف": وعلى هذا أن ضياء الدين هذا من أهل المملكة الرومية.

مُعِين الدين صاحب الديوان — مثله.

الصنف السابع

(من يكتب بمملكة إيران أكابر المشايخ والصلحاء)

قد ذكر في "التثقيف" من كُتِبَ من مشايخ هذه البلاد ثلاثة مشايخ . فنحن نذكرهم لِيُقَاسَ عليهم ، ولِكَلَّا يَهْمَلَ شَيْءٌ مما أورده في التثقيف .

الأول — شمس الدين الطوطى . قال في "التثقيف" : وهو فيما أُظُنُّ من كان يُكْتَبُ إليه قديما ، ولم يُكْتَبْ إليه بعد ذلك . قال : ورسمُ المكتابة إليه حسب ما نقلته من خط القاضي ناصر الدين بن النَّشَائِي : «صدرت هذه المكتابة إلى المجلس السامى الشيخى ، الأجلّى ، العالمى ، العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الزاهدى ، الورعى ، العابدى ، الخاشعى ، الناسكى ، القدوى ، الأوحدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، صدر الأنام ، بقية السلف الكرام ، نجر العلماء ، أوجد الكبراء ، زين الزهاد ، عماد العبادة ، قدوة المتورعين ، دُحْرِ الدُّول ، ركن الملوك والسلاطين» . والدعاء «وتصف لعلمه المبارك» . والعلامة الأسم . قال في "التثقيف" : هذا صورة ما وجدته من غير زيادة . ولم يذكر تعريفه ولا محله من البلاد . قال : وقد كُتِبَ في نعوته : «ركن الملوك والسلاطين» . وهو غريب لأنه خلاف ما جرت به العادة .

الثانى — الشيخ غياث الكججى تبريز . ورسم المكتابة إليه فيما ذكره المشار إليه : «أعاد الله تعالى من بركة المجلس السامى الشيخى» . وبقية الألقاب «الغياثى» وتكملة النعوت بما يناسب . والعلامة الأسم ، وتعريفه «محمد الكججاني» .

الثالث — الشيخ حسن بن عبد القادر الجيلانى . وكان من المناصحين الذين يُكْتَبُ إليهم قديما . قال في "التثقيف" : ورسمُ المكتابة إليه الأسم و«السامى» بالياء . ثم قال : ومن ألقابه : «الشيخ العالم العامل القدوة المرشد فلان الدين» .

قلت : هذا دُھول منه، وإلا فمقتضى هذه الألقاب المجردة عن الياء أن تكون الكتابةُ إليه «السامى» بغير ياء .

الصنف الثامن

(من يكاتب بمملكة إيران النساء)

وقد ذكر في "التتيف" المكتبة إلى أربع منهن^(١) :

الأولى — دلّ شاد زوج الشيخ حسن الكبير . كُتِبَ إليها في قطع العادة : «أدام الله تعالى صونَ الجهة المحجّبة، المصونة، العُصمية، الخاتونية، المعظمية، سيّدة الخواتين، زينة نساء العالمين، جميلة المحجّبات، جليّة المصونات، قرينة نويّن الملوك والسلاطين» . والدعاء، والعلامة «أخوها» . وتعريفها «الخاتون المعظمة دل شاد» .

الثانية — كامش والدة بولاد مثلها ، غير أنّ العلامة الأسم ، وتعريفها أسمها المذكور .

الثالثة — زوجة أملكان ابن الشيخ حسن الكبير على ما استقرّ عليه الحال عند ما كتب جوابها على يد رسولها في ذى القعدة سنة أربعين وسبعائة مثل دلشاد، والعلامة «والدها» . وتعريفها سلطان نختى .

المهيّع الثانى

من المكتبة إلى الملوك

(مملكة تُوران ، وهى مملكة الخاقانية)

قد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية نقلاً عن المقرّ الشهبانى ابن فضل الله في كتابه "التعريف" أنّ هذه المملكة من نهر بلخ إلى مطلع الشمس

(١) لم يذكر الرابعة في الأصل .

على سَمْتِ الوَسَطِ ؛ فَمَا أَخَذَ عَنْهَا جَنُوبًا كَانَ بِلَادَ السَّنَدِ ، ثُمَّ الْهِنْدِ ؛ وَمَا أَخَذَ عَنْهَا
شَمَالًا كَانَ بِلَادَ الْخَفْجَاجِ وَهِيَ طَائِفَةُ الْقَبْجَاقِ ، وَبِلَادَ الصَّقَلَبِ ، وَالْجَهَارِكْسِ ،
وَالرُّوسِ ، وَالْمَاجَارِ ، وَمَا جَاوَرَهُمْ مِنْ طَوَائِفِ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ سُكَّانَ الشَّمَالِ .
فَيَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ مَمَالِكُ كَثِيرَةٌ وَبِلَادٌ وَاسِعَةٌ ، وَأَعْمَالٌ شَاسِعَةٌ ، وَأُمَمٌ مُخْتَلِفَةٌ
لَا تَكَادُ تُحْصَى ؛ تَشْتَمِلُ عَلَى بِلَادِ غَزْنَةَ ، وَالْبَامِيَانَ ، وَالغُورِ ، وَخُوَارِزْمَ ، وَدَشْتِ
الْقَبْجَاقِ ؛ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ : نَحْوَ بَجَارَا ، وَسَمَرْقَنْدِ ، وَالصُّغْدِ ، وَالخُوجَنْدِ . وَبِلَادِ
تُرْكْمَنِستانَ ، وَأَشْرُوسَنَةَ ، وَقَرْغَانَةَ . وَبِلَادِ صَاعُونَ ، وَطِرَازَ ، وَصَرِيوْمَ . وَبِلَادِ الْخِطَا
نَحْوَ بَشَالِقِ وَالْمَالِقِ إِلَى قَرَأُقُومَ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ وَصِيْنِ الصِّينِ ؛
فَإِنَّهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ بِيَدِ فَرَاسِيَابَ ، بِنِ شَنْكِ ، بِنِ رُسْتَمَ ، بِنِ تُرْكِ ، بِنِ كُومَرِ ،
أَبْنِ يَافِثَ ، بِنِ نُوحِ عَلَيْهِ السَّلَامِ . وَهُوَ مَلِكُ التُّرْكِ فِي زَمَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
عَلَى خِلَافِ فِي نَسَبِهِ سَبَقَ هُنَاكَ . وَأَنَّهَا الْآنَ بِيَدِ بَنِي جَنْكِرْخَانَ مِنْ وَلَدِ طُوجِي خَانَ
أَبْنِ جَنْكِرْخَانَ .

ثم هذه المملكة بيد ثلاثة ملوك عظام من بني جنكرخان .

الأول — صاحبُ خُوَارِزْمِ وَدَشْتِ الْقَبْجَاقِ . وَتُعْرَفُ فِي الْقَدِيمِ بِمَمْلَكَةِ
صَاحِبِ السَّرِيرِ ، ثُمَّ عُرِفَتْ فِي الدَّوْلَةِ الْجَنْكِرْخَانِيَّةِ بِنَيْتِ بَرَكَةَ ، نَسْبَةً إِلَى بَرَكَةَ
أَبْنِ طُوجِي خَانَ بِنِ جَنْكِرْخَانَ . وَقَاعِدَتُهَا مَدِينَةُ السَّرَايِ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَلَى نَهْرِ إِتِيلَ ،
بَنَاهَا بَرَكَةُ بِنِ طُوجِي خَانَ الْمَقْدَّمِ ذَكَرَهُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ مُسْتَوْفٍ فِي الْكَلَامِ
عَلَى الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ .

ثم فيها جملتان :

(١) هي مدينة الصراي بالصاد المهملة المتقدمة في ج ٤ ص ٤٥٧ .

الجملة الأولى

(في رسم المكاتبة إلى قائمها القائم بها)

قال في "التعريف": وكان صاحبها في الأيام الناصرية، (يعني محمد بن قلاوون) «أزبك خان». وقد خطب إليه السلطان فزوجه بنتا تقرباً إليه. قال: وما زال بين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا قديم اتحاد، وصديق ووداد؛ من أول أيام الظاهر بيبرس وإلى آخر وقت. ثم قال: والملك الآن فيهم [في أولاد أزبك]: إمامتي بك، وإماماني بك، وأظنّها في تني بك. وقد تقدم أن الملك بعد أزبك كان جاني بك لا تني بك، على خلاف ما ظنه في التعريف.

ورسم المكاتبة إلى قائمها الجامع لحدودها قال في "التعريف": والأغلب أن يكتب إليه بالمغلى. وذلك مما كان يتولاه إيتمش المحمدي، وطايربغا الناصري، وإرغدلق الترمجمان. ثم صار يتولاه قوصون الساقى. ورأيت في بعض الدساتير نقلا عن القاضي علاء الدين بن فضل الله أنه كتب له مسودة على أن تكتب له بالعربي ثم بطل وكتب بالمغلى. قال: فإن كتب له بالعربي، فرسم المكاتبة إليه ما يكتب إلى صاحب إيران.

وقد تقدم نقلا عن "التعريف" أنه يكتب في قطع البغدادي الكامل، يبدأ فيه بعد البسملة وسطر من الخطبة المكتوبة بالذهب المزمك - بألقاب سلطاننا على عادة الطغراوات؛ ثم تكمل الخطبة، ويفتح بعبدية إلى أن تساق الألقاب، وهي: «الخصرة الشريفة، العالية، السلطانية، الأعظمية، الشاهنشاهية، الأوحديّة، الأخوية، القانية. ولا يخلط فيها «الملكية» هوانها عليهم. ثم يدعى له بالأدعية المعظمة المفخمة الملوكية: من إعزاز السلطان، ونصر الأعوان، وخلود

الأيام، ورفع الأعلام، وتأييد الجنود، وتكثير البنود، وما يجري هذا المجرى .
ثم يؤتى بذكر دوام الوداد والشوق؛ ثم يذكر القصد؛ ثم يختم بدعاء جليل وتستعرض
المراسيم ويوصف التطلع إليها والتهاوت عليها .

قال في "التتيف": "وكان يُكتب إلى أربك في الأيام الناصرية «محمد بن قلاوون»
في ورق عرض البغداديّ الكامل . وبعد بالبسملة الشريفة سطران هكذا :

بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى

وَمِيَامِنِ الْمَلَّةِ الْمَحْمَدِيَّةِ

ثم يخلى موضع بيت العلامة؛ ثم تكتب الألقاب السلطانية، وهي: «السلطان
الأعظم» وبقية الألقاب الشريفة على العادة حسب ما يأتي ذكره . ثم بعد الحمدلة
وخطبة مختصرة جداً: «فقد صدرت هذه [المكتبة] إلى الحضرة الشريفة العالية،
حضرة السلطان الكبير، الأخ، الشفيق، العالم، العادل، القان الأعظم، الأوحدي،
شاهنشا، الملك، أربك إل خان؛ سلطان الإسلام والمسلمين، أوحدي الملوك
والسلطين، عمدة الملوك، سلطان المغل والقبجاق والترک، جمال ملوك الزمان، ركن
بيت جنكرخان، معز طغاج، صاحب التخت والتاج، عضد المتقين، دُخر المؤمنين .
والدعاء بما يناسبه . «فإننا نخصه بالسلام وأستعلام أخباره ونفاوض علمه الشريف» .
قال : والكتابة بالذهب والأسود حسب ما تقدم في المكتبة إلى أبي سعيد، وكذا
العنوان . ثم قال : ولم يكتب أحد بعده بنظير ذلك . وكان قد ورد على الأبواب
الشريفة في سنة ست وخمسين وسبعائة كتاب جاني بك ابن أربك، وكتب إليه
الجواب الشريف بنظير الكتاب الوارد من عنده، وهو في ورق دون البغداديّ
بثلاث أصابع مطبوقه، والافتتاح بخطبة مناسبة مكتوبة بالذهب جميعها، ثم أما بعد

بالأسود خلا ما تقدم ذكره في مكتبة أبي سعيد. والعنوان بالذهب. والذي كُتب إليه من الألقاب: «الحضرة الشريفة، العالمة، السلطانية، الأعظمية، العالمية، العادلةة، الأكليّة، القانية، الأخوية، العزيزية، الملكيّة، الشريفة زيدت عظمتها». قال: ولما كان في العشر الآخر من ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعائة، رسم لي بالكتابة إلى القان محمد بيلاد أزبك، وهو القائم مقام أزبك على ما قيل، على يد رُسل الأبواب الشريفة، بالسلام والمودة وأستعلام الأخبار ونحو ذلك فكتبْتُ إليه في عَرْض البغدائيّ الكامل حسب ما رسم به، بخطبة مختصرة بالذهب، والبقية بالأسود والذهب على ما تقدم ذكره في مكتبة القان أبي سعيد. وكُتب له من الألقاب بعد المراجعة: «المقام العالی، السلطانيّ، الكبيرى، الملكى، الأكرمى، الأعدلى، الشمسى، شمس الدنيا والدين، مؤيد الغزاة والمجاهدين، قاتل الكفرة والمشركين، وليّ أمير المؤمنين خُلدت سلطنته». والعنوان بالذهب بغير تعريف. وعلم له في بيت العلامة الشريفة بالمغرة العراقية «المُشتاق شعبان». وهذه نسخة ما كتب إليه بعد البسملة الشريفة.

الحمد لله الذى وهبنا ملكا دانت له ملوك الأقطار، وأزدانت الأسيرة والتيجان بما له من عظمة وفخار؛ وأذعنت العظاء لعزة سلطانه الذى شمل الأولياء وقصم الأعداء بیره الجابر وقهره الجبار؛ وقاد الجيوش إلى أن فتح الله على يديه الشريقتين معاقل الكفار، بأمره الجارى على الرقاب وعسكره الحرار؛ ومنحه خدمة الحرمين الشريفين اللذين لم يزل لهما منه الانتصاب وبهما له الانتصار. نحمده على أن جعل مملكتنا الشريفة هى محلّ الإمامة العباسية فلا مجود ولا إنكار، ومرتبنا المنيفة بما عهد به إلينا أمير المؤمنين إلى قيام الساعة عليّة المقدار؛ ونشكره على أن أورثنا ملك أسلافنا الشهداء فأقرّ العيون وسرّ الاسرار، وجعل السلطنة المعظمة فى بيتنا المكرّم تنقل

تَثَقُلُ الْبُدُورُ فِي بُرُوجِهَا إِلَّا أَنهَا آمَنَةٌ مِنَ السَّرَارِ . ونشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل قائلين بُنْصَرْتَهَا ، قانتين بالإخلاص في كلمتها . لُنَعَدَّ بِذَلِكَ مِنَ الْأَبْرَارِ ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيدُ بملائكته ، المخصوصُ بنبوته ورسالاته ، الذي عَظَّمَ اللهُ قَدْرَهُ عَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ كما جاءت النصوصُ والأخبارُ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَولىَ الْفَضْلِ الدَّائِمِ ، صلاةً دائمةً باقيةً بدوام الليل والنهار ، وسَلَّمَ .

أما بعد ، فإنَّ قلوبَ الأولياءِ وإن تَنَاءَتِ الْأَجْسَامُ متعارفةً بِالْإِتِّلَافِ ، متقاربةً عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ حيثُ لَاتَا كُرْبَيْنَهَا وَلَا آخْتِلَافَ ، لاسيماً ملوكُ الإسلامِ ، الذين هم مِتَّحِدُونَ بِالْمَصَافَاةِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ؛ فإن سرائرهم لم تزل متدانيةً ، وضمايرهم مُتَكَافِيَةٌ فِيهِ ؛ هذا والمحبةُ لبيته الكريمِ قديمه ، والمودةُ بين الأسلافِ لم تزل مستديمه ؛ فلم نكنْ وَرِثْنَا ذَلِكَ عَنْ كَلَالِهِ ، بل تَبِعْنَا فِيهِ سَبِيلَ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَلَى أَحْسَنِ حَالِهِ : لما هو مُحْكَمٌ مِنْ عَقُودِ الْإِتِّحَادِ وَالْوَلَاةِ ، حيثُ المحبةُ فِي الْآبَاءِ صَلَةٌ فِي الْأَبْنَاءِ ؛ وكان لنا مَدَّةٌ مَدِيدَةٌ وَقَدْ تَأَخَّرَتْ رَسُلُنَا عَنْ حَضْرَتِهِ وَلَمْ تَصْدُرْ مِنْ جَهْتِنَا الشَّرِيفَةِ ، كذلك ولا وردت رسل من جهته ؛ ولم يَشْفَعْنَا عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مَوَاقِعَةُ الْفَرَجِ الْمَخْذُولِينَ أَعْدَاءَ الدِّينِ ، وَمَقَارِعَتُهُمْ فِي سَائِرِ السَّوَاخِلِ بِشِدَّةِ الْبَأْسِ وَالتَّمَكُّينِ ؛ إِلَى أَنْ أَمَكَّنَ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ مِنْ نَوَاصِيهِمْ وَصِيَاصِيهِمْ بِنَصْرِ مِنْ عِنْدِهِ ، كما قال تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وَالآنَ قَدْ صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَقَامِ الْعَالِيِ السَّلْطَانِيِّ - وَبَقِيَةُ الْأَلْقَابِ وَالنُّعُوتِ إِلَى آخِرِهَا حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ - تُحْضُ مَقَامَهُ بِسَلَامٍ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ ، وَالْأَطْفَافِ مِنْ أَجَاءِ مِنَ النَّسِيمِ ؛ وَثَنَاءٍ قَدْ أَرَى نَشْرَهُ بِالْعَبِيرِ ، وَسَرَى بِشْرَهُ فَغَدَّتْ تَهَلُّلٌ بِهِ الْأَسَارِيرُ . وَتُبْدَى لِعَلَمِ الْمَقَامِ الْعَالِيِ زَيْدَتْ مَعْدِلَتُهُ أَنَّهُ لِمَا يَبْلُغْنَا مِنْ عَدْلِ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَإِنْصَافِهِ لِلرَّعَايَا وَتَأْمِينِ سُبُلِ الْجَوْرِ الْمُحْيِفَةِ ؛ وَسُلُوكِهِ سَنَنِ الْإِحْسَانِ ،

وتؤكد عقود المحبة على عادة من سلف في سالف الزمان ؛ قصدنا مفاصلنا بهذه المكتبة ، و اردنا بدآته بهذه المخاطبة ؛ ليعلم ما نحن عليه من صحیح الوداد ، وأكد الاتحاد ؛ وجميل الاعتقاد ، وحسن الموالاة الخالصة من شوائب الانتقاد ؛ وجهنا بها رسلنا فلان وفلان ومن معهما نستدعي وده ، ونستدني ولآءه الذي أحكم عقده ؛ لتؤكد المصافاة بين هاتين الدولتين ، والمخالصة من كلنا الجهتين ، والموالاة بين المملكتين ؛ ويأمر المقام العالی لازال عالیا بتردد التجار من تلكم الديار ، والمواصله بالأخبار على حسب الاختيار ؛ ومتابعة الرسل والقصاص ، على أجل وجه معتاد .

وقد وجهنا إلى المقام العالی أعلى الله شأنه صحبة رسلنا المذكورين من الأقمشة السكندرية وغيرها على سبيل الهدية ، والمواهب السنية ؛ ما تضمته الورقة المحبزة طيبها ؛ فليأمر المقام العالی دامت معدلته بتسليم ذلك ، ويدين فور المحبة من سلطاننا المالك ؛ وتؤكد أسباب المودة على أجل المسالك ، والله تعالى يجعل بقاء سلطانته ملك الممالك ؛ ويديم عدله المبسوط على الأولياء ويرمي بأسه الأعداء في مهاوى المهالك ، ويخلد ملكه الذي تفتخر بالملك من مقامه العالی السرر والأرائك ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وأعلم أن صاحب "التثيف" قد ذكر أن المكتوب إليه بهذه المكتبة هو القائم مقام أربك ، وأن اسمه محمد ، وأن المكتبة إليه كانت في سنة ست وسبعين وسبعائة . وقد تقدم ذكر من ولي هذه الملكة بعد أربك ولم يكن فيهم من اسمه محمد . وقد كان القائم بهذه الملكة في سنة ست وسبعين المذكورة اسمه "أرض" وهو الذي أتت الملكة من أيبك خان المقدم ذكره ؛ وأصله من خوارزم على ما مر ذكره في الكلام على المسالك والممالك ، فيحتمل أن يكون اسمه محمد وأرض لقب

عليه ، كما كان خَدَابْنَدَا والدُ أَبِي سَعِيدٍ من ملوك إيران ، أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، ولقبه خَدَابْنَدَا .
والأمر في ذلك راجع إلى النقل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قلت : وقد كُتِبَ في الدولة الناصرية "فوج" بن الظاهر برقوق ، للقان القائم بها في سنة أَمْتَقَى عشرةً وثمانمائةً في قَطْعِ البغدادىّ الكاملِ من الورقِ المِصرىّ المعمولِ على هيئةِ البغدادىّ ، أبتدئُ فيه بعد خمسةِ أوصالٍ بياضٍ بالبسملةِ في أعلى الوصلِ السادس ، بياضٍ من جانبيها عرضُ إصبعين من كل جهة ، والسطر الثاني على ستمته في آخرِ الوصلِ ، بخلو بياض من الجانبين بقدرِ السطرِ الأولِ ، والطغرةُ بينهما بالقباب سلطاننا على العادة ، مكتوبةٌ بالذهبِ بالقلمِ المحقَّقِ مزَمَكٍ بالسواد ، بأعلى الطغرةِ قدرُ عرضِ ثلاثةِ أصابعٍ بياضًا ، ومثل ذلك من أسفلها ، وباقي السطورِ بهامش من الجانبِ الأيمنِ على العادة ، وبين كلِّ سطرين قدرُ نصفِ ذراعٍ بذراعِ القماشِ القاهريّ ، والأسماءُ المعظمةُ : من أَسْمِ الله تعالى ورسولهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وأَسْمِ سلطاننا والسلطانِ المكتوبِ إليه ، والضميرِ العائدِ على واحدٍ منهما بالذهبِ المزَمَكِ كما تقدم تقريره في الكلامِ على مكتبةِ صاحبِ إيرانِ في القديم .

وهذه نسخة مما أنشأته ، كتبتُ بإشارةِ المقرِّ العالى الفتحىّ : صاحبِ ديوانِ الإنشاءِ الشريفِ وهى :

الحمد لله مؤيد سلطاننا «الناصر» بعزیز نصره ، ورافع قدر مقامنا الشريف بإعلاء مناره وإعظام ذكره ، ومُشيد أركان ملكنا الشاىخ بإسعاد جدّه العالى والله غالبٌ على أمره . نحمده على ماجنب من مواقع الحرج ، وجعل أمور رعايانا بمعدلتنا الشريفة بعد الضيق إلى فرج ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً يتوارثها عظماء الملوك كابرًا عن كابر ، ويتناقلها منهم الخلف بعد السلف فيُسندها الناصر عن

الظاهر ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي جمع بمعموم دعوته مفترق الأمم ، ووفق بحجيفي ملته بين أقبال العرب وأساور العجم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آخى بينهم فسن المؤاخاه ، ونق من نغل الضغائن صدورهم ففازوا بأكل المصافاة وأتم الموافاة ؛ صلاة تسير بفضلها الركائب ، وتزعم بذكرها الحداة فعم نفتحها المشارق والمغارب ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن الأرواح إذا تمازجت تاجت بالضمائر ، والقلوب إذا تآلفت اعتتت بشواهد الحال عن إبراز مافي السرائر ؛ والأجساد إذا تباعدت تعلت بالمكاتبات في بلوغ الأوطار ، والديار إذا تئأت آكتفت بالمراسلة عن تقارب الدار ؛ والمودة إذا صفت لا يؤثر فيها البعاد ، والمحبة إذا صدقت لا تزال كل يوم في أزيداد ؛ (والأذن تعشق قبل العين أحياناً) ، والوصف يحرك من الشوق أعصاناً وأفناناً .

هذا وإن أحق ما اتخذته الملوك ذريعة لدواعي الإبتهاج ، وأهم ما هم به متختت بتخت أو متوج بتاج ؛ إحياء مدهاب الملوك السالفة في الوداد ، واقتفاء آثارهم الجميلة في موارد المكاتبات على التئائي والبعاد ؛ ومن ثم صدرت هذه المكاتبه إلى المقام العالی ، السلطاني ، الكبيرى ، الأخوى ، الفلاني ؛ ركن الملة الإسلاميه ، عماد المملكة الحنكرانيه ؛ ذخيره الدين ، خليل أمير المؤمنين - زیدت عظمته ، ودامت معدتته - تحضه بسلام تهب به الجنوب فتؤثر به في الشمال القبول ، وتحض به إلى السراي سراها ليكون لها بيت بركة أشرف قدم وأكرم وصول ؛ وتمتد على خوارزم والدشت فضل رواقه المديد ؛ وتنشر على مملكة السريرواءه فيعم ما بين جيحون وطرنا ويشمل ما بين الخطا والباب الحديد . وتناجى علمه الشريف بأنه غير خاف عن شريف مقامه

(١) لعله طنا . أو طرلو .

(٢) هو بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر كما تقدم ضبطه كذلك في ج ٤ ص ٨٣ .

أَنْ مَنْ سَلَفَ مِنْ مُلُوكِ مَمْلَكَتِنَا الْعَالِيَةِ الذَّرِي، وَالْمَمْلَكَةِ الْقَانِيَةِ الْمَرْفُوعَةِ الذَّكْرَ رَفَعَ نَارِ
 الْقِرَى؛ لَمْ تَزَلْ مُلُوكُهُمْ مَجْتَمِعَةً مَعَ تَنَائِي الدِّيَارِ، مُؤْتَلِفَةً عَلَى الْحُبَّةِ وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارِ،
 مَحَافِظِينَ عَلَى تَسَابُعِ الرُّسُلِ وَإِنْ حَالَ دُونَهُمُ الصَّفَاحُ، مَشَارِيرِينَ عَلَى تَوَارِدِ الْكُتُبِ
 وَلَوْ عَلَى أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ وَمُتُونَ الرِّيَّاحِ؛ وَقَدْ مَضَتْ مَدَّةٌ مَدِيدَةٌ لَمْ يَقْدَمْ عَلَيْنَا مِنْ
 الْمَقَامِ الشَّرِيفِ - عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَهُ - رَسُولٌ يُطْفِئُ لَوَاعِجَ الْإِشْتِيَاقِ، وَلَا وَرَدَ عَنْهُ
 كِتَابٌ يَتَعَلَّلُ بِالْحُبِّ بِتَلْقِيهِ عَنْ حَقِيقَةِ التَّلَاقِ؛ بَلْ سُدَّ بَابَ الْمَكَاتِبَةِ حَتَّى كَأَنَّ الْمَكَاتِبَةَ
 لَمْ تُخْلَقْ، وَأُغْلِقَ بَابَ الْمِرَاسَلَةِ وَإِنْ كَانَ بَابُ الْحُبَّةِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَمْ يُغْلَقْ؛ فَطَمَحَ
 بِخَاطِرِنَا الشَّرِيفِ طَامِحَ الشُّوقِ الْمُتَرَايِدِ، وَحَمَلْنَا مَوْصُولَ الْحُبَّةِ الْمُسْتَعْنِي بِمَوَاصِلَتِهِ عَنْ
 الصَّلَةِ وَالْعَائِدِ؛ أَنْ نَفْتَحَ الْمَقَامَ الْعَالِيَّ دَامَتْ مَعِدَلَتُهُ بِهَذِهِ الْمُقَاوِضَةِ: لِنُجَدِّدَ مِنْ
 الْعُهُودِ الْقَدِيمَةِ رُسُومَهَا، وَتُطْلِعَ مِنْ مَشَارِقِ الْمَخَاطَبَةِ نُجُومَهَا؛ وَتَسْخِخَ آيَةَ الْمَجْرَانِ
 وَتَحْمُوهَا، وَتَصْقِلَ مِرَاةَ الْمُصَافَاةِ وَتَجْلُوهَا؛ وَتَسْتَجَلِبَ الْأُنْسَ وَإِنْ صَحَّ الْمِيثَاقُ،
 وَتَذَكَّرَ الْخَوَاطِرَ الْوِدَادِ وَإِنْ ثَبَّتَ مِنْهُ الْأَصُولَ وَرَسَخَتِ الْأَعْرَاقُ؛ وَتَتَوَبَّعَ عَنْ
 نَظَرِنَا الشَّرِيفِ فِي مُشَاهَدَةِ مَحِيَّاهِ الْكَرِيمِ، وَمُصَاحَفَةِ كَفِّهِ الَّتِي حَدِيثٌ وَدَهَّا قَدِيمٌ؛
 وَتَسْتَطْلِعَ أَخْبَارَهُ، وَتَسْتَعْرِضَ عَلَى تَعَاقِبِ الْأَزْمَانِ أَوْطَارَهُ.

وقد آخترنا لتبليغ رسالتها، وأداء أمانتها، المجلس السامى المقرب الأمين خواجا
 فلان أعزه الله تعالى، وحملناه من السلام ما يهتدى بصوته السارى، ويفوق بعرفه
 العنبر الشحرى والمسك الدارى: ليحكم بحسن السفارة من الخالصة مبانيتها،
 ويعقد منها بمتابعة الرسل والقصاص أواخيها، وجهزنا صحبته كذا وكذا على سبيل
 الهدية المندوب بذها وقبولها، والحاكم بصحة عقد الحبة كثيرها وقليلها، والله تعالى
 يزيد في ارتفاع قدره الخطير، ويحوط به من ملكه الجنكرخانى ما يحقق أنه
 صاحب التاج والسريير.

الجملة الثالثة

(في رسم المكاتبة إلى من أنطوت عليه هذه المملكة من الأتباع والحكام؛
وهم على^(١) أصناف)

الصنف الأول

(كفّال المملكة)

قد تقدم أن ترتيب هذه المملكة في أمراء الألوس والوزير نحو مملكة إيران،
وإن لم يكن لأمير الألوس والوزير بهذه المملكة من نفاذ الأمر نظير ما هنالك .
ومقتضى ذلك أن يكونا منحطين في الرتبة عن أمراء الألوس بـإيران والوزير بها؛
وهذه الرسوم التي وقعت في مكاتباتهم على ما أورده في "التثقيف" .

وأمرء الألوس أربعة، أكبرهم يسمّى بكلارى بك بمعنى أمير الأمراء كما تقدم
في مملكة إيران . فقد ذكر في "التثقيف" أنه كان منهم في سنة اثنتين وثمانين
وسبعائة قطلوبغا إيناق ، وأنه كتب إليه في عاشر جمادى الآخرة منها ما صورته :
«ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى، الأميرى، الكبرى، العالمى، العادلى،
المؤيدى، العونى، الرعى، المهدي، المشيدى، الظهري، التويى، السيفى،
عز الإسلام والمسامين، سيف الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم
الجوش، مقدم العساكر، كهف الملّه، ذخر الدوله، ظهير الملوك والسلاطين،
سيف أمير المؤمنين» . ثم الدعاء والعلامة «أخوه» وتعرفه «قطلوبغا إيناق نائب
القان جاني بك» .

(١) بياض في الأصل ومع ذلك لم يذكر الاصفين .

ثم ذكر أنَّ الأمر كان عند القان محمدٍ بمثابة الأمير يلغا العمري، يعنى الخاصكى
بالأبواب السلطانية بالديار المصرية، وأنه أستحدثت المكتبةُ إليه في سنة ثلاثٍ
وسبعين وسبعائة، وأنه كتب إليه في قطع الثلث ما صورته :

«أدام الله تعالى نعمة الجناح العالى، الأميرى، الكيبرى، العالمى، المجاهدى،
المؤيدى، الذخرى، النصيرى، الهمامى، المقدمى، التوينى، السيفى، عز الإسلام
والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر،
ذخر الدولة، عضد الملوك والسلاطين، حسام أمير المؤمنين». والدعاء المناسب .
والعلامة «والده». وتعريفه «مماى». وفى هذا نظر : لأنه إذا كان بمثابة ما كان
عليه يلغا بالديار المصرية، فمقتضاه أن يكون أكبر أمرائه . وإذا كان كذلك،
فكيف يكتب إليه دون أمراء الألوُس؟ فقد تقدم أنه يكتب إليهم : « ضاعف
الله تعالى نعمة الجناح العالى» .

الوزير بهذه المملكة . قد ذكر فى "التتيف" أن الوزير بها كان اسمه
محمودا، ولقبه حسام الدين، وكان يعرف بمحمود الديوان . و ذكر أن رسم المكتبة
إليه فى قطع الثلث ما صورته :

«أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى، الأميرى، الكيبرى، الذخرى، الأوحدي،
الاكلى، المتصرفى، العوفى، الوزيرى، الحسامى، مجد الإسلام والمسلمين،
شرف الأمراء والوزراء فى العالمين، جمال المتصرفين، أوحد الأولياء المقربين، ذخر
الدولة، مشير الملوك والسلاطين . ثم الدعاء، والعلامة «والده». وتعريفه «خوآجا
محمود وزير المملكة القانية» .

قلت : وقد علمت أنّ المكتبة إلى أمراء الألوُس والوزير بهذه المملكة دُونَ
المكتبة إلى أمراء الألوُس والوزير بمملكة إيران ، فقد تقدم أن المكتبة إلى
بكلارى بك أكبر أمراء الألوُس بمملكة إيران : « أعزَّ الله تعالى نصرَ المقرِّ الكريم » .
وإلى الثلاثة الذين دُونه : « أدام الله تعالى نصرَ الجنب الكريم » ، ثم استقرَّ « أعزَّ
الله تعالى أنصارَ الجنب الكريم » . وأن المكتبة إلى الوزير : « ضاعفَ الله تعالى
نعمةَ المجلس العالى » . والمعنى فى ذلك ما تقدم من أنه ليس لِأمراءِ الألوُس والوزيرِ
بهذه المملكة من التصرف بالأمراءِ الألوُس والوزيرِ من التصرف بتلك المملكة .

فجاء على بك هذه المملكة . قال فى "التثيف" : وهو من أسَّحَدَتِ المكتبة
إليه فى سنة خمس وستين وسبعائة .

ورسم المكتبة إليه فيما ذكره فى "التثيف" الأسم و« السامى » بالياء وتعريفه
أسمه .

الصنف الثانى

(الحُكَّامُ بالبِلادِ بهذه المملكة)

وها أنا أذكُرُّ من ذكر المكتبة إليه منهم فى "التثيف" .

الحاكم بالقرم : وهو إقليمٌ شماليٌّ بحرِ نييطش . وقاعدته مدينة صُلغات ، وهى
مدينة على نصفِ يومٍ من البحر ، وقد غلبَ عليها أسمُ القرم . وقد ذكر فى "التثيف"
أن الحاكم بها فى سنةٍ خمسين وسبعائة كان أسمه زين الدين رَمضان ؛ ثم استقرَّ بعده
على بك ابن عيسى بن تلكتمر . وقد رأيت فى بعض التواريخ أن الحاكم بها
فى حدود سنة ستِّ وسبعين وسبعائة كان مامأى المقدم ذكره . وقد ذكر

في "التثقيف" أن رسم المكتبة إلى الحاكم بها في قطع العادة، والعلامة «أخوه» و«صدرت» و«العالى». والذي رأيتُه في دُسْتُورِ يُعْزَى في الأصل للقطر العَلَّائِي بن فضل الله أنه يكتَبُ إليه في قطع الثُلث وأن المكتبةَ إليه «السامى» بالياء . وتعريفه «الحاكم بالقرم» .

الحاكم بأوزاق : وهى مدينةٌ على بحر مانيطش المقدم ذكره فى الكلام على المسالك والممالك . وهو المعروف الآن ببحر الأزق ، وهى عن القرم فى جهة الجنوب والشرق ، وبينهما نحو خمس عشرة مرحلة . قال فى "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إلى الحاكم بها مثل الحاكم بالقرم على السواء . والذي رأيتُه فى الدستور المقدم ذكره أنه فى قطع الثلث «السامى» بالياء كما فى الحاكم بالقرم .

الثانى

(من ملوك توران من بنى جنكوزخان صاحب ماوراء النهر)

وقاعدة ملكه فى القديم بخارا ، والآن سمرقند . ومن مضافاتها غزنة وما والاها من متاخم الهند . وقد تقدم الكلام عليها مستوفى فى الكلام على المسالك والممالك . وقد ذكر فى "التعريف" أن أنحرما أستقرت لترماشيرين ، وكان حسن الإسلام عادل السيرة ، طاهر الذليل ، مؤثرا للخير ، محبا لأهله ، مكرما لمن يرد عليه من العلماء والصالحاء ، وطوائف الفقهاء والفقراء .

قال : وكتب إليه على رسم المكتبة إلى صاحب إيران . وقد تقدم فى الكلام على المكتبة إلى صاحب إيران نقلا عن "التعريف" أنه يكتَبُ إليه فى قطع

البَغْدَادِيّ الكَامِل ، يَتَبَدَأُ فِيهِ بَعْدَ البِسْمَلَةِ وَسَطْرَ مِنْ الخُطْبَةِ الغَرَاءِ المَكْتُوبَةِ
بِالذَّهَبِ المَزْمَكِ بِالقَابِ سُلْطَانِنَا عَلَيَّ عَادَةَ الطُّغْرَاوَاتِ ؛ ثُمَّ تَكْمَلُ الخُطْبَةُ وَيُفْتَحُ
بِبعْدِيَةِ إِلَى أَنْ تُسَاقَ الألقَابُ ، وَهِيَ : « الحَضْرَةُ العَالِيَةُ ، السُلْطَانِيَّةُ ، الأَعْظَمِيَّةُ ،
الشَاهِنشَاهِيَّةُ ، الأَوْحَدِيَّةُ ، الأَخْوِيَّةُ ، القَانِيَّةُ ، الفَلَانِيَّةُ » . وَلَا يَخْطُبُ بِهَا « المَلِكِيَّةُ »
لَهُوَئِنَّمَا عَلَيْهِمْ ؛ ثُمَّ يُدْعَى لَهُ بِالأَدْعِيَةِ المَفْخَمَةِ المَلُوكِيَّةِ : مِنْ إِعْرَازِ السُّلْطَانِ ، وَنَصْرِ
الأَعْوَانِ ، وَخُلُودِ الأَيَّامِ ، وَنَشْرِ الأَعْلَامِ ، وَتَأْيِيدِ الجُنُودِ ، وَتَكثِيرِ البُنُودِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِمَّا يَجْرِي هَذَا المَجْرَى . ثُمَّ يُقَالُ مَا فِيهِ التَّصْرِيحُ وَالتَّلْوِيحُ بِدَوَامِ الوِدَادِ ، وَصِفَاءِ
الأَعْتِقَادِ ، وَوَصْفِ الأَشْوَاقِ ، وَكَثْرَةِ الأَتْوَاقِ ، وَمَا هُوَ مِنْ هَذِهِ النِّسْبَةِ ؛ ثُمَّ يُؤْتَى عَلَى
المَقَاصِدِ ، وَيُنْتَهَمُ بِدَعَاءِ جَلِيلٍ وَتَسْتَعْرِضُ المَرَاسِيمَ وَالحِدْمَ ، وَيُوصَفُ التَّطَلُّعُ إِلَيْهَا ،
وَيُظْهِرُ التَّهَافُتُ عَلَيْهَا ؛ وَأَنَّهُ تَكْتَبُ جَمِيعَ خُطْبَةِ الكِتَابِ وَطُغْرَاهُ بِالذَّهَبِ المَزْمَكِ ،
وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا وَقَعَ فِي أَثْنَائِهِ مِنْ أَسْمِ جَلِيلٍ ، وَكُلِّ ذِي شَأْنٍ نَبِيلٍ : مِنْ أَسْمِ اللَّهِ تَعَالَى
أَوْلَادِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَوْ ذَكَرِ الإِسْلَامَ ، أَوْ ذَكَرَ سُلْطَانِنَا أَوْ السُّلْطَانَ المَكْتُوبِ
إِلَيْهِ ، أَوْ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِمَا ، مِثْلَ لَنَا وَلَكُمْ ، وَكِتَابُنَا وَكِتَابِكُمْ ، جَمِيعُ ذَلِكَ يَكْتَبُ
بِالذَّهَبِ وَمَا سِوَاهُ بِالسَّوَادِ . وَأَنَّ العُنْوَانَ يَكُونُ بِالألقَابِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى اللِّقْبِ
الْخَاصِّ ؛ ثُمَّ يُدْعَى لَهُ بِدَعْوَةٍ أَوْ اثْنَتَيْنِ نَحْوَ أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانِنَا ، وَأَعْلَى شَأْنِنَا ؛
وَنَحْوِ ذَلِكَ . ثُمَّ يُسَمَّى أَسْمُ السُّلْطَانَ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ « يُقَالُ » خَانَ : مِثْلَ أَنْ
يُقَالُ : تَرَمَاشِيرِينَ خَانَ ، وَيُطَمَّعُ بِالذَّهَبِ طَمَعَاتٍ عَلَيْهَا ألقَابُ سُلْطَانِنَا تَكُونُ عَلَى
الأَوْصَالِ ، يَبْدَأُ بِالطَّمَعَةِ عَلَى الِيمِينِ فِي أَوَّلِ وَصْلِ ، وَعَلَى الِيسَارِ فِي ثَانِي وَصْلِ ، ثُمَّ عَلَى
هَذَا النَّمطِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ فِي الآخِرِ إِلَى الِيمِينِ ؛ وَلَا يُطَمَّعُ عَلَى الطَّرَةِ البِيضَاءِ . وَالكِتَابُ
يُخْلِجُ لِمَوَاضِعِ الطَّمَعَةِ مَوَاضِعَ الكِتَابَةِ تَارَةً يَمَنَةً ، وَتَارَةً يَسْرَةً ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا سَبَقَ
الْقَوْلُ عَلَيْهِ .

قلت : وآخر ما أستقرت هذه المملكة لثُمَّرلنك ، وُثِرَ اسمه الذي هو عَلِمَ عليه ، ومعناه بالتركية حديد . ولأنك لُقِبَ عليه ، ومعناه بالفارسية أَعْرَج : لأنه كان به عرجٌ ظاهرٌ ، ولذلك تسميه التُّركُ ثُمَّرَ أَقْصَق ، إذ أَقْصَقُ عندهم بمعنى أَعْرَج . وهو يتسمى في كُتُبِهِ تيموركور كان . ومن هذه المملكةِ أَنَسَابُ عليّ بلادِ إيرانَ حتَّى استولى عليّ جميعها ، وسار إلى بلاد الهند فاستولى عليها ، ثم طاح إلى الشام في سنة ستٍّ وثمانمائة وعاثَ فسادًا ، وَخَرَّبَ وَأَفْسَدَ ولقيه السلطانُ « الملك الناصر » فرَجَّ ابن الظاهر برقوق صاحب مصر والشام على دِمَشْقَ ، ووجرت بينهما مراسلةٌ ؛ ثم طرأ للسلطان الملك الناصر ما أوجب عَوْدَهُ إلى مصر لِأَمْرِ عَرَضَ لَهُ من جهةِ بعضِ أمرائه ، وبقِيَ لثُمَّرلنك نازلًا بالشام محاصرًا لدِمَشْقَ ، إلى أن خَدَعَ أهلها وفتحها صُلْحًا ، ثم غَدَرَ بهم ونهبها وسبَّ حريمها ، ثم حَرَّقَهَا بعد ذلك بعد أن أسرف في القتل وأثخن في الجراح ، وأمعن في الأسر .

وللكاتبه إليه حالتان :

الحالة الأولى - حين كان السلطانُ الملك الناصر فرج - عزَّ نصره - بالشام محاربا له ، وكتبه حينئذ تَرِدُ في القطع الصغير على ماسياتي ذكره ، وكان يكتب إليه حينئذ في قطع^(١)

(١) بيض المؤلف لبقية الكلام ، وأستدرك بعضهم له بقية وأثبتها في النسخة الخطية بخط مغاير لخط الأصل وعنونها هكذا "مما فات المؤلف" .

مما فات المؤلف رحمه الله تعالى

ما كتبت عن مولانا الشهيد الملك الظاهر أبي سعيد برقوق، تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه، في جواب الأمير تمرلنك المدعو تيمور، عن الكتب الواردة منه قبل ذلك - من إنشاء المرحوم المقر البدرى محمد، ابن المرحوم المقر العلأى على ابن المرحوم المقر المحيوى يحيى، بن فضل الله العمري العدوى القرشي رحمهم الله تعالى - في سنة ست وتسعين وسبعمائة، عند سفر مولانا السلطان المشار إليه إلى حلب المحروسة الملتقى المذكور، في قطع الثلث بغير علامة؛ وسعة ما بين السطور قدر عرض الإصبعين. والطرزة وصلان، طولها نحو الذراع الهاشمي، وكان عنوان كتاب تمرلنك الذي ورد آخرًا وهو الذي اقتضى الحركة الشريفة والجواب المشار إليه :

سلام وإهداء السلام من البعد * دليل على حسن المودة والعهد

فكتب العنوان الشريف :

طويل حياة المرء كاليوم في العد * فخيرته أن لا يزيد عن الحد!

فلا بد من نقص لكل زيادة * لأن شديداً البطش يقتص للعبد!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليّ الشان، العظيم السلطان؛ العميم الإحسان، العليم بما كان وما يكون في كل زمان ومكان؛ تاهت في ميادين فلوات معرفته سوابق جياذ الأفهام، وتدكدكت لهيبة جلّاله جبال العقول والأوهام؛ وصلى الله على سيدنا محمد حبيب الرحمن، وسيد الأكوان، وصاحب المعجزات والبرهان، المبعوث إلى الخلق أجمعين من الإنس والجنات؛ والمنعوت بالفضل العميم، والخلق العظيم، في التوراة والإنجيل والزبور

والفرقان؛ وعلى آله وصحبه الغرِّ الكرامِ الحسان؛ وعلى التابعين لهم بإحسان؛ وسلم تسليماً كثيراً ما تعاقب الحدّان .

وبعد، فقد وصل إلى أبوابنا الشريفةِ العاليةِ كُلَّ ما جهزته أولاً وأخيراً يا أمير تيمور من كتاب، وأحاطت علومنا الشريفة بما فيها من كلامٍ وخطابٍ؛ وقصيدةٍ وعتابٍ، وإرعادٍ وإرغابٍ وإرغابٍ .

فأما ما ذكرته في أول كُتُبِك من ألقابنا الشريفة بالتعظيم، والتبجيل والتفخيم؛ فقد علمناه وعرفناه، ولكن وجدنا الكلمتين اللتين في الطمغات آخر الكُتُب وهما رأستي رِستِي منافيتين لذلك التعظيم، وهذا غير مستقيم؛ لأنه متناقض غير متناسب، فعجبنا من هذا التناقض الواضح، والتخالف الفاضح؛ وفي المثل السائر: « أصلح وقابل وأفسد وقابل » .

وأما إرسالك السيف والتركاش لنا، فقد تعجبنا منه إلى الغاية، وأنكرناه إلى النهاية: لأنك لم ترزل في كُتُبِك كلها تستشهد بتاريخ جنكرخان وأخباره وأحواله، وتقتدى به في أقواله وأفعاله؛ وما سمعنا في النوارخ ولا اتفق قط من جنكرخان، ولا ممن تقدّمه وتأخّره من ملوك مملكته في زمنٍ من الأزمان؛ أنه أهدى إلى خادم الحرمين الشريفين سيفاً ولا تركاشاً؛ ما اختلف في ذلك آثنان . فإرسالها منك إلينا هل هو من باب المحبة أولاً، وإن كان تخويفاً، فنحن ما نخاف من سيفك وتركاشك بعناية الله العظيم الأعلى .

السيف والرمح والنشاب قد علمت * منّا الحروب فسَلها فهى تُنبيكا!

إذا التقينا تجد هذا مُشاهدة * في الحرب، فأنبت فأمر الله آتيكا!

بخدمه الحرمين الله شرفنا * فضلاً وملكتنا الأمصار تمليكاً!

وبالجميل وحلوا النصر عودنا، * خذ التواريخ وأقرأها تليكا!
والأنبياء لنا الركن الشديد فكم * يجاههم من عدو راح مفلوكا!
ومن يكن ربه الفتاح ناصره، * ممن يخاف؟ وهذا القول يكفينا!

وقد أجبناك عن السيف والتركاش فيما مضى قبل هذا الوقت وتقدم، فاعرف ذلك وأعلم .

وأما ما ذكرته من قولك : إنك فتحت معنا باب المحبة والوداد ، والصحبة والأئحاد ، لا باب المخاصمة والمشاركة والعناد ؛ فقد علمنا ذلك وفهمناه . والذي نعرفك به أن الذي وقع منك بخلاف ما قلت : لأنك لو كنت صادقا في قولك ، كنت لما حضر إليك شكر أحمد وأرغون السلامي اللذان هما من بعض ممالينا ومن جملة رعائنا أمسكتهما وجهزتهما إلينا بعد أن قيدتهما ؛ فما فعلت ذلك بل عملت بالضد منه لأنك أويتهما ، وحميتهما وعظمتهما وأكرمتهما ؛ وجعلتهما من خواصك وأحبائك ، وأولياك وأصحابك . وأيضا توجه إليك صولة بن حيار الذي هو قطعة هجان من هجاننا فأكرمته ، وألبسته التاج وعظمته ؛ وبعثت معه خلعة إلى نعيم المذكور وإلى غيره من عربانه ، ووعده بالتقدمة والإمارة ، بالتصريح العظيم لا بالتلويح والإشارة ؛ وكتبت إليه كتابا ما تركت فيه ولا خليت ، وأظهرت كل ما كان عندك وما أبقيت ؛ فجهزه إلينا وقري على مسامعنا الشريفة كلمة كلمه ، وعرفنا واضح معناه ومبهمه ؛ وها نحن نشرحه لك لتعلم وتتحقق أنه وصل إلينا ، وأطلعنا عليه وما خفي أمره علينا . وهذا نصه :

(١) هذا الضبط من الأصل و رسم فيه تحتها حاء صغيرة إشارة إلى الإهمال ولكن الذي سبق في الأجزاء المتقدمة جبار بالجم والباء تبعاً للأصل والضوء والتعريف فحرف .

دام دولته

الأمير الكبير، المعظم أمير نعيّر، أدام [الله] دولته شمساً. نُعرض لعلو علومه المحروسة أنه قد اتصل بنا طردك عن الشام، ومعاملتهم معك غير الواجب. حال وقوفك على هذا المثال تُسرّع في الوصول إلينا بحيث نُعطيك ما أعطى المرحوم عمك أمير سليمان طاب ثراه، ونجعلك مقدّم العساكر المنصورة؛ وبهذا برز الحكم المطاع من الحضرة العالسة؛ ففي عزم العساكر والجيوش المعظمة الوصول إلى أطراف البلاد شرقاً وغرباً وروميّاً من سائر النواحي والأمصار، والبلاد والأقطار؛ وإن أبطأ ركابك عن الوصول، فنحن واصلون إليكم في طريقنا إلى مصر وغيره، ولا يبقى لطاعتك مزية ولا منة، فيكون ذلك على الخاطر المبارك. فينبغي أن لا يكون جواب الكتاب، إلا قدوم الركاب؛ ففيه لكم الفوائد العظيمة، والعطايا الجسيمة؛ ومع ذلك [إصابة الرأي منكم، تُغني عن تأكيد الوصية إليكم؛ ومهما عُرِض من المهام يقضى حسب المراد، ومنهج السداد؛ والله الموفق .

وبحاشية الكتاب المذكور ما نصّه :

وقد كتبنا إلى السلطان أحمد أن يصل إلينا، فانظر كيف كان عاقبة أمره؟ فينبغي أن تتوجه أو يتوجه بعض أولادك إلينا لأجل مصالحك كافة .

فيا أمير تيمور لو كنت صادقاً، وكلامك بالحق ناطقاً، ما وقع منك مثل هذا ولا صدر، ولا اتفق بل ولا ببالك خطر؛ ولكن كل ما يكون في خاطر الإنسان يظهر من الكلام الذي يخرج من فيه، وكل وعاء ما يوضح إلا بما فيه .

يافاعلاً بالضد من قوله * فعل الفتي دال على باطنه،

والمرء مجزئ بأعماله * إذ أظهرت ما كان في كامنه!

وأما طلبك منا السلطان أحمد الحلايري غير مرة، فقد علمناه. ولكن عرفنا يا أمير
تيمور إيش عمل بك؟ حتى حلفت له عدة مرار بأيمان الله تعالى العظيمة وأعطيته
العهود والمواثيق بأنك ما نتعرض إليه ولا إلى مملكته ولا توافيه ولا تشوش عليه،
حتى آطمأن بأيمانك، وركن إليك، وأحسن ظنه فيك، ووثق بك، واعتمد عليك،
ثقتَه وغدرتَه، وأتيته بغتة على حين غفلة وبدرته؛ وأخذت مملكته وبلاده،
وأمواله وأولاده. وأعظم من ذلك أنك أخذت أيضا حريمه وهن في عقد نكاحه
وعصمته وأعطيتهن لغيره، وقد نطق الكتاب والسنة بتحريم ذلك وعظم ذنب فاعله
وقبيح جرمه؛ ففي أي مذهب من المذاهب يحل لك أخذ حريم المسلمين، وإعطاؤهن
لغير أزواجهن من المُفسدين الظالمين؟ وهن في عصمة أزواجهن وعقد نكاحهن
إن هذا لهُو البلاء المبين؛ وكيف تدعى أنك مسلم وتفعل هذه الفِعال؟ عرفنا
في أي مذهب لك هذا حلال؟ فأعمالك هذه كلها منافية لدعواك، بل منافية
لدين الإسلام، وشرع سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. قال الله تعالى:
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ وقد بين لنا الخير والشر،
والحلال والحرام وأهلها فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً
وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ
إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ آتَبَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَادُون ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ

حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ“ . وقال عليه السلام: ”الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ
وَلِسَانِهِ“ . ففي أىّ مذهب من دين الإسلام تَسْتَحِلُّ هذه الحَرَمَات العظيمة ،
والمُنْكَرَاتِ القَبِيحَةِ الشَّيْئَةِ الجَسِيمَةِ ، التي يَهْتَرُّ لها العَرْشُ وَيَغْضَبُ اللهُ عزَّ وجلَّ
لها ورُسُلُهُ والملائكَةُ والنَّاسُ أجمعون ؟ وما كفى ما فعلت مع القان أحمد المشار
إليه حتَّى تطلبه منا ؟ . اعلم أنَّ القان أحمد المشار إليه قد آسْتَجَارَ بنا وقصَدنا ، وصار
ضَيْفَنَا ، وقد ورد : مَنْ قَصَدَنَا وَجَبَ حَقُّهُ عَلَيْنَا . وقال تعالى لسيد الخلق
أجمعين في حقِّ الكفار الذين هم أنْحَسُ النَّاسِ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ ﴾ فكيف بالمسلمين إذا آسْتَجَارُوا بالمسلمين ؟
وكيف بالملوك أبناء ملوك المسلمين ، الذين لأسلافهم الكرام معنا ومع ملوك الإسلام
خُدَّامِ الحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ مُحَبَّةٌ وَمُحَبَّةٌ وَأَخَوَةٌ في الله تعالى ؟ ولو لم يكن ذلك كيف
يجوز في شرع المُرُوءَةِ والنَّخْوَةِ والوَفَاءِ أَنْ نُسَلِّمَ ضَيْفَنَا وَنَزِيلَنَا والمستَجِيرَ بنا ؟ خصوصاً
وَجِنْسُنَا بِحَرَكْسِ جِنْسِ ملوك الإسلام السالفين ، خُدَّامِ الحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ الذين
اتَّفَقَ لهم مع النَّتَارِ ما تَشْهَدُ به التواريخ ، ومن عادتنا وشأننا وطَبَاعِ جِنْسُنَا أَنَّا لَأُنْسَلِّمُ
ضَيْفَنَا وَلَا نَزِيلَنَا وَلَا مِنْ آسْتَجَارَ بنا لِأَحَدٍ . وإن كنت ما تُصَدِّقُ ذلك فَعِنْدَكَ مَنْ هُمْ
من جنسنا ، سَلِّمُهُمْ يَعْرِفُوكَ ، فنحن لا يُضَامُ لنا نَزِيلٌ ، وَتَقْرَى الضَّيْفَ وَنَعَامُهُ
بالجميل ، وهذه جِبِلَّتُنَا الغَرِيزِيَّةُ وعادةُ أَصْلِنَا الأَصِيلِ ؛ فإرسأ القان أحمد إليك
أمرٌ مستَحِيلٌ .

إِنَّا ذُوو الفَضْلِ الغَزِيرِ الوَارِفِ * أبوابنا هي ملجأ للخائف!

تَقْرَى الضُّيُوفَ وَلَا يُضَامُ نَزِيلُنَا ، * شِيمٌ وَرَثْنَا فَضْلَهَا عن سَالِفِ!

وَكَلِمَةٌ تَكْفِي الذي هو عَاقِلٌ ، * والرَّمْزُ تصریحاً غداً للعارف!

وقولك : إن العادة كانت جارية بين من سلف من ملوك الإسلام وملوك التتار ، أنه من هرب من جهة إلى أخرى يُمسكه الملك الذي يهرب إليه ويقيده ويجهزه إلى الملك الذي هرب من عنده ، وأن دمر داش بن جوبان لما هرب في الزمن الماضي من ملكه وبعاء إلى سلطان مملكتنا المعظمة المشرفة ، أمسكه وقيده وأرسله إليه ، فقد علمناه ، وليس هذا الذي قلته وحكيته بصحيح ، لأن الذي وقع وأتفق بخلافه : وهو أن أميراً من أمراء السلطان الملك الناصر كان يسمى قرأسنقر ، هرب من عنده وراح إلى أبي سعيد فقطع رأسه ، وجهزه إلى الملك الناصر . وأما دمر داش المذكور فالملك الناصر ما أرسله إلى أبي سعيد مثل ما قلت وما مات دمر داش المذكور إلا في مصر المحروسة ، فليكن ذلك في علمك ثابتاً ، وعلى كل حال فكلأكم حجة عليك لا لك : لأنك قد آويت شكر أحمد وأرغون السلمي وأكرمتها وقرتتها ، وكذلك كل من حضر إليك من ممالئنا ورعايانا وخدمنا من أهل مملكتنا ، فلو أمسكتهم وقيدتهم وجهزتهم إلينا ، كنت تكون صادقاً في قولك ، وكنت إذا طلبت منا أحداً متألام على طلبه ، فكيف وأنت البادي والمعتدى ؟ فهذا الكلام كله شاهدٌ عليك لا لك .

وأما قولك : إن صاحب تكريت كان حرامياً قاطع طريق ، ففعلت معه ما فعلت مقابلة له على نجسه وحرامه وقطعه الطرقات ، فقد علمناه وسأنا لك هذا الأمر ، بيض الله وجهك ، وما قصرت فيه ، فبذا ما عملت ، ونعم ما فعلت في حقه من إعطائه جزاءه . أفأهل بغداد كانوا حرامياً قاطع طريق حتى فعلت بهم ما فعلت ، وقتلت منهم من التجار خاصة ثمانمائة نفس في المصادرة بالعقوبة والعذاب . ففي أي مذهب يجوز هذا ؟ وهل يحل لمن يدعى الإسلام أن يعمل بخلق الله تعالى الذين أمر بالشفقة عليهم والإحسان إليهم ونشر العدل فيهم هذه الفعال ؟ وقد تعجبنا منك

يا أمير تيمور إلى الغاية ! كيف تدعى أنك عادل، وتعمل بأهل بغداد المسلمين
الموحدين وبغيرهم من المسلمين هذه العمائل؟ أما تعلم أن الشفقة على خلق الله
تعظيمٌ لأمر الله، وأن الله رحيمٌ يحبُّ من عباده الرُحماء، وأن الظلم حرام في جميع
الملل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني
حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا". وقال عليه السلام:
"لا أحد أغبر من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن".
وورد: "إن فاني ظلم ظالمٍ فأنا الظالمُ" وحسبُ الظالمين رب العالمين الذي قال
في حقهم ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وقال ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. والباغي
له مَصْرَع. ولما جاء هولاكو ومنكوتر وغازان وقصدوا ملوك الإسلام خدام
الحرمين الشريفين، الذين كانوا من جنسنا كما ذكرنا لك أعلاه، اتفق لهم ما اتفق
مما هو مشروح في التواريخ ومعلوم عند الناس؛ فهما أخذه أولئك تأخذه
إذا جئت.

وأما قولك في كُتُبك: إنه إن لم نجهز إليك السلطان أحمد الحلايري مقيداً تجي
في أول فصل الربيع إذا نزلت الشمس برح الحمل، أو لمَّا تنزل الميزان، وإن
جهزناه إليك مقيداً، نتأكد المحبة والصحبة بيننا وبينك، فقد علمناه؛ والذي
نعرفك به هو أننا كنا نتوقع أنك تجيء قبل هذا الوقت، فقد أبطأت كثيراً، وملوك
الإسلام خدام الحرمين الشريفين الذين كانوا قبلنا ما تصالحوا مع مثل هولاكو
وغيره إلا حتى تزاورا وتقابلوا واجتمعوا، ونحن أيضاً كذلك ما نصطليح إلا بعد
أن تتاورون وتقابل وتجتمع. وأنت طلبت أحمد الحلايري، وهانحن واصلون إليك به،
نطلب منك أن تشفقنا فيه، وتبيننا ذنبه الذي صدر منه، وندخل عليك بسببه،
ونسأل إحسانك أن تعين لنا موضعاً نلتقي معك فيه، حتى نأتيك بأحمد الحلايري

المذكور فيه ، ونشفع فيه عندك . فعين لنا الموضع المذكور على حسب ماتختار : إما من ذلك الجانب من الفرات ، أو من هذا الجانب . وأى موضع عينته وسميته لنا جنتك بالمشار إليه فيه ، وتدخل عليك في أمره ، ونستوهب ذنبه منك .

وأما ما ذكرته من أمر الرسول ، فقد علمناه . والذي نعرفك به هو أن الرسول المذكور كان يكتب المنازل منزلة منزلة إلى بلادنا المحروسة ، وأطلع عليه في ذلك جماعة من جهتنا ؛ ولما وصل إلى الرحبة المحروسة ، قال للنائب بها : يس الأرض للأمير تيمور وأقرأ الخطبة باسمه . فلو كان رسولا مصلحا ما كان كتب المنازل ، ولا أكثر فضوله ، وتحدث بما لا ينبغي له ، وتكلم فيما لا يعنيه ، وتعدي طوره : لأنه لا ينبغي للرسول أن يكون إلا أعمى إلا أعمى غزير العقل ، ثقيل الرأس ، كما قال بعضهم :

إذا قصدت الملوك فالبس * من الثقي والعقاف ملبس !

أدخل إذا ما دخلت أعمى ، * وأخرج إذا ما خرجت أنرس !

وكيف يمكن نائبا الذي هو من جملة ممالئنا ، وجبل لحمه ودمه على أنعمنا وصدقائنا ، وغدنى وربى بلبان فضلنا وجودنا [أن] يبوس الأرض لغيرنا ، أو يخطب باسم غيرنا؟ وكيف يترك اسم خادم الحرمين الشريفين أستاذه ، ويدكر اسم غيره؟ . فقد تكررت منك الفعال القبيحة ، الموجبة لما يقدره الله تعالى؟ ونحن نقسم بالله تعالى لولا قلت لنعير تعال حتى أعملك مقدم العساكر ، وتمشى على الشام ومصر؛ وقربت ممالئنا وأوتيتهم ، وبدأت بهذا كله وحصل منك التعدي ، ما كان يتفق لرسلك ما اتفق . ولكن الجزء من جنس العمل ، والخير بالخير والبادى أكرم ، والشّر بالشّر والبادى أظلم . وأيضا كل وقت تسأل عن ممالئنا المصونة ، وكثرة عساكرنا المنصورة من قتلها . فلو كنت طالبا المحبة والصحبة والمصادقة ، ما وقع منك هذا .

• أما قولك إنَّ هُولا كو أخذ من كلِّ مائة رجلٍ رجلين وجاء بهم ، وأنت قد جئتَ بالرجلَيْنِ وبالمائة ، وأعتادك على كثرة عَسْكَرك على قولك فقد علمناه ، وإن كان أعتادك على كثرة عَسْكَرك فاعتادنا نحن على الله تعالى وأستمدأنا من الحرمين الشريفين ، ومددنا منَّ بهما من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والصحابة والصالحين رضى الله عنهم . فاذا تلاقينا يكون ما يقدره الله تعالى ويُعطى الله النصر لمن يشاء ، وتعلمُ ذلك الوقت لمن العاقبة ؛ ويظهرُ فعلُ الله الربُّ القادر تعالى ، وعوائده الجميلةُ بنا التي لا شكَّ عندنا فيها ولا ريبَ ، وقطُّ ملوكُ التتار ما آتتصروا على ملوك الإسلام ، بل ملوكُ الإسلام خدامُ الحرمين الشريفين ، هم المؤيدون المنصورون المظفرون بعون الله تعالى ، وببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، معودون من الله الكريم بالفضل والإحسان والغنائم والفُتوحات : لأنهم أهل الكتاب والسنة والعدل والخير والخوف من الله تعالى ، لا يقعون في محارمه ، ولا يُقَدِّمون على ارتكاب ما ينهى عنه ، فهم المؤمنون المتَّقون . وقال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وقال : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ وسوف يُنجزُ الله تعالى وعده ، لأنه لا يُخْلِفُ الميعاد .

وأما ما ذكرته من أمر قرا يوسف وير حسن وغيرهما ، وأنَّ في معاشهم زغلا ، وأنهم مفسدون . وجعلك لكل واحدٍ منهم ذنبا ، وأنت العادل الخير المصلح ، والناس كلُّهم مناحيس وأنت الصالح ؛ والله يعلم المفسد من المصلح ، فقد علمناه . والذي نعرفك به هو أنَّ النور لا يجتمع مع الظلام ، ولا اليقظة والنمائم ، ولا الخير والشر في حيز واحد : لأنها متضادة ، ليس بينها اتفاق ولا آلتام ، وفعل المرء دالُّ على نيته وطويته ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ وقال :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ وقال : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ وشتان ما بين أهل الخير والفساد، وأهل العدل وأهل البغي والعناد، فالخير هو المتقى، ومن يرتكب ما حرم الله ويعتقد أنه على الحق فهو الشقي .

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْرِفْ قَبِيحَ خَطِيئَتِهِ * وَلَا الذَّنْبَ مِنْهُ مَعَ عَظِيمِ بِلِيَّتِهِ
فَذَلِكَ عَيْنُ الْجَهْلِ مِنْهُ مَعَ الْخَطَا * وَسَوْفَ يَرَىٰ عُقْبَاهُ عِنْدَ مَنِيَّتِهِ
وَلَيْسَ يُجَازِي الْمَرْءَ إِلَّا بِفِعْلِهِ * وَمَا يَرْجِعُ الصَّيَادُ إِلَّا بِنِيَّتِهِ!

وأما قولك إن نعيم العرب أرسل بالخفية يطلب السلطان أحمد، وأنا نرسم لنوابنا أن يحترزوا من توجهه إليه ولا يمتكئوه من ذلك، فإنه إن اتفق توجهه إليه يكن ذلك سببا لخراب الديار، فقد علمناه. والذي نعرفك به هو أننا نتحقق أن ما يحصل خراب الديار والدمار ومحو الآثار إلا لمن يسعى ويتكلم بخراب الديار ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ . وستعلم ديار من تحرب، وعمر من يذهب، وعلى من تكون دائرة السوء دائرة، وسطوات المنيا قاهره؟ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ . وهانحن واصلون بجيوش وجنود وعساكر مؤيدة من السباع أسع، لا تروى أسلحتهم من دماء البغاة ولا تشبع، والجواب ما ترى لا ماتسمع :

قُلْ لِلَّذِي فِي الْوَرَىٰ أَصْحَىٰ يُعَادِينَا : * أَحْذَرُ فَأَمْرَكَ رَبُّ الْعَرْشِ يَكْفِينَا!
مَا زَالَ يَمْنَحُنَا فَضْلًا وَيَكُونَا * وَفِي الْعِدَا بَعْظِيمُ النَّصْرِ يَشْفِينَا!
أَقَامَنَا رَحْمَةً لِلنَّاسِ أَجْمَعِهِمْ ، * وَلَمْ يَزَلْ مِنْ جَزِيلِ الْجُودِ يُعْطِينَا!
بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ عَوَّدَنَا ، * وَزَادَنَا فِي مَدِيدِ الْأَرْضِ تَمْكِينَا!
وَالجَمِيلِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ وَقَفْنَا ، * شُكْرًا لِه سِتْرِهِ الْأَعْلَىٰ يَنْطِينَا!

قَدْ أَسْكَنَ الرَّحْمَةَ الْحُسْنَى الَّتِي أَمِنْتَ * بِهَا الْأَنَامُ بِأَقْصَى مُلْكِنَا فِينَا!
فَكَلَّمَا بِالذُّعَاءِ الْمُرْتَضَى نَطَقَتْ * لَنَا الرَّعَايَا، أَجَابَ الْكَوْنُ آمِينَ!
اللَّهُ حَافِظُنَا، اللَّهُ نَاصِرُنَا، * مَنْ ذَا يُعَانِدُنَا؟ مَنْ ذَا يُقَاوِينَا؟

واللهُ الموفقُ بفضلِهِ العَمِيمِ ، والهاديُ إلى الصراطِ المستقيمِ ، بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ ، وَجُودِهِ وَنِعْمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

كتب في ... من جمادى الأولى سنة ست وتسعين وسبعائة^(١) .

الحالة الثانية — حين عاد السلطان من الشام إلى الديار المصرية ونحرب هو دمشق وحرَّقها، ثم انتقل عنها، وتردَّت رسله بطلب أطلمش : أحدِ أمرائه الذي كان قد أسر في أيام السلطان الملك الظاهر ”برقوق“ .

وفي هذه الحالة كان يُكْتَب له في قطع الثلثين ، والعنوانُ بقلم جليلِ الثُلث بحلِّ الذهبِ سطرانٍ ، مضمونهما « المقامُ الشريفُ العالِي ، الكبيرُ ، العالِمِي ، العادِلُ ، المؤيِّدُ ، المظفَّرُ ، المَلجِي ، المَلادِي ، والوَدِي القُطْبِي ، نُصرة الدين ، ملجأ القاصدين ، ملاذُ العائدين ، قطبُ الإسلام والمسلمين ، دامت معدنته تيموركور كان » . والبسملة في أول الوصل الرابع ، والخُطبةُ جميعها بالذهب ، وكذلك البَعْدية وما يتعلَّق بالمكتوب إليه على عادة القانات ، والعلامةُ بجليلِ الثُلث بحلِّ الذهبِ بالهامش ماصورته : « المشتاقُ فرجُ بن برقوق » إلا أنه اختلفَ مكانها في المكاتبات على ماسياتي ذكره . إلا أن افتتاحِ المكتابة إليه في هذه الحالة كان على ضريين بحسب ما اقتضاه الحال .

(١) هنا آخر ما أضيف إلى الأصل من بعضهم .

الضرب الأول

(الافتتاح بـ «أما بعد» وذلك عند أول عقد الصلح)

وهذه نسخة مكتوبة كتبت إليه جواباً عما ورد منه بطلب أطلمش المذكور
والتماس الصلح. جهزت صحبة الأمير شهاب الدين أحمد بن غلبك، والأمير قاني بيه^(١)
صحبة رسوله خواجه مسعود الكججاني رسوله الوارد بكتابه، في جمادى الأولى سنة
خميس وثمانمائة. وعلم له فيها في الهامش بين السطرين الثاني والثالث بقلم جليل
الثلاث بحل الذهب «المشتاق فرج بن برقوق» على ما تقدم ذكره؛ والورق قطع
الثلاثين وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل الأرواح أجناداً مجتهدة، ووصل أسباب الرشد والفلاح
بين افتتاح باب الإصلاح ولم يخلف موعده، وكفل لمن توكل عليه في أموره النجاح
يومه وعدّه. والشهادة له بأنه الله القاهر فوق عباده بقدرته المؤيّد، والصلوة والسلام
على أشرف نبي طيب الله عنصره ومجتهده؛ وأصلح ببعض نسله الشريف بين فتيين
عظيمتين بلغ كل منهما من الخير مقصده. وعلى آله الطاهرين، وذريته الظاهرين
بالمصالح المرشدة، وأصحابه الذين كانت غالب قضاياهم صلحاً بين الناس ورسولهم
بالإتفاق مرددة ومن عدم الشقاق غير متردده؛ صلاةً وسلاماً نصل بهما حبلاً البتة
بالأبوة المتجددة، ونحمد بهما نار الحرب المتوقّده.

فقد أصدرنا هذه المفاوضة إلى المقام الشريف، العالي، الكبير، العالمي،
العادلي، المؤيّد، المظفر، الملجئ، الملاذى، الوالدي، القطبي، نصره
الدين، ملجأ القاصدين، ملاذ العائدين، قطب الإسلام والمسلمين، تيموركوركان،
دامت معدته. تُهدى إليه سلاماً تتلى سوره وآياته، وثناء تتوالى غدواته وروحاته

(١) سياق قرياقاني باي الخالصي .

ولا لتناهي غايته ؛ وتبدي لشريف علمه أن مفاوضته العالية [التي] وردت أولا وأحرا ، تضمنت رموزها باطنا وظاهرا ؛ تجهيز الأمير أطمش لزم المقام الشريف إلى حضرته العليّة : لتتجسّم مادّة الحركات ، وتسكن القلوب والخواطر في سائر الجهات ؛ وتبجّد الملكان في الصداقة والوفاء ، والمحبة والصفاة ؛ على الصورة التي شرحها ، وبين مناهجها ووصفها ؛ خصوصا ما أشار إليه من أن لجواب الكتاب حقّا لا يضيع ؛ فوقفنا عليها وقوف إجلال ، وفهمنا ما تضمنته على التفصيل والإجمال .

والذي نبديه إلى علومه الشريفة أن سبب تأخير أطمش أنه لما قدم المقام الشريف إلى حدود الممالك الشاميّة ، وتوجّهنا من الديار المصرية ؛ عرض لنا ما أوجب العود إليها سريعا ، وكان الحزم فيما فعلناه بمشيئة الله تعالى . ثم تحقّقنا من المفاوضة الواردة على يد سودون ، وسودون (؟) والنمر ، والحاج يسق أحد أمراء أخورية ، قسّمه بالله الطالب الغالب ، المدرك المهلك ، الحى الذى لاينام ولايموت أنه إن جهز إليه أطمش المشار إليه ، رجع المقام الشريف إلى بلاده ، وأنه متوقّع حضوره إليه بقارة ، أو سميّة ، أو حصّ ، أو حماة . فأخذنا في تجهيزه إلى حضرته الشريفة على أجهل ما يكون .

فبينما نحن على ذلك إذ وردت علينا الأخبار بما اتفق لدمشق وأهلها : من أنواع العذاب وتخريب قلعتها وديارها ؛ وإحراق جامعها الذى هو الجامع الفرد في الممالك الإسلاميّة ، وغيره من المساجد والمدارس والمعاهد والمعابد . فلما تواترت هذه الأخبار ، وتحققت هذه المصائب ؛ لحنا من عدم ترحلكم عن دمشق وهى عامرة نقض ما تقرّر ، وعدم التفتاكم إلى الأمير أطمش المذكور وتجهيزه . فلما وردت مفاوضته الشريفة المجهّزة إلى صاحب ماردين ، أرسلها إلينا [وهى] الواصلة على يد المجلس السامى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالمى ، الناسكى ، الحسبى ، النسيبى ، الشرفى ، عبد المؤمن ، شيخ

(١) الجبال، ابن ولي الله، إمام العارفين، عبد القادر الكيلاني، أعاد الله تعالى من بركاته. والصدر الأجل نحر الدين التاجر السفار، المؤرخة بثاني عشر ذي القعدة الحرام من سنة أربع وثمانمائة، المتضمنة وصول المقام الشريف إلى أرزنكان وكماخ قاصداً للبلاد الرومية، والقصد فيها تجهيز الأمير أطمش وأن يفتح باب المصالحة، ويسلك طريق المصادقة، رعايةً لصالح المملكتين، ونظراً إلى إصلاح ذات البين؛ وأنه لا مطمع إلا في صحة المودة، وإرسال أطمش صحبة شخص من مقربي حضرتنا الشريفة: لينظر ما يصدر بعد وصولها من تمهيد قواعد الجمالة، وتشديد مباني المحبة. وأن المقام الشريف - زيدت عظمته - أقسم بالله الذي هو في السماء إله وفي الأرض إله، أن يكون في هذه الحياة محباً لمن يحبنا، مبغضاً لمن يبغضنا، وأنا نتلفظ بحضور الأمير أطمش كما تلفظتم. فعند ذلك اجتمعنا مع مولانا أمير المؤمنين، المتوكل على الله، أدام الله تعالى أيامه، والشيخ الإمام الفرد، شيخ الإسلام سراج الملة والدين عمر البلقيني - أعاد الله تعالى من بركته - وقضاة القضاة ومشايخ العلم والصلاح، وأركان الدولة الشريفة، وقُرئت المفاوضة بحضورهم. فلما سمعوا ما تضمنته من عظيم القسم، والحلف ببارئ النسم، وعلموا أن جل القصد فيها تطلع المقام الشريف إلى تجهيز الأمير أطمش المذكور، فأجتمعت الآراء على إرساله إلى حضرته الشريفة صحبة من اقتضته الآراء الشريفة. ثم وردت بعد ذلك المفاوضة من المقام الشريف - زيدت عظمته - على يد شخص من أهل أزميز - مؤرخة بثاني عشر شهر صفر المبارك سنة تاريخه، متضمنة ما حصل من النصر على ابن عثمان، والظفر به، والاستيلاء على غالب قلاعه. وزبدة الكلام فيها الإسراع بتجهيز أطمش المذكور، ليجتمع شمله بأولاده بالحضرة الشريفة. ثم بعد ذلك وردت

(١) يريد أنه من ذريته لان عبد القادر توفي سنة ٥٦١ هـ.

علينا مفاوضة شريفة^١ على يد المجلس السامى ، الشيخى ، الكبيرى ، الأوحدي ، العارفى ، السالكى ، المقربى ، مسعود الكججاني ، رسول المقام الشريف . وصحبه المجلس السامى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، الإمامى ، القدوى ، الشمسى ، شيخ القراء ، إمام أئمة الكبراء ، محمد بن الجزرى أدام الله النفع به . مؤرخة بغرة ربيع الأول سنة تاريخه ، متضمنة معنى الكائين المجهزين من ماردین وأزمير . وجُلُّ القصد فيها تجهيز الأمير أطمش لتحصل طمأنينة قلوب العالمين ، وإحمادُ باب الفتن ، وأنَّ العمدة على المشافهة التي تجلها الخواجا نظام الدين مسعود المشار إليه ، وأن قوله قولُ المقام الشريف . ومهما عقد الصلح عليه وآلزم به ، كان من رأى المقام الشريف وشوره ، لا يخرج عنه ولا يميل إلى غيره بقول ولا فعل . فلما أحضرناه وأصغينا إلى ما تجلّه من المشافهة ، فإذا هي مشتملة على خالص المحبة ، وأن يكون المقام الشريف والدنا عوضاً عن قدس الله تزيه به ، وأنَّ تجهيز الأمير أطمش إليه ، وتكون عمدتنا بعد الله عز وجل عليه ، فقابلنا ذلك بالقبول والاستبشار ، ونحونا آية ليل الحفء ، وأثبتنا آية نهار الوفاء ، فى الإعلان والإسرار ؛ وقبلنا أبقوته الكريمة على مدى الأزمان وتوالى الأعصار ، وشاهدنا الخواجا مسعود حال أطمش ، وعلم اهتمامنا بتجهيزه قبل وصوله بمدة اعتماداً على ألبته السابقه ، ووئوقا بما صرح به من الأئحاد والمصادقه ، وعقدنا الصلح مع الشيخ نظام الدين مسعود المذكور بطريق الوكالة الشرعية عن المقام الشريف ، وحافنا نظير ما حلف عليه ، بموافقة مولانا أمير المؤمنين - أدام الله أيامه - على ذلك مجحضر من شيخ الإسلام ، وقضاة القضاة ، ومشايخ العلم والصلاح ، وأركان الدولة الكبار ، مع حضور الأمير أطمش ، لزم المقام الشريف ، وشهادة من يضع خطه على نسخ الصلح التي

(١) كذا فى الأصل وهى عامية لأصل لها فى اللغة بالمعنى المراد له اذ مراده المشورة كما لا يخفى .

كتبت ، وجهزنا منها نسختين مثنويتين إلى حضرته الشريفة قرين هذا الجواب الشريف ، لتُحيط العلوم الشريفة بضموميهما ؛ وبأحدهما خطنا الشريف لتخلد بجزائنته الشريفة ، والأخرى يشملها بخطه الشريف وتُعاد إلينا صحبة رسولنا : المجلس العالى الأُميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المقرَّبى ، الأعزى ، الأخصى ، الأصلى ، الشهابى ، أحمد بن أغلبك الناصرى مقرَّبنا ومقرَّب الدنيا الشهيد - أدام الله تعالى نعمته - وجهزنا صحبته المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المقرَّب ، المرتضى ، الأخص ، الأكل ، سيف الدين ، قانى باى الخالصى الناصرى ، أدام الله سعاده ، المتوجهين بهذا الجواب الشريف ، المجهزين صحبة الأمير أطمش ، وبقية قُصاد المقام الشريف ورُسله .

وما نبديه لعلومه الشريفة أنه مما تضمنه الملخص الشريف المجهز عطف الكتاب الواصل على يد الشيخ مسعود الكججاني مضاعفة الوصية بأولاد الشيخ شمس الدين الجزرى ورعاية أحوالهم وتعلقاتهم . وقد قابلنا ذلك بالإقبال والقبول وقررنا لهم بالأبواب الشريفة . ونحن بشهادة الله - وكفى به شهيدا - قد أخلصنا النية للمقام الشريف ، وعاهدنا الله عز وجل في التعاضد والتناصر والاجتهاد ، في عمل المصالح للعباد والبلاد ، وعدم التقاصر والعمل بما فيه بياض الوجه عند الله في الدنيا والآخرة ، وإجراء الأمور على السداد . بتوفيق الله عز وجل ، وطلباً لرحمته الباطنة والظاهرة . ثم أستقبل لسان الحال يُنشدنا :

* يا أوَّل الصَّفْوِ هَذَا آخِرُ الكَدْرِ *

فيكون ذلك في علومه الشريفة ، والله تعالى يُديم عوارفه الوريفه ، بمنه وكرمه .

والمستند «حَسَبَ المرسوم الشريف» .

الضرب الثاني

(ما صار إليه الأمر بعد وُصول أطلمش إليه)

وهذه نسخة جواب

والعنوانُ سطران بقلمِ الثُلثِ بماء الذهب ماصورتهُ :

«المقامُ الشريفُ ، العالى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، المظفرى ،
الملجئى ، المَلادى ، الوالدى ، القُطبي ، نُصرةُ الدين ، ملجأُ القاصدين ، مَلادُ
العائدين ، قطبُ الإسلام والمسلمين ؛ تيموركوركان - زيدت عظمته - .

والطَّرَةُ ثلاثة أوصال ، والبسملةُ الشريفة في أول الوصل الرابع . ثم « الحمد لله »
وتمةُ الخُطبة بالذهب ، وبيت العلامة عرضُ أربعة أصابع مضمومة ، وما يليها
من الأسطر سعةُ ثلاثة أصابع ، والعلامةُ الشريفة بين السطر العاشر والحادى عشر
من سطور الكتابة ، موافقا لآتِهاء الخُطبة عند « أما بعد فقد صدرت هذه
المفاوضة » . والعلامةُ الشريفة بجليل الثُلث بماء الذهب « المشتاقُ فرج بن برقوق » .
وهامشُ الكتاب أربعة أصابع مطبوقة ، والخُطبة وما يليها من البعدية وألقاب المقام
القُطبي المركبة والمفردة الجميع بالذهب . ومضمونه بعد البسملة :

الحمد لله الذى شيّد قواعد الإصلاح ، ومهد مواطن الرُشد والنَّجَاح ؛ وجعل أذنان
المؤمن يُجيب داعى الفَلاح .

نحمده على أن ألّف بين القلوب بلطف الإرتياح ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له إلهٌ زَمَّ نفوسَ المؤمنين بحبل التقوى من حية الجَاح ؛ ونشهد
أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى وَصَّح من نُور رسالته بجرُ الإيمان ولاح ، ونَفَّح

من نور معجزاته زهر الدين الحنيفي وفاح ، صلى الله عليه وعلى آله الذين شئنا
ظهور كلهم من الصديق باتقن وشاح ، وعلى صحابته الذين بينوا من عهدهم (؟) بفقوهم
في الدين الواجب والمندوب والمحظور والمباح ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فقد صدرت هذه المفاوضة إلى المقام الشريف ، العالی ، الكبيرى ،
العالمى ، العادى ، المؤيدى ، المظفرى ، الملجئى ، الملاذى ، الوالدى ، اللطى ،
نصرة الدين ، ملجأ القاصدين ، ملاذ العائدين ، قطب الإسلام والمسلمين :

مَلِكٌ يُفُوقُ الْخَلْقَ طُرًّا هَيْبَةً * فِيهِ نِهَايَةٌ غَايَةُ التَّأْمِيلِ !

تيموركور كان — زِيدَتْ عَظْمَتُهُ ، وَدَامَتْ مَعِدَتُهُ ؛ وَلَا زَالَتْ رَايَاتُ نَصْرِهِ
خَافِقَةُ الْبُنُودِ ؛ وَأَيَاتُ فَضْلِهِ مَتَوَوِّةٌ فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ ؛ وَنَحْبُ فَضَائِلِهِ هَامِيَةٌ بِالْكَرَمِ
وَالجُودِ ، وَمَهَابَةُ سَطْوَتِهِ تَمَلُّ الْوُجُودِ — تُهْدِي إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ مَا حَلَا فِي حَالَتِي
الصُّدُورِ وَالْوُرُودِ ، وَمِنَ الْإِخْلَاصِ مَا صَفَا وَضَفَّتْ مِنْهُ الْبُرُودِ .

وتبدي لعلمه الشريف أن مفاوضته الشريفة وردت علينا جواباً عما كتبناه
إلى حضرته الشريفة ، على يد المجلس العالی الأميرى الشهابى ، أحمد بن غلبك
وسيف الدين ، قانى بيه الناصرى ، المجهزين صحبة المجلس العالی ، الأميرى ،
الجلالى أطمش ، لزم المقام الشريف ، بوصول الأمير جلال الدين أطمش
إلى حضرته الشريفة طيباً ، مبدياً بين يديه ما حملناه من رسائل الأشواق ، مبيئاً ما هو
اللائق بخلاله الحسنة عن حضرتنا مادحج به الأوراق ، شاكرًا لإنعاماتنا التى هى
فى الحقيقة من شيم فضلكم الخفاق ، مثبتاً منه ومن حوى الخطاب فى نظم الكتاب
صدق المقال وصحة العهد ورسوخ الميثاق ، وأنه قد ثبت بما ثبت من غرائب المعانى
حصول الأمانى ، وسرى بعد ما يكون من هدايا التهانى ، وأن الذى آتفق الآن هو

كان حُجَل معناها على لسان المجلس السامي، النظامي، مسعود الكججاني أولاً، المجهز الآن صحبة الأمير شهاب الدين بن غلبك وسيف الدين قاني بيه، وأن القصد أن نأمر من بها من الثواب أن تسلمها لتوايه، والمعول في آنتظام الأمور على ماتحملها المشار إليه وعزول عليه؛ وأنه شاكر لمرافقتنا، موافق لموافقنا؛ وأنه يصغى إلى ما نبديه، وتُخَفِّف به ونهديه؛ على الصورة التي أبداها، والتحية التي بكرم الشيم أهداها؛ فقد علمنا ذلك جملة وتفصيلاً، وشكرنا حسن صنيعه إقامة ورحيلاً؛ وتضاعف سرورنا بوصول الأمير أطمش إلى الحضرة الشريفة. ووصل إلينا الأمير شهاب الدين بن غلبك وسيف الدين قاني بيه مرتلين من ذكر محاسنكم تزيلاً، وعرضاً ماتفضلتم به في حقنا إكراماً وتوقيراً وتجيلاً؛ وأنها بين أيدينا ماعوملاً به من الفضل الذي ماعليه مزيد، والبر الذي تعجز الفصحاء أن تُبدئ بعض محاسنه أو تُعيد؛ وأنها كانتا كل يوم من توفر الفضل في يوم عيد، وحصل لهما من الإقبال مالا يُحصى بالحصر والتحديد؛ فحمدنا للقيام الشريف الوالدي حسن هذا الفضل العام، وشكرنا جميل تفضله الذي أنجمل الغمام؛ وتزايد شوقنا وحبنا حيث زُمرمت ألفاظ المفاوضة الشريفة إلى ذلك المقام.

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمَسْتَنْكَرٍ * أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ!

وهذا هو اللائق بالجلال الشريفه، والمؤمل في جلال صفاته المنيفه؛ ووصل الخواجا نظام الدين صحبتها مبدياً عن جنابكم من رسائل المحبة والصفاء، والمودة والوفاء؛ ما يعجز عن وصفه الناظم والنائر، مظهرها من حسن المودة وغزير المعرفة ما يفخر به الموالى والمؤثر؛ سالكا من تأكيد أسباب الصلح ما تجمل به مفاقر المفاخر، معتذراً عما تقدم فما قدر ربما يكون سبباً لإصلاح الآخر؛ متكفلاً عن صفاء طويتكم لنا بما يسر السرائر. فضاعفنا إكرامه، واددنا إنسامه، ووقرنا من العز

أقسامه ؛ وأنزله مَنزلاً يليقُ به ، ووصلنا كلَّ خيرٍ بسببه ؛ وما هو إلا مستحقُّ لكل ما يراد به من فيض فضل وفضل .

وأما ما أشار إليه من إعادة القسم تأكيداً للصُّلح ، وتوضيحاً للتَّجريح ؛ ولو كان القسم الذي أفسمنا به مصرّحاً لكان أولى ، فقد علمنا ذلك وكتبنا ألفاظ القسم في كتاب الصُّلح مصرّحاً ، وأعدناه إلى حضرته ليقرأ على مسامعه الشريفة ؛ ويسمّله الخط الشريف ويُعاد إلينا ؛ ونحن نكرّر القسم ، ببارئ النِّسم ؛ الذي لا إله إلا هو ، الطالبُ الغالب ، المدركُ المهلك ، الحىّ الذى لا ينام ولا يموت ، أنا من يومنا هذا لأنخالف ما أنتظم من عقْد الصُّلح المسطور ، إلى يوم البعث والنُّشور ؛ ولا نُحُلُّ عُراه الوثيقةَ المشارَ إليها ، إلى أن يرث الله الأرضَ ومنَّ عليها ؛ ونكونُ حرباً لمن حاربه ، وسلاماً لمن سالمه ؛ ومُبغِضين لمُبغِضيه ، ومُحبِّين لمُحبِّيه ؛ ومنَّ أشار بإشاره ، أو شقَّ على أحد من [رعاياه] غاره ؛ رادفنا إسعافه وضاعفنا استظهاره ؛ وأخلصنا القولَ والعملَ في مصافاة المقام الشريف : لأن الصلح بحمد الله قد تمَّ وكلَّ ، فيكون ذلك في شريف علمه .

وأما ما أشار إليه من أمر القُرئى التى قصد تسليمها لتوابعه ، وأنها داخلَةٌ في حدود مملكته : كأبلستين ، وملطية ، وكركر ، ونكتنا ، وقلعة الروم ، والبيرة ، فقد علمنا ذلك . ونحن نُبدي إلى علومه الشريفة أنَّ هذه البلاد لا يحصل لنا منها خراج ، ولا ينالُ ملكنا وتوابعنا منها فى كلِّ وقتٍ إلا الأتزعاج ؛ وإذا جهزنا إليها أحداً من التوابع ، نتكفّل له غالباً بالخيال والرَّجل والركاب ؛ وبضواحيها من سُراق التُّركمان ، وقطّاع الطريق من العُربان ؛ مالا ينجى عن مقامه . ولو كانت دِمَشقُ أو حلبُ ، أو أكبر من ذلك مماله (؟) عن الطَّلب ؛ ماتوقفنا فيها عن قبول إشارته لنا كيد المحبِّه ، واتِّحاد الكلمتين من الجانيين فى أعلى رُتبته ؛ غير أنَّ لتسليمها من الوهن لملكتنا منافاةً لما

تفضّل به المقام الشريف من سؤال الله تعالى في زيادة سلطنتنا . خصوصاً وقد وعدّ المقام الشريف الوالدئى بما سنرى ، وسوف تظهر نتيجته مما يتفضّل به بين الورئى ؛ وأنّ الذى سمح لنا به من الاستظهار ماناله أحد من الناس ، وما حصل لنا بما أبداه الخواجا مسعود بين أمراء دولتنا من المشافهة عن مقامه الشريف من قوة الجاش والإيناس ؛ ونحن نترقب بين حركاته ، وسديد إشاراته ؛ زيادة الخير في النفس والمُلك والمال ، ونتوقع من جميل كفالته السعادة الأبدية في الحال والمآل ؛ فيكون ذلك في شريف علمه .

وقد جهّزنا بهذه المفاوضات المجلس العالى ، الأميرئى ، الكبيرئى ، الأعزئى ، الأخصئى ، المقرئى ، المؤتمئى ، الأوحدئى ، النّصيرئى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء الخواص في العالمين ، متتخب الملوك والسلاطين ، منكلئى بغا الناصرئى أمير حاجب ، أدام الله تعالى سعده ، وأنجح قصده ؛ وعلى يده من الهدية المصرية ما تهيأ تجهيزه بمقتضى القائمة الملتصقة بديها ، وأعدنا المجلس العالى النظائى : مسعوداً ومن معه إلى المقام الشريف ، متحمّلين من رسائل الأشواق والاتحاد ، ما يقع عليه الحصر والتعداد ؛ وما أحرنا الخواجا نظام الدين مسعودا هذه المدة بالباب الشريف إلا لأمرئى عرض من قضية السلطان أحمد بن أويس ؛ وهزبه من بغداد إلى حلب ، وجهّزنا من الباب الشريف من يحمّضه إلى دمشق ليحصل منه الأرب ؛ ثم بعد ذلك بأيام ورد الخبر من كافل الشام الحروس ، بوصول قرأ يوسف بن قرأ محمد إلى دمشق في نفر قليل . فجهّزنا أحد الأمراء إلى كافل الشام بمشال شريف ، يتضمن القبض على السلطان أحمد بن أويس وقرأ يوسف المذكورين ، وإيداعهما الاعتقال بقلعة دمشق المحروسة ، وفاء

للعهد وتأكيذا . وَحَمَلْنَا الأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ مِنْكَلِي بِنَا المَذْكُورِ، مَشَافَهَةً فِي مَعْنَاهُمَا .
وَالْقَصْدُ مِنْ جَمِيلِ مَحَبَّتِهِ، وَحَزِيلُ أُتُونَهُ؛ قَبُولُ المَجْهُزِّ مِنْ ذَلِكَ، وَبَسْطُ العِذْرِ فِيهِ
إِذَا وَصَلَ إِلَى حَضْرَتِهِ هُنَاكَ : لِأَنَّ الدِّيَارَ المَصْرِيَّةَ وَأَعْمَالَهَا حَلَّ بِهَا مِنَ المَحَلِّ لَعَدَمِ
طُلُوعِ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَا لِأَيُّحَصَّرَ وَلَا يَحْصِي، وَلَا سَمِعَ بِمِثْلِهِ . وَشَمُولُ نَسْخَةِ الصَّلْحِ
المَعَادَةِ بِالخَطِّ الشَّرِيفِ ، وَمُضَاعَفَةُ إِكْرَامِ حَامِلِهَا الأَمِيرِ مِنْكَلِي بِنَا البَرِّ الوَرِيفِ ؛
وَالِإِصْغَاءُ إِلَى مَا تَجَمَّلَهُ مِنَ المَشَافَهَةِ فِي مَعْنَى أَحْمَدِ بْنِ أُوَيْسٍ وَقَرَا يَوْسُفَ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَشِيدُ بِتَهْمِيدِهِ قَوَاعِدَ الدِّينِ الحَنِيفِ ، بِمَنَّةٍ وَكِرْمَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثالث

(من مُلُوكِ تُورَانَ مِنْ بَنِي جَنْكِرْخَانَ القَانِ الكَبِيرِ، صَاحِبِ التَّخْتِ،

وَهُوَ صَاحِبُ الصِّينِ وَالْحِطَّا)

قال في "التعريف": وهو أكبر الثلاثة، ووارث تخت جنكرخان . قال : ولم يكن
يكتب لترقعه وإبائه، وطيرانه بسمعة آبائه؛ ثم تواترت [الآن] الأخبار بأنه قد أسلم
ودان دين الإسلام، ورقم كلمة التوحيد على ذنائب الأعلام . قال : وإن صحَّ ذلك
- وهو المؤمل - فقد ملأت الأمة الحمديَّة الخافقين، وعمت المشرق والمغرب ،
وأمتدت بين صفى المحيط . ثم قال : فإن صحَّ إسلامه وقُدِّرت المكتبة إليه، تكون
المكتبة إليه كالمكتبة إلى صاحب إيران ومن في معناه من سائر القانات المقدم
ذكرهم، أو أجل من ذلك .

قلت : ولم يتعرض إلى المكاتبه إليه على تقدير بقائه على الكفر، ويشبه أن تكون
المكاتبه إليه على ذلك وشدة سطوته، فيعطى من قطع الورق بقدر رتبته . ثم يجوز
أن تبدأ المكاتبه إليه كصاحب القسطنطينية ومن في معناه ، مع مراعاة معتقده
في ديانتته بالنسبة إلى ^(١) كما يُرعى مثل ذلك في المكاتبه إلى ملوك النصرانية،
والوقوف في الخطاب وما يتخبط في سلوكه عند الحد اللائق به . والأمر في ذلك
موكول إلى اجتهاد الكاتب ونظره .

المهييع الثالث

(في المكاتبات إلى من يجزيرة العرب مما هو خارج عن مضافات
الديار المصرية، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات إلى ملوك اليمن، وهم فرقان)

الفقرة الأولى

(أئمة الزيدية)

قال المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : وهو من بقايا الحسينيين
القائمين بأمل الشط من بلاد طبرستان، وقد كان سلفهم جاذب الدولة العباسية
حتى كاد يطيح رداءها، ويُسَمِّت بها أعداءها . وهذه البقية الآن بصنعاء وبلاد
حَضْرَمَوْت وما والاها من بلاد اليمن . قال : والإمامة الآن فيهم في بني المُطَهَّر،
وتقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك أن أول من قام من هذه
الأئمة بايمن الإمام (يحيى الهادي) بن الحسين الزاهد، بن أبي محمد القاسم الرسي،

(١) لعله على ذلك بنسبة قدرته وشدة الخ تأمل .

(٢) بياض بالأصل ولعله العوت والألقاب كما يعلم مما تقدم .

أبن إبراهيم طباطبَا، بن إسماعيل الديباج ، بن إبراهيم الغمَر ، بن الحسن المثنى ،^(١)
 أبن الحسن السَّبَط ، أبن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فى سنة
 ثمان وثمانين ومائتين فى خلافة [المعتضد]^(٢) ، وأنه كان فقيها عالما مجتهدا فى الأحكام ،
 حتى قال فيه ابن حزم : إنه لم يُعَد عن الجماعة فى الفقه كلَّ البعد . ثم [ولى
 بعده أبنه محمد المرتضى] وتمت له البيعة فاضطرب الناس عليه وأضطرب إلى تجريد
 السيف بجرده ومات سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة لثنتين وعشرين سنة من
 ولايته و[ولى بعده أخوه (أحمدُ الناصر) ثم أخوه (القاسمُ المختار) ثم (الحسين^(٣)
 المنتجب) . وأطرد أمرهم بصنعاء إلى أن غلب عليهم السليمانيون أمراء مكة عند
 خروجهم منها ، فاستقرت بأيديهم إلى أن ملك اليمن من جهة الساحل (أحمدُ الموطئ)
 أبن الحسين المنتجب المقدم ذكره ، وذلك فى أيام سيف الإسلام أبن أيوب سنة
 خمس وأربعين وستمائة . وبقي أمر الزيدية هناك فى عقبه .

وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله أن الإمامة فى زمانه ، فى الدولة الناصرية
 أبن قلاوون كانت فى (حمزة) وذكر فى "مسالك الأبصار" أن يحيى بن حمزة ولى بعد
 أبيه ، وكان فى زمن المؤيد داود بن يوسف صاحب اليمن . وذكر قاضى القضاة
 أبن خلدون أن الإمام قبل الثمانين والسبعائة كان (علي بن محمد) من أعقابهم ، وتوفى
 قبل الثمانين . وولى أبنه (صلاح) وتابعه الزيدية ، وكان بعضهم ينكر إمامته لعدم

(١) ذكره فى تقديم فى ج ٥ ص ٤٧ "عبد الله" . وقد نهنا هناك نقلا عن "الكامل لابن الأثير"
 أنه إبراهيم كما هنا ، فليتنبه .

(٢) فى الاصل المأمون وهو خطأ فان المأمون توفى سنة ٢١٨ وقد تقدم الكلام على هذه الدولة
 فى ج ٥ ص ٤٧ وما يليها فارجع إليه .

(٣) الزيادة من جزء ٥ ص ٤٨ وهى لازمة لأن أحمد الناصر أن يحيى الزاهد لا أخوه .

(٤) أخره فى تقديم عما بعده .

استكمال الشروط فيه فيقول : "أنا لكم ماشئتم إمام أو سلطان" . ثم مات سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وقام بعده ابنه (تجاح) فامتنع الزيدية من بيعته فقال : أنا "مُحْتَسِبُ لِه تَعَالَى" . قال في "التعريف" : وأمرأ مكة تُسْرَطَاعْتِه ، ولا تَفَارِقُ جَمَاعَتِه . قال : ويكون بين هذا الإمام وبين الملك الرَّسُولِي باليمن مَهَادَنَاتٌ ، وَمَفَاعَسَاتٌ تَارَةً وَتَارَةً . قال : وهذا الإمام وكلُّ من كان قبله على طريقة ماغيروها . وهى إمارة أعرابية لا كبر في صدورها ، ولا شتم في عَرَائِنِهَا ؛ وهم على مُسْكَةٍ مِنَ التَّقْوَى ، وتردُّ بِشِعَارِ الزُّهْدِ ؛ يجلس في نَدَى قَوْمِهِ كوَاحِدٍ مِنْهُمْ ، ويتحدَّث فيهم ويحكم بينهم ، سواءً عنده المشروفُ والشريفُ ، والقوى والضعيفُ ؛ وربما اشترى سلعته بيده ، ومشي في أسواق بلده ، لا يُعَلِّطُ الحِجَابَ ، ولا يَكُلُّ الأُمُورَ إِلَى الوُزَرَاءِ وَالْحُجَّابِ ، يأخذ من بيت المال قدر بلقته من غير توسع ، ولا تكثير غير مُشْبِعٍ ؛ هكذا هو وكل من سلف قبله مع عدلٍ شاملٍ ، وفضلٍ كاملٍ . قال : في "مسالك الأبصار" : ولشيعة هذا الإمام فيه حُسن الاعتقاد ، حتى إنهم يستشفون بدعائه ، ويمرون يده على مرضاهم ، ويستسقون به المطر إذا أجدبوا ، ويبالغون في ذلك بكلِّ المبالغة . ثم قال : ولا يكبر لإمام هذه سيرته - في التواضع لله ، وحسن المعاملة خلقه ، وهو من ذلك الأصل الطاهر والعنصر الطيب - أن يجاب دعاؤه ويُقبَل منه . قال : وزى هذا الإمام وأتباعه زى العرب في لباسهم والعمامة والحناك ، ويُنادى عندهم بالأذان «حى على خير العمل» .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" : أدام الله تعالى أو ضاعف الله تعالى نعمة ، أو جلال الجانب الكريم ، العالى ، السيدي ، الإمامي ، الشريفى ، النَّسَبِي ، الحَسَبِي ، العَلَمِي ، سليل الأطهار ، جلال الإسلام ، شرف الأنام ، بقية البيت النبوي ، نحر النسب العلوي ، مؤيد أمور الدين ، خليفة الأئمة ، رأس العلياء ،

صالح الأولياء، علم الهداة، زعيم المؤمنين، ذخّر المسلمين، مُنجد الملوك والسلاطين .
 ولا زال زمانه مُربعا، وغِيْلُهُ مُسْبِعا، وقِرَاهُ مُشْبِعا، وكرمه لفيض نَدَاهُ مُنْبِعا، وهُدَاهُ
 حيثُ أمّ بالصفوف مُتْبِعا، ومُلْكُهُ المَجْتَمِع باليمن لو أدركه سيفُ بنِ ذِي يَرْزَن لم يكن
 إلا لِدِيهِ مُنْتَصِي وَتَبِعٌ لم يكن له إلا تَبِعا . ولا فِتْنَتُ مَعَاقِدُ شَرْفِهِ بِالْحَوْزَاء، وعَقَائِدُ
 حَبَّة تُعَدُّ لِحَسَنِ الحِزَاء، ومَعَاهِدُ وَطَنِه أَهْلَةٌ بِكَثْرَةِ الأَعْرَاء، ومِيَّاسُمُ أَهْلِ وَلائِهِ تَعزُّ
 إِلَيْهِ بِالْأَعْتَاء، ومِيَّاسِمُ نَعُورِ أودَانِهِ ضاحِكَةُ السُّيُوفِ فِي وَجُوهِ الأَرْزَاء؛ هذه النَّجْوَى
 إِلَى رَوْضِهِ المُمْرِع . وإلا فَمَا تُزَمُّ الرِّكَّابُ، وَإِلَى حَوْضِهِ المُمْتَرِع . وإلا فَمَا الحَاجَةُ إِلَى
 السَّحَابِ ؛ وَإِلَى حِمَاهِ المُخِصَّبِ وَإِلَى فِئِمِّ السَّرِي الرَّائِدِ، وَإِلَى مَرَمَاهِ المُنْطَبِّ فَوْقَ
 السَّمَاءِ . وَإِلَّا إِلَى أَيْنَ يُرِيدُ الصَّاعِدُ ؛ تَسْرِي وَلَهَا مِنْ هَادِي وَجْهِهِ دَلِيلٌ ، وَفِي نَادِي
 كَرَمِهِ مَقِيلٌ ، وَإِلَى بَادِي حَرَمِهِ وَمَا فِيهِ لِلْعَاكِفِ ، وَإِلَى عَالِي ضَرَمِهِ مَا لَا يَنْكِرُهُ العَارِفِ ،
 وَفِي آثَارِ قَدَمِهِ مَا يَجْحَمُ بِهِ كُلُّ عَائِفٍ ؛ وَفِي بَدَارِ خِدْمَتِهِ مَا يَدْرِعُهُ كَرَمَادٍ أَشْتَدَّتْ
 بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ . مَبْدِيَّةٌ وَأَوَّلُ مَا تَبْدَأُ بِسَلَامٍ تُقَدِّمُهُ عَلَى قَوْلِ كَيْتٍ وَكَيْتٍ ،
 وَثَاءٍ وَلَا مِثْلَ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ﴾ .



صدر آخر— ولا عَطَّلَ مَحْرَابَ هُوَ إِمَامُهُ ، وَلَا بَطَّلَ عَمَلَهُ هُوَ تَمَامُهُ ، وَلَا جَفَّ
 ثَمَرِي نَبَاتٍ هُوَ عَمَامُهُ ، وَلَا خَفَّ وَقَارُ أَمْرِي بِيَدِهِ المَصْرَفَةُ زَمَانُهُ ، وَلَا آرْتَدَّ مَضْرِبُ
 سَيْفِ رُؤُوسِ أَعَادِيهِ كِجَامُهُ ؛ وَلَا آرْتَأَى فِي حُصُولِ الخَيْرِ لَهُ مَنْ كَانَ إِلَى كَيْفِهِ
 أَنْضَامُهُ . وَأَطَالَ اللهُ بَاعَ عِلْيَانِهِ ، وَأَطَابَ بَأَنْبَاءِهِ سَمَاعَ أَوْلِيَائِهِ ، وَأَدَامَ إِجْمَاعَ السُّرُورِ
 عَلَيْهِ ، وَمُصَافَاتِهِ لِأَصْفِيَائِهِ وَتَرَامِيهِ إِلَيْهِ . صَدَرَتْ بِهَا الرِّكَّابُ إِلَيْهِ مُجْفَةً ، وَسَمَرَتْ

بها النجائب لتقف عليه والقلوب بها مُحْفَةٌ^(١)؛ وأهوت لذيده يشمخ بها لوصولها إليه الكبر، وطوت إليه اليد طي الشقة تقيسها المطايا بالأذرع والثريا بالشبر؛ تأتي بالعجب إذ تجلب إليه المسك الأذفر، وتجلوه الصباح وما لاح والليل وما أسفر؛ وتحل في مقر إمامته، وتحل العاطل بما نثره من الطل صوب عماته؛ مؤصلة لعلمه مالا يقطع، ومضوعة عنده من عبر الشجر ما يستبضع، ومعلمة له كيت وكيت .

قلت : هذا ما أصله في "التعريف" وحاصله أنه يأتي بالصدر المقدم ذكره إلى قوله : « منجد الملوك والسلاطين » ، ثم يأتي بالدعاء المناسب ؛ ثم يقول : « هذه النجوى » إلى آخره « مبدية لعلمه » أو « معلمة » أو « صدرت بها الركائب » ونحو ذلك .

ثم لم يتعرض في "التعريف" لقطع الورق الذي يكتب إليه فيه، ولا للعلامة له، ولا لعنوان كتابه، ولا لتعريفه، ونبه على ذلك في "التتيف" وأنه أهمل ذلك ثم لم ينبه هو عليه . وقد رأيت في دستور منسوب للمقر العلاءي بن فضل الله بيان ما أهمله من ذلك فقال : والخطاب له بمولانا الإمام، والطلب منه « والمسئول » وختم الكتاب بالإيناء، والعنوان بالألقاب والدعاء المقدم ذكره، والعلامة « الخادم » .

وقد ذكر في "التعريف" أنه وصل إلى الديار المصرية، في الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » سقى الله عهده رسولاً من هذا الإمام [ابن مطهر إمام الزيدية^(٢)] من صنعاء، بكتاب منه يقتضى الاستدعاء . أطلال فيه الشكوى من صاحب اين، وعدد قبائحه،

(١) لعله محنفة فانه ليس في كتب اللغة التي بأيدينا أحف به ولكن حف به واحتف فحبه .

(٢) الزيادة من التعريف ص ١٥ .

ونشر على عيون الناس فضائحه؛ وأستنصر بمدد يأتي تحت الأعلام المنصورة لإجلاته عن دياره، وإجرائه تُجرى الذين ظلموا في تعجيل دماره؛ وقال: إنه إذا حضرت الجيوش المؤيدة قام معها، وقاد إليها الأشراف والعرب أجمعها؛ ثم إذا استنقذ منه ما بيده أنعم عليه ببعضه، وأعطى منه ما هو إلى جانب أرضه. ثم قال: فكتبت إليه مؤذنا بالإجابة، مؤذيا إليه ما يقتضى إعجابي؛ وضمن الجواب أنه لا رغبة [لنا] (١) في السلب، وأن النصرة تكون لله خالصة وله كل البلاد لا قدر ما طلب.

وهذه نسخته:

ضاعف الله تعالى جلال الجانب - بالألقاب والنعوت - وأعز جانبه عزنا تُعقد فواضله بنواصي الخليل، وصياصي المعازل التي لم يطلع على مثلها سهيل؛ وأقاصي الشرف الذي طلع منه في الطوق وتمسك سواه بالذيل؛ وقدمه للثقلين إماما، وجعله للمستقين عماما، وشرقه على المرتقين في علا النسب العلوى وتوره وصوره تماما، ومن على اليمن يمينه، وأعلم بصنعاء حسن صنيعه وبحضرموت [حضور] (٢) موت أعدائه، وبعدن أنها مقدمة لجنات عدنه؛ ولا زالت الآفاق تؤمل من فيضه سبحانه دانيا، وتهلل إذا شامت له برقا يمانيا، وتنتقل في رب محامده ولا تبلغ من المجد ما كان بانيا.

هذه النجوى وكفى بها فيما يقدم بين يديها، ويقوم ولا يقوم من كل غالى الثمن ماعليها؛ تطوى المراحل، وتجوب البر والبلد الماحل، وتنب إليه البحار وتقذف منها العنبر إلى الساحل؛ وترسى به سفنها، وتحط إليه بل تخط لديه مدنها، وتؤذن علمه - سر الله - بما لم يحل إليه من نظره، ولم يخل منه من سبب ألف به النوم أو نقر؛ وروود وارد

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٥ .

(٢) الزيادة من "التعريف" ص ١٦ .

رسوله فقال : يا بشرى ولم يقل هذا غلام ، ووصوله بالسلامة والسلام ، وما تضمنه ما استصحب منه من صحيفة كلها كرم ، وأخبار صحيحة كلها مما لو قُذِفَ به الماء لأضطرم ، ذكر فيها أمر المتغلب العادى ، [والصاحب الذى يفعل فعل الأعادى] ،^(١) والجار الذى جار والظالم البادى ، وما مدّ الأيدى إليه من النهاب ، وما اختطف به القلوب من الإرهاب ، وتحدثت عن أخباره وعيننا علمه ، وأخبر عن أفعاله مما له أجر الصبر عليه وعليه ظلمه ، وقصّ رسوله القصص ، وزاد الشجى وضيق مجال العَصص ، وأطار من وكر هذا العُدوان طائرا كأنما كان فى صدره ، وحرك منه لأمرى كان يتجرع له كأس صبره ، وقد أسمع الداعى ، وأسرع الساعى ، وبلغ الأمانة حاملها ، وأوصل الكلمة قائلها ، ومرحبا مرحبا بداعى القيام من قبله ، وأهلا أهلا بما بلغ على السنة رسله ، وهلم هلم إلى قلع هذه الشجرة التى لم يُحِب ظن غارسها ، وقطع هذه الصخرة التى لم تُنصب إلا مرلقة لدائسها ، والتعاضد التعاضد لما هتف به هاتفه الصارخ ، وسمعه حتى الریح الأصم والسيف المتصاوخ ، فليأخذ لهذا الأمر الأبهة ، وليشد عليه فقد آت الوثبه ، فقد سطرت وقد نهض إلى الخيل ملجمها ، وبأدر وضع السهام فى الكائن مزمجها ، وكأنه بأول الأعنة ، وآذان الحياذ تفوق بين شطرى وجهها الأسنه ، وكأنه برسوله القائد وفى أعقابه الجيش المطلق ، والألوية وكل بطل باسل يتدبر الوغى ولا يستدل ، ولا أرب لنا فى استزادة بلاد وسع الله لنا نطاقها ، وكثر بنا مواد أموالها وقدر على أيدينا إنفاقها ، وإنما القصد كله والأرب جميعه كشف تلك الكرب ، وتدارك [ذلك الدماء الذى]^(١) أو شك أو كرب ، وإن قدر فتوح ، وتيسر ما طرف سوانا إليه طموح ، كان هو أحق بسقيه : لأنه جار^(٢)

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح عن التعريف ص ١٧ .

(٢) فى الأصل والتعريف بسبقه وهو تصحيف مكافى كالا يخفى .

الدار، والأوّل الذى كان له البدار؛ ويقال له لعظيم شرفه ما نسمح به وإن جَلَّ،
ومانهبه منه وإن عَظُمَ - شأنُ كلِّ تبع وهو ببعضه ما استقلَّ؛ وكأنه والحيلُ قد وافته
تُجَدُّ فى الإحظار، وتُسْرِعُ إليه وتكفيه مؤنة الانتظار؛ إن شاء الله تعالى .

الفرقة الثانية

(أولاد رسول)

وهم المعروفون بملوك اليمن عند الإطلاق، ومقرُّ ملكتهم حصنُ نَعَزٍ . ورسولُ
هذا الذى كان يُنسب إليه ملوك هذا النسب من اليمن هو رسولُ أميرِ أخور الملك
الكاملِ محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب . قال فى "التعريف" : ولما بعثَ الملكُ
الكامل ولده الملك المسعود أطسز، وهو الذى تسميه العامة أفسيس ، بعثَ معه
رسولاً أميراً خور فى جملة من بعثه معه . قال : ثم تنقلت الأحوال حتى استقلَّ
رسول بملك اليمن، وصار الملك فى عقبه إلى الآن . والذى ذكره المؤيد صاحب
حماة، وقاضى القضاة وليُّ الدين بن خلدون فى تاريخيهما وهو الصواب أن أوّل
من ملك اليمن على بن رسول، ثم أبوه المنصورُ عمرُ، ثم أبوه المظفرُ يوسفُ، ثم أبوه
الأشرفُ عمرُ، ثم أخوه المؤيدُ هزبرُ الدين داودُ، ثم أبوه المجاهدُ سيفُ الدين على،
وهو الذى قال المقرُّ الشهابيُّ بن فضل الله فى "التعريف" "إنه كان فى زمنه ،
ثم المنصورُ أيوبُ، ثم المجاهدُ علىُّ المقدم ذكره ثانياً، ثم أبوه الأفضلُ سيفُ الدين
عبّاس . وهو الذى قال فى "التتيف" "إنه كان فى زمنه فى الدولة الأشرفية «شعبان
أبن حسين» ثم أبوه المنصورُ محمد ، ثم أخوه الأشرفُ إسماعيل ، وهو الذى كان
فى الدولة الظاهرية بقوق . ثم أبوه [الملك الناصر أحمد] وهو القائم بها الآن .^(١)

(١) بياض بالأصل هنا وفى ج ٥ ص ٣٣ أيضاً عند الكلام على ملوك اليمن من أولاد رسول والتصحيح

من بغية المستفيد لابن الديع .

وأعلم أنَّ المكاتبَ بينَ صاحبِ مصر وصاحبِ اليمنَ من حينِ استقرتْ مملكةُ اليمنِ مع بنى أيوبِ ملوكِ مصر وصارتِ المملكةانِ كالمملكةِ الواحدةِ ، ثم تواصلتِ المكاتباتُ بينَ ملوكهما وتأكدتِ المودَّةُ إلى زماننا هذا، خلا ما وقع في خلال ذلك من حصولِ تباينٍ وقع بينَ أهلِ المملكتينِ في بعضِ الأزمانِ ، وهو على ضربينِ :

الضرب الأول

(ما كان الأمرُ عليه في الدولة الأيوبية ، وهو أن تفتتح

المكاتبَةُ بلفظ «أصدرناها»)

وهذه نسخةُ كتابٍ عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحبِ مصر والشام ، إلى أخيه سيف الإسلام صاحب اليمن يستقدمه إليه ، معاونًا له على قتال الفرنج ، ويخبره بما وقع له من الفتوحات في سنة أربع وثمانين وخمسمائة . وهي :

أصدرنا هذه المكاتبَةَ إلى المجلس ، ومما تجدد بحضرتنا فتوح «كوكب» وهي كرسى الاستبارية ودار كفرهم ، ومستقر صاحب أمرهم ، وموضع سلاحهم وذخرم ، وكان يجمع الطرق قاعدا ، وملتقى السبل راصدا ، فتعلقت بفتحه بلاد الفتح وأستوطنت ، وسليكت الطرق فيها وأمنت ، وعمرت بلادها وسكنت ، ولم يبق في هذا الجانب إلا «صور» ولولا أن البحر يُجدها والمراكب تردها ، لكان قيادها قد أمكن ، وجاحها قد أذعن ، وما هم بحمد الله في حصن يحميهم ، بل في سجن يحويهم ، بل هم أسارى وإن كانوا طلقاء ، وأموات وإن كانوا أحياء ، قال الله عز وجل : ﴿ فلا تعجل عليهم إنا نعد لهم عدا ﴾ ولكل أمرئ أجل لا بد أن يصدق غائبه ، وأمل لا بد أن يكذبه خائبه .

وكان نزولنا على «كوكب» بعد أن فتحنا «صفد» بلد الديوية ومعقلهم ،
 ومشتغلهم وعملهم ومحلهم الأحصن ومنزلهم ؛ وبعد أن فتحنا «الرك»
 وحصونه ، والمجلس السيفي - أسماء الله - أعلم بما كان على الإسلام من مؤنته
 المثقلة ، وقضيته المشككة وعنته المعضلة ؛ وأن الفرنج - لعنهم الله - كانوا يقعدون
 منه مقاعد السمع ، ويتبوءون منه مواضع للنفع ؛ ويحولون بين قات (؟) وراكبها ،
 فيدللون الأرض بما كان منه ثقلاً على منّا كبا . والآن ما من بلاد الحرمين ، بأشد
 من بلاد الحرمين ؛ فكأها كان مشتركا في نصرة المسلمين بهذه القلعة التي كانت ترمى
 ولا ترام ، ونسأى ولا تسام ؛ وطالما استفرغنا عليها بيوت الأموال ، وأنفقنا فيها
 أعمار الرجال ، وقرعنا الحديد بالحديد إلى أن صجّت النصال من النصال ؛ والله المشكور
 على ما أنطوى من كلمة الكفر وانتشر من كلمة الإسلام . وإن بلاد الشام اليوم
 لاتسمع فيها لغوا ولا تأثيما إلا قياتا سلاماً سلاماً [فادخلوها بسلام] ؛ وكان نزولنا^(١)
 على «كوكب» والشتاء في كوكبه ، وقد طلع بين الأنواء في موكبه ؛ والتلوح تنشر على
 البلاد ملاءها الفضيض ، وتكسو الجبال عمامها البيض ؛ والأودية قد تجت بامها ،
 وفاضت عند امتلائها ؛ وشمخت أنوفها سيولا ، وغرقت الأرض وبلغت الجبال
 طولا ؛ والأحوال قد اعتقلت الطرقات ، ومشي المطلق فيها مشية الأسير في الحلقات ؛
 فتجشمتنا العناء نحن ورجال العساكر ، وكأثرنا العدو والزمان وقد يحجز الحظ المكابر ؛
 وعلم الله النية فأنجدنا بفضلها ، وضمير الأمانة فأعان على حملها ؛ ونزلنا من رؤوس
 الجبال بمنازل كان الاستقرار عليها أصعب من ثقلها ، والوقوف بساحتها أهون من
 ثقلها ﴿ وأما نعمة ربك فحدث ﴾ .

(١) الزيادة عن كتاب الروضين في أخبار الدولتين (ج ٢ ص ١٣٦) .

والحمد لله الذى أَلَمَّنَا بِنِعْمَتِهِ الْحَدِيثِ ، وَنَصَرَ بَسِيفِ الْإِسْلَامِ الَّذِى هُوَ سَيْفُهُ
 وَسَيْفِ الْإِسْلَامِ الَّذِى هُوَ أُخُونَا الطَّيِّبَ عَلَى الْخَيْثِ ؛ فَمَدَحَ السَّيْفِ يَنْقَسِمُ عَلَى
 حَدِيهِ ، وَمَدَحَ الْكَرِيمِ يَتَعَدَّى إِلَى يَدَيْهِ ؛ وَالآنَ فَالْمَجْلِسُ - أَسْمَاءُ اللَّهِ - يَعْلَمُ أَنَّ الْفَرَنْجِ
 لَا يَسْتَلُونُ عَمَّا فَتَحْنَا ، وَلَا يَصْبِرُونَ عَلَى مَا جَرَحْنَا ؛ فَإِنَّهُمْ - خَذَلَهُمُ اللَّهُ - أُمَّ لَا تُحْضَى ،
 وَجِيُوشٌ لَا تُسْتَقْصَى ؛ وَوَرَاءَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الْبَحْرِ مَنْ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا ،
 وَيَطْمَعُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ كَسْبًا ؛ وَيُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ مَحِيطٌ بِأَقْرَبِيهِمْ وَأَبْعَدِيهِمْ ؛
 وَ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ . ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ .

وَمَاهُمْ إِلَّا كِلَابٌ قَدْ تَعَاوَتْ ، وَشَيَاطِينٌ قَدْ تَعَاوَتْ . وَإِنْ لَمْ يُقَدِّفُوا مِنْ كُلِّ
 جَانِبٍ دُحُورًا ، وَيَتَّبِعُوا بِكُلِّ شَهَابٍ نَاقِيٍّ مَدْحُورًا ؛ آسَأَسُدُوا وَأَسْتَكَلِبُوا ، وَتَأَلَّبُوا
 وَجَلَبُوا وَأَجَلَبُوا ، وَحَارَبُوا وَحَرَّبُوا ؛ وَكَانُوا لِباطِلِهِمُ الدَّاحِضُ ، أَنْصَرَ مِنَّا الْحَقُّنَا
 النَّاهِضُ ؛ وَفِي ضَلَالِهِمُ الْفَاضِحُ ، أَبْصَرَ مِنَّا لَهْدَانَا الْوَاضِحُ ؛ وَلِلَّهِ دَرْجَرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرَمَ أَبْنَاهَا * وَأَبْنُ اللَّئِيمَةِ لِلثَّامِ نَصُورًا !

فَالِدَارَ إِلَى النَّجْدَةِ الْبِدَارِ ! ، وَالْمُسَارِعَةَ إِلَى الْجَنَّةِ فَإِنَّهَا لَنْ تُنَالَ إِلَّا بِإِقَادِ نَارِ
 الْحَرْبِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ ، وَالْهَمَّةَ الْهَمَّةَ ! فَإِنَّ الْبَحَارَ لَا تُلْقَى إِلَّا بِالْبِحَارِ ، وَالْمُلُوكَ الْكِبَارَ
 لَا يَقْفَى فِي وُجُوهِهَا إِلَّا الْمُلُوكُ الْكِبَارُ :

وَمَا هِيَ إِلَّا نَهْضَةٌ تُورِثُ الْعَلَا * لِيَوْمِكَ مَا حَنَّتْ رَوَازِمُ نَيْبٍ !

وَنَحْنُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - نَنْزِلُ عَلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَيَنْزِلُ وَلَدُنَا الْمَلِكُ
 الْمُظْفَرُ - أَظْفَرَهُ اللَّهُ - عَلَى طَرَابُلُسَ ؛ وَيَسْتَقِرُّ الرَّكْبُ الْعَادِلَى - أَعْلَاهُ اللَّهُ - بِمَصْرَ
 فَإِنَّهَا مَذْكُورَةٌ عِنْدَ الْعَدُوِّ - خَذَلَهُ اللَّهُ - بِأَنَّهَا تُطْرَقُ ، وَأَنَّ الطَّابَ عَلَى الشَّامِ وَمِصْرَ
 تَفْرَقُ ؛ وَلَا غَيْءَ عَنْ أَنَّ يَكُونُ الْمَجْلِسُ السَّيْفِيُّ - أَسْمَاءُ اللَّهِ - بِحَرًّا فِي بِلَادِ السَّاحِلِ

يَزْخُرُ سِلَاحًا، وَيَجْرُدُ سَيْفًا يَكُونُ عَلَى مَا فَتَحْنَاهُ قُفْلًا، وَمَا لَمْ يُفْتَحْ بَعْدُ مُفْتَاحًا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ
لِأَحَدٍ مَّا لِلْآخِ مِنْ سُمْعَةٍ لَهَا فِي كُلِّ مَسْمَعٍ سَمْعُهُ، وَفِي كُلِّ رُوعٍ رَوْعُهُ؛ وَفِي كُلِّ
مَحْضَرٍ مَحْضَرٌ، وَفِي كُلِّ مَسْجِدٍ مَنِيرٌ، وَفِي كُلِّ مَشْهَدٍ مَحْبَرٌ؛ فَمَا يُدْعَى الْعَظِيمُ إِلَّا لِلْعَظِيمِ،
وَلَا يُرْجَى الْمُوقِفُ الصَّبْرِ الْكَرِيمِ إِلَّا الْكَرِيمِ؛ وَالْأَقْدَارُ مَاضِيَةٌ، وَبِمَشِيئَةِ اللَّهِ جَارِيَةٌ؛
فَإِنَّ يَسْبَأُ اللَّهُ يَنْصُرُ عَلَى الْعَدُوِّ الْمَضْعَفِ، بِالْعَدَدِ الْأَضْعَفِ؛ وَيُوصِّلُ إِلَى الْجَوْهَرِ
الْأَعْلَى، بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى؛ فَإِنَّا لَنَرْتَابُ بِأَنَّ اللَّهَ مَا فَتَحَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْفُتُوحَ لِيُغْلِقَهَا،
وَلَا جَمَعَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْأُمَّةَ لِيُفَرِّقَهَا؛ وَأَنَّ الْعَدُوَّ إِنَّمَا نَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ بَطْرًا،
وَدَخَلْنَا إِلَى دَارِنَا كَانَ فِيهَا جَزْرًا؛ وَمَا بَقِيَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا أَمْوَالٌ تُسَاقَى إِلَى
نَاهِبِهَا، وَرِقَابٌ تُقَادُ إِلَى ضَارِبِهَا، وَأَسْلِحَةٌ تُحْمَلُ إِلَى كَاسِبِهَا؛ وَإِنَّمَا نُؤَثِّرُ أَنْ لَا تَطْوِيَّ
صَحَائِفُ الْحَمْدِ خَالِيَةً مِنْ أَسْمِهِ، وَمَوَاقِفُ الرُّشْدِ خَاوِيَةً مِنْ عَزَمِهِ؛ وَنُؤَثِّرُ أَنْ يُسَاهِمَ
آلُ أَيُّوبَ فِي مِيرَاثِهِمْ مِنْهُ مَوَاقِعَ الصَّبْرِ، وَمَطَالِعَ النُّصْرِ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى أَنْ نُعْطِيَهُ عَطَايَا
الْآخِرَةِ الْفَاحِرَةَ، أَشَدُّ مَنَّا حِرْصًا عَلَى أَنْ نُعْطِيَهُ عَطَايَا الدُّنْيَا الْقَاصِرَةَ، وَإِنَّا لَا يُسْرِنَا
أَنْ يَنْقُضِي عُمْرَهُ فِي قِتَالِ غَيْرِ الْكَافِرِ، وَنِزَالِ غَيْرِ الْكُفِّ الْمُنَاطِرِ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ سَيْفَهُ
لَوْ اتَّصَلَ بِإِسَانٍ نَاطِقٍ وَقَمٍّ، لَقَالَ: مَا دُمْتُ هُنَاكَ فَلَسْتُ بِمَمٍّ؛ وَمَا هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى خُطَّةٍ
يَخَافُهَا، وَلَا مَتَكَلِّفٍ قَضِيَّةٍ بِحُكْمِنَا يِعَافُهَا؛ وَالَّذِي بِيَدِهِ لَا تَسْتَكْبِرُهُ، بَلْ تَسْتَقْصِرُهُ عَنْ
حَقِّهِ وَنَسْتَصْغِرُهُ؛ وَمَا نَاوَلْنَاهُ لَفْتَحَ أَرْضِهِ السَّلَاحَ، وَلَا أَعْرَنَاهُ لِمَلِكٍ مَرْكَزِهِ النَّجَاحَ؛
إِلَّا عَلَى سَخَاءٍ مِنَ النَّفْسِ بِهِ وَبِأَمَثَالِهِ، عَلَى عِلْمٍ مَنَّ أَنَّهُ لَا يَقْعُدُ عِنَّا إِذَا قَامَتْ [الْحَرْبُ]
بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ؛ فَلَا نَكُنُّ بِهِ ظَنًّا أَحْسَنَ مِنْهُ فَعَلًا، وَلَا نَرْضَى وَقَدْ جَعَلْنَا اللَّهَ أَهْلًا أَنْ لَا نَرَاهُ
لِنَصْرِنَا أَهْلًا؛ وَلَيْسَتْ تَشْرُ أَهْلَ الرِّشَادِ فَإِنَّهُمْ [لَا يَأْلُونَهُ] حَقًّا وَأَسْتَنْبَاضًا، وَلِيَعِصَّ أَهْلَ الْغَوَايَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ «بِالْوَهِّ حَقًّا» كَمَا تَقَدَّمَ أَيْضًا فِي ص ٢٧ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَالصَّوَابُ مَا أَمْتَنَاهُ فِي الصَّلَابِ

كَمَا يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى وَقَوَاعِدُ اللَّغَةِ تَأْمَلُ .

فإنهم إنما يتغالون به لمصالحهم أغراضاً؛ ومن بيته يظعن وإلى بيته يقفل، وهو يجيبنا جواباً مثله لثنا، وينيوي في هذه الزيارة جمع شمل الإسلام قبل نية جمع شملنا؛ ولا تقعدُ به في الله نهضة قائم، ولا تخذله عزيمة عازم؛ ولا يستفت فيها قوت طالب ولا تأخذه في الله لومة لائم؛ وإنما هي سفرة قاصده، وزجرة واحدة؛ فإذا هو قد بيّض الصحيفة والوجه والذكر والسَّمعه، ودان الله أحسن دين ولا حرج عليه إن فاء إلى أرضه بالرحمة؛ وليندبر ما كتبناه، وليتفهم ما أردناه؛ وليقدم الاستخاره، فإنها سراج الاستنارة، وليغضب الله ورسوله ولدينه ولأخيه؛ فإنها مكان الاستغصاب والاستنارة. وليحضر حتى يشاهد أولاد أخيه يستشعرون لفرقة عمّا، وقد عاشوا ماعاشوا لا يعرفون أن لهم مع عمهم عمّا؛ والله سبحانه يُلهمه توفيقاً، ويسلك به إليه طريقاً؛ ويُحدنا به سيفاً لرقبة الكفر ممزقا ودمه مريفاً، ويجعله في مضمار الطاعات سابقاً لا مسبوفاً. إن شاء الله تعالى.

الضرب الثاني

(من المكاتبات إلى صاحب اليمن ما الأمر عليه من ابتداء الدولة التركيّة)

وهلم جراً إلى زماننا، وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بلفظ «أدام الله تعالى نعمة [أيام] المقام العالی»)

وهذه نسخة كتاب كتبت عن الملك الناصر محمد بن قلاوون، جواب كتاب ورد من صاحب اليمن في مقابلة البشري بدخول العساكر المنصورة إلى بلاد الأرمين، وطلب سلامش نائب التتار بالروم الدخول في الطاعة؛ وذكر أن نائباً كان لأبيه

(١) أي صاحب اليمن في كتابه الذي ورد منه في مقابلة البشري.

في قلعة طمع وعصى عليه فظفر به فبشر بذلك ؛ ويحرضه على الجهاد وإنقاذ الأموال، ويهدده، ويوجه به قصاده إليه . من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله، وهي :

أدام الله تعالى نعمة أيام المقام العالی ! وأنهضه بفرض الجهاد الذي بمثله يُتمجج ،
وأيقظه لمتعين الغزو الذي ما ^(١) له تُدرک الرُتب وترتفع الدَرَج ؛ وأشهده
في سبيل الله مواقف النصر التي إذا أودعنا نُشر بشرها الطروس عبقت بما فيها من
الأرج ؛ وأراه مشاهد فتوحنا التي إذا حدثت الأحلام عن عجائبها حدثت عن البحر
ولا حرج ؛ وصان مجده عن إضاعة الوقت في غير حديث الجهاد الذي هو أولى
مأبذلت له الذخائر وأبذلت فيه المهج .

صدرت هذه المكاتبه تخصه بحية لتضوع نشرًا ، وتتحفه من متجددات الظفر
بشرا ، يملأ الوجود مسرة وبشري ، وتقص عليه من متجددات فتح يأتي على
مأتعت فيه الأفكار قرائحها من مشتهى التهانى فلا يدع له ذكرا، وتتلو على من ظن
بعد ما سمع من البلاغ بلاغ العدا أن إزالة وإل عن مرکه فتح كبير : لقد جئت
شيئا نكرا . وتوضح لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمة وردت مقصورة على نبيا لا يعتد
بذكره ، محصورة على خبر لا ينبغي لمثل مجده أن يمره على فكره ، مطلقه عنان القلم
فيما كان ينبغي طي خبره وتعفى أثره ، وإخفاء سببه وترکه نسيا منسيا فضلا عن
التبجح بذكره ، والتهنئة به ، إذ في ذلك مقابلة البحر بالماد ، والروح بالجماد ؛
والشمس بالدبال ، والهدى بالضلال ؛ فلم يكمل له في ذلك المراد ، وأتى بما قالت له
التهانى : (نحن في وادٍ وأنت في وادٍ) ؛ وقابلناها مع ذلك بالقبول الذي آجتلى غررها ،

(١) بياض في الاصل ولعله الذى بالقيام به تدرك الخ .

وَأَحَدَتْ لَدَيْهِ وَرَدَهَا وَصَدَرَهَا ، فَأَحْطْنَا عَلِمًا بِمَا تَضَمَّتْهُ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي أَبْدَاهَا ، وَالْمُتَّحِدَاتِ الَّتِي عَظُمَ مَوْجِعُ نَشْرِهَا عِنْدَهُ فَأَهْدَاهَا .

(١) وأما ما ذكره من أمر القلعة التي كان [النائب بها] لوالده شخصاً اعتمد عليه ، وولاه مستحفظاً ظنّه مع تغيّر الأحوال مؤتمناً على ما في يديه ؛ وأن ذلك الشخص بعد انتقال والده رحمه الله طمع فيما أستودع بفتح الوديعه والموداعه ، ورام المنازعة والمقاطعة ، وخالف وحالف ، وقارب العُصيان وقارف ؛ وأنه في هذا الوقت قلع ذلك النائب ، من تلك القلعة المغتصبه ، وأراح من همّه الناصب ، أفكاره ووصبه ؛ إلى غير ذلك مما أورده على وجه البشرى لهذا السبب الضعيف ، وأبرزه في معرض التهنئة من هذا الأمر الطفيف ؛ وأراد أن يتكثّر فيه بما لا مدخل له في كثره وقله ، فذكر بروزه بجمعه إلى شخص واحد في قبالة ما اتصل به من نبيا كل موطن برز فيه الإسلام كله إلى الشرك كله ؛ وظاهر الأمر أن ذلك الشخص ماعصى بالمكان الذي كان فيه إلا لما رأى بالمملكة اليمنية من اضطراب الأحوال ، وأسباب الاختلاف والاختلال ؛ والوهن الذي حسن له الاحتراز والاختزال ؛ والحلوة التي حملته على أن (طلب الطعن وحده والتزال) ؛ وأمتداد الأيدي العادية بكل جهة إلى ما يليها ، وضياح رعايا كل ناحية بالاشتغال عن اقتقاد أحوال من يباشرها وأنتقاد تصرف من يليها ؛ فهو الذي أوجب طمعه ، وقوى ضلعه ، وحمله من مركب العناد ، وأراه نظراء بتلك الجهة ممن سلك الفساد . وهذا الأمر ما خفي علينا خبره ، ولا توارى عنا ورده ولا صدره ؛ فإن أخبار مملكة اليمن ما زالت متواصلة إلينا بما هي عليه من اضطراب واف ، واختلاف غير خاف ، وهيج لا يرجع الأمر فيه إلى كاف كاف ؛ وما أحرنا لحق جيوشنا المنصوره ، وعساكرنا التي ممالك العدا بمهابتها محصوره ؛

(١) لم يأت لأما بجواب واضح ولكنه يدرك بالتأمل .

عن الوصول إلى المملكة اليمنية لتقويم أودها، وتمكين شدتها، وإقامة أمر الملك فيها، وحسم مادة الفساد عن نواحيها، وتطمين البلاد، وإقامة الرعايا من الأمن في أوطان مهاد، والأحترار على الخزائن والأموال، وصونها عن الإنفاق في غير جند الله الذين منعوا دعوة الشرك أن تقام وكلمة الكفر أن تقال؛ إلا لأن عساكرنا كانت الآن في الممالك والأقاليم التي بيد الكفر: من التتار المخدولين، ومن يقول بقولهم من أعداء الدين؛ تقتل وتأسر، وتلقى الجيوش الكافرة فتكسب وتكسر؛ وتضحهم حيث حلوا طلائع رعبها، وتصبحهم منها أين طلوا ريح عاد التي تدمر كل شيء بأمر ربها.

وماسطرنا هذه المكتبة إلا وجيوشنا المنصورة قد وطئت عقر بلادهم فأذلتها وأذلتها، وغيرت أحوالها وحالاتها، وقاسمتهم شرقسمة فلها منها الحصون والمصون، والجنات الوارفة الغصون، ولهم منها الخراب والتباب، والدارس الذي لا يحصل بكف دارس بيته إلا التراب؛ وهاهي قادمة إلينا يقدمها النصر، ويتقدمها من أسر العدا وغنائمهم ما يربى عن الحصر؛ وما يبنا وبين ركب هذا البحر لملك تمهده، وعدل تجده؛ وبغاة تكف غربها، ورعاة تؤمن بالمهابة سربها، وتصفى من أكدار الفتن شربها؛ وخزائن لها عن غير الإنفاق في سبيل الله تصونها إلا بمقدار ما تستقر^(١) بها المنازل آسقرار السنة بالحقون لا النوم، وأضمرت

نواحيها، وآسأقت أهلها ومواسيها؛ وجعلت قصورها صعيدا، وزرعها حصيدا؛ وعقالها إماء، ومعاقها هباء؛ وأبتذلت مصونها الذي جعله الله لها أنقلا، وأختارت من حصونها لملكنا ما كانت سيوفنا له مفتح فلما فتح عدن له أقفلا؛ وأقتلعت من القلاع التي كانت بيد الكفر كل معقل أشب، وحصن شابت نواصي

(١) بياض بالأصل ولعله لا النوم بالعيون فما من جهة للعدا إلا وأضمرت الخ تأمل

اللَّيْلَ وهو لم يَسِبْ ؛ قد صُفِّحَ بالَصَّفَاحِ ، وُشِّرَفَ بِأَسِنَّةِ الرَّمَاحِ ، واستَدَارَ بَقِنَّةِ قَلْبِهِ
يَنْبَ التَّرْقِيَّ إِلَيْهَا هُوَجَ الرِّيحِ ؛ فَطَهَّرْتَهُ مِنَ النَّجَسِ ، وَعَوَضْتَهُ بِصَوْتِ الْأَذَانِ
عَنْ صَوْتِ الْحَرَسِ ، وَأَحْرَسَتِ النَّاقُوسُ بِسُورَةِ الْفَتْحِ الَّذِي عَوَّذْتَهُ نُوبُ الدَّهْرِ
بِآيَاتِ الْحَرَسِ ؛ مَعَ مَا أُضِيفَ إِلَى تِلْكَ الْقِلَاعِ مِنْ يِلَادٍ وَتِلَادٍ ، وَأَغْوَارٍ وَنِجَادٍ ؛
وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ ، وَأَمْوَالٍ أُرْتِجِعُ بِهَا مَا كَانَ لِلْإِسْلَامِ فِي ذِمَّةِ الْكُفْرِ مِنْ بَقَايَا الدُّيُونِ .
وَكُلُّ تِلْكَ الْغَنَائِمِ مَنْحُنَا جُيُوشَنَا الْمَنْصُورَةَ وَأَبْجَنَاهَا ، وَقَوَيْنَاهُمْ عَلَى أُمْتَالِهَا مِنَ الْفُتُوحِ
بِرَفْعِ الْعَوَائِقِ الَّتِي أَرْزَلْنَاهَا ، بِالْقَنَاطِيرِ الْمُقْتَطِرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَرْحَانِهَا ؛
وَمَا وَصَلَ الْآنَ قُصَادُهُ إِلَى أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَّا وَالْبَشَائِرُ تَنْطِقُ بِأَلْسِنَةِ التَّهَانِي ، وَتَحْفِقُ
بِمَجْدِدَاتِ هَذِهِ الْفُتُوحِ فِي الْأَفَاصِي مِنْ مَمَالِكِهَا وَالْأَدَانِي ؛ وَقَدْ شَاهَدُوا ذَلِكَ وَشَهِدُوهُ ،
وَرَأَوْا مَا رَأَى غَيْرُهُمْ مِنْ نَوَادِرِ الْفُتُوحِ الَّتِي أَرَبَتْ عَلَى مَا أَلْفُوهُ مِنْ قَبْلُ وَعَهِدُوهُ .
هَذَا وَمَا وَضَعْتَ الْحَرْبُ إِلَى الْآنَ أَوْزَارَهَا ، وَلَا نَحْمَدُ نَارَ الْوَعْغَى الَّتِي أَعَدَّتْ
جُيُوشَنَا الْمَنْصُورَةَ لِلْأَعْدَاءِ أَوْارَهَا ؛ وَمَا يَمْضِي وَقْتُتْ إِلَّا وَالْبَشَائِرُ مُتَوَارِدَةٌ عَلَيْنَا بِفَتْحِ
جَدِيدٍ ، وَنَصِيرِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُخَلَّقٌ تَحْقُقُ فِي كُلِّ بَرِّ بَرِيدٍ . وَقُصَارَى أَمْرِ الْعَدُوِّ الْآنَ
أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ بَلَدٌ ، إِلَّا وَقَدْ (أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ) ؛ وَوَلَادَارٌ إِلَّا وَقَدْ أَحْضَتْ
كَدَارِمِيَّةً الَّتِي (أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمْدِ) ؛ وَلَا جَيْشٌ إِلَّا وَقَدْ فَرَّ وَأَيْنَ يَفْتَرُ
وَهُوَ يَطْوِي فِي قَبْضَتِنَا الْمَرَاحِلَ ؟ ، وَلَا طَرَائِدُ بَحْرِ إِلَّا وَهِيَ مَطْرُودَةٌ فِي الْبَلْجِ لِتَيْقُنِهِمْ
أَنَّ الْعَطْبَ لَا السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ .

فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ رَأَيْنَا أَنَّ أَشْتَغَالَ جَيْشِ الْإِسْلَامِ بِجَانِبِ الْكُفْرِ هُوَ الْمَهْمُ الْمَقْدَمُ عَلَى
مَاسِوَاهِ ، وَالغَرَضُ الَّذِي نَيْتُنَا فِيهِ إِنْقَاذُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ كَلِمَةِ الْكُفْرِ وَتَحْكِيمُهُ «وَلِكُلِّ
أَمْرِيٍّ مَانَوَاهُ» وَرَأَيْنَا أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْجِهَةِ مَا يُقَوِّتُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَتَمَكِينِهِ ، وَإِذَا
كَانَ اللَّهُ قَدْ أَقَامَ بِقُدْرَتِهِ مِنَّا مَلِكًا لِنَصْرَةِ دِينِهِ فَإِنَّ الْيَمِينَ وَغَيْرَهُ فِي يَمِينِهِ ؛ وَهِيَ مُحْسَبَةٌ

من أعداد ممالك المحروسه ، ومعدودة من أقسام بلادنا التي هي بوقود الفتح مأنوسه ؛ ولا بُد من النظر في أمرها ، وإعمال الفكر في إزاحة ضرها ؛ وتجريد العساكر المنصورة إليها ، وإقدام الجيوش التي عادت الإقدام في الوغى عليها ؛ ليكون العمل في أمرها بما يرضى الله ورسوله ، ويبلغ من كان بتلك الجهات يروم الجهاد ولا يطيقه سوله ؛ فإن المملكة المذكورة توالث عليها الممدد ، ومضى عليها الأبد ؛ وهمة من فيها إلى اللهو مضروفه ، وعلى اللذات موقوفه ؛ وأحكام الجهاد عندهم مرفوضة حتى كأن الجهاد لم يبلغهم وغره حلمه ، ولا أحاطت أفكارهم بشيء من علمه ؛ بل كأنه على غيرهم وجب ، وكأن ما أعد الله من الأجر عليه إنما أريد به الذين يكثرون الذهب ؛ وتمادت الأيام وليس في نكايه أعداء الله منهم مصيب ، وتفرقت الأموال وما لجند الله فيما احتووا عليه من ذلك سهم ولا نصيب ؛ وأى عذر عند الله لمن جعله مؤتمنا على ماله فلم يكن له في سبيل الله إنفاق ؟ وأى حجة لمن [لم] يقف موقف جهاد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق " .

والآن فإن الله سبحانه وتعالى قد أقامنا لنصرة الإسلام ورفع كلمة الإيمان وتمهيد البلاد ، وإجراء الأحوال في القريب منها والبعيد على ما يرضى الله تعالى ويرضى رسوله عليه السلام من السداد ؛ وأهم الأمور عندنا أمر الغزاة والمجاهدين الذين ما منهم إلا مُسكٌ بعنان فرسه ، مكتحلٌ بسهاد حرسه ؛ لا يأمن العدو مهاجمة خيله في سراه ، ولا مفاجاة خياله في كراه ، حصنه ظهر حصانه ، وجوابه على لسان سنانه ، كلماً سمع هبة أو وقعة طار على متن فرسه يلتبس الموت والقتل في مظانه ؛ وهؤلاء هم جيوشنا الذين دوخوا البلاد ، وأذلوا أهل العناد ؛ وطهروا السواحل ، وأجروا في كل

موطن من أنهار الدماء ما يروى البلد الساحل؛ وهزموا جيوش التتار وهم في أعداد الكواكب، وحصدوهم بسيوفهم عروزة (١) وهم في نحو المائة ألف راكب؛ حتى إن ملوك التتار الآن ليمنون إرضاءنا وإغضائنا، وليستدعون ويدعون للآباد ولآئنا؛ ويطلبون المسالمة منا، ويودون نسيمة قبول تصدُر إليهم عنّا؛ والطويلُ العمر منهم ومَن والاهم هو الذي يهرب من بين يدي جيوشنا المنصورة ليسلم بنفسه، وإن أسلم ما يعزُّ عليه من ماله وولده وعِرسه. فمثل هؤلاء الذين يستحقون أموال المالك الإسلامية ليستعينوا بها في جهازهم لجهادهم، ويُنفقوها في إعدادهم لأعدائهم؛ ويضرفوها في ذبهم عن دين ربهم.

وهذه المملكة اليمنية قد أجمع فيها من الأموال ما يربي عن الحصر والحد، ويزيد على الإحصاء والعد؛ لا ينفق منها شيء في الجهاد، ولا يعد منها مصروف إلا بما لا تحمدُ عاقبته في المعاد؛ قد صدَّ عنها جندُ الله الذين ينفقونها سرًّا وجهراً، ويستزلون بها أرواح أعداء الله على حكم سيوفهم قسراً وقهراً؛ وأيحت لمن تأبى الجهاد جانباً، ورضى باللهو صاحباً؛ وأقتنى السلاح لغير يوم الباس، وأعتنى بارتباط الحيات بطراً ورتاء الناس.

وكان كتابنا قد تقدّم في أمر المجاهدين وما يحتاجونه من الإعانة بما يحمل إليهم من الأموال بالمملكة اليمنية: ليصرف ذلك في حقه، ويصل إلى مستحقه؛ ويكون قد أعدّ منها للإنفاق في سبيل الله جانب بحيث لا يضاع، ووصل إلى مجاهدي الأمة نصيب من مال الله الذي هو في يد من ولّاه شيئاً من أمور عياده على حكم الإيداع؛ ويدخل ذلك في زمرة الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها؛ فحصلت المكابرة في الجواب عن ذلك، وأى عُذر في المكابرة عن

(١) كذا في الأصل ولعله ويخرج بذلك من زمرة الخ تأمل.

مثل هذا الأمر وسُغِلَ الوقت بذكره ؟ ونحن عندنا في كل وقتٍ من البشائر بمَوَاهِبِ الفتح ، وغرائب المَنَح ، ومتجددات الظَّفَر والنصر ، ومتحليات التأييد التي قَسَمَت أَعْدَاءُ الله بين الحَصَد والحَصْر ، ما يهبُّ نَشْرُهُ هبوبَ الرِّيحِ في البرِّ والبحار ، ويودُّ الدهرُ لورقته بذهب الأصيل على صَفَحَاتِ النَّهَارِ ، وكلُّ ذلك في أشدِّ أَعْدَاءِ الله تعالى : من التتار ، الذين عُرِفَ عَدُوُّهم وجلدُهم ، والفرنج الذين طال وكثُر في عداوة الإسلام أبَدُهم ومددُهم ، والأرمن الذين هم أكثرُ الطائفتين في الظاهر وفاقا ، وأشدُّ الفتنين في الباطن نفقا ، وهم لهؤلاء وهؤلاء مادة تدمير وتمير ، وتغريم وتغريم من نار الحرب المضرسة لسيوفنا إلى جهنم ونس المصير ، وأى شيء من ذلك يُذكر عند مواقف جيوشنا المنصورة ، وظفر عساكرنا المؤيدة ؟ ، لو كان حصل عنده الفكر الصائب ماوردت مكانته إلا وهى مقترنة بما يرضى الله ورسوله وأهل الإسلام : من إمداد الغزاة بالأموال ، وإعانتهم على الكلف التى كَلَّمَا أَعْدَاها مال [بَدَتْ] حال يلائمها الإنفاق في سبيل الله ويستلونك عن الجبال ، وهامى قادمة إلينا يقدمها النصر ، ويتقدمها من أسرى العدا وغنائمهم مايرى عن الحصر ، وما بينها وبين ركوب تبحر هذا البحر ملك ثممه ، وعدل تجده ، وبغاة تكف غربها ، وزعایا تؤمن بالمهابة سربها ، وتصفى من أكار الفتن سربها ، وأموال تصونها ، وخرائن ينزه عن غير الإنفاق في سبيل الله مصوبها ، إلا بمقدار ما تستقر بها المنازل استقرار السنة بالحنون لالنوم ، وتأخذ أهبه لذلك المهمة في يوم أو بعض يوم .

اللهم إلا أن تلبى دعوة الجهاد من تلك الجهة بالسنة التغير ، وتعبى صفوف الحلالاد فى الجوارى التى تكاد بأجنة القلوع تطير ، أو تنوب عنها خرائن الأموال التى تُنفق فى سبيل الله تعالى ، أو تقوم مقامها النفقات التى تُصرف إلى جنود الله التى تنفر فى سبيل الله تعالى خفافا وثقالا ، ليكون قد استدر بركة ذلك الطل

أخلاف الوابل ، وأنفق ما اخترته في سبيل الله الذي مثل ما ينفق فيه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ؛ وتستعد الجيوش المنصورة إلى طوي يصون برأيه ملكه ويصون ، ويستطيل على الوجود ولو أن البرسيوف والبحر نصول ؛ والله تعالى يرشده إلى ما هو أقرب للتقوى ، ويمسكه من طاعته بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى ؛ إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(وهو المذكور في " التعريف ")

أن تفتح المكاتب بلفظ : « أعز الله تعالى جانب المقام العالی » إلى آخر الألقاب ، ثم الدعاء ، مثل : ولا زال يُحسِن ولاية حسبه ، وينهض بجناح نسبه ، ويصون ملكه بعدله أكثر من قضبه ، ويثبت في اليمن اليمن في حالة إقامته ومنقلبه .
أصدرناها إلى مقامه موشحة المعاطف بحليه ، شاكرة علا عليه ، ذاكرة من محامده ما يتكثر السحاب بوليّه ، مبدية لعلمه الكريم كيت وكيت .

وهذه أدعية وصدور تناسب كل سلطان بها :

ولا زال به « تعز » تعز وتفوز بیره زبيد ، ويخرج من عدن عدن فضله المديد ، وتمتلي بوفود البر والبحر : هذا تطير به المراكب وهذه الركائب كلاهما من مكان بعيد ؛ ولا برحت به أهلة الأوطان ، مشتقة صفات فطره اليمنى من « الإيمان يمان » ؛ محجوباً بالجلالة أو محجوباً لما ينسب إليه من أحد الأركان .

أصدرناها والسلام يبارى ما ثبت أرضه من نباتها الطيب ، ويجارى بالثناء ما ينهل في أكفاه الجنوية من سخابها الصيب ؛ وتسرى إليه بتحياتنا الشريفة على قادمة كل نسيم ، وفي طي كل عام له وقوف على ربه وتسليم ؛ وتوضح لعلمه الكريم .

دعاءً وصدرٌ يختص بالمجاهد على ، وهو :

ولا زال أفضل متوج في يمنه ، وأعلى على إذا قيس بأبن ذى يزنه ، وأشجع من حمى بعهوده مالا تقدر السيف على حمايته من وطنه ؛ ولا أنفك الملك المجاهد عن عرضه المصون ، وسيف الدين الذى يقوم فى المفروض من مراضى الله بالمستون ؛ وأبا الحسن لما يحسن فى قطنته الحسنى أو فطرته من الظنون ، والعالى قدرا إذا أخذت الملوكة مراتبها وحدقت إليه العيون .

صدرت هذه المفاوضة إلى حضرته وسلامها يتفاح لديها ، ويصالح غمامه فى يديها ، وتجرى سفائن إخلاصه حتى تقف عليها ، وتسمى بتجارتنا محلقة بالبشرى فى صباح كل يوم يقرب من الوصول إليها ، وتبدي لعلمه الكريم .

قلت : ولم أقف على صورة مكاتبة مفتحة بلفظ «أعز الله تعالى جانب المقام» كتب بها إلى بعض ملوك اليمن فى زمن من الأزمان ؛ فأوردتها أستشهاداً لهذا الأسلوب .

الأسلوب الثالث

(أن تفتح المكاتبة بلفظ : «أعز الله تعالى نصره المقام العالى»)

وهذه نسخة كتاب كتب به إلى صاحب اليمن أيضا ، عن السلطان الملك المنصور قلاوون ، مبشراً بفتح صافيتا^(١) ، من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله ، وهو :

(١) لم نجد لفتح مصدرا على فبول فإما أن يكون جارى العرف وإما أن يكون جمع المصدر باعتبار أنواعه ووقائمه وهو بعيد تأمل .

أعزَّ الله تعالى نُصرة المَقَامِ العَالِي، المَوْلَى، السُّلْطَانِي، المَلِكِي، المَظْفَرِي، الشَّمْسِي، وأشْرَكَه فِي كُلِّ بَشْرِي تُسَدُّ الرِّحَالَ لِاسْتِمَاعِهَا، وَتُحَلُّ الحَبِي لِاسْتِطْلَاعِهَا، وَتَهْفَأُ التَّوَارِيخُ وَالسَّيْرُ عَلَى اسْتِرْفَاعِهَا، وَتَتَنَافَسُ الأَقْلَامُ وَالسِّيُوفُ عَلَى الأَفْهَامِ بِأَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا؛ وَلَا خَلَا مَوْقِفُ جِهَادٍ مِنْ اسْمِهِ، وَلَا مَصْرِفُ أَجْرٍ مِنْ قَسْمِهِ، وَلَا غَرَضٌ هِنَاءٍ مِنْ سَهْمِهِ، وَلَا أَفَقٌ أَبْتِهَاجٍ مِنْ بَزْوَعِ شَمْسِهِ وَطُلُوعِ نَجْمِهِ. سَطَّرَ المَمْلُوكُ هَذِهِ البُّشْرَى وَالسَّيْفُ وَالقَلَمُ يَسْتَمَدَانِ : هَذَا مِنْ دِيمٍ وَهَذَا مِنْ نِقَسٍ، وَيَمْضِيَانِ : هَذَا فِي رَأْسٍ وَهَذَا فِي طِرْسٍ؛ وَيَتَجَاوَبَانِ : هَذَا بِالصَّلِيلِ وَهَذَا بِالصَّرِيرِ، وَيَتَنَاوَبَانِ : هَذَا يَسْتَمِيلُ وَهَذَا يَسْتَمِيرُ؛ وَكُلُّ مِنْهُمَا يَنَافِسُ الآخَرَ عَلَى المَشَافَهَةِ بِخَبَرِ هَذَا الفَتْحِ الِذِي مَاسَمَتْ إِلَيْهِ هُمُ المَمْلُوكُ الأَوَائِلُ، وَلَا وَسِمَتْ بِهِ سَيْرُهُمُ الَّتِي بَدَتْ أَجْيَادُهَا مِنْ حِلَاهِ عَوَاطِلَ؛ وَلَادَارَ فِي خَلَدٍ أَنْ مِثْلَهُ يَتَبَّأُ فِي المُدَدِ الطَّوِيلِ، وَلَا تَشَكَّلُ فِي ذَهْنِ أَنَّهُ سَيُذْرِكُ بِحَوْلٍ وَلَا حِيلَةٍ؛ وَهُوَ النَّصْرُ المَرْتَّبُ عَلَى حَرَكَتِنَا الَّتِي طَوَى اللهُ لِرِكَابِنَا فِيهَا المَرَاحِلَ، وَأَلْقَى بِدَرَرٍ عَسَاكِرِنَا مِنْ بَحْرِ الحَدِيدِ المَاسِجِ إِلَى السَّاحِلِ؛ وَهَجُومِنَا عَلَى البِلَادِ الفَرَنْجِيَّةِ: وَهِيَ طَرَابُلسٌ وَصَافِيَّةٌ وَأَنْطَرُسُوسٌ وَمَرْقِيَّةٌ وَالْمَرْقَبُ، كَمَا يَهْجُمُ الغَيْثُ؛ وَمُضَادِمَتِنَا صُدُورَهَا كَمَا يَصْدِمُ اللَّيْثُ، وَسَلُوكِنَا مِنْهَا حَيْثُ لَمْ يَبْقَ حَيْثُ؛ وَمَا جَرَى فِي هَذِهِ الوِجْهَةِ مِنْ إِغَارَاتٍ أَحْسَنَتْ مَتَقَلَّبَ الأَعْيُنِ؛ وَمَتَعَلَّقَ السِّيُوفِ وَخَتَرَ الأَسِنَّةِ؛ وَمَاتَبَّأَ مِنْهَا مِنْ فُتُوحِ صَافِيَّةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ البِلَادِ، وَمَتَجَعَّ الحَاضِرِ وَالبَادِ؛ وَكُونُهَا قَدَمَتْ نَفْسَهَا فِي جَمَلَةٍ مَا يُقْرَى بِهِ الضَّيْفُ، وَقَالَتْ : هَذَا فُتُوحٌ حَضَرَ عَلَى هَذَا الفُتُوحِ لِهَذَا السَّيْفِ؛ وَتَلَطَّفَتْ فِي مَسْحِ أَطْرَافِ الأَمَانِ، وَطَلَبَتْ شُكْرًا وَمِنَا شُكْرَانٍ؛ وَأَحْضَرَتْ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِهَا الوَقْتَ وَهَدَّتِ السِّيُوفُ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَتَشَبَّهَتْ بِهَا الأَغْلالُ، وَأَنْفَتِ أَيْمَانُ أَهْلِ الإِيمَانِ مِنْ مُصَاحِقِهِمْ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الشَّمَالِ؛ فَاطْلَقَهُمْ سَيْفِنَا وَأَمَلَهُ يَمِينُنَا إِلَى مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْهُمْ مَالًا، وَأَكْثَرُ أَحْتِفَالًا،

وأبزمًا لا، وأهز سيوفًا قصارا ورماحًا طوالا، وأستطار منها شرار نار الحرب الموقدة إلى غيرها من القلاع، وأستطال إلى سواها من الحصون منهم الباع، فلا حصن إلا وأفترت نيتته عن نصر مسهل، وفتح معجل ومؤجل .

فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه بعطفه على الممالك والحصون، وشخ بأنفه عن أن تمتد إلى مشله يد الحرب الزبون، وعدا جاذبا بصبغ الشام، وأخذًا بمخاتق بلاد الإسلام، وسلا في يد البلاد، وشجا في صدر العباد، تنقض من عشه صقور الأعداء الكاسره، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائره، وتريض بأرباضه آساد تحمى تلك الآجام، وتفق من قسيه سهام تسمى مفوقات السهام، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون، ويصطفى كرام أمواهم وهم صابرون لمصابرون، كم شكته منه حماة ثنى بنكرها قلة الإنصاف، ومخافته معزة وما من معزة خاف، مازالت أيدي الممالك تمتد إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جور جواره تلك الحصون والصياصى، وتبكي بمدمع نهرها من تأثير آثاره مع عصيانها وناهيك بمدمع العاصى، حتى نبه الله أخطأ سيوف الإسلام من جفونها، ووفى النصرة ماوجب من ديونها، وذلك بأننا قصدنا فسيح ربه، ونزلنا ونازلنا محمى صفعه، وختمنا بنصالنا على قلبه وسنعه، وله مدن حوله خمس هو كالراحة وهى كالأنامل، وتكاد بروجه ترى كالمطايا المقطرة وهى منها بمنزلة الزوامل، ماخيمنا به حتى أستبحنا محمى تلك المدائن المكنى عنها بالأرباض، وأسحنا بساحتها بحرا من الحديد ماأندفع حتى فاض، وأخذنا الثقوب فى أسوار لا تنقض ولا ينقض بئنانها المرصوص، ولا تقرر المعاول مانحواتم أبراجها من نقوش الفصوص، ونصبنا عليها عدة مجانيق حملت فى شواهد الجبال، على رؤوس الأبطال، فتغيظت السمهرية أن الذى تقوم به هذه تلك به لا تقوم، وأن مامننا إلا له من الأيدي والرؤوس مقام معلوم، وصار يرمى بها كل

كفى محتسب ، وأروع منهنس ، وكل لبث غايه يجمها وتحميه ! فشكراً لأسود حتى غاباتها
تفترس ، إلى أن جثت أسوارها على الركب ، وكانت سهام مجانيقها تميل من العجب
فصارت تميزد من العجب ، وكانت تطلب فصارت تهرب من الطلب ، وأشتد
الأمر على الكفار فقاتلوا قتالاً أفض مضاجع الأسلحة ، وأطار حجارة مجانيقهم بغير
أجنحة ، وأشجى بشجو النصول المترمة على غصون السهام المترحة ، وهذا وأهل
الإيمان يتلقون ذلك كله بصبر يستطيعون منه شهداً ، وإقدام يتلقى صدى الحديد
بأبجاد مازالت إلى موارده قصداً ، يقتحمون نار الحرب التي كلما أوقدوها أطفأها الله
وقال يانار كوني برداً ، والبلاد الفرنجية قد غضت منها الأبصار وخشعت القلوب ،
واعتقد كل منها في نفسه أنه بعد هذا الحصن المطلوب ، فهذه تود لو أكتتها
البحار تحت جناح أمواجها ، وهذه لو أسبلت الرياح العواصف عليها ذبول عجاجها ،
وهذه لو أجتت من فوق الأرض مالها من قرار ، وهذه لو خسف بها الزلزل وعفت
منها الآثار ، وذلك لما بلغهم وشاهدوه من ويل حل بأهل هذا الحصن المنيع ،
ومن قنك أحمل ربه المريع ، وضيق مجاله الوسع ، وقرايع أشجر الحديد من الحديد
والأبطال لم تضجر ، ونضال أسهر كل جفن حتى جفون السيوف لأنا عودناها مثل
جفوننا أن تسهر ، فكم شكت القلوب من منا كهم زحاما ، والشرفات من ترقبهم
التراما ، والرقاب من سيوفهم آقتساما ، وكم حمدت التجارب من رأيهم شيئا وحيد
الإقدام من ثبوتهم غلاما ، قد دوخوا البلاد فلا موطن إلا لهم به معركة ، وأرملوا
الخلائل فلا مشرك إلا وقد أرمل من مشركه ، وأزعجوا الكفر فلا قلب إلا به منهم
خوف ولا سمع إلا لهم به حركة ، وملئوا الأرض كثرة وكيف لا يكثر الله جمعاً للإسلام
جعل الله فيه بركة .

وكتبتنا هذا والمولى بحمد الله أحق من هنيء بهذا الفتح الذي تُثني على كتاب
بشائره الحقائق ، وتجري إلى سماع أخباره الركائب ، وتراحم على المسير تحت
البرد الواصلة به متون الصبا وظهور الجنايب ، وإذا ذكرت ملاحمة ، قال كل :
هذا كتاب أم كتيبة تلوح ، وإذا شوهدت حمرة طرسه قيل : وهذا ما صبغته في اليد
المعلمة عليه دم الكفر المسفوح ، وينعم - أعز الله نصره - بالإعلان بهذا النبيا
الحسن الذي تستروح إليه الأسماع ، وتسر بالإنفهام به أخوات هذا الحصن من مدنه
ومن قلاعه العظيمة الامتناع ، فإنه ما برح الأخ يفرح بأخيه ، وإذا كان الهناء عظيما
أشترك كل شيء فيه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب آخر إلى صاحب اليمن من هذا الأسلوب : كتب به الفاضل
محي الدين بن عبد الظاهر أيضا ، عن الملك المنصور قلاوون ، جواب تعزية أرسلها
إليه في ولده الملك الصالح في ورق أزرق ، وكانت العادة أن تكون في ورق أصفر .
ونصها بعد البسملة .

أعز الله تعالى نصرة المقام إلى آخر الألقاب ، وأحسن بتسليته الصبر على كل
فادح ، والأجر على كل مصاب قرح القرائح وجرح الجوانح ، وأوفد من تعازيه كل
مسكن طاحت به من تلقاء صنعاء اليمن الطوائح ، وكتب له جزاء التصبر عن جار
من دمع طافح ، على جار لسويداء القلب صالح .

المملوك يخدم خدمة لا يدود المواصلة بها حادث ، ولا يؤخرها عن وقتها أمر
كارث ، ولا ينتهها عن تحسينها وترتيبها بواعث الاختلاف ولا اختلاف البواعث ؛
ويطالع العلم الكريم على ورود مشال كريم ، لولا زرقه طرسه وزرقه لبسه لقال :

﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ . تتضمن ما كان حدث من رُزءِ تَلَا فِي اللَّهِ بِنَاسِيهِ ، وتوافق بَعُودَ الصَّبْرِ فَتَوَلَّى التَّسْلِيمَ تَلِيْنِ تَقَاسِيهِ وَتَمْرِيْنِ قَاسِيهِ ؛ فَشَكَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَعْطَى وَحَمَدْنَاهُ عَلَى مَا أَخَذَ ، وَمَا قُلْنَا : هَذَا جَزَعٌ قَدْ آتَبَنَّهُ إِلَّا وَقُلْنَا هَذَا تَثَبْتُ قَدْ آتَبْتُ ، وَلَا تَوْهَمْنَا أَنَّ قِلْدَةَ كَبْدٍ قَدْ آخُطِفَتْ إِلَّا وَشَاهَدْنَا حَوْلَنَا مِنْ ذُرِّيَّتِنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَلَدٌ ؛ وَأَحْسَنًا الْأَحْتِسَابِ ، وَدَخَلَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَوَقَّانَا اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ أَجْرَ الصَّابِرِينَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛ وَلَنَا - وَالشُّكْرُ لِلَّهِ - صَبْرٌ جَمِيلٌ لَا نَأْسَفُ مَعَهُ عَلَى فَائِتٍ وَلَا نَأْسَى ' عَلَى مَفْقُودٍ ، وَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ حُسْنَ الْأِسْتِنَابَةِ إِلَى قَضَائِهِ ، وَالْإِسْتِكَانَةَ إِلَى عَطَائِهِ ، عَوَّضَ كُلَّ يَوْمٍ مَا يَقُولُ الْمُبَشِّرُ بِهِ : هَذَا مَوَلَى مَوْلُودٍ . وَليست الإِبْلُ بِأَغْلَظَ أَكْبَادًا مِمَّنْ لَهُ قَلْبٌ لَا يُيَالِي بِالصَّدَمَاتِ كَثُرَتْ أَوْ قَلَّتْ ، وَلَا بِالتَّبَارِيحِ حَقُرَتْ أَوْ جَلَّتْ ؛ وَلَا بِالْأَزْمَاتِ إِنْ هِيَ تَوَالَتْ أَوْ تَوَلَّتْ ، وَلَا بِالْجُفُونِ إِنْ أَلْقَتْ بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّمُوعِ وَالْمُجُوعِ وَتَحَلَّتْ ؛ وَيَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ مَنْ لَاحَلَبَ أَشْطَرَهُ ، وَيَأْسَفُ عَلَى الْفَائِتِ مَنْ لَا بَاتَ بِنَبِيٍّ الْخَطُوبِ الْخَطِيرَةِ ؛ عَلَى أَنْ الْفَادِحِ بِمَوْتِ الْوَلَدِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَإِنْ كَانَ مُنْكِيَا ، وَالنَّافِحِ بِشُجُوهِهِ وَإِنْ كَانَ مُبْكِيَا ، وَالنَّائِخِ بِذَلِكَ الْأَسْفِ وَإِنْ كَانَ لِنَارِ الْأَسْفِ مُدْكِيَا ؛ فَإِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَثْبِيْتِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ مَا يَنْسِفُهُ نَسْفًا ، وَمَنْ إلهَامِهِ الصَّبْرَ مَا يَجِدُّ لِمُزِيْقِ الْقُلُوبِ أَحْسَنَ مَا بِهِ تَرْفِيٌّ . وَبِكَتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا حُسْنُ اقْتِدَاءٍ يَضْرِبُ عَنْ كُلِّ رِثَاءٍ صَفْحًا ، وَمَا كُنَّا مَعِ ذَلِكَ - وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ - نُسْخِي لِمَنْ يُؤْتَبُ وَيُؤَبَّنُ أَذْنَا ، وَلَا نُعِيرُهَا لِمَنْ يَلْحَا إِذِ الْوَلَدُ الذَاهِبُ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى سَالِكًا طَرِيقًا لَا عِوَجَ فِيهَا وَلَا أَمْتًا ، وَأَنْتَقَلَ سَارًا بَارًا صَالِحًا صَالِحًا وَمَا هَكَذَا كُلُّ الْمَوْتِيِّ نَعِيًا وَنَعْمًا ، وَلَيْتَ كَانَ نَفَعْنَا فِي الدُّنْيَا فَهِيَ نَحْنُ بِالصَّدَقَاتِ وَالتَّرْحَمِ عَلَيْهِ نَنْفَعُهُ ، وَإِذَا كَانَ الْوَلَدُ عَمَلِ أَبِيهِ وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَ

ولدنا إلى أعلى عليين تحقق أنه العمل الصالح يُرفعه ؛ وفيما نحن بصدد من اشتغال بالحروب ، مايهون مايهول من الكروب ؛ وفيما نحن عاكفون عليه من مكافحات الأعداء ما بين المرء وقلبه يحول ، بل عن تحيّل أسف في الخاطر يحول .

إذا أعناد الفتى خوَص المَنَايا * فَاهْوَنُ مَاتْمَرُه الوُحُول !

فلنا بحمد الله تعالى ذُرِّيَّة دَرِيَّة ، وَعُقُودُ والشكر لله كُلُّهَا دَرِيَّة .

إذا سيد منهم خلا قام سيد * قَوْلُ لما قال الكرام فعول !

مامنهم إلا من نُظِرَ سَعْدُهُ ومن سَعْدُهُ يُنْتَظَرُ ، وَمَنْ يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ المَبْتَدَأَ وَأَنْ يُسَدَّ حَالَهُ بِكِفَالَتِهِ وَكِفَايَتِهِ مَسَدَّ الخَبْرِ ، (والشمس طالعة إن غيب القمر) ؛ لاسيما من الذى يراد هو صلاحه أعرف ، وَمَنْ إِذَا قِيلَ لِبِنَاءِ مُلْكٍ هَذَا عَلَيْهِ قَدْ وَهَى قِيلَ هذا خير منه من أعلى بناء سعيد أشرف . وعلى كل حال لا عديم إحسان العمل الذى يتنوع فى برّه ، ويُعاجِلُ قضاء الحقوق فُيسَاعِفُ مرسومه فى توصيله طاعة بجره وبرّه ؛ وله الشكر على مساهمة المولى فى الفرح والتّرح ، ومشاركته فى الهناء إذا سَنَحَ وفى الدمع إذا سَفَحَ ؛ وما مثل مكارم المولى من يعزبُ ذلك عن علمها ، ولا يعزى إلى غير حُكْمِهَا وَحِلْمِهَا ؛ وهو - أعزّه الله - ذو التّجارب التى مَحَضَّتْ له من هذه وهذه الزُّبْدَ ، وَعَرَضَتْ عليه منها الهَضْبَةَ والوَهْدَ . والرغبة إلى الله تعالى أن يجعل تلك المصيبة للرزايا خاتمه ، كما لم يجعلها للظهور قاصمه ؛ وأن يجعلها بعد حمل هذا الهمِّ وفِصَالِهِ على عليه فاطمه ؛ وأن يحببَ إلينا كل ما يلهى عن الأموال والأولاد ، من غزْوٍ وَجِهَادٍ ، وأن يخولنا فليس يُجِدَ لدينا على مفقود تأدبا مع الله عز وجل غير السيوف فإنها تُعْرَفُ بالحداد ، وأن لا تُقَصَفَ رماحنا إلا فى فود أو فؤاد ، ولا تُحُولَ سروج خيلنا إلا من ظُهِرَ جوادٍ فى السرايا إلى ظُهِرِ جواد ؛ وأن لا تُشَقَّ لدينا إلا

أَكْبَادُ النَّادِ ، وَلَا تُجَزَّ غَيْرُ شُعُورِ مَلُوكِ التَّنَارِ تُتَوَجُّ بِهَا رُؤُوسُ الرِّمَاحِ وَيُصْعَدُ بِهَا عَلَى قِيمِ الصَّعَادِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُ لِلْوَلِيِّ سَعَى مَرَائِيهِ الَّتِي لَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ بِمَا صَبَرْنَا بِهِ لِأَقَامَتِ الْجَنَائِزَ ، وَأَسْتَحْفَتِ النَّحَائِزَ ، وَلَا هَوَتْ بِالنُّفُوسِ فِي أَسْتِعْمَالِ الْجَنَائِزِ مِنَ الْأَسْفِ وَغَيْرِ الْجَنَائِزِ ، وَلَا شَغَلَ اللَّهُ لُبَّ الْمَوْلَى بِفَادِحِهِ ، وَلَا خَاطَرَهُ بِسَائِحَةِ مِنَ الْحُزْنِ أَوْ بَارِحِهِ ، وَلَا أَسْمَعَهُ لَغَيْرِ الْمَسْرَاتِ مِنْ هَوَاتِفِ الْإِبْهَاجِ صَادِحِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الأسلوب الرابع

(أن تفتتح المكتبة بلفظ « أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقام الشريف العالی »

وعليها كان الأمر في أوَّل الدولة التركية)

وهذه نسخةُ كتاب من ذلك ، كُتِبَ بِهَا عَنِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرَقُطْزِ - وَصَاحِبِ الْيَمِينِ يَوْمَئِذٍ الْمَنْصُورِ - بِالْبِشَارَةِ بِهَزِيمَةِ التَّنَارِ . وَأَظْهَرَ مِنْ لِنِشَاءِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، وَهِيَ :

أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقْتَرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، الْمَنْصُورِيِّ ، وَأَعْلَى مَنَارِهِ ، وَضَاعِفِ آقْتِدَارِهِ ؛ تُعَلِّمُهُ أَنَّهُ لِمَا كَانَ النُّصْفُ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ ، فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ :

مِنْ كُلِّ مَنْ لَوْلَا تَسَعَّرَ بِأَسِهِ * لِأَخْضَرَ جُودًا فِي يَدَيْهِ الْأَسْمَرِ

فصدرت هذه التهنية إليه راويةً للصدق عن اليوم المحجل الأغر :

يَوْمَ غَدَاً بِالنَّقْعِ فِيهِ يَهْتَدِي * مَنْ ضَلَّ فِيهِ بِأَنْجُمِ الْمُرَانِ

فَفِي أُذُنِ الدَّهْرِ مِنْ وَقَعِهِ صَمَمٌ ، وَفِي عِرْنَيْنِ الْبَدْرِ مِنْ نَقْعِهِ شَمَمٌ ؛ تَرْفَعُهُ رِوَاةُ الْأَسَلِ عَنِ الْأَسْنَةِ ، وَيُسْنِدُهُ مَجْرُ الْعَوَالِي عَنِ مَجْرِّ الْأَعْنَةِ ، أَمَا النَّصْرُ الَّذِي شَهِدَ

الضربُ بصِحَّتِه ، والطعنُ بنصيحته ؛ فهو أن التتر خذلم الله تعالى أستطالوا على الأيام ، وخاصوا بلاد الشام ، واستنجدوا بقبائلهم على الإسلام :

سعى الطمعُ المردي بهم لحتوفهم * ومن يمسكن ذيل المطامع يعطب

فاعتاضوا عن الصحة بالمرض ، وعن الجوهر بالعرض ؛ وقد أرخت الغفلة زمامهم ، وقاد الشيطان خطامهم ؛ وعاد كيدهم في نحورهم : ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾ .

رامو الأمور فمد لاحت عواقبها * يضد ما أملوا في الور والصدر ،

ظلوا حيارى وكأس الموت دائرة * عليهم شرعا في الور والصدر!

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسهمرية مثل الوخز بالإبر!

لاجرم أنهم لسن الندم قارعون ، وعلى مقابلة إحساننا بالإساءة نادمون .

تدرعوا بدروع البغي سابعة * والمرء يحصد من دنياه مازعا!

فأقلعت بهم طرائق الضلال ، وسارت مراكب أمانهم في بحار الآمال ؛ فترك

آمال خائبه ، ومراكب للظنون عاطبه ؛ وأقلعوا في البحر بمراكبه ، والبر بمواكبه ؛

وساروا وللشيطان فيهم وساوس ، تغرهم أمينة الظنون الحواس ؛ فساوس

الشیطان كُفرا إلا وأحرقه الإيمان بكوكب هذا

وعساکر المسلمين مستوطنة في مواطنها ، جاذبة عقباتها في وكر ظباها ، رابضة

أسادها في غيل أفتانها ، ماتزلزل لمؤمن قدم إلا وقدم إيمانه راسخه ، ولا تثبت لأحد

حجة إلا وكانت الجمعة لها ناسخه ؛ ولا عقد [ت] برجمة ناقوس إلا وحلها الأذان ،

ولا نطق كتاب إلا وأحرسه القراء ؛ ولم تزل أخبار المسلمين تنتقل إلى الكفار ،

وأخبار الكفار تنتقل إلى المسلمين إلى أن خَلَطَ الصَّبَاحُ فَضَّتَهُ بَدَهَبِ الأَصِيلِ ،
وصار اليومُ كأمس ، ونُسِخَتْ آيَةُ اللّيلِ بِسُورَةِ الشَّمْسِ ؛ وَآكْتَصَلَتِ الأَعْيُنُ بِمِرْوَدِ
السَّيِّآتِ ، وَخَافَ كُلُّ مِنَ المَسْلَمِينَ إِصْدَارَ البَيَّآتِ

يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْتَلَيْهِ وَيَتَّقِي * بِأُخْرَى الأَعَادِي ، فَهُوَ يَقْظَانُ نَائِمًا !

إلى أن تراءتِ العينُ بالعين ، وَأَصْطَرَمَ نارَ الحَرْبِ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ ؛ فلم تَرَ إِلَّا ضَرْبًا
يَجْمَلُ البَرَقَ نِضْوًا ، وَيَتْرُكُ فِي بطنِ كُلِّ مِنَ المَشْرِكِينَ سَلْوًا ؛ حَتَّى صَارَتِ المَفَاوِزُ
دِلَاصًا ، وَمَرَاتِعُ الظُّبَا لِلظُّبَا عِرَاصًا ؛ وَأَقْتَنَصَتْ آسَادُ المَسْلَمِينَ المَشْرِكِينَ أَقْتِنَاصًا ،
وَرَأَى المَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَوَاقِعُوهَا ولم يَجِدُوا عَنْهَا مَنَاصًا ؛ فَلَا رَوْضَةَ إِلَّا دِرْعًا
وَلَا جَدُولَ إِلَّا حُسَامًا ، وَلَا عَمَامَةَ إِلَّا نَعَقًا وَلَا وَبَلَ إِلَّا سِهَامًا ؛ وَلَا مُدَامَ إِلَّا دِمَاءً
وَلَا نَعَمَ إِلَّا صَهِيلًا ، وَلَا مُعْرِبِدَ إِلَّا قَاتِلًا وَلَا سَكَرَانَ إِلَّا قَتِيلًا ؛ حَتَّى صَارَ كَأَفْوَرِ الدِّينِ
شَقِيقًا ، وَتَلَوْنَ الحِصْبَاءَ مِنَ الدِّمَاءِ عَقِيقًا ؛ وَضَرَبَ النُّعُقُ فِي السَّمَاءِ طَرِيقًا ، وَأَزْدَحَمَتِ
الجَنَائِبُ فِي الفُضَاءِ بِجَعَلَتِهِ مَضِيقًا ؛ وَقُتِلَ مِنَ المَشْرِكِينَ كُلِّ جَبَّارِ عَيْنِدِ ، ذَلِكَ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ .

قلت : وهذه النسخة تلقفتها من أفواه بعض الناس ، ذكر أنه وجدها في بعض
المجاميع فحفظها منه ، وهي في غاية من البلاغة ، إلا أنها لا تخلو من تغيير وقع
في بعض أماكنها ، ولعله من الناقل لها ، من حيث إنه ليس من أهل هذه
الصناعة . ولم يسعني ترك إيرادها لما فيها من المحاسن ، ولأنفرادها بأسلوب من
الأساليب التي كتب بها إلى ملوك اليمن ؛ فأوردتها على ما هي عليه ، وجزئ الله خيرا
من ظفر لها بنسخة صحيحة فقابلها عليها وصححها وأصلح ما فيها .

الأسلوب الخامس

(وهو ماجرى عليه في "التثقيف" أن تُفْتَحَ المكتبة بلفظ

أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمَقَامِ الْعَالِي)

صدره على ما ذكره في "التثقيف" أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمَقَامِ الْعَالِي، السُّلْطَانِي، الْمَلِكِي، الْفُلَانِي، الْفُلَانِي، مِثْلَ أَنْ يُقَالَ: الْأَفْضَلِي السَّيْفِي، ثُمَّ الدَّعَاءُ، ثُمَّ يُقَالَ: أَصَدَرْنَاهَا وَتُبِدَى لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ كَذَا وَكَذَا. قَالَ فِي "التثقيف" وَالْمَكْتَابَةُ إِلَيْهِ فِي قَطْعِ النِّصْفِ وَالطَّلَبِ مِنْهُ «وَالْقَصْدُ مِنَ الْمَقَامِ الْعَالِي» وَخَاتَمَةُ الْكِتَابِ بِالدَّعَاءِ، وَالْعَلَامَةُ «أَخُوهُ» وَتَعْرِيفُهُ «صَاحِبُ الْيَمَنِ». وَفِي دُسْتُورِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ أَنْ خُطَابَهُ يَكُونُ بِالْمَقَامِ الْعَالِي.

وهذه نسخة كتاب إليه، ذكر المقرّر الشهابي بن فضل الله في تذكرته أنه أنشأها جواباً عن هديته ولم يكتب بها إليه، وهو يومئذ الملك المجاهد سيف الدين عليّ ابن داود.

أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمَقَامِ الْعَالِي، وَلَا زَالَتْ مَكَارِمُهُ يُخَصُّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بِأَحْسَنِهِ، وَتُحْفٍ بِأَزِيدِهِ وَأَزَيْنِهِ، وَتَجْلُبُ كُلُّ غَرِيبِ الدِّيَارِ مِنْ وَطَنِهِ، وَتَمْنَحُ مِنَ السَّوَابِقِ بِمَا تَمْتَدُّ الْمَجْرَةُ فِي رَسَنِهِ، وَمِنَ الْحَاسِنِ بِمَا يُمَلِّي عَلَى (عَلِيٍّ) أَوْصَافَ حُسْنِهِ، وَيُعْرَبُ عَنِ الْفَرَسِ وَالسَّيْفِ وَالرَّحْمِ بِأَطْيَبِ لَحْنٍ فِي نَصْبِهِ وَجَرِّهِ وَرَفْعِهِ.

صدرت إلى المقام العالي أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى جَانِبَهُ تِصْلُ بُوْدَادِهِ، وَتَنْصِفُ حُبًّا عَلِقَ بِفُؤَادِهِ، وَتَعْرِضُ بِرَحَاءِ يَمِينِهِ أَحْلَامَ الْكَرْبِيِّ طَمَعًا أَنْ يَرَى طَيْفَهُ فِي رُقَادِهِ. وَتُبِدَى أَنْ كَتَابَهُ الْكَرِيمِ وَرَدَّ جَالِبًا لِدَرِّ مَنَنْهُ، جَالِبًا لِلْيَمَنِ مِنْ يَمِينِهِ، نَافِحًا بِالطَّيْبِ

من عَدَنِهِ ، نَاقِدًا من قُوَّة السِّوْفِ بِمَا لَا يَدْعِيهِ ابْنُ ذِي يَزَنَةَ ؛ فُتُوْمَلِّ مَا حَوَى من
كَرَمٍ لَا يُجَارَى ، وَنِعِيمٍ تَمَلَأُ الْبَرَّ بِرَأً وَالْبَحَارَ بِحَارًا ؛ وَأَبْدَعُ فِي الْهَبَةِ الَّتِي قَدَّرَ مُهْدِيهَا ،
وَقَدَّرَ فِيهَا مِنَ التُّحْفِ مَا لَا يُوجَدُ إِلَّا فِيهَا ؛ وَجَاءَ بِكُلِّ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ الْمُرَابِطُ ، وَتَهْتَرُّ بِهِ
الْخِزَانُ وَالْمُرَابِطُ ؛ وَتَفْتَحِرُّ مِنَ الرَّمَاحِ بِكُلِّ مَعْتَدِلٍ قَاسِطٍ ، وَبِمَا يُرِدِي الْعِدَا مِنْ
أَسِنَّةٍ بِكُلِّ نَجْمٍ هَابِطٍ . كَمْ لَهَا مِنْ فَعْلٍ جَمِيلٍ لَا يُشَارِكُ ، وَكَمْ قَالَ طَعِينٍ : إِنْ لَهَا
كَعْبًا مُدَوَّرًا وَمَا قَدَّرَ الطَّاعِنُ أَنْ يَقُولَ إِلَّا أَنَّهُا كَعْبٌ مُبَارَكٌ . وَمِنَ السُّيُوفِ بِمَا
لَا يُطَبِّعُ النَّهْرَ فِي نَصْلِهِ ، وَلَا يَطْمَعُ الْبَرْقُ فِي مَنَاصِلِهِ مِثْلِهِ ، وَلَا يَطْمَحُ الْهَلَالُ أَنْ
يَسْتَقِيمَ عَلَى شَكْلِهِ ؛ كَمْ أَحْمَدْتُ أَنْفَاسًا وَلَهَا أَلْتِهَابُ ، وَلَمَعَتْ مِنْ نَوَاحِي الْعُمُودِ
كَمَا نَصَلَتْ أُمَّلٌ مِنْ خِضَابٍ . وَمِنَ الْخَيْلِ بِمَا تُرْقِصُ فِي أَعْيُنِهَا ، وَتَفْتَحِرُّ عَلَى الْبُدُورِ
بِأَنَّهَا تَدُوسُ عَلَى أَهْلِهَا : مِنْ كُلِّ أَشْهَبٍ يُحْسِنُ آتِسَادَارًا ، وَيُحْسَبُ قَمْرًا قَدْ تَكَلَّلَ
إِبْدَارًا ، وَيُطَالِعُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ نَهَارًا جَهَارًا . وَأَدْهَمَ قَدْ غَضَبَ الظَّلَامُ ، وَأَسْتَدَارَتْ
غُرَّتُهُ فَاسْفَرَّ وَجْهَهُ تَحْتِ بُرْقُعٍ مِنْ لَثَامٍ . وَأَخْوَى أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ مِنْ بَيْتٍ لِلْعَرَبِ ،
قَدْ حَوَى مِنَ الرُّوضِ مَا سَلَبَ . وَكَمَيْتَ يَنْضُو النَّقْعَ وَهُوَ سَبُوقٌ ، وَتَقَدَّمَ فِي مِيَادِينِهِ
بِجَاءِ مَضْمَحًا بِالْخُلُوقِ . وَأَشْفَرَّ قَدْ كَشَفَ الْبَرْقُ عِذَارَهُ ، وَأَطَارَ الرَّكْضُ مِنْهُ شَرَارَهُ ؛
وَمَعَهَا كُلُّ فَيْلٍ كَأَنَّهُ نَعْمَامٌ تَبْدَى ، أَوْ مَلِكٌ مُفْتَدَى ؛ بِجُرْطُومٍ يَرْتَدُّ كَالصَّوْبِ لِحَانًا ،
وَيَمْتَدُّ كَالْأَفْعُونَ ؛ وَيَهْوُلُ مَنظَرُهُ كَأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْخَلْقِ بُنْيَانًا ، وَيَتَحَرَّكُ فَتَحْسَبُهُ كُمْ
رَاقِصَةً تُسِيرُ بِهِ إِلَى النَّدْمَانِ ؛ تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الْجُلُودُ ، وَتَقْتَلُ نَفْسَهَا بِنِيرَانِ الْحِقْدِ مَحَافِظَةً
عَلَى عُهُودِ الْهُنُودِ ؛ كَمْ أَحْسَنْتَ بِجَرَاطِيمِهَا لَهَا مِنْ صُدُورِهَا الضَّيِّقَةَ مَحْرَجًا ،
وَأَضَاءَتْ مِنْ فُرُوجِهَا بَيْنَ أَنْبَابِهَا طُرَّةً صُبْحَ تَحْتِ أَذْيَالِ الدُّجَى ؛ وَزَرَافَةَ ، لَهَا نَافَةَ ،
كَأَنَّهَا شَفَقٌ بَيْنَهُ نَجُومٌ ، أَوْ بُرُوقٌ تَكَالَّتْ بِقَطْرِ الْعُيُومِ ؛ لَهَا فِي الْمَدْخَلِ عَلَى الْقُلُوبِ

(١) لعله التي دلت على الخ تأمل .

حذاقه، ووُج من بابٍ ودُخُولٍ من طاقه. وحمارةٍ وحشيةٍ جاءت بوصف الربيع في اعتدال الليل والنهار، وجمعت الهالات والأفكار، ودلت على أصل كريم تفتحت في فروعه الأزهار، وحثت بحطوطها الدوح مما تراكم ظلّه فأظلم وأنفجح فأناز. وممرٌ يؤلف على نيفاره، ويسبح ليله في أنهار نهاره؛ يتدفق في مثل أنبوب القناة المضطمر، ويصدق من شبه ركود الربا على الرمال بقطعة من جلدة النمر. وقط الزباد الذي لا تحكيه الأسود في صورها، ولا تسمح غزلان المسك بما يحزنه من عرفه الطيب في سررها، كم تنقل في بيوت وطابت موطننا، ومشى من دار أصحابه فقالوا: ربنا عجل لنا قطنًا، وكذلك من الطيب ما يطيب، وما يزور بنفحة الحبيب؛ قد بعث أكبره، وأفاد أكثره؛ وأستخدم المتنعمون به صندله وكافوره وعنبره. وغير هذه الأنواع مما جاد بإرساله، وأتى من كل بديع به وبأمثاله؛ فقبولت بالقبول هذه التحف، وأكرمت إكرام من لها عرف و[بها] اعترف، وحمد سبحانه الذي تسرعت مواطره، وبعثت من طرفها بالروض وما تنوء عنه أزاره، وشرعت بما اتصلت بمصر أوائله وباليمين أو آخره؛ والله تعالى يشكرهممته التي تعالت، وشيعة العلوية التي لأجلها المحامد قد توالى. وقد جهزنا له من التحف المنعم بها ما أمكن تعجيل حمله، وجرت عوائد ملوك الأقاليم بالشرى من خزائننا العالية بمثله؛ وحملنا رسله من السلام ما تعبق به الفجاج، وتعذب به البحار وهي ملح أجاج. والمراد منه أن يواصل بمكاتبته التي تتناوب الصدور، وتتوب عن نحة البدور، وتؤوب بما تقدم به من السرور؛ والله تعالى يديم لسلطانه التأيد، ولملكه التأيد، ولاقتداره مابه تعز وتعمد زبيد. إن شاء الله تعالى.

فائدة — المكاتبه إلى صاحب اليمن عن ولى العهد بالسلطنة كالمكاتبه إليه عن السلطان نفسه في جميع المكاتبه على السواء.

وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر عن «الأشرف خليل
ابن قلاوون» قرين كتاب أبيه المنصور قلاوون إلى صاحب اليمن، بالبشرى بفتح
طرابلس .

وهذه نسخته :

أعزَّ الله تعالى نُصرةَ المقامِ ! وأوفدَ عليه كلَّ بُشرى أحسنَ من أختها ، وكلَّ
تهنئةٍ لا يجلِّها إلا هو لوقتها ؛ وكلَّ مُبهجةٍ يعجزُ البنانُ والبيانُ عن ثبتها ونعتها ، وتبليجِ
فتوئدِ الدررِ والدرارىِّ لو رقتْ هذه إلى ترقِّيها وسمتْ هذه إلى سَمِّها . وصبَّحه منها
بكلِّ هاتفةٍ أسمعَ من هوائفِ الحمامِ ، وبكلِّ عارفةٍ أسرعَ من عوارِفِ الزَّهرِ عند
عزائمِ النَّسائمِ ؛ وبكلِّ عاطفةٍ أعنةُ الإتحافِ بالإيجافِ الذى شكَّرتْ الصَّفاحُ منه
أعظمَ قادِرٍ والصَّحائفُ أكرمَ قادمٍ ؛ والغزو الذى لا يُخصَّ تهامةً ببشراه بل جميعَ
التُّجودِ والتَّهائمِ ، وذوى الصَّوارمِ والصَّرائمِ ، وأولى القوى والقوائمِ ، وكلَّ ثغرٍ عن
آبهاجِ الإسلامِ باسمِ ، وكلَّ برٍّ بتوصيلِ ماترَّبٍ عليه من ملاحمِ ؛ وكلَّ بحرٍ عذبٍ
يؤمنُ كلَّ غازٍ لا يجيبسُ عن جهادِ الكُفَّارِ فى عُقرِ الدَّارِ الشَّكائمِ ، وكلَّ بحرٍ ملحٍ كم تغيظُ
من مجاورةِ أخيه لأهلِ الشُّركِ ومشاركتهم فيه فراحَ وموجهُ المتلاطمِ .

المملوكُ يخدمُ خدمةً يقتضى فيها أثرَ والده ، ويجرى فى تجليلها على أجهلِ عوائده ؛
ويستفتح فيها أسئلتها تحفُّ به من هنا ومن هنا تحفُّ بحامده ، ويصفُ ولاءً
قد جعله الله أجهلَ عُقوده وأكلَ عقائده ؛ ويسفَعُها باخلاصٍ قد جعله ميله أحسنَ
وسائله وقلبه أزينَ وسائده ؛ ويُطلعُ علمه على أن من سبَّحها المتعرضين إلى الإعلانِ
بشكرِ الله تعالى فى كلِّ ما يعرضُ للمسلمين من نصرٍ ، ويفترض لهم من أجرِ غزوٍ كم
قعد عنه ملكٌ فيما مضى من عصرٍ ؛ أن يقدرُوا هذه النعمةَ حقَّ قدرها من التحدُّثِ

بِنِعْمَتِهَا ، وَالتَّنْبِيْهِه بِسَمَاعِ نِعْمَتِهَا ، وَإِرْسَالِ أَعْنَةِ الْأَقْلَامِ بِهَا فِي مِيَادِينِ الطُّرُوسِ ،
وَإِدَارَةِ حُرْبِيَاءٍ وَصِفِ حَرْبِ (?) إِلَى مُوَاجَهَةِ خَيْرِ الشَّمُوسِ .

وَمَا كَانَتْ غَزَوَاتُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ مَلِكِ الْبَسِيْطَةِ الْوَالِدِ خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَهُ قَدْ
أَصْبَحَتْ ذِكْرِي لِلْبَشَرِ ، وَمُوَافِقُهُ لِلنَّصْرِ كَمَا جَاءَتْ هِيَ وَالْقَدْرُ عَلَى قَدْرٍ ؛ وَقَدْ صَارَتْ
سَيْرُهَا وَسَيْرُهَا هَذِهِ شَدُو فِي الْأَسْمَارِ ، وَهَذِهِ جَادَةٌ تَسْتَيْبُ مِنْهَا حُسْنَ الْخَدُو السُّفَارِ ؛
فَكَمْ قَانَلَتْ مَنْ يَلِيهَا مِنَ الْكُفَّارِ ، وَكَمْ جَعَلَتْ مِنْ يُوَالِيهَا وَهُوَ مَبْصُورُهَا مَنْصُورًا
بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

وَمَا أَذَلَّ اللهُ بِأَسْهَابِ طَوَائِفِ التَّتَارِ فِي أَقَاصِي بِلَادِ الْعِجَمِ ، وَجَعَلَ حَظَّ قُلُوبِهِمْ
الْوَجَعَ مِنَ الْخَوْفِ وَنَصِيبَ وَجُوهِهِمْ الْوَجَمَ ؛ وَأَخْلَى اللهُ مِنْ نُسُورِهِمُ الْأَوْكَارَ
وَمِنْ أَسْوَدِيهِمُ الْأَجَمَ ، وَقَصَّرَتْ بِهِمْ هِمَمُهُمْ حَتَّى صَارُوا يَخَافُونَ الصُّبْحَ إِذَا هَجَمَ ،
وَالظَّنَّ إِذَا رَجَمَ ؛ وَصَارَتْ رُؤْيَا الدَّمَاءِ تَفْزِعُهُمْ فَلَوْ أَحْتَجَّ أَحَدُهُمْ لَتَنْقِيسِ دَمِ
لِمَرِيضٍ لِأَجْحَ مِنْ خَوْفِهِ وَمَا أَحْتَجَّ . وَأَبَادَ اللهُ الْأَرْمَنَ فُحْلَ الْبَنْبِيلِ مِنْهُمْ الْوَيْلَ ،
وَمَا شَمَّرَ أَحَدٌ مِنَ الْجُنُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَنْ سَاعِدِ إِلَّا وَشَمَّرَهُ مِنَ الذَّلِّ الذَّلِيلِ ؛ وَلَا
أَثَارَتِ الْحِيَادُ مِنَ الْحَيْلِ عِثْرًا مَنَعِدًا إِلَّا وَظَنُوهُ مَسَاءً قَدْ أَقْبَلَ أَوْ لَيْلَ ، وَأَتَتْهُ
نُوبَةُ الْقَتْلِ بِهِمُ وَالْإِسَارَ إِلَى التَّكْفُورِ لِيْفُونَ مَلِكِ الْأَرْمَنِ الَّذِي كَانَ يَجِي سَرَحَهُمْ ،
وَيَمُرُّ صَرَحَهُمْ ، وَيَسْتَنْطِقُ هَتَفَ التَّتَارِ وَيَسْتَرْجِعُ صَدَحَهُمْ ؛ وَتَعَتَّرَ طَرَابُلُسَ
الشَّامِ بِأَنَّهُ خَالَ أِبْرَنْسَهَا الْكَافِرَ ؛ وَلسَانِ شُورَتِهِ السَّفِيرِ وَوَجْهَ تَدْيِيرِهِ السَّافِرِ . وَطَالَمَا
غَزَّ وَأَغْرَى ، وَأَجْرَّ وَأَجْرَى وَضَرَّ وَأَضْرَى ؛ فَلَمَّا تَوَكَّلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَعَزِمَ
فَوَكَّلَ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الْبِلَاءَ بِهِ قَدْ نَزَلَ وَمَا تَشَكَّكَ أَنَّ ذَلِكَ فِي ذِهْنِ الْقَدْرِ قَدْ تَصَوَّرَ
وَتَشَكَّلَ ؛ وَأَنَّ يَوْمَهُ فِي الْفَتَكِ سَيَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ أَمْنِيَّتِهِ ، وَأَعْظَمُ مِنْهَا مُعَادَاةَ غَدِهِ ،

وَأَنَّ نَصْرَ اللَّهِ لَنْ يُخْلِفَهُ صَادِقٌ وَعَدَهُ؛ أَكَلَّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا قَرِطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ
 وَسَاقِ الْحَتْفَ لِنَفْسِهِ بِيَدِهِ، فَعَمَّرَ اللَّهُ بُرُوحَهُ الْخَبِيثَةَ الدَّرَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ، وَسَقَاهُ
 الْحَتْفَ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا غَيْرُ الْمَلِكِ مِنْ نَحَارٍ . وَكَانَتْ طَرَابِلُسُ هِيَ ضَالَّةَ
 الْإِسْلَامِ الشَّرِيدَةَ، وَإِحْدَى أَبْقَاتِهِ مِنَ الْأَعْوَامِ الْعَدِيدَةِ؛ وَكَلِمَا مَرَّتْ شَمَخَتْ بِأَنْفِهَا ،
 وَتَأَثَّقَتْ فِي تَحْسِينِ مَنَازِهِ مَنَازِحِهَا وَتَرْبِيَةِ رَيْحَانِهَا وَعَضْفِهَا، وَمَرَّتْ وَهِيَ لِاتْفَازِلُ
 مَلِكًا بَطْرَفُهَا ، وَكَلِمَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا تَكَثَّرَتْ بِالْأَفْوَاجِ وَالْأَمْوَاجِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَمِنْ
 خَلْفِهَا . إِذِ الْبَحْرُ لَهَا جِلْبَابٌ وَالسَّحَابُ لَهَا نَحَارٌ، وَلَيْسَ لَهَا مِنَ الْبَرِّ إِلَّا بِمَقْدَارِ
 سَاحَةِ الْبَابِ مِنَ الدَّارِ؛ كَأَنَّهَا فِي سَيْفِ ذَلِكَ الْبَحْرِ جَبَلٌ قَدْ أَنْحَطَّ، أَوْ مَيْلٌ أَسْتَوَاءٌ
 قَدْ حَرَجَ عَنِ الْخَطِّ ، وَمَا قَصِدُ أَحَدٌ شَطْطَهَا بِنِكَايَةِ الْإِشْطِ وَأَشْطَطَ .

قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ صَرَفَ مَوْلَانَا السَّلْطَانَ إِلَيْهَا الْعِنَانَ، وَسَبَقَ جَيْشُهُ إِلَيْهَا كُلَّ خَيْرٍ
 وَ”لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ“، وَجَاءَهَا بِنَفْسِهِ النَّفِيسَةِ وَالسَّعَادَةِ قَدْ حَرَسَتْهُ عَيْونُهَا وَتَلَكَّ
 الْخَافُونَ كُلُّهَا أَمَانَ، وَقَدْ آتَّخَذَ مِنْ إِقْدَامِهِ عَلَيْهَا خَيْرَ حِبَائِلٍ وَمِنْ مُقَاجَاةِهَا أَمَدَّ عِنَانَ؛
 وَفِي خِدْمَتِهِ جُنُودٌ لَا تَسْتَبَعِدُ مَقَازِهِ، وَكَمْ رَاحَتْ وَغَدَتْ وَفِي نَفْسِهَا لِلْأَعْدَاءِ حَرَازَهُ؛
 فَامْتَطَوْا بِجُيُوهِمُ مِنْ جِبَالِ لُبْنَانَ نِيْجَانًا لَهَا صَاغَتَهَا التَّلُوجُ، وَمَعَارِجَ لِمُرَاقِقِهَا غَيْرِ
 الرِّيَاحِ الْهُوجِ؛ وَأَنْحَطَّتْ تَلَكُ الْجِيُوشُ مِنْ تَلَكِ الْجِنَادِلِ، أَنْحَطَّاطُ الْأَجَادِلِ؛
 وَانْدَفَعُوا فِي تَلَكِ الْأَوْعَارِ، انْدَفَاعُ الْأَوْعَالِ؛ وَلَمْ يَحْفَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسَرِّبٍ لِاصِقِ،
 وَلَا جَبِيلٍ شَاهِقِ؛ فَقَالَ: أَهَذَا مِنْخَفِضُ أَوْعَالِ، وَشَرَعُوا فِي التَّحْصِيلِ لِمَا
 يُوْهِي ذَلِكَ التَّحْصِينَ، وَآبَتْنِي كُلُّ سُورَا أَمَامِ أَسْوَارِهَا مِنَ التَّدْبِيرِ الْحَسَنِ وَالرَّأْيِ
 الرَّصِينِ؛ فَمَا لَيْشُوا إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا قِيلَ لَهُمْ دُونَكُمْ وَالْإِخْتِطَابِ، وَقَيْلِ الْمَجَانِيقِ عَلَى
 الْإِخْلِيلِ وَعَلَى الرِّقَابِ؛ حَتَّى جَرَّوْهَا بِأَسْرَعٍ مِنْ جَرِّ النَّفْسِ، وَأَجْرَوْهَا عَلَى الْأَرْضِ
 سَفَائِنَ وَكَمْ قَالُوا: السَّفِينَةُ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَسِّ؛ وَفِي الْحَالِ قِيلَتْ إِلَيْهَا فَرَاوًا مِنْ

متوقِّفًا مَنْ يَمْشِي بِهَا عَلَى رَجُلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَوَجَّهَتْ سِبَاهُهَا
 وَجُوهَهَا إِلَى مَنَافِذِهَا فَمَا شُوهِدَتْ مِنْهَا عَيْنٌ إِلَّا وَكَانَ قُدَّامَهَا مِنْهَا إِصْبَعٌ ؛ وَالْقَيْتِ
 الْعَدَاؤُةُ بِنِ الْحَجَارَةِ مِنَ الْحَجَارِيْقِ وَالْحَجَارَةُ مِنَ الْأَسْوَارِ ، فَكَمْ تَقَبْتُ وَنَقَبْتُ عَنْ فِلْدَةٍ
 كَبِدَهَا ، عَنْ (١) وَأَوْقَدْتُ نِيرَانُ الْمَكَايِدِ ثُمَّ فَكَمْ حَوْلَهَا مِنْ صَافِرِينَ
 وَمِنْ صَافِرٍ ، وَكَمْ رَمْتَهُمْ بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ فَوْقَ الْحَافِرِ كَمَا يُقَالُ عَلَى الْحَافِرِ ؛ وَمَا بَرِحْتُ
 سُوقُ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي تَفَاقٍ ، عَلَى أَهْلِ التَّفَاقِ ، وَأَكْبَرُهُمْ تُسَاقُ ، أُرَاحُهُمُ الْخَبِيثَةُ
 إِلَى السَّاقِ .

وَكَانَ أَهْلُ عَكَآ قَدْ أُنْجِدُوهُمْ مِنَ الْبَحْرِ بِكُلِّ بَرٍّ ، وَرَمَوْا الْإِسْلَامَ بِكُلِّ شَرٍّ
 وَبِكُلِّ شَرٍّ ؛ فَصَارَ السُّهْمُ الَّذِي يُخْرَجُ بِهَا لَا يُخْرَجُ إِلَّا مُقْتَرِنًا بِسِبَاهٍ ، وَشُرْفَاتُ
 ذَلِكَ النَّعْرِ كَالثَّلَاثَا وَلَكِنهَا لَكَثْرَةٌ مَنْ بِهَا لَا تَقْتَرُنَ عَنْ ابْتِسَامِ .

وَمَا زَالَتْ جُنُودُ الْإِسْلَامِ كَذَلِكَ ، وَمَوْلَانَا السُّلْطَانُ لَا تُرَى جَمَاعَةٌ مُقَدِّمَةٌ وَلَا مُتَقَدِّمَةٌ
 إِلَّا وَهُوَ يُرَى بَيْنَ أَوْلَادِكَ . وَأَسْتَمَّرَ ذَلِكَ مِنْ مَسْتَهَلِّ رِبْعِ الْأَوَّلِ إِلَى رَابِعِ رِبْعِ الْآخِرِ ،
 فَرَحَفَ إِلَيْهَا فِي بُكْرَةِ ذَلِكَ النَّهَارِ وَهُوَ الثَّلَاثَاءُ زَحْفًا يَقْتَحِمُ كُلُّ هَضْبَةٍ وَوَهْدَةٍ ، وَكُلُّ
 صُلبِيَّةٍ وَصَلْدَةٍ ؛ حَتَّى أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَفَتَحَهَا لِلْمُسْلِمِينَ مَجَازًا وَفِي الْحَقِيقَةِ فَتَحَهَا
 وَحْدَهُ ؛ وَطَلَعَتْ سَنَاجِقُ الْإِسْلَامِ الصُّفْرَ عَلَى أَسْوَارِهَا ، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ،
 وَجَاسَتْ الْكِسَابَةُ إِلَى دِيَارِهَا ؛ فَاحْتَازَهَا مَوْلَانَا السُّلْطَانُ لِنَفْسِهِ مَلِكًا ، وَمَا كَانَ
 يَكُونُ لَهُ فِي فَتْحِهَا شَرِيكٌ وَقَدْ نَفَى عَنْهَا شِرْكَاءَ ؛ وَكَلَّمَا قِيلَ هَذِهِ طَرَابُلُسُ فُتِحَتْ قَالَ
 النَّصْرُ لِمَنْ قُتِلَ فِيهَا مِنَ النَّجْدِ الْوَاصِلَةِ : وَكَثْرَ عَكَآ وَأَهْلَ عَكَآ ؛ وَأَعَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا
 قُوَّةَ الْكُفْرِ أَنْكَانًا ، فَكَانَ أَحَدُهَا مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً فِي يَوْمِ ثَلَاثَا ، وَأَسْتَرَدَّتْ
 فِي يَوْمِ الثَّلَاثَا .

(١) بياض بالاصل .

ولما عَمَّتْ هذه البشائر ، وكَلَّ بها مولانا السلطان إلى كَلِّ من يَسْتَجَلِي حِسانَ
هذه العرَّاس ، ويستَحْلِي نَفِيس هذه النَّفائِس .

سَيَّر مولانا السلطان إلى المولى كَلِّ بشرى تَقَعَّق بها البريد ، لُتَلَّى بأمره على كَلِّ
من ألقى السمع وهو شهيد ؛ وكما عمَّ السرورُ بذلك كَلِّ قريب قصد أن يُعمَّ الهناءُ
كَلِّ بعيد .

وأصدر المملوكُ هذه الخدمةَ يَتَجَرَّب بين يديه نَجَواها ، ويتوثَّب بعد هذه الفاتحةِ
المباركةِ لكلِّ سائحةٍ يَحْسُن لدى المولى مستقرَّها ومثَواها ؛ لأبرح المقامِ العالى يستبشِر
لكمَّة الإسلامِ بكلِّ فضلٍ وبكلِّ نَعْمى ، ويفرَح بَسرَح الكُفْر إذا أتمَّك وبسَفح
المُلْك إذا يُجْحى ، وبسَمع الشُّرك إذا يَصُم وبقَلبه إذا يَصمى ؛ والله الموفق .

الجملة الثانية

(فى المكاتبات إلى عرب البحرين ومن أنضاف إليهم)

قد تقدَّم فى الكلام على المسالك والممالك فى المقالة الثانية أن بلاد البحرين لم تزل
بيد العرب ، وأنها صارت الآن بيد بنى عُقيل - بضم العين - من بنى عامر بن صعصعة ،
من هوازِن ، من قَيْس عَيْلان ، من العدنانية . قال فى " التعريف " : ومنهم قومٌ
يصلُّون إلى باب السلطان وُصولَ التُّجَّار ، يجلُّون جِداد الخيل وكرام المهارى والأؤلؤ
وأمتعة من أمتعة العراق والهند ، ويرجعون بأنواع الحِباء والإنعام والقماش والسكر
وغير ذلك ؛ ويكتَب لهم بالمساحة فيردُّون ويصدُّرون . قال : وبلادهم بلاد زرع
وضرع ، وبرٍّ وبحر ، ولهم متاجرٌ مُربحة ، وواصلهم إلى الهند لا ينقطع ، وبلادهم
ما بين العراق والحجاز ، ولهم قُصور مبنية ، وأطامٌ عليه ، ورِيْفٌ غير متبَّسِّع ، إلى ما لهم
من النَّعم والمساخية ، والحاشية والغاشية ؛ إلا أن الكلمة قد صارت بينهم شتى ،

والجماعة متفرقة . وقد سبق الكلام على بلادهم مستوفى في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك .

قال في "التعريف" : ورسم المكاتبية إلى كُبرائهم «السامى» بالياء . والعلامة الشريفة «أخوه» ثم مادون ذلك لمن دُونهم .

وأعلم أنه في "التثقيف" قد جمع بين عرب البحرين وعرب البصرة وما والى ذلك ، وجعل المكاتبية إليهم على ثلاث مراتب .

المرتبة الأولى — مَنْ يكتب إليه «السامى» بالياء والعلامة الأسم ، وذكر أن بها يكتب أميرهم ، وسماه حينئذ «صدقة بن إبراهيم بن أبى دلف» وأن تعريفه فلان بن فلان . وذكر في رتبته في المكاتبية يومئذ محمد بن مانع ، وأخوه حسين بن مانع ، وعلى بن منصور .

المرتبة الثانية — من يكتب إليه «السامى» بغير ياء والعلامة الأسم . وذكر منهم بدران بن مانع — رومى بن أبى دلف — زين بن قاسم — يوسف بن قاسم ، سعيد بن معدى — راشد بن مانع — عيسى بن عرفة — ظالم بن مجاشع — إسماعيل ابن صوارى — كلبى بن ماجد بن بدران — مانع بن على — مانع بن بدران .

المرتبة الثالثة — مَنْ يكتب إليه «مجلس الأمير» والعلامة الأسم . وعد منهم جماعة ، وهم عظيم بن حسن بن مانع — موسى بن أبى الحسن — سعد بن مغامس — زيد بن مانع — هلال بن يحيى — معمر بن مانع — محمد بن خليفة .

قلت : وحاصل ما ذكره في "التعريف" و"التثقيف" أن جملة المكاتبية إليهم لاتباع المراتب الثلاثة المذكورة ، والكاتب يستخبر أخبارهم في المقدار ، ويُنزل كل واحد منهم على قدر مرتبته من ذلك كما في الأسماء المتقدمة الذكر .

المهيم الرابع

(في المكاتبه إلى صاحب الهند والسند)

وقد ذكر في " التعريف " أن صاحبه في زمانه كان اسمه أبا المجاهد محمد بن طغلقشاه . ثم قال : وهو أعظم ملوك الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ، وبراً وبحراً ، وسهلاً وقفراً ؛ وأن سيمته في بلاده « الإسكندر الثاني » ثم قال : وتالله إنه يستحق أن يسمى بذلك ويوسم به : لانتساع بلاده ، وكثرة أعداده ، وغزير أمداده ؛ وشرف منابت أرضه ، ووفور معادنه ، وما تنبت أرضه ، ويخرج به بخره ، ويحج إليه ، ويرد من التجار عليه . وأهل بلاده أمم لأخصي ، وطوائف لاتعد . ثم حكى عن قوم ثقات منهم قاضي القضاة سراج الدين الهندي الحنفي ، وهو يومئذ مدرس البيدمرية بالقاهرة ، والتاج البزّي ، والشيخ مبارك الأنباخي : أن عسكر هذا السلطان نحو التسعمائة ألف فارس ، وعنده زهاء ألفي فيل يقاتل عليها ، وخلق من العبيد تقاتل رجالة مع سعة الملك والحال ، وكثرة الدخل والمال ؛ وشرف النفس والإباء ، مع الاتضاع للعلماء والصلحاء ؛ وكثرة الإنفاق ، وعميم الإحلاق ؛ ومعاملة الله تعالى بالصدق ، وإخراج الكفاية للترزقه ؛ بمرتبات دائمة ، وإدراجات متصلة ؛ بعد أن حكى عن رسوله دميخوان واقتنار ما قال : إنه لو سكنت النفوس إلى براءتهما من التعصب [فيه] لحكى منه العجائب ، وحدث عنه بالغرائب ؛ ثم ذكر أنه أرسل مرة مالا برسّم الحرمين وبيت المقدس ، وهديّة للسلطان تزيد على ألف دينار ؛ فقطع عليها الطريق باليمن ، وقيل محضها بأيدي ممالك صاحب اليمن ، لأمر بيت بلبيل ؛ ثم قتل قائلوه ، وأخذ أهل اليمن المال وأكلوه ؛

وكتب عن السلطان إلى صاحب اليمن في هذا كتاب منه « وقد عددت عليه فعلته »
وقيل فيه : « وفعل مالا يليق ، وأمسى وهو يعدد من الملوك فأصبح يعدد من قطاع
الطريق » . وقد سبق في الكلام على المسالك والممالك من عظيم هذه المملكة وعظيم
قدر رجالها ما فيه كفاية عن الإعادة .

قال في " التعريف " : ورسم المكتبة إليه رسم المكتبة إلى القانات الكبار
المقدم ذكرهم ، في هيئة الكتاب وما يكتب به والطغرة والخطبة . وألقابه « المقام
الأشرف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الأعظمى ، الشاهنشاهى ، العالمى ،
الجهادى ، المرابطى ، المناغرى ، المظفرى ، المؤيدى ، المنصورى ، إسكندر
الزمان ، سلطان الآوان ، منبع الكرم والإحسان ، المعفى على ملوك آل ساسان ، وبقايا
أفراسياب وخازان ، ملك البسيطة ، سلطان الإسلام ، غياث الأنام ، أوحده الملوك
والسلاطين » ويُدعى له . قال : ولم يكتب إليه في ذلك الوقت لقب ينسب
إلى الخلافة نحو « خليل أمير المؤمنين » ومايجرى هذا الجرى ، إذ كان قد بلغنا أنه يربأ
بنفسه إلى أن يدعى الخلافة ، ويرى له فضل الإنافه .

قلت : مقتضى ما ذكره في " التعريف " حيث قال : إن رسم المكتبة إليه رسم
المكتبة إلى القانات الجبار في هيئة الكتاب وما يكتب به ، والطغرة والخطبة ،
أن المكتبة إليه تُفتتح بخطبة مبتدأة بـ « الحمد لله » كما تقدم في افتتاح المكتبات إلى
القانات . والذي ذكره في " التثقيف " أن المكتبة إليه تكون في قطع البغدادى
الكامل بالذهب والأسود ، كما جرت العادة به ، يعنى في كُتُب القانات ، إلا أنه
جعل رسم المكتبة إليه : « أعز الله تعالى أنصار المقام ، العالى ، السلطانى ،

(١) في الأصل وقد سبق القول في الكلام الخ ولكن زيادة « القول » ضارة .

العالمى ، العادلى ، الملكى ، الفلانى » . ثم قال : وهذه الألقاب سلطان كاملان وبينهما بيت العلامة على العادة ، وبعد السطرين المذكورين فى الجانب الأيمن من غير بياض « أبو المجاهد محمد ابن السلطان طغلقشاه زيدت عظمته » . ولا يذكر لقبه . والدعاء ، والعلامة « أخوه » . وتعريفه « صاحب الهند » . وقد رأيت تصويره فى بعض الدساتير على هذه الصورة :

أعز الله تعالى أنصار المقام العالى

بيت العلامة

السلطانى ، العالمى ، العادلى ، الملكى ، الفلانى
قال فى " التعريف " : والعنوانُ جميعه بالذهب وهو سلطان ، وتعريفه « صاحب الهند » . وبقية الكتاب بالسواد والذهب أسوة القانات ؛ وبه يُشعر كلام " التعريف " فيما تقدم .

وهذا دعاء معطوف وصدر يلىق به ، ذكره فى " التعريف " وهو :

ولا زال سلطانه للأعداء مُبيرا ، وزمانه بما يقضى به من خلود مُلكه خيرا ،
وشأنه وإن عظم يتدفق بحرا ويُرسي تيرا ، ومكانه وإن جل أن يجلبه مسكى الليل -
يملاً الأرجاء أربجا والوجود عيرا ، وإمكانه يستكين له الإسكندر خاضعا وإن حاز
نعيما جمّا ومُلكا كبيرا ، ولا برحت الملوك بولائه تتشرف ، وبآلائه تتعزف ، وبما
تطع مهابته من البيض بيض الهند فى المهج تتصرف . المملوك يخدم بدعاء يحلق إلى
أفقه ، [ويحل العلياء والحجرة فى طرفه ^(١)] ، ويهدى منه ما يعبدل به الناج فوق مفرقه ،
ويعتد له النجم ولا يثنيه إلا وسادة تحت مرفقه ؛ ويسمو إلى مقام جلاله ولا يسأم

(١) الزيادة من " التعريف " وهى لازمة .

من دعاء الخير، ولا يَمَلُّ له إذا مَلَّتْ النجوم عن السير، ولا يزال يَصِفُ ملكه المَحْمَدِيَّ
بأكثر مما وُصِفَ به المَلِكُ السليمانى، وقد قال: وأوتينا من كلِّ شَيْءٍ ، وعلمنا
مَنْطِقَ الطير .

قلت : وهذا الدعاء المعطوف مما يؤكد آبتداء المكتابة بالدعاء، خلافا لما تقدم
أنه مقتضى تصوير كلامه في "التعريف" .

وأعلم أن في هذه المكتابة على ما ذكره في "التعريف" شيئين قد خالف فيهما
قاعدة المكتابات عن الأبواب السلطانية .

أحدهما - إتيانه في "التعريف" في ألقابه بالمولوى . والثانى - قوله في الصدر المتقدم
الذكر « المملوك يخدم » . فقد ذكر صاحب "التعريف" في كتابه "عرف التعريف" :
أن السلطان لا يكتب عنه في العلامة « المملوك » وإنما خالف القاعدة في ذلك هنا
تعظيماً لمقام المكتوب إليه وإعلاءً لرتبته ، حيث قال في أول كلامه : إنه أعظمُ
ملوك الأرض على ما تقدم ذكره ، فعبّر عن مقامه بما يليق به ، وخاطبه بما يليق
بخطابه ، كما تقدم أنه كان يُكْتَبُ إلى أبواب الخلافة « المملوك » أو « الخادم ينتهبُ
ثرى الأعتاب » أو « يقبَلُ الأرض » ونحو ذلك تعظيماً لمحل الخلافة ، لاسيما
وقد تقدم أن صاحب الهند حينئذ كان يدعى الخلافة ، إلا أن نظام هذا الملك قد
أخْلَ ونَقَصَ عما كان يموت السلطان محمد بن طغلقشاه حين توفى ، وأستقر مكانه
أبن خالته فيروز شاه .

ولعل المكتابة التي ذكرها في "التثقيف" إنما رُتبت على حُكْم ما كان في أيامه
بعد ذكر المكتابة المذكورة، بعد أن ذكر أن محمد بن طغلقشاه مات وقام فيروز شاه

(١) لعل هذه البعدية برمتها من زيادة الناصح أو طغيان القلم كما لا يخفى .

مقامه ، إلا أنه مثل المكتبة المذكورة بمحمد بن طغلقشاه ، فاقتضى أن يكون هو المعنى بالمكتبة . ثم تفرقت المملكة بعد ذلك في سلطنتين ، فيما أخبرني به بعض أهل الهند ؛ ثم تزايد تقصُّها بعد أن غزا [ها] تمولك وغلب عليها ؛ ثم نزع عنها . وبكل حال فلا ينبغي أن يقصر بصاحب الهند عن رتبة القانات . ولم أقف على نص مكتبة كتب بها إلى صاحب الهند فأذكرها .

المقصود الثاني

(من المصطلح المستقر عليه الحال من المكتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية في المكتبات إلى ملوك الغرب ، وفيه أربع جمل)

الجملة الأولى

(في المكتبات إلى صاحب أفريقية ، وهو صاحب تونس ، وتتضم إليها بجاية وفسنطينة تارة ، وتنفرد عنها أخرى)

وقد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك نقلا عن "التعريف" أن حد هذه المملكة غربا من جزائر بني مرغان إلى عقبة برقة الفارقة بين طرابلس وبين برقة ، وهي نهاية الحد الشرقي ؛ ومن الشام البحر^(١) ؛ ومن الجنوب آخربلاد الجريد والأرض السواخة ؛ إلى ما يقال إنه موقع المدينة المسماة بمدينة النحاس . ثم قال : وهو أجل ملوك الغرب مطلقا .

وقد تقدم هناك أيضا ذكر حال مملكتها ومن ملكها جاهلية وإسلاما ، وأنها كانت قبل الإسلام بيد البربر حين كان معهم جميع المغرب ؛ ثم آتت منها الروم

(١) أي الروم كما تقدم في ج ه أثناء الكلام على مملكة تونس .

والفرنج إلى أن آتته حال الفتح الإسلامي إلى جرجيس ملك الفرنج في جملة ممالك المغرب، ودار ملكه يومئذ سبيلة، إلى أن فتحت في خلافة عثمان رضى الله عنه على يد عبد الله بن أبي سرح، وتوالت عليها نواب الخلفاء، وصارت دار المملكة بها القيروان حتى صارت منهم إلى [بني الأغلب] ^(١) ثم إلى العبيديين بنى عبيد الله المهدي، ثم الموحدين أصحاب المهدي بن تومرت، وهي بأيديهم إلى الآن. وهي مستقرة الآن بيد الحفصيين منهم، وهم يدعون النسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقولون: أبو حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وأثود بن علي بن أحمد بن والأل بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن واقتن ابن محمد بن يحيى بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. و باعتبار ذلك القائمون بها من بنى أبي حفص يدعون الخلافة، ويدعى القائم منهم في بلاده بأمر المؤمنين، وربما كاتبه بها بعض ملوك المغرب. قال في "التعريف": ومن أهل النسب من ينكر ذلك، ويجعلهم تارة بنسب إلى عدي بن كعب: رهط عمر بن الخطاب دون بنى عمر. ومنهم من ينسبهم إلى هنتاة من قبائل البربر بالمغرب، وهي قبيلة عظيمة مشهورة.

وهي الآن (إلى حدود الثمانمائة) بيد السلطان أبي فارس عزوز؛ وقد دوح البلاد وأظهر العدل ورفع منار الإسلام. وقد ذكر في "التعريف" أن السلطان بها في زمانه كان المتوكل على الله أبو يحيى أبو بكر.

ورسم المكاتبه إليه فيما ذكره في "التعريف" أن يكتب بعد البسملة. «أما بعد حمد الله» بخطبة مختصرة في مقتضى الحال، ثم يقول فهذه المفاوضات، أو النجوى، أو المذاكرة، أو المطارحة، أو ما يجرى مجرى ذلك، ثم يدى من طيب السلام (ومن

هذا ومثله (إلى الحضرة الشريفة ، العليّة ، السنية ، السريّة ، العالمة ، العادلية ، الكاملية ، الأوحدية ، حضرة الإمارة العدوية ، ومكان الإمامة القرشبية ، وبقية السّلالة الطاهرة الزكية ، حضرة أمير المسلمين ، وزعيم الموحدين ، والقائم في مصالح الدنيا والدين ، السلطان السيد الكبير ، المجاهد ، المؤيد ، المرابط ، المناغر ، المظفر المنصور ، المتوكل على ربه ، والمجاهد في حبه ، والمناضل عن الإسلام بذبه ، فلان ويدعى له بما يناسب مختصرا ، ثم يذكر ما يليق بكرم الحدود .



صدر آخر - من "التعريف" أيضا :

صدرت إليه تهدي إلىه من طيب السلام ما ترقى في جانبه الغربي أصائله ، و يروق فيما ينصب لديه من أنهار النهار جداوله ، ويحمله لكل غاد ورائح ، وتجري به السفن كالمدن والركائب الطلائح ، وتخص ذلك المقتر منه ببناء يعزل لأن ينيب بعده الدار ، ويستطلع ليل العراق به من فرق أفريقية النهار ، وتحامى مصر عن جارتها المنعة ، وتفخر بجارتها الشمس التي لا ترى في أفقها إلا مبرقع .

ولم يذكر في "التعريف" قطع الورق ، ولا العنوان ، والحاتمة ، والعلامة ، وما في معنى ذلك . والذي ذكره في "التثقيف" أن رسم المكتبة اليه في قطع الثلث بقلم التوقيعات ، نظير ما كتب به لصاحب فاس ؛ وهو أن يكتب بعد البسملة بحيث يكون تحتها سواء في الجانب الأيمن من غير بياض ما مثاله « عبد الله ووليه » ثم ينحلي مقدار بيت العلامة ؛ ثم تكتب الألقاب الشريفة من أول السطر مسامتا للبسملة . وهي « السلطان ، الأعظم ، المالك ، المملك ، الفلاني ، السيد ، الأجل ، العالم ، العادل ، المؤيد ، المجاهد ، المرابط ، المناغر ، المظفر ، الشاهنشاه . وهذه

تختصر غالباً - ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، وارث الملك ، سلطان العرب والعجم والترك ، فاتح الأقطار ، مانح الممالك والأقاليم والأمصار ، إسكندر الزمان ، مولى الإحسان ، جامع كلمة الإيمان ، مملك أصحاب المنابر والتخوت والتيجان ، ملك البحرين ، مسلك سبيل القبلتين ، خادم الحرمين الشريفين ، ظل الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ؛ سلطان البسيطة ، مؤمن الأرض المحيطة ؛ سيد الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين ، أبو فلان فلان ، ابن الملك الفلاني فلان الدين والدنيا « ويرفع في نسبه إلى منتهاه « خلد الله سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه . ويجهتد أن يكون « وأعوانه » آخر السطر أو قريباً من آخره . قال : والواجب بدل ولي أمير المؤمنين قسيم أمير المؤمنين ؛ ثم يقول : يخص الحضرة ، العالمة ، السنية ، الشريفة ، الميمونة ، المنصورة ، المصونة ؛ حضرة الأمير العالم ، العادل ، الغايد ، المؤيد ، الأوحد ، فلان ؛ ذخر الإسلام والمسلمين ، عدة الدنيا والدين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، سيف جماعة الشاكرين ، صلاح الدول ، والدعاء بإهداء السلام والشكر . ثم بعد حمد الله بحطبة مختصرة جداً ، فإننا نوصح لعلمه الكريم ؛ وتعريفه « صاحب تونس » .

قلت : وخطابه بالإخاء .

وهذه نسخة كتاب كتب بها عن الظاهر ”برقوق“ من إنشاء علاء الدين ، وهي

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله وليه .

السلطان الأعظم المالك ، المملك الظاهر ، الأجل العالم العادل ، المجاهد المرابط ، المناغر المؤيد ، المظفر ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ،

مُحِيّ العَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ ، مُنْصِفِ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، قَامِعِ الْخَوَارِجِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ؛
 وَارِثِ الْمُلْكِ ، مَلِكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالثَّرَكِ ، مُبِيدِ الطَّغَاةِ وَالْبَغَاةِ وَالْكَفَّارِ ،
 مَمْلِكِ الْمَمَالِكِ وَالْأَقَالِمِ وَالْأَمْصَارِ ؛ إِسْكَنْ دِرَ الزَّمَانِ ، نَاشِرِ لِرِوَاءِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ؛
 مَلِكِ أَصْحَابِ الْمَنَابِرِ وَالْأَسْرَةِ وَالتَّخُوتِ وَالتَّيْجَانِ ؛ مَالِكِ الْبَحْرَيْنِ ، صَاحِبِ سُبُلِ
 الْقِبْلَتَيْنِ ، خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ؛ ظَلَّ اللهُ فِي أَرْضِهِ ، التَّائِمِ بِسُنَّتِهِ وَقَرَضِهِ ، سُلْطَانِ
 الْبَسِيطَةِ ، مُؤَمِّنِ الْأَرْضِ الْحَيْطَةِ ؛ سَيِّدِ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، قَسِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
 «أَبِي سَعِيدِ بَرْقُوقٍ» خَلَدَ اللهُ سُلْطَانَهُ ، وَنَصَرَ جُنُودَهُ وَأَعْوَانَهُ ، وَأَفَاضَ عَلَى الْعِبَادِ
 وَالْبِلَادِ جُودَهُ وَإِحْسَانَهُ ؛ تَحِيَّةً تُتَارَجُ نَفْحًا ، وَتَبْلُجُ صُبْحًا ؛ وَتَطْوِي بِعَرَفِهَا نَشْرَ
 الْخُزَامِي ، وَتَعِيدُ مَيِّتَ الْأَشْوَاقِ حَيًّا إِذَا مَا ؛ تَحُصُّ الْحَضْرَةَ الْعَلِيَّةَ ، السَّنِيَّةَ السَّرِيَّةَ ؛
 الْمَظْفُورَةَ الْمَيْمُونَةَ ، الْمَنْصُورَةَ الْمُصُونَةَ ؛ حَضْرَةَ الْأَمِيرِ الْعَالِمِ ، الْعَادِلِ ، الْمَجَاهِدِ ، الْمُؤَيَّدِ ،
 الْأَوْحَدِ ؛ ذُنْحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، عُدَّةِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، قَدْوَةِ الْمُوَحِّدِينَ ، نَاصِرِ الْغُرَاةِ
 وَالْمَجَاهِدِينَ ، سَيْفِ جَمَاعَةِ الشَّاكِرِينَ ، صِلَاحِ الدُّوَلِ ، الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ أَحْمَدِ ،
 ابْنِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ ، ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي يَحْيَى أَبِي بَكْرٍ ،
 ابْنِ الْأَمْرَاءِ الرَّاشِدِينَ ، أَعَزَّ اللهُ دَوْلَتَهُ وَأَذَلَّ عِدَاتَهُ ، وَأَنْجَزَ مِنْ صُعودِ أَوْلِيَائِهِ
 وَسُعودِ آلائِهِ صَادِقَ عِدَاتِهِ .

بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ جَامِعِ الشَّمْلِ بَعْدَ تَفْرِيقِهِ ، رَاتِقِ خَلِّ الْمَلِكِ عِنْدَ تَمْزِيْقِهِ ؛ وَالشَّهَادَةِ
 بِأَنَّ لِلَّهِ إِلهًا هُوَ مُبِيدُ الْبَاطِلِ بِحَقِّ سِرِّهِ وَسِرِّ تَحْقِيقِهِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا
 مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مَوْحِّحِ سَبِيلِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَطَرِيقِهِ . وَإِهْدَاءِ سَلَامٍ مَا الزَّهْرُ
 بِأَعْبَقٍ مِنْ قَبِيْقِهِ ، وَثَنَاءِ مَا الرُّوضُ بِأَعْطَرٍ مِنْ خَلُوقِهِ ؛ فَإِنَّا نُؤَمِّعُ لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ أَنَّ كِتَابَهُ
 الْكَرِيمِ وَرَدَّ وَرُودَ السَّنَةِ عَلَى الْجَنِّفِ السَّاهِرِ ، أَوْ الْمُنْزَنَةِ عَلَى الرُّوضِ الزَّاهِرِ ؛ أَوْ الزَّلَالِ
 عَلَى الْأَوَامِ ؛ أَوْ الْبُرْءِ عَلَى السَّقَامِ ؛ فَهَدَدْنَا إِلَيْهِ يَدَ الْقَبُولِ ، وَارْتَحْنَا لَهُ أَرْتِيَا حِ الشَّمَالِ

إلى السَّمُول، ومِلْنَا إلى مَفَاكِهِتِه مِيلَ الغُصُونِ إلى الرِّيحِ، وامتزجنا بمصافاته آمتراج
 الماء بالراح، وفضضنا ختامه عن فضي كلامه، وذهبنا إلى ذهبي نثاره ونظامه،
 وتاملناه تأملا كل نظير عبده وخدامه، ووقفنا عليه ووقف شحيح ضاع في التراب
 خاتمه، ونظمنا جواهر اعتباره في قلائد الأفكار، وصوبنا إلى اختياره كما صبت
 النفوس إلى الإذكار، وفتحنا له جهد الطاقة بابا من المحبة لم يعلق، ونقسم بمن خلق
 الإنسان من علق أنها غير قلوبنا لم تعلق، فإذا سطوره جنود مصطفه، أوقيان بها
 الحسان محتفه، وإذا رفه طراز حله، أو عقد شدة البنان وحله، وإذا لفظه قدرق
 وراق، ومرر بالأسماع فملا بحلاوته الأوراق، وإذا معناه أطف من النسيم
 السارى، وأعذب مذاقا من الماء الجارى، وإذا سجع يفوق سجع الحمام، ويورى
 بالروض الضاحك لبكاء الغمام، وإذا سلامه قد حيته الأزاهر، وطوى بعرفه نشر
 الروض الزاهر، وإذا هناؤه قد ملك عنان التهانى، وأستطر عنان الأمان من سماء
 الأماني، فعبّر لنا لفظ غيره عن معنى المحبة، وقرب شاسع الذكر وإن بعد المدى
 بين الأحب، وأقام شاهد الإخاء على دعوى الإخلاص فقلبناه، ونادى مطيع المودة
 فاستجبنا له وليبناه، سقيا له من كتاب غدى بلبان الفصاحه، وجرى جواد التماحه
 من مضمار الملاحه، لاعيب فيه، سوى بلاغه فيه، ولا نقص يعتريه، سوى كمال
 باريه، لعمرى لقد فاق الأواحر والأوائل، فما أجدر كلامه بقول القائل :

وكلام كدمع صب غريب * رق حتى الهواء يكثف عنده!

راق لفظا ورق معنى فأضحى * كل شعر من البلاغة عبده!

لله دره من كتاب حلب دز الأفرح، وجدد من أبواب المسرة ما كان قد أخلقت
 يد الأثرح، فهمنا معناه فهمنا، وشرحنا متن فخواه فأنشرحنا، وعلمنا ما اتصل

بِسْمِعِكُمْ مِنْ خَبْرِنَا الْعَجِيبِ ، وَحَدِيثِ أَمْرِنَا الْقَدِيمِ الْغَرِيبِ ، الَّذِي أَظْهَرَ فِينَا اللَّهُ
 أَسْرَارًا ، وَكَتَبَ لَنَا مِنْهُ عَنَايَةً كَبَّتَ بِهَا أَسْرَارًا ، جَلَّ جَلَالُهُ خَافِضٌ رَافِعٌ ، مُعَلِّمٌ بِحِكْمَتِهِ
 وَاضِعٌ ، سَبْحَانَهُ أَوْجَدَ بَعْدَ الْعَدَمِ وَأَنْسَى شَيْئًا أَنْشَأَ ، قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ
 مِنْ تَشَاءَ ، كَسَرَ وَجَبَرَ ، وَقَرَنَ الْمَبْتَدَأَ بِالْخَبَرِ ، وَهَبَّ مَا كَانَ سَلْبًا ، وَجَعَلَ لَصْبَرِنَا حَسَنًا
 الْمُنْقَلَبَ ، أَعَادَنَا إِلَى الْمَلِكِ مَعَ كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ وَقِلَّةِ الْأَنْصَارِ ، وَأَظْهَرَنَا بَعْدَ الْخَفَاءِ
 فَاعْتَبَرُوا يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ ، وَأَبْرَزَ إِبْرِيذَنَا بَعْدَ السَّبْكِ خَالصًا يَرُوقُ النَّاطِرَ ، وَيَفُوقُ
 بَرُوقَهُ وَجِهَ الرِّوْضِ النَّاضِرِ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ فِي ذَلِكَ سِرًّا خَفِيًّا ، لَمْ يَزَلْ بِبِرْكَةِ رَسُولِهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَا حَفِيًّا ، فُقِّمْنَا فِيهِ بِوَأَجِبِ الْهَنَاءِ ، وَأَحَاطَ بِنَا طَوْلُكُمْ الطَّوِيلُ
 مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، فَاسْتَجَلَيْنَا مِنْ كِتَابِكُمْ عَرَائِسَ بُشْرَاهُ ، وَحَمِدْنَا عِنْدَ صَبَاحِ طَرْسِهِ
 لَيْلَ مَسْرَاهُ ، وَشَكَرْنَا لَهُ هَذِهِ الْأَيْدِيَّ الَّتِي تَقْصُرُ عَنْهَا الْأَيْدِي الْمُنْتَاطِلِ ، وَشَيْنَا إِلَيْكُمْ
 عِنَانَ الثَّنَاءِ الَّذِي فَاقَ بِمَجَالِيهِ الرِّوْضَ الْأَرِيضَ وَنَحَائِلَهُ .

وَمَا تَمَثَّلَ إِلَيْنَا رَسُولُكُمْ الْمَكْرَمُ ، وَصَاحِبُكُمْ الْكَامِلُ الْمَعْظَمُ ، بِذُو الْأَصْلِ الطَّاهِرِ ،
 وَالنَّسَبِ الْبَاهِرِ ، وَالرَّأْيِ السَّدِيدِ ، وَالْبَأْسِ الشَّدِيدِ ، فَلَانَ : لِأَزَالَ عَلَى مَقَامِهِ حَسَنًا ،
 وَجَفْنَ عَلَيْهِ لَا يَبِيعُ الْجَهْلُ عَلَيْهِ وَسَنًا ، فَأَبْدَى إِلَيْنَا مَا فِي وَطْأِهِ ، وَأَنْجَلَ الصُّدُورَ
 بِحِكْمَةِ فَضْلِهِ وَفَضْلِ خُطَابِهِ ، وَأَخَذَ يَجَادِبُنَا عَنْكُمْ أَطْرَافَ الْأَحَادِيثِ الطَّيِّبَةِ ، وَيُرْسِلُ عَلَيْنَا
 مِنْ سَمَاءِ مَحَبَّتِكُمْ مُزْنَهَا الصَّيْبَةَ ، وَأَطْرَبَنَا بِسَمَاعِ أَخْبَارِكُمْ ، وَنَصْرِ أَعْوَانِكُمْ وَأَنْصَارِكُمْ ،
 وَنَبَّهَ عَلَيَّ مَا أَوْدَعَهُ كِتَابُكُمْ ، وَتَضَمَّنَتْهُ مِنَ النُّصْرَةِ خُطَابُكُمْ ، وَدَوَسَ جُنُودَكُمْ جَزِيرَةَ
 «غُودِش» وَعَوَّدَهُم بِالْمَنِّ وَالْمُنْحِ ، وَتَلَاوَتِهِمْ عِنْدَ الْإِنْتِصَارِ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾
 وَقُفُّوهُمْ مُتَفَيِّئِينَ مِنَ الْجِهَادِ بِظَلَّةٍ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، بَعْدَ أَنْ نَعَقَتْ مِنْهُمْ
 عَلَى الْكُفَّارِ الْغُرَبَانَ ، وَأَقْتَنَصَتْ الرِّجَالَ آجَالَهُمْ أَقْتِنَاصَ الْعِقْبَانِ ، وَجَاءَتْهُمْ كَالْجِبَالِ

الرَّوَّاسِي ، وَظَفِرَتْ بِهِمْ أَظْفِيرُ الرَّمَاةِ وَمَخَالِبُ المَرَّاسِي ؛ وَغَنَّتْ عَلَيْهِم أوتارُ القِيسِيَّةِ
فأَرْقَصَتْ رُؤسَهُمْ عَلَى الصَّرْبِ ، وَسَقَمَهُمْ كُؤُوسُ الرَّدْيِ مُتْرَعَةً وَنَعِمَ هَذَا الشَّرْبُ
لأولئك الشَّرْبُ ؛ وَأَعَادَتِ المَسْلِمِينَ بِالغَنَائِمِ إِلَى الأوطانِ بَعْدَ نَيْلِ الأوطَارِ ، وَبَشَّرَتْ
الحواطِرَ بِمَا أَقْرَبَ العُيُونَ مِنَ النَّجَاحِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الأَخْطَارِ ؛ هَذَا وَالعَدُوُّ المُلْقَى السَّلْمَ عِنْدَ
الجِهَادِ ، جِيءَ بِهِمْ مَقْرَبِينَ فِي الأَصْفَادِ ؛ يَاهَا غَزَاةُ أَشْرَقَ نُورُهَا كَالغَزَالَةِ ، وَأَشْرَقَ
يَوْمَ إِسْلَامِهَا عَلَى لَيْلِ الكُفْرِ فَأَزَالَه ، وَتَوَلَّدَ مِنْهَا الجِهَادُ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا إِنْ شَاءَ اللهُ
عَقِيماً ، وَتَلَا لِسَانُ الشُّوقِ إِلَيْهِ ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . لَا زَالَتْ
رِقَابُ الأَعْدَاءِ لِأَسْيَافِكُمْ قِرَابًا ، وَغَزَا وَاتَّكَمَ الصَّالِحَةُ تُنِيلِكُمْ مِنَ اللهِ أَجْرًا وَثَوَابًا .

وَمَا عُرِضَتْ عَلَيْنَا مِنْ جُودِكُمْ عِنْدَ العِشِيِّ الصَّافِيَاتِ الجِيَادِ ، وَحَلَيْنَا مِنْهَا
بِقَلَائِدِ مَنَّا الأَجْيَادِ ؛ نَقَسَ لَقَدْ حَيْرَتَنَا ، أَلْوَانُهَا إِذْ حَيْرَتَنَا .

فَمِنْ أَشْهَبَ - كَأَنَّ الشُّهْبَ لَهُ قَيْصَه ، أَوِ الصَّبَاحَ أَلْبَسَه قَيْصَه ؛ أَوْ كَأَنَّما قَلْبُ
مِنَ المُجِينِ فِي قَالِبِ البِياضِ ، وَسُقِيَ سِوَادُ أَحْدَاقِهِ أَقْدَاحَ الرِّبَاحَةِ مِنْ غَيْرِ حِيَاضِ .
وَمِنْ أَدْهَمَ - كَأَنَّ النَّقْسَ لَمَسَه فِي مِدَادِهِ ، أَوِ الطَّرْفَ أَمَدَ طَرَفَه بِسِوَادِهِ ؛ أَوْ كَأَنَّما
تَقَمَّصَ إِهَابَ اللَّيْلِ ، لَمَّا طَلَعَ عَلَيْهِ بَجْرُ غُرَّتِهِ فَوَلَّى مَشْمَرَ الذَّيْلِ .

وَمِنْ أَحْمَرَ - كَأَنَّما صَبِغَ مِنَ الذَّهَبِ ، أَوْ كَوَّنَ مِنَ النَّارِ وَاللَّهَبِ ؛ أَوْ كَأَنَّ الشَّقَقَ
الْبَيْتِيَّ عَلَيْهِ قَيْصَه ثُمَّ أَشْفَقَ ، أَوِ الشَّقِيقَ أَجْرَى عَلَيْهِ دَمْعَهُ دَمًّا وَجِيهَهُ شَقَقَ .

وَمِنْ أَشْقَرَ - كَأَنَّما أَلْبَسَ ثَوْبَ الأَصِيلِ ، وَبَشَّرَ السَّرِيَّةَ يَمِينُ طَلَعْتَهُ بِالنَّصْرِ
وَالنَّحْصِيلِ ؛ أَوْ كَأَنَّ النَّصَّارَ كَسَاهُ حُلَّةَ العُشَاقِ ، وَقَدْ آدَرَعُوا بِأَسْوَاقِ المِحْبَةِ مَطَارِفَ
الأَشْوَاقِ ؛

ومن أخضر - كما تَلَفَّع من الروض الأريض بأوراقه، أو صَبَّغ بِالْعِدَارِ الْخَضِرَ
وقد شُقَّتْ عَلَيْهِ مِرَاثُ عِشَاقِهِ؛ أَوْ كَمَا تَمَّا الرُّمُودُ تَلْوِيئُهُ، أَوْ مِنْ شَارِبِ الشَّادِنِ تَكْوِينُهُ؛
كُلُّ بَطْرِفٍ مِنْهَا يَسْبِقُ الطَّرْفَ، وَيَرُوقُ النَّاطِرَ بِالْحُسْنِ النَّاضِرِ وَالطَّرْفَ؛ يُقَامُ بِهِ حُجَّةٌ
الإعراض وهو باعترافٍ ممتطيه قادر ملي، وينصب إلى الإدراك حسن السير جُحْمُودِ
صَفْحِي حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِيٍّ - فَاسْرَجْنَا لَهَا جِوَادَ الْقَبُولِ، وَأَمْتَطَيْنَا مِنْهَا صَهْوَةَ كُلِّ
مَامُولٍ؛ وَأَعَدَدْنَاهَا مَرَآكِبَ لَأَوَاكِبِ، وَلِلدَّلِيلِ الْمَهْمَاتِ الْوَاقِعَةَ بَدُورًا وَكَوَاكِبِ؛
وَأَطْلَقْنَا أَعْنَةَ شُكْرَاهَا فِي مِيَادِينِ الْحَمَامِدِ، وَطَفِقْنَا نُرْجِعُ ذِكْرَهَا بَيْنَ شَاكِرٍ وَحَامِدٍ .

مكاتبة وزير تونس

رأيت في الدستور المنسوب للقرت العلاثي بن فضل الله أنه كتب إلى أبي عبد الله
أبن بعلاص .

صدرت هذه المكاتبه إلى ^(٢) الشَّيْخِي، الكبيرى، العالمى، الفاضلى،
الأوحدى، الأكلبى، الأرشدى، الأجمدى، الأثيرى، البليغى، الفلانى، مجد
الإسلام، بهاء الأنام، شرف الفضلاء، زين العلماء، نجل الأكارم، أوحد الأعيان،
بركة الدولة، صفوة الملوك والسلاطين؛ (ويدعى له بما يناسبه). وتوضَّح لعلمه المبارك
كيت وكيت؛ ولم يذكر قطع الورق ولا العلامة ولا التعريف. والذي يظهر أن قطع
الورق العادة، والعلامة «أخوه». والتعريف «وزير تونس» .

(١) الظاهر أن هذا هو جواب لما عرضت قد قرن بالفاء وهو جائز بعد لما وحتى إذا تأمل .

(٢) بياض بالأصل والظاهر أنه " إلى المجلس الشينى الخ " .

الجملة الثانية

(في مكتبة صاحب الغرب الأوسط ، وهو صاحب تلمسان)

وقد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك الكلام على هذه المملكة ومن ملكها جاهليةً وإسلامًا ، وهي الآن بيد بني عبد الواد من زناته من قبائل البربر - والقائم بها الآن منهم إلى حدود الثمانمائة من الهجرة هو السلطان أبو زيان ، ابن السلطان أبي حمو : موسى بن يوسف ، بن عبد الرحمن ، بن يحيى ، ابن يغمراسن ، بن زيان ، بن ثابت ، بن محمد ، بن ركدار ، بن تيدوكس ، بن طاع الله ، ابن علي ، بن القاسم ، بن عبد الواد .

قلت : وذكر هذه المملكة في "مسالك الأبصار" مضافةً إلى مملكة فاس :
لأنضمامها حينئذٍ إليها في مملكة السلطان أبي الحسن المريني : صاحب فاس في زمانه ،
ولذلك لم يذكر لصاحبها مكتبةً في "التعريف" . على أني رأيت من صاحبها موسى
ابن يغمراسن مكتبةً إلى الناصر «محمد بن قلاوون» صاحب مصر . وسيأتي إيرادها
في جملة المكتبات الواردة إلى هذه المملكة . وذكر صاحب "التثقيف" أن صاحبها
في زمانه في الدولة الأشرفية «شعبان بن حسين» أي سلطانها يومئذ أبو حفص
عمر بن أبي عمران موسى ، وأن المكتبة إليه مثل المكتبة إلى صاحب تونس المقدم
ذكره على السواء . وذكر أنه كتب ذلك إليه ورأى جماعة كتاب الإنشاء يكتبونه ،
وكذلك رأيت في الدستور المنسوب إلى المقر العلاءي بن فضل الله ، ولم أظفر بصورة
مكتبة فأذكرها .

(١) في "العبر" ج ٧ ص ٧٥ ذكرناز وحرر .

الجملة الثالثة

(في المكتبة إلى صاحب الغرب الأقصى)

وهو صاحب فاس، وتعرف مملكته ببرِّ العُدوة . وقد تقدم الكلامُ على مملكتها وأحوالها ومن ملكها جاهليَّةً وإسلاماً في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك ، وأنها الآن بيد بني عبد الحق من بني مرِّين من زناتة من قبائل البربر، وأنها الآن بيد السلطان أبي فارس عثمان، ابن السلطان أبي العباس أحمد، ابن السلطان أبي سالم إبراهيم، ابن السلطان أبي الحسن عليّ، ابن السلطان أبي سعيد عثمان، ابن السلطان أبي يوسف يعقوب، ابن عبد الحق، بن محيو، بن أبي بكر، بن حمّامة، ابن محمد، بن ورصيص، بن فكّوس، بن كوماط، بن مرِّين، بن ورتاجن، ابن ماخوخ، بن وحرّيج، بن قاتن، بن بدر، بن نجفت، بن عبد الله، بن ورتييص، ابن المعز، بن إبراهيم، بن رجيك، بن واشين، بن بصلتن، بن شرا، بن أكيا، ابن ورشيك، بن أديت، بن جانا، وهو زناتة .

وقد ذكر في " التعريف " أن السلطنة فيهم في زمانه في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » صاحب مصر كانت في السلطان أبي الحسن عليّ بن عثمان المقدم ذكره . ثم قال : وورث هذا السلطان ملك العزفيين بسبته، وملك بني عبد الواد يتلمسان، وأطاعه ملك الأندلس، ودان له ملك أفريقيّة، وعرض عليه آبنته فتزوجها، فساقها إليه سوق الأمة . ثم قال : وبنو مرِّين رجال الوغى وناسها ،

(١) تقدم في ج ٥ ص ١٤٤ " ورزيز " .

(٢) تقدم " جدجج " .

(٣) تقدم " ورشد " .

وأبطال الحرب وأحلامها؛ وهم يفخرون بغزارة علمه وفضل تقواه . قال : وهو اليوم ملك ملوك الغرب ، وموقد نار الحرب .

ورسم المكتابة إليه على ما ذكره في "التعريف" بعد البسملة :

من السلطان الأعظم الملك الفلاني ، إلى آخر الألقاب المذكورة في المكتابة لصاحب تونس ، إلى قوله ونصر جيوشه وجنوده وأعوانه . ثم يقول : تحية يفتح بها الخطاب ، ويقدم منها ما زكا وطاب ؛ وتقال هنا سمجات مختصرة نحو أربع أو خمس ، يخص بها الحضرة الشريفة العلية ، الطاهرة الزكية ، حضرة المقام العالی ، السلطان ، السيد ، الأجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المناغر ، المؤيد ، المظفر ، المنصور ، الأسرى ، الأسنى ، الزكى ، الأتقى ؛ [المجاهد في الله] ^(١) المؤيد على أعداء الله ؛ أمير المسلمين ، قائد الموحدين ، مجهر الغزاة والمجاهدين ، مجتهد الجنود ، عاقد البند ، مالي صدور البرارى والبحار ، منزع أسرة الكفار ، مؤيد السنة ، معز الملة ، شرف الملوك والسلاطين ، بقية السلف الكريم ، والحسب الصميم ، ربيب الملك القديم ، أبى فلان فلان بن فلان . ويرفع نسبه إلى عبد الحق وهو أول نسبه . ويقال : فى كل منهم : أمير المسلمين أبى فلان فلان ؛ ثم يدعى له : نحو أعز الله أنصاره أو سلطاناه أو غير ذلك من الأدعية الملوكية بدعاء مطول مقخم . ثم يقال : أما بعد حمد الله ، ويخطب خطبة مختصرة . ثم يقال : أصدرت إليه ، وسيرت لتعرض عليه ، تُهدى إليه من السلام كذا وكذا . ثم يقال : ومما تبديه كذا وكذا .

صدر : يليق بهذه المكتابة - تُهدى إليه من السلام ما يطلع عليه نهاره المشرق من مشرقه ، ويحييه به الهلال الطالع من جانبه الغربى على ألقه ؛ وتصف شوقاً أقام

(١) زدناها من "التعريف" .

بين جَفْنِيهِ والكَرَى الحَرْب ، وودادا يَمْلأُ برسله كُلَّ بحرٍ ويأتى بكلِّ صَرْبٍ ، وثَنَاءٌ يُسْتَرَوَحُ بنسيمه وإن كان لا يَسْتَرَوَحُ إلا بما يَهْبُ من الغرب ، مقدِّمةً شُكْرًا لما يَهْر من عَزَماته التي أعزَّتِ الدين ، وغَزَتِ الملحدِين ؛ وحلَّقت على مَنْ جاورها من الكُفَّار [تحليق^(١)] صقور الرجال على مُسِفَّةِ الغُرَبانِ ؛ وتُقيم عند الشجاع عُدْرَ الجبان ؛ وتبيِّن آثارها في أعناق الأعداء وللسيوفِ آثارٌ بيَّان ؛ وإن كان فعله أكثر مما طارت به الأخبار ، وطافت به مُحلِّقات البشائر في الأقطار ؛ وسار به المجهجُ تعرِّفُ آثاره عرَّفَات ، وصارت تَسْتَعْلِمُ أخباره وتتدبُّ قبل زمانه مافات .

والذى ذكره في "التتقيف" أنه كان السلطان في زمانه في الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون» عبدالعزيز بن أبي الحسن على المقدم ذكره ، وذكر أن المكتبة اليه في قطع النصف ، وأنه يكتب تحت البسملة في الجانب الأيمن من غير بياض ما مثاله «عبد الله ووليه» ثم يخلى بيت العلامة ؛ ثم تكتب الألقاب السلطانية في أول السطر مسامتا للبسملة «السلطان الاعظم الملك الفلاني» إلى آخر الألقاب السلطانية المذكورة في المكتبة إلى صاحب تونس ، إلى قوله : ونصر جيوشه وأعوانه . ثم يقول : تحضُّ المقام العالى ، السلطان ، الملك ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المعاضد ، المرابط ، المناغر ، المُكْرَم ، المعظم ، المظفر ، الموقر ، المؤيد ، المسدد ، الأسعد ، الأبعد ، الأرشد ، الأنجد ، الأوحد ، الأجد ، البهي ، الزكي ، السنّي ، السرى ، فلان ، أمير المسلمين ابن أبي فلان فلان ، إلى عبد الحق المريني . والدعاء بما يناسب ذلك المقام ؛ ثم أما بعد حمد الله ، بخطبة لطيفة ، فإننا نقاوضُ علمه الكريم ونحو ذلك . وأكثر مخاطبته بالإخاء وتُحتم بالدعاء ،

(١) زدنا هذه الكلمة وان لم تكن في الاصل ولا في التعريف لما لا يخفى من لزومها لصحة الكلام .

والعلامة «أخوه» وتعريفه «ملك الغرب» . وفي الدستور العلاني أن الطلب منه بالمستمد، ويختم باستعراض الحوائج والخدم مكملاً بالدعاء .

وهذه نسخة كتاب من الملك الناصر «محمد بن قلاوون» إلى السلطان أبي الحسن المريني، في جواب كتاب ورد عليه منه وهي :

عبدالله ووليه ، السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، مؤمن أولياء الله المؤمنين ، ظل الله الممدود ، وميسر السبل للوفود ، حامي القبليين بحسامه من أهل الجود ، وخادم الحرمين الشريفين متبعاً للسنة الإبراهيمية في تطهير بيت الله للطائفين والعاكفين والزجاج الشجود ، والقائم بمصالح أشرف روضة وطيبه يعطر طبيها في الوجود ؛ ولي أمير المؤمنين جمع الله به كلمة الإسلام بعد الأفتراق ، وقمع برعبه أهل العناد والشقاق ؛ وأوزعه شكر نعم الله التي ألفت على ولائه قلوب ملوك الآفاق ، وأمنعه بها منحة صيرت له الملك بالإرث والاستحقاق ؛ وسيرت كواكب مناقبه فلها بالمغارب إضاءة وبالمشارك إشراق . ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين ، سقى الله عهدَه عهاد الرحمة ذوات إغراق ، وأبقى مجده بمحمد الذي للأمة الحمديّة على تعظيمه إجماعاً وعلى تقديمه اتفاقاً ؛ يخصّ المقام العالی ، الملك الأجل الكبير ، الحبير ، العاضد ، المناغر ، المظاهر ، الفائز ، الحائز ، المنصور ، الماثور ، الفاتح ، الصالح ، الأمكن ، الأضون ، الأشرف ، الأعرف ، الكريم ، المعظم ، أبا الحسن علياً أمير المسلمين ، ابن السلطان السعيد ، الحميد ، الطاهر ، الفاجر ، الماهد ، الزاهد ، الأورع ، الأروع ، أمير المسلمين ، أبي سعيد عثمان ، ابن السلطان ، السعيد ، الرشيد ، السابق ، الوامق ، الجامع ، الصادع ، أمير المسلمين

أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، ناظم مُفَرَّقِ الفَخَّارِ ، وهازِمِ فِرْقِ الفُجَّارِ ، والملازم لإحياء سنة الجهاد المتروكة في الأقطار ، حتى يجمع في ملكه أطراف الغرب الأقصى للاستيلاء والاستظهار ، ويُخضع لفتكته كل متكبر جبار ، ويرضع في سلكه ماناثي وصعب من تلك الديار ، ويرفع لئسكه أعمالاً من الجهاد والاجتهاد تُسرّ الحفظة الأبرار ، يظهر فيها لبركة الاسم العلوّى من نشر الهدى ، وقهر العدا ، أوضح الأدلة وأبين الآثار ، ويؤثر سلطاننا المحمدي من عليّ عزّمه ، وحجّي حزمه ، بأعزّ الأعوان والأنصار ، فتظفر دار الإسلام من قومه بمهاجرين من أبناء البلاد يقرّ لهم بأمر القرى قرار ، ويسير سواهم للبيت ذى الجرجر والجرّ والباب والميزاب والمترّم والجدار والأستار ، بسلام مشرق الفرر ، موقّ الخبر ، وثناء مع رياه لا يعبأ بالعير مع نشره ولا يعتبر ، ووداد مخفيّ الخبر ، وأعتداد يطول منه في السنة الشكر عن إحصائه واستقصائه قصر ، وإيراد لمفآخره التي سارت بها الأخبار والسّير ، وأعتقاد لماثره التي سبق عثمانها إلى إحراز مرآيا الفضل وجاء عليها على الأثر .

أما بعد حمد الله الذي أمر أولياءه المؤمنين بالمعونة والمظافرة ، ونهى عباده الصالحين عن المباينة والمنافرة ، ورعى الحجاج بيته حرمة القصد وكتب لهم أجر المهاجره ، ودعا إلى حرمة ، من أهله من خدّمه ، فأجابه بالتلبية وأتابه وآجره . والشهادة له بالواحدانية التي تُسعد بمصاحبة المصابره ، وتُصعد إلى الدرجات الفآخره . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذى المناقب الباهره ، والمواهب الزآخره ، والمراتب التي منها النبوة والرسالة في الدنيا والوسيلة والشفاعة في الآخره ، وعلى آله وصحبه الذين أفتى الله الشرك بصوارمهم الحاصدة وأذنى القتل بعزائمهم الحاضرة ، صلاة إلى مظانّ الرضوان متواتره ، ماربحت وفود مكة البركة الوافره ، ووصحت لفاصدي الكعبة البيت الحرام أوجه القبول سافره .

فإنه ورد - أورد الله تعالى البُشرى على سمعه ، وأيد أهتمامه بتأليف شمل السعد وجمعه - من جانبه المُكرم ومعهده وربعه ، كآب كريم نسبه ، نعيم أدبه ، على منصبه ، ملي إذا أخلف السحاب بما يهبه ، سري سرت إلى بيت الله وحرَم رسوله القريب قُربه ، على يد رسوله : الشيخ الأمين الأزكى ، الأورع الأتقى ، الخطيب البليغ ، المدرّس ، المفيد أبي إسحاق ابن الشيخ الصالح أبي زيد ، عبد الرحمن بن أبي يحيى ، نفع الله به ، وحاجبه الكبير المختار ، المرتضى ، الأعز ، أبي زيّان عريف ابن الشيخ المرحوم أبي زكريّا ، أيد الله تعالى ، وكاتبه الأجد الأُسعد أبي الفضل ابن الفقيه المُكرم أبي عبد الله ، بن أبي مدين ، وفقه الله تعالى وسدده ، ومن معهم من الخاصّة والزعماء والفُرسان المائلين في خدمة الجهة المصونة بَلغها الله أربها ، وقيل قُربها ، الواصلة بركبكم المبارك الرواح والمعدى ، المُعان على إكمال فرض الحج المؤدى ، المرحولين بحمد العقبي كما حمد المبدأ ، ففضضنا ختامه الذكى ، وأفضنا في حديث شكره الزكى ، وعرضنا منه بحضرتنا روضاً يانع الروض به محكى ، وحضضنا نوابنا على إعانة خاصّة وفده وعامتهم على قضاء التُّسك بذلك الحرم المكى ، وتلمحننا فصوله الميمونة فإذا هي مقصورات على مَثوبات محضه ، ورغبات تُؤدى من الحج فرضه ، وهبات يعامل بها من يضاعف أجره ويوفيه قرضه ، وقربات يحمّد فاعلها يوم قيام الأشهاد تُشره وحشره وعرضه .

فأمّا ما ذكره من ورود الكائين الواصلين إلى حضرته سُحبة الشيخين الأجلين « أبي محمد عبد الله بن صالح ، والحاج محمد بن أبي لحيان » وأنه أمضى حكمهما ، وأجرى رسمهما ، فقد آثرنا للأجر حوزة ، وآخترنا بالشكر فوزه ، وقصدنا بهما تجديد جلباب الوداد ، وتأكيد أسباب الولاء على العباد ، وإلّا فجع وجود إنصافه الحقوق

من غاصبها تُستعاد ، والوُثُوقُ بِنَصْرِهِ لِلظُّلُومِ وَقَهْرِهِ لِلظَّالِمِ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اعْتِقَادٌ ،
وقد شكرنا لكم ذلك الاحتفال ، وآثرنا حمدكم في المحافل والمحال .

وأما مانعته مما أشرتم إليه مما يتعين له التقديم ، ويستحق توفية حقه من تكريم
التكريم ، وهو تجهيز ركبكم المحروس في السرى والمقام ، في خدمة من يقوم مقام
الوالدة المرحومة في الاحترام ؛ سقى الله صوب الرحمة صفيحها ، ورتقى إلى العرفات
روحها ؛ ومعها وجوه دولتكم العز ، وأعيان مملكتكم من سرة بنى مرين الذين تُهيج
مراثيهم وتسر ؛ وما نهتم عليه من ارتفاع شانهم ، واجتماع فرسانهم ، واستيداع
أمانتنا نفائس أنفسهم وأديانهم ؛ فقد استقبلناهم على بُعد بالإكرام ، وأحللناهم من
القرب في أعلى مقام ، وصرفنا إلى تلقائهم وجه الإقبال والاهتمام ، وعرفنا حقهم
أهل الإسلام ؛ ونشرنا لهم بفنائنا الأعلام ، ويسرنا لهم باعتنائنا كل مرام ؛ وأمرنا
بتسهيل طريقهم ، وتوصيل البر لفريقهم ؛ وأسدلنا الخلع على جميعهم ، واحتفلنا بهم
في قدومهم ومقامهم وتشييعهم ؛ وأجزلنا لهم أقسام الإنعام في توجيههم ، وكذلك
يكون في رجوعهم ؛ وعرضوا بين أيدينا ما أحجبتهم من الطرف والهدايا ، التي لا تحلها
ظهور البحار فكيف ظهور المطايا ؛ من عقود منظمه ، وبرود مسهمه ، ومطارف
معلمه ، ولطائف بالإمكان والإتيان معلمه ، وصنائع محكمه ، وبدائع للأفهام مفحمه ،
وذخائر معظمه ، وضرائر للشموس في الكون والسسمه ، وبوآثر تفرق بين الهام
والأجسام والهام ملحمه ، وأخير بمقدار مهديها في الجلال مفهمه ، وخيول مسومه
بالأهلة مسرجه وبالتجوم منجمه ، معودة نزال الأبطال معلمه ، ذوات صدور
مبقورة وأكفاله مسلمه ؛ تسحب من الحرير أذيالا ، وتصحب من الوشي سربالا ،
وتميس مجللها وحلاها عجبا وأختيالا ، ويقيس مشبهها سرعتها بالبرق فلا يتغالى ،
عائيات الأجسام ، عاليت كالا كام ، لفحولها صهيل يدغر الأسود ، ولسنايكها

وقع يَفِطْرُ الجُلمود، أُنْعِبَتِ الرُّواض، وَرُكِبَتِ مِنْهَا صَهْوَةٌ كُلِّ بَحْرِ سَابِحٍ حَيْثُ لُحِجُّ
الموت نُحَاض؛ وَفُرِنَتْ مَرَابِطُهَا بِحِمَايَةِ جِوَاهِرِ النُّفُوسِ مِنَ الأَعْرَاضِ، وَجَنِيْبِيَّةِ
تُجْرٍ مِنْ دُيُوبِهَا كُلِّ فِضَاضٍ؛ وَحُسِبَتِ لِأَخْتِلَافِ شِيَاتِهَا كَأَنَّهَا قَطَعَ الرِّياضِ: مِنْ
شُهْبٍ كَأَنَّهَا آرَدَتِ الأَفَاحَ، أَوْ غَدَّتْ رَافِلَةً فِي حُلَلِ الإِصْبَاحِ. وَدُهْمٌ نَفَضَتْ
عَلَيْهَا اللَّيَالِيَّ صَبْعَهَا فَلَا بَرَّاحَ، وَرَبِمَا أَغْفَلَتْ مِنْ ذَلِكَ غُرُورٌ وَأَوْضَاحُ. وَكُنْتُ كَأَنَّهَا
فَتَحَ صُلْبَ البِطَاحِ، تَطِيرُ إِلَى الظَّفَرِ بِجَنَاحِ. وَحُمْرُ كَأَنَّهَا خَلَقَتْ لِلنَّجَاحِ، وَأُطْلِقَتْ
أَعْيُنُهَا فَقَالَتْ أَلْسِنَةُ أُسْتَبَّهَا لِلطَّرَائِدِ: لِأَبْرَاحِ. وَخُضْرُ كَأَنَّهَا البُرْءَةُ المَوْشَاةُ الوِشَاحِ،
أَوْ مَشِيْبٌ فِي الشَّسَابِ قَدْ لَاحَ. وَشُقْرٌ تَكْبُو فِي طَلَبِهَا الرِّياحِ، وَتُحْبَوْنَ نارُ البَرَقِ إِذَا
أَمْسَى بَسَنًا سَنَابِكُهَا أَفْتِدَاحُ.

ووراءها البغال، التي تجل الأنتقال، ولا تزل في الأحوال بحال؛ وعليها الزناريات
الموشعة، وحليها الجلال الملمعة؛ وهي تمشي رويدا، وتبدي قوة وأيدا؛ كأن
قلامتها قناه عيدا (؟) وهي وافرة الأمداد، فاحرة على الحياض، باهرة العدد متكاثرة
الأعداد، راسخات القوائم كأنها أطواد، شامخات الرؤوس حاليات الأجياد، باذخات
الأكفال غلاظ شداد، وسارت لها إلى رحابنا أنقياد، وصارت من محلل إسعاد
إلى مواطن إصعاد؛ فتقبلنا أجناسها وأنواعها، وتاملنا غرائبها وإبداعها؛ وجعلنا
يوما أو بعض يوم في حواصلنا إيداعها؛ ثم استصفينا منها نفائس آثرنا إليها إرجاعها،
وفرقتنا في اولياتنا أجماعها؛ وقسمنا مشاعها، وغنمنا لما أفاء الله صفاياها ومرباعها؛
فتولت لكل ولى منها منح، وسارت إلى كل صفي منها ملح؛ وقالت الألسنة
وطالت في وصف ما عليه به فتح، فاستبان ووصح؛ وكان لأهل الإيمان ببعته
أعظم هناء وأكبر فرح.

(١) من جملة معاني الفتح الماء الجاري على وجه الأرض شبهها في جريها بالماء الجاري على البطحاء الصلبة تأمل.

وسطرناها وركبكم المبارك قد رامت السرى نجائبهم ؛ وأمت أم القرى ركائبهم ؛ يسائرهم الأمن ويصاحبهم ، ويظايرهم اليمن ويواظبهم ؛ فقد أعدت لهم المير في جميع المنازل ، وشئت لهم الهجان البوازل ؛ وأترعت لهم الموارد والمناهل ، وأمرعت لهم بالميرة الففار والمراحل ؛ ووكلت بهم الحفظة في المخاوف ونصبت لهم الأدلة في المجاهل ؛ وجرّد معهم الفرسان ، وجدد لهم الإحسان ، وأكد لهم حقان حق مرسلهم وحق الإيمان ، وقد درك حياتهم أمراء العربان ، وشوهد من تعظيمنا لهم ما يحسددهم عليه ملوك الزمان بكل مكان ؛ وكتبنا على أيديهم إلى أمراء الأشراف بالتهوض في خدمتهم والوقوف ، وأن يحيط بهم كل مقدم طائفة ويطوف ، يتسامهم زعيم من زعيم ، إلى أن تُحط رحلهم بالحطيم ؛ ويحل كل منهم بالمقام ويقم ، وتكمل مناسكهم بشهود الموقف العظيم .

وكذلك كتبنا إلى أمراء المدينة المشرفة ، أن تتلقى بالقبول الحسن مصحفه ؛ ونجّله بين الروضة والمنبر ، ونجّله فقد ربح سعى كاتبه وبر ، وكتبت له بعدد حروفه أجور توفّر ؛ ويمكن من يرق لتلاوته في الأصال والبكر ، ويهيم على ذلك فإنه من بيت هم الملاك الأعلى وعندهم وفيهم جاءت الآيات والسور .

وعما قليل يتم حجهم وأعتابهم ، ويوم طيبة الطيبة العاطرة زوارهم ؛ فيكرم جوارهم ويعظم نغارهم ، وتنعم بإشراق تلك الأنوار بصائرهم وأبصارهم ؛ وتفوح أرواح نجد من نياهم ، وتلوح أنوار القبول على شبيهم وشبابهم ؛ ثم يعودون إلينا فنعيد لهم الصلات ، ونفيد كلاً منهم ديم النعم المرسلات ؛ ثم يصدرون إن شاء الله إليكم ركائبهم بالمنائح مثقلات ، ومطالبيهم بالمنائح مكّلات ؛ ويظفرون من الله في الدارين بقسم النعم أنجزلات حتى يلقوا برحابكم عصا التسيار ، ويصونوا حرّ وجوههم بالصبر على حرّ الهجير [من] لفتح النار ؛ ويدّخروا بما أنفقوا عند الله من

دُرهم ودينار، أجزاً جمًّا وما عند الله خيرٌ للأبرار؛ والله تعالى يقتربه من تلك المواطن، ويؤدبه منها بالظاهر وإن كان يسرى إليها بالباطن؛ ويسهل [له] ذلك الحرم، وإن كان قد أعان القاطن والقادم، حتى تحلَّ ركائبه بين المروتين وتجزئ، ويكون له بذلك على ملوك الغرب تمييز، وما ذلك على الله بعزيز.

لا زالت مقبولةً على المدى هداياه، مجبولةً على الندى سجاياه، مدلولةً على الهدى قضاياه، منصورهً على العدا سراياه، مبرورةً أبداً تحاياه. والسلام الأتم الذي يعقب رياه، والثناء الأعم المشرق محياه، عليكم ورحمة الله وبركاته، والخير يكون، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة جواب الكتاب الوارد على الملك الناصر «محمد بن قلاوون» من ابن أبي الحسن على المريني، صاحب فاس المغرب، بالبشارة بفتح بحاياه، والانتصار على تلمسان.

وآستفتاحه بعد البسملة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

ثم المكتبة المعهودة: من ألقاب المليكين، والدعاء. والصدر:

قهر الله بياسه من ناواه من أمة الكفر وطغاته، ونصره على من لاواه من حزب الشيطان وحمايته. ونشر أعلامه بالظفر بن خالفه من عداة الله وعداته. وأجراه من بلوغ الوطرفي سكونه وحركاته، على أجمل أوضاعه وأكل عاداته. ويسرله بدوام سعوته فتح ما استغلق من معاقل الحائدين عن مرضاته. ولا زالت ركائب البشائر عنه تسرى وإليه من تلقائنا تسير، ومصير الظفر حيث يصير، ويدور الفلك المستدير، بسعده الأثيل الأثير، ويتور الخلك بضوء جبينه الذي يهتدى به الضال

وَلِنَجَا إِلَيْهِ الْمَسْتَجِيرِ، وَتَغُورُ أَعْيُنُ الْعِدَا إِنْ عَايَنُوا بِحَفْلِهِ الْجَزَارَ وَنَاهَدُوا جَيْشَهُ الْمَيِيرَ . بِنُحْيَةٍ تَحْكِي اللَّطَائِمَ عُرْفَهَا الشَّمِيمَ ، وَتَوَدُّ الْبِجَائِمُ لَوْ تَفْتَقَتْ عَنْ مِثْلِ مَالِهَا مِنْ نَضَارَةٍ أَوْ تَسْنِيمٍ ، وَيُودِعُ عِتْدُ الْجَوْزَاءِ لَوْ أَنْتَضَمَ فِي عِقْدِهَا النَّضِيدَ النَّظِيمَ .

وكيف لا وهي تحية صادرة عن مقام شريف إلى روضة غناء تُزْرَى بالنبت العميم ، واردة من محل عظيم ، على نُحْيَا وَسِيمٍ ، منظوية على الأرض من سلامة وملوك الإسلام من سلام سليم ، وطُرفَة نُشْرُهَا كالمسك الذي ينبغى أن ينجتم به هذا الكتاب ، وثناء يستفز الألباب ، ويستقر في حبات قلوب الأحاب ، ويستدر أخلاف الودين المتحابين في الله فلا غرو أن دخلت عليهم ملائكة النصر من كل باب .

يتسابقان إلى ذلك المجد الأسنى في أسعد مضمار ، ويتساوقان بجزاز قصبات السبق إلى تلك العُصبة المشرفة الأنوار ؛ ويزداد فيهما بالوفود عليه طيبا ، ويندو عود الود بهما رطيبا ؛ حيث الربع مريع ، والمهيع منبع ، والعز مجدد والقدر مطيع ؛ وسحب الكرم ثره ، ورياض الفضل مخضره ، وعساكر النصر تحل نحوه من المحرّه ؛ حيث تستعرب الحرب ، ويستعجر الضرب ، وتشرق شمس المشرفيات لامعه .

أما بعد حمد الله مظهر دينه على كل دين ، ومطهر أرجاء البسيطة من الماردين المارقين ؛ ومجرد سيف النصر على الجاحدين الخائدين ؛ وموهن كيد الكافرين ، ومجزل أبحر الصابرين ؛ ومجزز وعد من بشرهم في كتابه المبين بقوله : ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ .

(١) هي أوعية المسك أو أسواقها واحداها لطيفة وفي الأصل العظام وهي تصحيف .

(٢) بياض بالأصل ولعله على ملء الأرض .

(٣) بياض في الأصل يسير .

الذى عَصَمَ حَيْبُ الْإِسْلَامِ بِكُلِّ مَلِكٍ قَاهِرٍ ، وَفَصَمَ عَرَى الشَّرْكِ بِكُلِّ سُلْطَانٍ
غَدَا عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرٍ ، وَقَصَمَ كُلَّ فَاجِرٍ بِمَهَابَةِ أُمَّةِ الْمُهْدَى الَّذِينَ
مَامَنَهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ لِلْحَاسِنِ نَاطِمٌ وَلِقِمَمِ الْعِدَا نَاطِرٌ ؛ نَاشِرِ عِلْمِ الْإِيمَانِ بِجَمَاةِ الْأَمْصَارِ ،
وَنَاصِرِ عِلْمِ الْإِسْلَامِ بِمَلُوكِ الْأَقْفَارِ ، وَجَاعِلِ كَلِمَتِهِ الْعُلْيَا وَكَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا
السُّفْلَى ، لِأَجْرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ؛ جَامِعِ قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَى إِعْلَاءِ عِلْمِ الدِّينِ الْحَنِيفِ
وَإِنْ بَعُدَتْ بَيْنَهُمْ شُقَّةُ النَّوَى وَشَطَّ الْمَزَارِ .

وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وَنِقْمَةً عَلَى
الْكُفَّارِ ؛ وَنَصْرَهُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ فِي إِيرَادِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِصْدَارِ ؛
وَالآنَ بِنَاسِهِ صَلِيبَ الصَّلْبُوتِ وَأَهَانَ التَّنَكُّيسِ عِبْدَةَ الْأَصْنَامِ وَسَدَنَةَ النَّارِ ، وَأَيْدِهِ
بِالِ وَأَصْهَارِ ، وَأَصْحَابِ وَأَنْصَارِ ، وَجُنُودِ تَهُونَ النَّعَقِ الْمُتَّارِ ؛ وَأَتْبَاعِ مَا أظْلَمَ خَطْبُ
إِلَّا أَجَلُوا سَيُوفَهُمْ فَبِدَا نَجْمُ الظَّفَرِ فِي سَمَاءِ الْإِيمَانِ وَأَنَارَ ، وَأُمَّةٍ ظَاهِرَةٍ عَلَى مَنْ
نَاوَاهَا ، ظَافِرَةٍ بِمَنْ عَادَاهَا ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، صَلَاةً وَتَسْلِيمًا يُدُومَانِ بِدَوَامِ
الْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ .

فَقَدْ وَرَدَ عَلَيْنَا كِتَابٌ مَّخْتُومٌ بِالتَّكْرِيمِ ، مَّخْتُومٌ بِالتَّبَجِيلِ وَالتَّقْدِيمِ ؛ مَّخْتُومٌ عَلَى وَصْفِ
فَضْلِ اللَّهِ الْعَمِيمِ ، وَنَصْرِهِ الْعَظِيمِ ، وَمَنْنِهِ الْجَسِيمِ ؛ فَأَكْرَمْنَا نُزْلَهُ ، وَنَشَرْنَا حُلَّهُ ،
وَتَفَهَّمْنَا تَفَاصِيْلَهُ وَجُمْلَهُ ؛ فَتَيْمَنَّا بِوَصُولِهِ ، وَتَأَمَّلْنَا مَخَالِيلَ النَّصْرِ الْعَزِيزِ مِنْ فُصُولِهِ ؛
وَوَجَدْنَاهُ قَدْ أَشْتَمَلَ مِنْ سَعَادَةِ مُرْسِلِهِ عَلَى أَنْوَاعِ ، وَمِنْ وَصْفِ تَعْدَادِ نُصْرَتِهِ عَلَى
عَوِيٍّ مِنَ اللَّهِ وَمَنْ يُعِينُ اللَّهُ فَهُوَ الْمَنْصُورُ الْمَطَاعُ .

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَقَامُ الْعَالِي مِنْ أَمْرِ الْوَالِدَةِ الْمُقَدَّسِ صَفِيحِهَا ، الْمَغْمُورِ بِالرَّحْمَةِ
صَرِيحِهَا ؛ وَمَا كَانَتْ عَزَمَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَصْدِ مَبْرُورٍ ؛ وَتِجَارَةِ لَنْ تَبُورِ ، وَأُمَّ إِلَى الْبَيْتِ

الآمين والحريم المعمور، وما فاجأها من الأجل، وعاجلها من أمر الله عز وجل؛
فالمقام أجزل الله ثوابه يتحقق أن النية في الأجور أبلغ من العمل، وأنه من أجاب
داعِيَ الحِمَامِ فلا تقصير في فعله ولا خلل؛ والله نسأل أن يكتب لها ما نوتته من
خير، وأن يُطيف رُوحها الزكية ببيتة المعمور في جنات عدن كما أطاف أرواح
الشهداء في حواصل ذلك الطير.

وكما نود أن لو قدمت لبتلقاها منا زائد الإكرام، ويوفي مزاربها وافد الاحتفال
والإهتمام؛ ونستجلب دعواتها الخالصة الصالحة، وتظفر هي من مشاهدة الحرم
المعظم والمثوى المكرم والبيت المقدس بالصفحة الراجعة. على أنه من ورد من تلقائكم
قابله من جميل الوفاة بما به يليق، وتقدمنا بمعاملته بما هو به حقيق؛ ويسرنا
له السبيل وهدينا الطريق، وأبلغناه في حرز السلامة مع ركبنا الشريف أملة من
قضاء المناسك والتطواف بالبيت العتيق.

وأما أشار إليه من أمر من كان «بتامسان» وأنه ممن لا يعرف مواقع الإحسان،
وما وصفه المقام العالی من أحوال ليس الخبر فيها كالعيان، وأنه أعتدى على من
يتاخمه من الملوك، ونخرج عن القصد فيما اعتمده من ذلك السلوك، حتى أن ملك
تونس أرسل إلى المقام ابنه ووزيره، وسأله أن يكون ظهيره على الحق ونصيره،
وأن المقام العالی أرسل إلى ذلك الشخص منكرا اعتماده، طالبا إصلاحه
لا لإفساده؛ راجيا أن يكون ممن تنفعه الذكرى، ظاننا أنه ممن يأبى أن يقال له:
(لقد جئت شيئا نكرا) وأنه بعد ذلك تهادى على غيبه، وأراد أن يدوق طعم
الموت في حبه؛ وأبى الظالم إلا نقورا، وذكر الملك عنه أنه قتل أباه بعد أن آتاه الله
به نعمة وملكا كبيرا. وأن المقام العالی آتاه نبأ عن أخيه المقيم بسجلماسة، وخبر
صدق أوجب أن يعامل بما يليق بجميل السياسة وحرز الحراسه؛ فخذ المقام له

جُنُودًا ، وَعَقَدَ بُنُودًا ، وَأَضْرَى أَسُودًا أَوْهَنْتَ كَيْدَهُ ، وَأَذْهَبْتَ أَيْدَهُ ، وَعَاجَلْتَ صَيْدَهُ ، وَأَذَلْتَ بَاسَهُ ، وَأَزَالَتْ عَنْهُ سِيْمَا الْمَلِكِ وَنَزَعَتْ لِبَاسَهُ . وَأَنَّهُ فِي غُضُونِ ذَلِكَ أَتَاهُ سُلْطَانُ الْأَنْدَلُسِ يَسْتَصْرِخُ بِهِ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَسْتَعْدِيهِ عَلَى الْكُفْرَةِ الْمُعْتَدِينَ . وَأَنَّ الْمَقَامَ لِي دَعْوَتُهُ مُسْرِعًا ، وَأَكْرَمُ نَزْلُهُ مُمْرِعًا ، وَعَدَّهُ الْجَمِيلُ ، وَحَقَّقَ لَهُ التَّامِيلُ . وَأَنَّ صَاحِبَ تَلْمِيسَانِ لَمَّا غَرَّهُ الْإِمْهَالُ ، وَظَنَّ هَذِهِ الْمَهَامَّ تَوَجَّبَ لِلْمَقَامِ بَعْضَ أَشْتِغَالٍ ، أَعْمَلَ أَطْعَامَهُ فِي التَّجَرِّيِّ عَلَى بَعْضِ مَمَالِكِهِ الْمَحْرُوسَةِ وَمَدَّ ، وَسَارَ إِلَى مَحَلٍّ هُوَ بَيْنَهُمَا كَالْحَدِّ . وَأَنَّ الْمَقَامَ عِنْدَ ذَلِكَ صَرَفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْعَزْمِ ، وَأَخَذَ فِي حِفْظِ شَأْنِهِ بِمَا لِأَعْلَامِ النَّصْرِ مِنْ نَصَبٍ وَمَا لِلْإِعْتِدَاءِ مِنْ رَفْعٍ وَمَا لِلْإِهْتِمَامِ مِنْ جَزْمٍ . وَأَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ حَدَّرَهُ مِنْ أَلِيمِ الْعِقَابِ حُلُولًا ، وَتَمَسَّكَ فِيهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [وَلَمَّا^(١)] لَمْ يَنْفَعَهُ الْإِنْذَارُ ، وَأَبَى إِلَّا الْمُدَاوِمَةَ وَالْإِضْرَارَ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَقَامَ الْعَالِيَّ مِنْ جَيْشِهِ الْخِصْمَ ، وَعَسَاكِرَهُ الَّذِي طَالَكَ تُعَصُّدُهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَإِلَى أَعْدَادِهِ تَنْصَمَ ، كُلٌّ بِأَسْلِحِهِ يَتَقَرَّبُ إِلَى مَقَامِ الْكُتَيْبِيِّهِ ، وَكُلٌّ مُشَاهِدٌ يَشَاهِدُ مِنْهُ فِي الْعَرِينِ كُلِّ غَرِيْبِهِ ، وَكُلٌّ ضَرْغَامٌ تَعْرِفُ الْعِدَا مَوَاقِعَ ضَرْبِهِ لَكِنَّهَا تَجْهَلُ نَيْدَهُ أَوْ ضَرْبِيهِ ، فَأَذَاقُوهُ كَأْسَ الْجِمَامِ صَرَفًا ، وَلَمْ يَتَنَفَّوْا عَنْ حِمَاهُ بِدُونِ نَفْسِهِ عَدْلًا وَلَا صَرَفًا ، إِلَى أَنْ أَخَذُوهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي أَبِيهِ ، وَشَرِذْمَةٍ قَلِيلَةٍ مِمَّنْ كَانَتْ تَخَالِصُهُ فِي الشَّدَائِدِ وَتُوَافِيهِ ، وَأَنَّ الْمَقَامَ الْعَالِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ سَيَّرَ مَطَارِفَ الْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَأَقْرَأَ أَحْوَالَهُمْ فِي عَدَمِ التَّعَرُّضِ إِلَى الْأَمْوَالِ وَالذُّرِّيَّةِ ، عَلَى مَا هُوَ الْمَسْنُونُ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ . وَفَهَمْنَا جَمِيعَ مَا شَرَحَهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ هَذَا الظَّفَرِ الَّذِي أَبْيَضَ بِهِ وَجْهُ الْفَتْحِ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَحْتَرَبَهُ صَدْرُ النَّصْلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ مُلْكَهُ رُقِيًّا ، وَيَجْزِيهِ لِقَبُولِ النَّعْمِ لُقِيًّا ، وَيَجْعَلُهُ دَائِمًا

(١) فِي الْأَصْلِ "فَلَمْ يَنْفَعَهُ" بِدُونِ لَمَّا .

كوصفه مظفراً وكأبيه علياً . وأن المقام العالى لما فرغ وجهه من هذه الوجهة ،
وجاز هذا الملك الذى لم يحز أبأوه كُنْهه ، عاد إلى المهم الذى قدم فيه سلطان
الأبدلُس لأنه ابدى ما المسلمون فيه من محاورة الأذى ، ومحاورة العدا ، وقرب
المسافة بين هذين العدوَيْن كالشجَا . وفى عيونهم كالقذَى . وأنه توى به من الطغاة
من أسدل على المسلمين أودية الردى . وأنه على جانب البحر المعروف بالزقاق ، وبه
قُطَانٌ يمتعون الإرفادَ والإرفاق ، ويصدون عن السبيل من قصد سلوكة من الرفاق .
وأن البراً أيضاً مملوءٌ منهم بصقور صائده ، وعلوج مُكايده ، وكفار معانده ، وفجار على
السوء متعاضده ، والبحر مشحونٌ بغربان طائرة بأجنحة القلوع طارده ، صادرة
بالموت وارده ، جارية في فلك البحر كالأعلام إلا أنها بالإعلام بالخبر شاهده ، تختطف
كلَّ أمٍّ وقاصد ، وتتعهد لأهل الإيمان بالمرأصد ، وتُدنى الموت الأحمر ، ممن ركب
البحر الأخضر ، وتمتع السالك ، إلا أن يكون من أهل الضلال الخالك ، من
بنى الأصفر .

وأنَّ المقام العالى عند ذلك قام لله وغاز ، وأنجد جنوده في طلب النار من أهل
النار وأغار ، وأنجد قاصد حرمه ببُعوث كرمه وأعار ، وأرسل عقبان فرسانه محلقة
إلى ذلك الجبل الشاخ الذرى وأطار ، إلى أن احاطت بهم جنوده إحاطة الآساد
بالفرائس لإحاطة الهالات بالأقمار ، فما منهم إلا من أعمل على العدا رحن المنون
وادار ، وسار وناعى البين يقدمه إلى أين سار ، وقدم عليهم ولده الميمون النقيبه ،
المنوح غربة من مواقع النصر بكلِّ غريبه ، الجارى على سنن آبائه الكرام ، المظفر
أتى سرى المدوح حيث أقام . وأنه مرَّق جموعهم الكثيفه ، وهدم معاقلهم المنيفه ،
وأسندنى منهم القاصى ، وأسئزل العاصى ، وأخذ بالأقدام والنواصي ، وأحلَّ العذاب
والنكال ، بمن يستحقه من أهل الإلحاد والمعاصى ، وقرن بين الأرواح والآجال ،

وأذكرهم بهذا النصر أيام ابن نصر وأعاد ، وأثبت لهذا الجبل حقيقة أسم المدح ،
وأستقر في صحائف فعله المقام إلى آخر هذا المنح .

وعلمنا أيضا ما اعتمده الطاغى المغتال لعنه الله من الحضور بنفسه ، وجمعه
الملحدين من أبناء خدمته والمارقين من جنسه . وأنه أعظم هذا الأمر وأكبر ،
وأبدئ الزفير لهذا المصاب وأظهر ، وأقسم بمعبوده المصوّر وصلبيه المكسّر ، أن لا يعود
إلا بعد أن يظفر بما سلبه الحق إياه وتبصر ، فأبى الله والمؤمنون أن تكون النية
إلا خائبه ، وقضت سعادة الإسلام أن تكون الأيام لما عقده من الطوية الردية
ناكبه ، فلما طال عليه الأمد وحان الحين ، عاد صفر اليمين ولكن بحفى حين ؛
ناكصا على عقبه ، خاسئا لسوء منقلبه ، وأسرع إلى مقر طاغوته سرى وسيرا ،
ولو كان من ذوى الألباب لتعقل في أمر قول الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بَغْيَظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ . وأنّ المقام العالى أزمه بعد ذلك ما كان على أهل
«أغرناطة» له في كل عام موظفا ، ووضع عنهم إضر ما يرح كالأسر مجحفا .

وهذه عزة إسلامية جدد الله على يد المقام بذلك القطر صدورها ، وسطر
في صحائف حسناته أجورها ، وأبقى له مدخورها ، وأعدّها له ليوم تجد فيه كل نفس
ما عملت من خير محضرا إذا شاهدت عرضها ونشرها . ومنّة من الله أربت على العدا ،
وتجاوزت الحد ، ومزينة لا تطمح الآمال إلى ميلها في جانبها ولا تمتد ، ورب جد
يلحق بها الولد الناجم في سماء المعالى ربّ الكرام من أب له وجد - والله يجعله مظفرا
على العدا ، منصورا على من حاد عن سواء السبيل وأعدى ، مستحقا لحسن
الأخبار على قرب المدة وبعد المدى .

وقد كان أخونا أمير المسلمين ، وسلطان الموحدين ، والدك الشهيد قدس الله
سره ، وبوآه دار النعيم وبها أقره ، في كل آونة يُخبرنا بمثل هذا الفتح ، ويذكر لنا

ماناله من جَزِيلِ المنح؛ (فهذه شِنْشَنَةٌ نَعْرِفُهَا من أنْحَزَم)، وَسِنَّةٌ سَلَكَ فِيهَا الشَّبَلُ الصَّائِدُ
 سَنَنَ ذَلِكَ الصَّيِّمِ الأعْظَمِ، وَنَحْنُ نَجْمُدُ اللهَ الَّذِي أَقَامَ المَقَامَ مَقَامَ أَبِيهِ لِنُصْرَةِ الإِسْلَامِ
 وَأَبِي، وَصَدَّقَ بِمَا تُنْشِئُهُ من حُسْنِ أفعالِكَ وَسَعِيدِ آرائِكَ أَنَّكَ أَبُو الحُسَيْنِ وَأَنَّ
 أَبَاكَ أَبُو سَعِيدٍ حَقًّا .

وحيثُ سَلَكَ المَقَامَ سَنَنَ والدهِ الشَّهِيدِ، وَأُخْفِنَا من أنْبَاءِهِ بِكُلِّ جَدِيدٍ؛ وَقَصَّ عَلَيْنَا
 أَحاديثَ ذَلِكَ الجَانِبِ الغَرْبِيِّ المُشْرِقِ بأنوارِهِ، وَنَصَّ مُتَجَدِّدَاتِهِ مَفْصَلَةً حَتَّى صِرْنَا
 كَأَنَّنا مُشَاهِدُونَ لِذَلِكَ النُّصْرِ وَمَوَاقِعِ آثارِهِ، فَقَضَى الوُدُّ أَنْ تُخْفِنَا من أَحاديثِ جَيْشِنَا
 الَّذِي أَشْرَقَتْ لَمَعَاتُ سِوْفِهِ فِي الشَّرْقِ الأعلى بِمَا يُسَنَّفُ سَمْعَهُ، وَيُسِّرُ مَعشَرَ الإِسْلَامِ
 وَجَمْعَهُ، وَمَوْطِنَهُ وَرَبْعَهُ : لِيَتَحَقَّقَ أَنَّ نِعَمَ اللهِ لِكُلِّ مَنْ قامَ بِتَشْيِيدِ هَذَا الدِّينِ
 المَحْمُودِيِّ عَامَّةً، وَمِنْتَهُ لِدِينِهِمُ تامَّةً، وَالطَّافَةُ بِهِمُ حافَّةً، وَمُناصَرَتُهُ لِيَدِ سُلْطَانِ الإِسْلَامِ
 فِي أعناقِ العِدَا مُطَلَّقةً وَلَا تُكْفَى أَهْلِ الشَّرْكِ كافَّةً، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

فَمَا يُبْدِيهِ لِعَلَمِهِ، وَهُدْيِهِ لِسَعِيدِ فَهْمِهِ، أَنَّ من جَمَلَةٍ من يَجِلُّ لِأَبوابِنَا الشَّرِيفَةِ
 من مَلوكِ الكُفْرِ الطَّيْبَةِ فِي كُلِّ عامٍ، وَيَرَى أَنَّ ذَلِكَ من جَمَلَةِ الإِفْضالِ عَلَيْهِ
 وَالإِنعامِ؛ مِمَّا لَكَ سِيسٌ، الَّذِي هُوَ فِي مِلَّتِهِ من ساكِنِي البَرِّ كَالرَّئيسِ، وَيَبِينُ بِطَارِقَتِهِ
 وَطَعَاتِهِ كَالكَتَدِ الأعْظَمِ أَوْ كَالقَدِيسِ النِّفيسِ؛ وَعَلَيْهِ مع ذَلِكَ لِأَبوابِنَا الشَّرِيفَةِ من
 القِنائِطِرِ المَقنَظَرَةِ من الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَلِيلِ المُسَوِّمَةِ ما لا يَجِدُ عَنْهُ وَلَا يَجِيسُ،
 وَمَرَّتَبٌ لا يَقْبَلُ التَّنْقِيسَ وَلَا يَسْمَحُ لِحِناقِهِ بِتَنْفِيسِ، تَجَلُّهُ نُوابِهِ إِلى أَبوابِنَا الشَّرِيفَةِ
 عَن يَدِهِ وَهَمُّ صاغِرُونَ، وَيَقومُونَ بِهِ عَلى قَدَمِ العُبُودِيَّةِ وَهَمُّ ضارِعُونَ .

وَلَمَّا كانَ فِي العامِ المَاضِي سَوَّفَ بَعْضُهُ وَأَنجَرَ، وَدافَعَ عِندَ إِبائِهِ وَقَصَّرَ، وَسألَ
 مَراحمَتَنَا فِي تَنْقِيسِ بَعْضِ ذَلِكَ المُقَرَّرِ، وَأرسلَ ضَراعاتِهِ إِلى نُوابِنَا بِالمالِكِ الشامِيَةِ

في هذا المعنى وكرّر، وقدّر في نفسه المِراوغةَ وأسرَّ خُسرا في ارتعا (؟) والله أعلم بما قدر، فاقتضت آراؤنا الشريفة أن نُرسل إليه بعثاً يدلُّ قياده ، ويُنكسِ صِعاده ، ويخرّبُ بلادَه ، ويوطئُ أطواده ، ويوهنُ عناده ، ويذهبُ فساده ، ويفرِّق أجناده ، ويمزقُ أنجاده ، ويقلِّلُ اعدادَه ، ويُقلِّلُ جموعه ، ويُدكِّكُ رُبعه ، ويُدري على مُلكه دُموعه ، ويُدني خُصوعه ، ويفصلُ تلك الأبدان التي هي للطغيانِ مجموعَه ، فأنهَضنا إليه من الأبطالِ كُلِّ باسل ، وأنهدنا إليه منهم كُلِّ ضِرغامِ خادِرٍ يُظنُّ الجاهلُ أنه مُتكاسل ، وأشهدنا حرَّبه كُلِّ مؤمنٍ يرى الشهادةَ مَعنًا ، والتخلفَ مَأْمًا ، والتباطؤَ مَعْرَمًا ، والعدرَ في هذا المَهْمِ أمرًا محرَّمًا . ويعدُّ الرُكوبَ إلى هذا السَفَرِ قُرْبَه ، والرُّكُونَ إلى وَطَنِهِ غُرْبَه ، ويرغَبُ فيما وعد الله به جيشَه المنصورَ وحرَّبه ، ويربأُ بنفسه أن يكون من الخالفين حُبًّا لها وتكريماً ، ويبادرُ إلى ما أمرَ به رغبةً في قوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . على صافنات جياذ ، ليس لها غيرُ الطيرِ في سُرعة المَرَامِ أضداد ، وعادياتٍ عادياتٍ على أهل العناد ، وضاحيات ذابحات لَدَوِي الفَسَادِ ، ومُغِيرات طالما أسفَرُ صُبْحُهَا عن النَّجَاحِ ، ومُثِيرات تَقَعُ يَتَبَلَّجُ غَيْبُهَا عن تحقُّق النَّجاةِ وإزالة الجُنَاحِ . وصَوَاهِلِ عِرَابِ ، كَمَ للفضلِ بها من نُكُونِ ولِلوْتِ اقْتِرَابِ ، وَأَصَائِلِ خَيْلِ ، تُحَيِّلُ لِرَاكِبِهَا أَنِهَا أُجْرَى من الرياحِ وأَسْرَى من اللَّيْلِ ، قد عَقِدَ الخَيْرُ بِنَواصِيهَا ، وَعُهِدَ النُّصْرُ من أَعْرَافِهَا وَصِياصِيهَا ، وتَسَمَّ رَاكِبُهَا لِذِرْوَةِ العِزِّ من ظُهُورِهَا ، واحْتَوُوا على الكَبِيرِ الأَعْلَى من نُصْرَتِهَا على العِدا وَظُهُورِهَا ، بَسُيُوفِ تَبَدُّدِ الأوهامِ ، وَتُرَيْلِ الإِيهامِ ، وَتَقَدِّدِ الهَامِ ، وَتُدْنِي المَوْتَ الزُّوَامِ ، وَتُطَهِّرُ بِمِيَامِنِهَا نَجَسَ الشَّرِكِ وَدَنَسَهُ ، وَتَقَرِّعُ أَجْسَادَهُمْ فَتَقْعُدُوا كُلُّهَا عِيونًا وَلَكِنْ بالدِّماءِ مُنْبِجِسَهُ ، قد تَسْرَبِلَ كُلُّ مِنْهُمْ من الإِيْمَانِ دِرْعًا حَصِينًا ، وَأَتَخَذَ لِبَسَهُ جُنَّةً وَلَكِنْ من الذَّهَبِ والإِسْتَبْرَقِ لِيَكُونَ

لفضل الله مُظهِرًا وإِحْسَانًا مُبِينًا، وَاتَّخَذَ لِسَهَامِ الْقِسِيِّ يَوْمَ اللِّقَاءِ الْأَسْنَنِ الْحِدَادَ،
وَمَدَّ يَدَ الْمُظَاهِرَةِ بِيَضِّ قِصَارٍ وَسُمْرٍ صِعَادٍ .

فَلَمَّا جَاسُوا خِلَالَ تِلْكَ الدِّيَارِ ، وَمَاسُوا بِرُقُلُونٍ فِي حُلَلِ الْإِيمَانِ الَّتِي تَشْفِي
صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَتَغِيظُ الْكُفَّارَ ، لَمْ يَسْلُكُوا شِعْبًا إِلَّا سَلَكَ شَيْطَانُ الْكُفْرِ شِعْبًا
سِوَاهُ ، وَلَا وَطِئُوا مَوْطِنًا إِلَّا وَكَلَّ كَافِرٌ يَأْبَاهُ ؛ وَلَا نَالُوا مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ كَمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ ؛ وَمَا أَتَوْا لَهُمْ عَلَى ضَرْعٍ حَافِلٍ إِلَّا جَفَّ ، وَلَا مَرَوْا
عَلَى زَرْعٍ حَاقِلٍ إِلَّا أَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهَ الرِّيَّاحُ أَوْ حَطِيمًا تَكْفِيهِ الْكَفَّ ؛ وَلَا هَشِيمٍ
إِلَّا حَرَّقُوهُ ، وَلَا جَمْعَ إِلَّا فَرَّقُوهُ ، وَلَا قَطِيعَ شَاءٍ إِلَّا قَطَّعُوهُ وَمَزَّقُوهُ ، وَلَا ضَائِرًا إِلَّا ضَنُّوا
عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوهُ لَهُمْ أَوْ يُطَلِّقُوهُ ، وَمَا بَرِحُوا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ نَازَلُوا الْبَلَدَ الْمَسْمُومَ بِأَيَّاسَ ،
فَحَصَلَ لِأَهْلِيهِ مِنْ مَسَاءِهِ الْأَشْتَقَاقُ الْأَصْغَرَ وَالْأَشْتَقَاقُ الْأَكْبَرَ بِقَطْعِ الْأَمَلِ مِنْهُ
وَاتِّصَالِ الْإَيَّاسِ ؛ فَنَادَاهُمْ مِنْ بَدَلِكِ الْحِصْنِ مِنْ أَسَارِي الْمُؤْمِنِينَ :

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّيَّ فِي مَنَازِلِنَا * حَسْبِي بِرَأْحَةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ

وَيَا نَصْرَ اللَّهِ أَنْشُرَ بِالظَّفَرِ رِيَابَاتِ مُوَاجِهِنَا وَمَنَازِلِنَا فَطَالَمَا كُنَّا تَوَكَّلُكَ وَنَرْجِيكَ ؛
وَيَا خَيْلَ اللَّهِ أَرْكَبِي ، وَيَا خَيْلَ الْكُفَّارِ أَذْهَبِي ، وَيَا جُنْدَ إِبْلِيسِ أَرْهَبِي ، مَنْ جُنِدَ اللَّهُ
الْفَالِيبِينَ ؛ وَأَنْ وَجَدْتِ مَنَاصِمًا فَانْفِرِي ، وَيَا مَمَّا لِلْإِسْلَامِ مِنْ جُنُودٍ وَأَنْصَارٍ ، قَاتِلُوا
الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ .

وَكَانَتْ مَوْافَاةٌ عَسْكَرِنَا الْمَنْصُورِ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الْإِسْفَارِ ، فَلَمْ يَمْلِكُوا الْقِرَارَ ، وَلَا اسْتِظَاعُوهَا
الْفِرَارَ ، وَلَمْ يَجِدُوا مَلْجَأً مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ . وَقَالَ : لَا وُزَرَ وَكَيْفَ بِهِ لِمَنْ يُلِيَّ الْأَوْزَارَ ،
وَرَأَوْا مَا أَعَدَدْنَا لِلْحِصَارِهِمْ مِنْ مَجَانِيقٍ تَقْدُّ الصَّحُورَ ، وَتُدَكِّكُ الْقُصُورَ ، وَتَغِيضُ بِهَا
مِيَاهُ نَفُوسِ تِلْكَ الْأَجْسَادِ الْخَبِيثَةِ فَلَا يَجْتَمِعَانِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ؛ وَأَنَا أَمَدَدْنَا

جُيُوشَنَا بِجَارِيَاتٍ فِي بَحْرِ الْفُرَاتِ ، مَشْحُونَةٍ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَقْوَاتِ ، وَالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ ؛
وَأَرْفَدْنَا هُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالْقَنَاظِيرِ الْمَقْنَطَرَاتِ ، وَأَوْفَدْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ أُنْجَادِنَا
بِالْدِيَارِ الْبَكْرِيَّةِ ، وَأَطْرَافِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، جُيُوشًا كَالسَّحَابِ الْمَتْرَاكِمْ ، وَأَطْرَنَا عَلَيْهِمْ
عَقِبَانَ اقْتِنَاصٍ مِنْ عَقِبَانَ التَّرَاكِمِينَ اعْتَادَتْ صَيْدَ الْأَرَاقِمِ ، وَأَسْرَ الضَّرَاغِمِ ؛ فَلَمَّا
تَحَقَّقُوا الدَّمَارَ ، لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا كَمَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ مَنْ أَهْلَكَ مِنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ .

فَعِنْدَ الظَّهْرِ حَمِيَّ الْوَطِيسِ ، وَنَكَصَ عِنْدَ إِعْلَانِ الْأَذَانِ عَلَى عَقْبِهِ الْبَلِيسِ ؛
وَشَاهَدُوا الْمَوْتَ عِيَانًا ، وَتَحَقَّقُوا الذَّهَابَ أَمْوَالًا وَإِخْوَانًا وَوُلْدَانًا ؛ أَدْعَنُوا إِلَى السَّلْمِ ،
وَنَادَوْا الْأَمَانَ الْأَمَانَ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ ؛ وَالْكَفَّ الْكَفَّ يَا جُنْدَ الْمَلِكِ الْمُوصُوفِ
عِنْدَ الشَّقَاقِ بِالْحَزْمِ ؛ وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْعِقَابِ بِالْحِلْمِ . وَأَرْسَلَ طَاغِيَتِهِمُ الْأَكْبَرَ
لِيفُونَ ، يُقَسِّمُ بِصَلِيهِهِ : إِنَّا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحِزْبِيَّةِ وَيُوقُونَ ؛
وَمِنَ الرَّعِيَّةِ الَّذِينَ يُطِيعُونَ أَمْرَ مَلِكِهِمُ الْأَعْظَمِ وَعَنْ حَمِيَّ الْإِسْلَامِ يَكْفُونَ ؛ فَعِنْدَ
ذَلِكَ رَأَى نَوَابِنَا بِذَلِكَ الْعَسْكَرِ أَنْ تَكْفَّ عَنْهُمْ شُقَّةَ الشَّقَاقِ وَتُطْوَى ، وَلَانَتْ قُلُوبُهُمْ
لِتَذْكَارِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ تَعَفُّوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ . وَطَالَعُوا عَلُومَنَا بِمَا سَأَلَهُ الْقَوْمُ
مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ ، وَمَا ضَرَعُوا إِلَيْهِمْ فِيهِ مِنَ الْأَمَانِ وَالْأَلْفَةِ ؛ وَإِعْطَاءَ مَا كُنَّا رَسْمَنَا بِهِ
مِنَ تَسْلِيمِ قِلَاعِ مَعْدُودِهِ ، وَتَسْوِغِ أَرْضِ مَحْدُودِهِ ، تَسْتَقَرُّ بِيَدِ نَوَابِنَا وَتُقَطَّعُ بِالْمَنَاشِيرِ
الشَّرِيفَةِ لِأَهْلِ الْجِهَادِ مِنْ أَبْوَابِنَا ، مَعَ اسْتِقْرَارِ مَارَسْمَنَا بِهِ مِنْ قَطِيعِهِ ، وَعَقْدِ الْهَدَنَةِ
عَلَى أُمُورِهِ عِنْدَنَا مُحِبَّةً وَلَدَيْهِمْ فَطِيعَةً .

هَذَا بَعْدَ أَنْ اسْتَوْلَتْ عَسَاكِرُنَا عَلَى قِلَاعِ لِهْمٍ وَحُصُونِ ، وَمُحَرَّرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
وَمُصُونِ ؛ وَطَلَعَتْ أَعْلَامُنَا الْمُحَمَّدِيَّةَ عَلَى قَلْعَةِ آيَاسَ ، وَنَزَلَ أَهْلَ الْكُفْرِ عَلَى حُكْمِ

(١) لعله وحين شاهدوا الخ ليعلق به أذعنوا بعد .

أهل الإيمان وزال التحقُّط والإحتراس، وأُعلن بالأذان في ذلك الصَّرح، وظهرت كلمة الإيمان كما بدأت أول مرة وهذا يُغني عن الشرح، وعلت الملة الحنيفة بذلك القطر وقام أهلها وصالوا، وغلت أيدي الكفار ولعنوا بما قالوا .

وكان جيشنا قبل ذلك أخذ قلعة تسمى « بكورا » واستزلوا أهلها قسرا، واستراؤهم عنها ما بين قتلى وأسرى؛ وهي قلعة شامخة الذرى، فسيحة العرا، وثيقة العرا، يكاد الطرف يرجع عنها خاسئا .

ولما اتصل بأبوابنا هذا الخبر السار، وشفع لنا من نرى قبول شفاعته في إجابة ماسأله هذا الشعب من إرجاء عذاب أهل الكفر إلى نار تلك الدار؛ منا عليهم بالأمان، وقابلناهم بعد العدل بالإحسان؛ وتقدم أمرنا إلى نوابنا بكف السيف وإغماده، وإطفاء مسعر الحرب وإخماده؛ وأن يُجرى المن على مالوفه منا ومعتاده، بعد تسليم تلك القلاع، وهدم الأسوار التي كان بها لأهل الكفر الإمتناع؛ واستبقاء الرعية، واستحياء الذرية، وإجراء الهدنة المسؤولة على القواعد الشرعية؛ وعاد عسكرنا منشور الذوائب، مظفر الكائب، مؤيد الموابك، مشحونا بغرائب الرغائب .

وعند وصولهم إلى أبوابنا فتحنا لهم أبواب العطاء الأوفر، وبدلناهم بالتي هي أحسن وعوضناهم الذي هو أكثر؛ وأفضنا عليهم من خلع القبول ما أنساهم مشقة ذلك السرى وشقة السير، وتلا عليهم لسان الإنصاف ﴿وَلِيَأْسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ .

وبعد ذلك ورد علينا كتاب بعض نوابنا بالأطراف من أولاد قرمان، القائمين بمشارك ممالكا على وجه الأمن وسعة الأمان، بأنهم عند عودهم من سيس؛ ونصرتهم على حرب إبليس، استطردوا فأخذوا للكفر تسع قلاع، ما برحت شديدة الإمتناع،

لا تَمْتَدَّ إِلَيْهَا الْأَطَاعَ ؛ فَتَكِلُ الْمَأْخُودُ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ وَمَا قَبْلَهَا نَحْسَ عَشْرَةَ قَلْعَهُ ،
وَبَدَّدَ اللَّهُ شَمْلَ الْكُفْرِ وَفَرَّقَ جَمْعَهُ ، وَأَثَرْنَا أَنْ نُعَلِّمَ الْمَقَامَ الْعَالِيَّ بِأَمْحَةٍ مِمَّا لِلَّهِ لَدِينَا
مِنَ النَّعْمِ ، وَلِهَذَا مِنْ شَارَةِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى أَثَرِ اخْتِلافِ كَالدَّيْمِ ، وَنُطْلَعَهُ عَلَى دَرَّةٍ مِنْ
سَبَابِ ، وَعَرَفَهُ مِنْ بَحْرِ عُبَابِ ؛ وَطُرْفَةَ نَشْرَهَا كَالْمِسْكَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَنْجَتَمَّ بِهَا
هَذَا الْكِتَابُ .

وَنَحْنُ نَرْغَبُ إِلَى الْمَقَامِ أَنْ يُوَاصَلَ بِكُتُبِهِ الْمَفْتُوحَةِ بِالْوِدَادِ ، الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى النُّصْرَةِ
عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ ، الْمَشْحُونَةِ بِمَوَاقِعِ الْفَتْحِ وَالظَّفَرِ الَّتِي تَنْتَضِعُفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَتَرْدَادُ ؛
الْمَحْتَوِيَةِ عَلَى الطَّرَافِ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالتَّالِدِ ، الْمَتَّصِلِ سَبَبُهَا بَيْنَ الْآبَاءِ الْكِرَامِ
وَمُجَبِّاءِ الْأَوْلَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ دَائِمًا لثَمَرَاتِ النُّصْرِ مِنَ الرِّيحِ يَجْتَنِي ، وَلُجُوهِ
الْفَتْحِ مِنَ الصَّوَارِمِ يَجْتَنِي ؛ وَيُدِيمُ عَلَى الْإِسْلَامِ مَزِيدَ الْعِزِّ الَّذِي يَتَجَدَّدُ كُلَّ آوْنَةٍ مِنْ
طَلَائِعِ رَايَاتِ مُحَمَّدٍ وَبِدَائِعِ آرَاءِ عَلِيٍّ ، بِمَنْهَ وَكِرْمِهِ .



وهذه نسخة كتاب جواب إلى صاحب فاس حيث ورد كتابه بالتعرض لوقعة
« تمرلنك » من إنشاء مؤلفه ، كُتِبَ بِذَلِكَ عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ « فَرَجِ بْنِ
بَرْقُوقِ » وَهُوَ .

عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ (إِلَى آخِرِ أَلْقَابِ سُلْطَانِنَا) أَجْرَى اللَّهُ تَعَالَى
الْأَقْدَارَ بِرَفْعَةِ قَدْرِهِ ، وَأَدَارَ الْأَفْلاكِ بِتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ ، وَأَذَلَّ رِقَابَ الْأَعْدَاءِ بِسَطْوَتِهِ
وَقَهْرِهِ ، وَسَخَّنَ الْأَقْطَارَ بِسُمُوعَتِهِ وَمَلَأَ الْأَفَاقَ بِذِكْرِهِ ، يُخَصُّ الْمَقَامَ الْعَالِيَّ (إِلَى آخِرِ
الْأَلْقَابِ) : رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي مُلْكِهِ الشَّامِخِ مَنَارًا ، وَجَعَلَ النُّصْرَ وَالظَّفَرَ لَهُ شِعَارًا ،
وَأَحْسَنَ بِحُسْنِ مُوَاتَاتِهِ إِلَّا لِأَهْلِ الْكُفْرِ جَوَارًا ، بِسَلَامٍ يَفُوقُ الْعَبِيرَ عَيْقَهُ ، وَيَزْرِي

بَفَيْقِ الْمَسْكِ الدَّارِيَّ فَيْقُهُ ، وَيُجِلُّ الرُّوضَ الْمُنَمَّ إِذَا تَزَيَّنَ بِالْبَهَارِ خُلُوقَهُ ، وَثَنَاءُ
تَكَلُّ الْإِلْسِنَةِ الْبَلِيغَةِ عَنْ وَصْفِهِ ، وَيَعِجُزُ بِنَاءُ الْمَجْدِ الْأَثِيْلِ عَنْ حُسْنِ رِصْفِهِ ؛ وَتَعْرِفُ
الْأَزَاهِرُ بِالْقُصُورِ عَنْ طَيْبِ أَرْجِهِ وَمَسْكِ عَرْفِهِ ، وَشُكْرُ يُوَالِي الْوَرْدِ فِيهِ الصَّدْرُ ،
وَيَحَقِّقُ الْخُبْرُ فِيهِ الْخَبْرَ ، وَيُشْبِعُ فِي الْأَفَاقِ ذِكْرَهُ فَتَحْتِذُهُ الشُّمَارُ حَدِيثَ سَمَرٍ .

أما بعد حمد الله واصل أسباب المودة وحافظ نظامها، ومؤد كدعلائق المحبة بشدة الثنائها، ورباط جاش المعاضدة بالتحاد كلمتها وتتأسب مرامها، ومجدد مسرات القلوب بتوالي أخبارها المبهجة عن عالي مقامها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل نبي رعى الذمام على البعاد، وأكرم رسول قرن صدق الإخاء منه بصحة الوداد، صلاة تبلغ من رتبة الشرف مئتمها، وتتطوى الشقة البعيدة دون بلوغ مداها، فإنه ورد علينا على يد رسولكم فلان كتاب كريم طاب وروده، وتهللت بالبشر سعوته، وشهد بصدق المحبة الصادقة شهوده، وطلع من الجانب الغربي هلاله فلاحت بالمشرق بحسن التلق سعوته، فقر منه برؤيته الناظر، وأبتج بموافاته انلطاطر، ولاحت من جوانبه لوائح البشر فأحسن تلقيه سلطاننا الناصر.

وقابلناه من القبول بما كاد باطنه لجمال الموافاة يكون عنوانا للظاهر، وفضضنا خاتمه المصون عن بديع كلام مخترع، وبنات فكر قبله لم تفتزع، وفضاحة قد أحكم اللسن مبانها، وبلاغة تناسبت ألفاظها فكانت قوالب لمعانيها، وبراعة قد أحسنت البديهة ترتيبها بجاءت وتواليها تتبع هوايها، وفهمنا ما أظهره من كوامن المحبة التي بلغت من القلب الشغاف، وبوارح الشوق الذي عندنا من مثله أضعاف أضعاف، وانبهينا إلى ما أشار إليه المقام العالی من التلويح إلى ما طرق أطراف ممالكنا الشريفة من طارق الاعتدا، وما كان من الواقعة التي كاد خبرها لفظاعته يكون كالمبتدا.

ونحن نبدي لعلم المقام العالى ما يوضح له أن ما وقع من هذه القصة لم يكن عن سوء تدير، ونورد عليه من بيان السبب ما يحقق عنده أن ذلك لم يكن لعجز ولا تقصير، بل لأمرٍ قدر في الأزل، ومقدور الله تعالى لا يدفع بالحليل .

وذلك أنه لما اتصل بمسامعنا الشريفة قصد العدو إلى جهتنا، وتجاوز حده بلادنا إلى أطراف مملكتنا؛ بأدركنا الحركة إليه في عسكر لجب، وجيوش يضيق عن وسعها الفضاء الرحب؛ من كل بطل عركته الحروب، وثقته الخطوب؛ وحنكته التجارب، ونجم عوده بكثرة المنازلات قراع الكائب. قد امتطى طرفاً عربى الأصل كريم الحسب، خالص العتق صريح النسب؛ يفوت الطرف مدى باعه المديد، ويسبق حافره موقع بصره الحديد. ولبس درعا قد أحكم سردها، وأزم شدتها، وبالغت في السبوغ فاتصفت بصفات الكرام، وضاعت عينها فمغنت شبحا حتى ذباب السهام. ووضع على رأسه بيضة تحطف الأبصار وميض برقها، وتزلق السهام الراشقة صلابه طرفها؛ وترفعها الأبطال على الرؤوس فلا ترى أنها قامت ببعض حثها. وتقلد سيفاً يمضى على الرقاب نافذ حكمه، ويقضى بانقضاء الأجل انقضاء نجه، لا ينبو عن ضريبة فيرد، ولا يقف حده في القطع عند حد. وأعتقل رُحماً يجرى الدماء سنانه بأنايبه، ويمد إلى الفارس باعه الطويل فيأخذ بتلابيبه؛ وتمسك المنايا بأسبابه فتعلق منه بالأذيال، وتضرس الحرب بزرق أنيابه كأنها أنياب أغوال . وتتك قوساً موعز الأجال هلال هلالها، ومورد المنون إرسال نبالها؛ ومدرك النارنة وترها، وموقد نار الحرب قدح شررها، قد أقرن بها سهام تسابق الريح في سرعتها، وتعاجل الموت بصرعتها؛ وتختطف العيون في ممرها، وتختلس النفوس من مقرها؛ تدخل هجماً كل محتجب، وتأتي الحذر من حيث لا يحسب . وتناول عموداً يهجم على الأضالع بأضلاعه فيقدغها، ويصافح الرؤوس بكفه الملتحمة الأصابع

فِيَدْمُغُهَا ، يُقْتَرَبُ مِنَ الْأَجْلِ كُلِّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلَقُ مِنَ الْعُمُرِ كُلِّ جَدِيدٍ ، وَلَا يُقَاوِمُهُ
فِي الدَّفَاعِ بَيْضَةٌ وَأَنْتَى تُقَاوِمُ الْبَيْضَةَ زُبْرَةً مِنْ حديد .

وتحررنا من الديار المصرية في جيوش لا يأخذها حصر، ولا يلحقها هضر، ولا يظنُّ
بها على كثرة الأعداد كسر، ولم نزل نُحِثُّ السير، ونُسرع الحركة للقاء العدو إسرَاعَ
الطير، حتى وافينا دمشق المحروسة فنزلنا بظاهرها، مستمطين النصر في أوائل
حركتنا وأوانحها، وأنضمَّ إلينا من عساكر الشام وعربانها، وتركنا الزائدة على العَدِّ
وعشرانها، ما لا ينقطع له مدد، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد . وأقبل القومُ
في ليف كالجراد المنتشر، وأمواج البحر التي لا تنحصر: من أجناسٍ مختلفه،
وجموع على تباين الأنواع مؤتلفه، وتراءى الجمعان في أفسح مكان، ورأى كل قبيل
الآخر رأى العين وليس الخبر كالعيان، وأعدَّ الفريقان للنزال، وأحضرُوا خنادق
للاحتراس وتبؤانا مقاعد للقتال، ولم يبق إلا المبارزة، وآلتقاء الصفوف والمناجزة،
إذ ورد وإرد من جهتهم بطلب الصلح والموادة، والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة،
فأجبتناهم بالإجابة، ورأينا أن حزن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأي إصابه،
وكتبنا إليهم في ضمن الجواب :

لَمَّا أَتَانَا مِنْكُمْ قَاصِدٌ * يَسْأَلُ فِي الصَّلْحِ وَكَيْفَ الْقِتَالِ

قُلْنَا لَهُ نَعَمْ الَّذِي قُتِلَهُ * وَالصَّلْحُ خَيْرٌ وَأَجَبْنَا السُّؤَالَ

فبينما نحن على ذلك، واقفون من المواعدة على المواعدة على ما هنالك، إذ بلغنا أن
طائفة من الخوثة الذين ضلَّ سعيهم، وعاد عليهم بالوبالِ والله الحمد بغيهم، توجهوا
إلى الديار المصرية للاستيلاء على نُحْتِ مُلْكِنَا الشريف في الغيبة، آملين ما لم يحصلوا
منه إلا على الخيبة، فلم يسع إلا الإسراعُ في طلبهم، للقبض عليهم وإيقاع النكال

بهم، وجازيناهم بما يُجازى به الملوک من رام مرامهم، وظنَّ العدو أن قصدنا الديار المصرية إنما كان لخوف أو فشل، فأخذ في خداع أهل البلد حتى سأموه إليه وفعل فعلته التي فعل، ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

ثم لم نزل ندأب في تحصين البلاد وترويح أعمالها، وترتيب أمورها وتعديل أحوالها، حائطين أقطارها المتسعة بجيوش لا يكمل حُدّها، ولا يعقب بالجزر مدّها، ليكنونوا للبلاد أسوارا، وللدولة القاهرة إن شاء الله تعالى أعوانا وأنصارا، وأعاد الله تعالى المملكة إلى حالها المعروف، وترتيبها المألوف، فاستقرت بعد الاضطراب، وتوطنت بعد الاعتراب .

وفي خلال ذلك ترددت الرسل إلينا في عقد الصلح وإمضائه، ودفن ما كان بين الفريقين من المباشنة وإخفائه؛ فلم يسعنا التلکؤ عن المصالحة [بل سعينا] سعيها؛ والله تعالى يقول: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ . فعقدنا لهم عقد الصلح وأمضيناه، وأحكمتنا قواعدهُ توكلا على الله تعالى وأبرمناه، وجهزنا إليهم نسخة منه طمغت بطمغة قازم عليها، وأعيدت إلينا بعد ذلك ليكون المرجع عند الاختلاف والعياذ بالله تعالى إليها: ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَمِيسُؤِيَّتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

والله تعالى يحب إخاءكم الكريم مواقع الغير، ويقرب مودته الصادقة بصفاء لا يشوبه على ممر الزمان كدر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الجملة الرابعة

(في مكتبة ملك المسلمين بالأندلس)

وهو صاحب غرناطة ، وقطعتها تسمى حمرأ غرناطة . وقد تقدم في المقالة الثانية في المسالك والممالك ذكر هذه المملكة وأحوالها ، ومن ملكها جاهلية وإسلاما ، وأنها الآن بيد نبي الأحمر . وقد ذكر في " التعريف " أنهم من ولد قيس بن سعد ابن عبادة سيد الخزرج الأنصاري : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي منهم الآن بيد السلطان محمد بن يوسف بن محمد الخلوع ابن يوسف بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ؛ وقد أزل الله من يجاوره من نصارى الفرنج بسيفه ، وأمتنع في أيامه ما كان يؤديه من قبله من أواخر ملوك الأندلس إلى ملك الفرنج من الإتاوة في كل سنة ، لاستقبال سنة ثنتين وسبعين وسبعائة وإلى آخر وقت .

وقد ذكر في " التعريف " أن سلطانها كان في زمانه في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » أبا الفضل يوسف ؛ ولعله يوسف بن إسماعيل المقدم ذكره . قال : وهو شاب فاضل له يد في الموشحات . ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في " التعريف " بعد البسملة " أما بعد " بخطبة مختصرة ، « فهذه المفاوضة إلى الحضرة العلية ، السنية ، السرية ، العالمية ، العادلة ، المجاهدية ، المؤيدية ، المرابطية ، المناغرية ، المظفرية ، المنصورية ، بقية شجرة الفخار ، وخالصة سلف الأنصار ، المجاهد عن الدين ، والذاب عن حوزة المسلمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، خالصة الخلافة المعظمة ، أمير الإمامة المكرمة ، ظهر أمير المؤمنين ، أبي فلان فلان . »

وهذا صدر لهذه المكاتبة ذكره في "التعريف" وهو .

صدرت هذه المكاتبة إليه متكفلةً بالنصر على بُعد الدار، مجرّدة النصل إلا أنه الذي لا يؤخّره البدار؛ مُسعدةً بالهمم ولولا الاشتغال بجهاد أعداء الله فيمن قُرب لَمَّا تقدّمت سرعان الخيل، ولا أقبلت إلا وفي [أوائل^(١)] طلائعها للأعداء الويل؛ ولا كُتبت إلا والعجاج يُترّب السطور، والفجاج تقذف ما فيها على ظهور الصّواهل إلى بطون البحور. مبديةً ذكر ما عندنا بسببها لمجاورة الكُفّار، ومجاورة السيوف التي لا تملّ من النفار، مع العلم بما لها في ذلك من فضيلة الجهاد، ومزية الجلّد على طول الحلاّد، ومصابرة السهر لأوقات منيمه، ومكاثرة هذا العدو بالصبر ليكون لها غنيمه، ونحن على إمدادها - أيدها الله - بالنصر والبدعاء الذي هو أخفّ إليها من العساكر، وأخفى مسيراً إذا قدر حقه الشاكر؛ ثقةً بأن الله سينصر حزبه الغالب، ويكفّ عدوه المغالب، ويصل بإمداد الملائكة لجُنّده، ويأتي بالفتح أو بأمرٍ من عنده، لتجرى أظافه على ما عوّدت، ويؤخذ الأعداء بالجريرة، ولينصرن الله من ينصره وينظر إلى أهل هذه الجزيرة .

والذي ذكره في "التثقيف" أن رسم المكاتبة إليه مثل صاحب تونس في القطع والخطابة، والاختتام، والعلامة، والتعريف "صاحب حمراء غرناطة" .

وهذه نسخة جواب إلى صاحب حمراء غرناطة . وقد ورد كتابه في ورقٍ أحمر يتضمن قيامه بأمر الجهاد في الكُفّار، وما حصل من أستيلاء بعض أقاربه على ملكه ونزعه منه، وأنه استظهر بعد ذلك على المذكور وقتله، وعاد إلى ملكه على عادته . في جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعائة، وهي :

(١) من "التعريف" زدناه .

تُحْصُ الحَضْرَةَ العَلِيَّةَ ، حَضْرَةَ الأَمِيرِ فُلانَ ، وألقابه ، جعل الله له النَّصْرَ أَيْنَ سَارَ قَرِينًا ، وَالظَّفَرَ وَالإِسْتِظْهَارَ مَصاحِبًا وَخَدِينًا ، وَزَادَ فِي مَحَلِّه الأَسْنَى تَمْكِينًا وَتَأْمِينًا ، وَمَنْحَ أَفْقَهَ الغَرَبِيِّ مِنْ أَسْرَةٍ وَجْهَهُ المِثْلَئِي الإِشْرَاقَ ، وَمَهَابَةَ بَطْشِهِ الَّذِي يُورِدُ العِدَا مَوَارِدَ الرَّدَى بِالإِتِّفَاقِ ، تَحْسِينًا وَتَحْصِينًا - بِإِهْدَاءِ السَّلَامِ الَّذِي يَتَأَرَّجُ عَرَفًا ، وَيَتَبَلَّجُ وَصْفًا ، وَيَكَادِ يَمَازِجُ النَّسِيمِ لُطْفًا - وَإِبْدَاءِ الشُّكْرِ الَّذِي جَلَّلَهُ مَلَائِسُ الإِكْرَامِ وَأَضْفَى ، وَأَجْمَلَ مِنْهُ نَفَائِسَ عَقْدِ المُوَدَّةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا فَلَمْ تَكُنْ تَحْفَى .

ثُمَّ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ مُؤَكِّدِ أَسْبَابِ عُلَاهِ ، وَمُؤَيِّدِ مَوْجِبَاتِ نَصْرِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَدَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ المَقَرَّبِينَ ، وَنَصْرِهِ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ كَمَا وَرَدَ بِالنَّصِّ وَالتَّعْيِينِ ؛ وَرَفَعَ بِاسْمِهِ أَلْوِيَّةَ المُؤْمِنِينَ المُوَحِّدِينَ ، وَقَعَ بِأَسْهٍ نَائِرَةِ البُعَاةِ وَالمُتَمَرِّدِينَ .

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ لَازَمُوا التَّمَسُّكَ بِأَسْبَابِ الدِّينِ ، وَجَاهَدُوا فِي إِقَامَةِ مَنَارِ الإِسْلَامِ لَمَّا عَلِمُوا مِقْدَارَ أَجْرِهِمْ عِلْمَ اليَقِينِ ، صَلَاةً مُتَوَالِيَةً مُتَوَاتِرَةً عَلَى مَرَّ الأَحْقَابِ وَالسَّنِينَ ؛ فَإِنَّا نَوْضِحُ لَعَلْمَهُ الكَرِيمِ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ عَلَيْنَا مُشْتَمِلًا عَلَى المَحَاسِنِ الغَرَّاءِ ، مُغْرِبًا بِلَ مَعْرِبًا لَنَا بِجَمْرَةِ لَوْنِهِ أَنْ نَسْبَتَهُ إِلَى الحُمْرَاءِ ؛ مُشْمًا وَرَدَ الحُدُودَ وَالنَّقْصَ فِيهِ كَالخَالِ ، أَوْ شَقَائِقَ التُّعْمَانِ كَمَا بَدَأَ رَوْضَهُ غِيبَ السَّحَابِ المُتَوَالِ . فَوْقَفْنَا عَلَى مَضْمُونِهِ جَمِيعِهِ ، وَتَلَمَّحْنَا بِدِيحِ مَعَانِيهِ مِنْ جَمِيلِ تَوْشِيْعِهِ وَتَرْصِيْعِهِ ، وَعَلَّمْنَا مَا شَرَحَهُ فِيهِ : مِنْ أَسْتِمْرَارِهِ عَلَى عَادَةِ سَلْفِهِ فِي القِيَامِ بِأَمْرِ الجِهَادِ ، وَقَطْعِ دَابِرِ الكُفْرَةِ ذَوِي الشَّقَاقِ وَالعِنَادِ ، وَتَوْطِيْدِ مَا لَدَيْهِ مِنْ تِلْكَ البِلَادِ ، وَتَطْمِينِ مَا بَهَا مِنَ العِبَادِ ؛ وَمَا آتَفَقَ مِنْ قَرِيبِهِ فِي الصُّورَةِ لِأَنِ المَعْنَى ، وَكَيْفَ أَسَاءَ إِلَيْهِ فِعْلًا وَقَدْ أَحْسَنَ بِهِ ظَنًّا ، وَأَنَّهُ رَصَدَ الغَفْلَةَ مِنْ جَنَابِهِ ، وَأَقْدَمَ عَلَى مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ مِنْ اقْتِرَافِ البَغْيِ وَالتَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِهِ ، وَلَمْ

يَزُلُّ يُرَاعِي غَيْبَةَ الرَّقِيبِ وَهُجُوعَ السَّامِرِ ، إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ مِنَ الْأَسْتِيَاءِ عَلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ
الَّذِي ظَنَّ أَنَّ أَمْرَهُ إِلَيْهِ صَائِرٌ ، لَكِنَّهُ مَعَ كَوْنِهِ قَدْ اقْتَحَمَ فِي قَعْلَتِهِ هَذِهِ الْأَهْوَالَ ، وَتَوَهَّمُ
أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ بِمَكْرِهِ عَلَى بُلُوغِ بَعْضِ الْأَمَالِ ، فَإِنَّهُ مَاسَلَّمَ وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ حَتَّى وَدَّعَ ،
وَلَا أَقْبَلَ سَحَابَ اسْتِيْلَائِهِ حَتَّى أَقْشَعَ بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِحَضْرَةِ الْأَمِيرِ مِنْ نُصْرَتِهِ ،
وَعَوْدِهِ إِلَى مَحَلِّ أَمْرِهِ وَإِمْرَتِهِ . وَأَنَّهُ آثَرًا طَّلَعَ عَلِيمُنَا الشَّرِيفَةَ عَلَى هَذِهِ الْوَاقِعَةِ ،
لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ تَأْكِيدِ الْمُوَدَّةِ الَّتِي غَدَّتْ حَامِمًا عَلَى أَفْنَانِ الْحُبَّةِ سَاجِعًا ، وَقَدْ عَلِمْنَا
هَذَا الْأَمْرَ ، وَشَكَرْنَا جَمِيلَ مَحَبَّتِهِ الَّتِي لَمْ يَنْسُجْ عَلَى مَنَوَالِهَا زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو ، وَأَبْتَهَجْنَا
بِمَا يَسْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَتَهَزْنَا فُرْصَ الشَّرُورِ بِمَا مَنَحَهُ اللَّهُ مِنْ ظَفَرِهِ
الْمُتَقَارِبِ الْمَتَدَارِكِ ، وَحَمِدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى تَأْيِيدِ هَذِهِ الْعِصَابَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَمَا مَنَّ بِهِ
مِنْ عَوْدِ شَمْسِ هَذَا الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ إِلَى مَطَالِعِهَا السَّنِيَّةِ ، وَلَا جَرَمَ أَنْ كَانَتْ لَهُ النَّصْرَةُ ،
وَالْأَسْتِيَاءُ وَالْقُدْرَةُ : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ تَكْفَّلَ سَبْحَانَهُ لِأَوْلِيَائِهِ بِمَزِيدِ التَّكْرِيمِ وَالتَّعْزِيزِ ،
إِذْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِّبَ بِهِ ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصَرَّهُ اللَّهُ ﴾
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ ، فَفَقَدْ وَصَلَ رَسُولُ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ إِلَيْنَا وَتَمَثَّلَ بِمَوَاقِفِنَا الْمَعْظَمَةِ ،
وَمَحَالِّ مَمْلَكَتِنَا الْمَكْرَمَةِ ، وَأَقْبَلْنَا عَلَيْهِ ، وَضَاعَفْنَا الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ ، وَأَدَّى إِلَيْنَا مَا تَحَمَّلَهُ
مِنَ الْمَشَافَهَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَرَسَائِلِ الْحُبَّةِ وَالْمُوَدَّةِ الْقَدِيمَةِ ، فَرَسَمْنَا بِإِجَابَةِ قَصْدِهِ ، وَتَوْفِيرِ
رَبِّهِ وَرِفْدِهِ ، وَقَضَاءِ شُغْلِهِ الَّذِي حَضَرَ فِيهِ ، وَتَسْهِيلِ مَآرَبِهِ بِمَزِيدِ التَّنْوِيلِ وَالتَّنْوِيهِ ،
وَمَسَاحَةِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ بِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَى مَا قِيمَتُهُ الْقَادِينَارُ مِصْرِيَّةً حَسَبَ مَا عَيْنَهُ رَسُولُهُ
الْمَذْكُورُ ، وَلَوْ كَانَ سَأَلْنَا أَعْصَافَ ذَلِكَ لِأَجْبِنَا سُؤَالَهِ مِنْ غَيْرِ تَرَوُّ وَلَا فُتُورِ . وَقَدْ جَهَّزْنَا
إِلَيْهِ حُجْبَتَهُ مَا نَعَمَّتْ بِهِ صِدْقَاتُنَا الشَّرِيفَةَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرِّيَاقِ وَدُهْنِ الْبَلْسَانَ ، فَلْيَتَحَقَّقْ

ماله عندنا من المكانة والمحَلِّ الرفيع الشأن ؛ وقد أعدنا رسوله المذكور إلى بجهته
الكريمة بهذا الجواب الشريف ، محترماً مكرِّماً مشمولاً من إحساننا بالتأييد والطَّريف ؛
فُحيطَ علماً بذلك والله تعالى يُمدُّه بمزيد التأييد، ويمتَّعُه من جميل الإقبال، وجزيل
النَّوال، ما يُرَبِّي على الأمل ويَزِيدُ ! .

تم الجزء السابع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثامن

وأوله المقصد الثالث

(في المكتبة إلى أهل الجانب الجنوبي من جرتِ العادة بالمكتبة إليه
من العرب والسُّودان، وفيه ثلاث جمل)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء السابع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندی

صفحة

- الطرف العاشر — في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية ،
 ولها حالتان... .. ٥
- الحالة الأولى — ما كان الأمر عليه قبل دولة الخلفاء الفاطميين بها
 في الدولة الأخشيدية والطاوية وما قبلهما... .. ٥
- » الثانية — ما كان الحال عليه بعد الدولة الفاطمية في الدولة
 الأيوبية... .. ١٩
- الطرف الحادى عشر — في المكاتبات الصادرة عن ملوك أهل الغرب ،
 ولها حالتان... .. ٣٠
- الحالة الأولى — ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم... .. ٣١
- » الثانية — ما الأمر مستقر عليه مما كان عليه علامة متأخرى
 كتاب المغرب أبو عبد الله محمد بن الخطيب... .. ٣٩
- الطرف الثانى عشر — في الكتب الصادرة عن وزراء الخلفاء المنفذين
 أمور الخلافة اللاحقين بشأو الملوك ، وفيه جملتان ٧٢
- الجملة الأولى — في الكتب الصادرة عن وزراء خلفاء بنى العباس
 ببغداد ووزراء ملوكها يومئذ ٧٢
- » الثانية — في الكتب الصادرة عن وزراء خلفاء الفاطميين
 بالديار المصرية ٧٨
- الطرف الثالث عشر — في المكاتبات الصادرة عن الأتباع إلى الملوك
 ومن في معناهم ، وفيه ثلاث جمل ٨١

صفحة

- الجملة الأولى - في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الشرق إليهم
 ٨١ في الزمن المتقدم
- » الثانية - في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الديار
 المصرية إليهم ٨٧
- » الثالثة - في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الغرب
 إليهم ٩١
- الطرف الرابع عشر - فيما يختص بالأجوبة الصادرة عن الملوك إليهم،
 وهي على ضربين ١٠٣
- الضرب الأول - الأجوبة الصادرة عن الملوك إلى غيرهم،
 وفيه ثلاث جمل ١٠٤
- الجملة الأولى - في الأجوبة الصادرة عن ملوك المشرق ١٠٤
- » الثانية - في الأجوبة الصادرة عن ملوك الديار المصرية
 من وزراء الخلفاء الفاطميين القائمين مقام الملوك
 الان فمن يعلمهم ١٠٧
- » الثالثة - في الأجوبة الصادرة عن ملوك الغرب ١١٠
- الضرب الثاني - الأجوبة الواردة على الملوك ١١١
- القسم الثاني - المكاتبات الصادرة عنهم إلى ملوك الكفرة،
 وفيه طرفان ١١٣
- الطرف الأول - في الابتداءات، وفيه ثلاث جمل ١١٣

صفحة

- الجملة الأولى — في المكاتبات الصادرة إليهم عن ملوك بلاد الشرق
 ١١٣ من بنى بويه فمن بعدهم
- » الثانية — في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية
 إليهم ١١٥
- » الثالثة — في الأجوبة الصادرة إليهم عن ملوك الغرب ... ١١٦
- الطرف الثاني — (وكتب خطأ الخامس عشر) المكاتبات الصادرة إلى
 ملوك الكفر في الأجوبة، وهي إما أن تصدر بما
 يصدر به الابتداء وقد تقدم، وإما أن تصدر
 بلفظ وصل أو ورد ١١٧
- الفصل الرابع — من الباب الثاني من المقالة الرابعة في المكاتبات
 الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استقر
 عليه الحال من ابتداء الدولة التركية وإلى زمان
 المؤلف على رأس الثمانمائة، وفيه أربعة أطراف
 (وكتب خطأ ثلاثة) ١١٩
- الطرف الأول — في المكاتبات الصادرة عنهم إلى الخلقاء من بنى
 العباس ١١٩
- » الثاني — في المكاتب إلى ولاية العهد بالخلافة ... ١٣٤
- » الثالث — في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية
 إلى أهل المملكة من مصر والشام والمجاز،
 وفيه ثلاثة مقاصد ١٣٨

صفحة

- المقصد الأول - في المكاتب المفردة ، وفيه مسلكان ١٣٨
- المسلك الأول - في بيان رتب المكاتب ورتب أهلها ،
وهي على ضربين ١٣٨
- الضرب الأول - المكاتب إلى الملوك على ما كان عليه الحال
في الزمن المتقدم ١٣٨
- » الثاني - المكاتب إلى من عدا الملوك من أرباب السيوف
والأقلام ... وفيه مهيعان ١٤٠
- المهيع الأول - في رتب المكاتب ، وهي على عشر درجات ... ١٤٠
- » الثاني - في بيان مراتب المكتوب إليهم من أهل
المملكة وهم على ثلاثة أنواع ١٥٤
- النوع الأول - أرباب السيوف ١٥٤
- » الثاني - أرباب الأقلام ، وهم على ضربين ١٦٣
- الضرب الأول - أرباب الدواوين من الوزراء ومن في معناهم ... ١٦٣
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية والعلماء ١٦٥
- النوع الثالث - ممن يكتب عن الأبواب السلطانية
- الخونديات السلطانية ١٦٦
- المسلك الثاني - في معرفة ترتيب المكاتب المقدمة الذكر وكيفية
أوضاعها ١٩٤

صفحة

- المقصد الثاني - في المكتبات العامة إلى أدل هذه المملكة وهي
 المطلقات، وحاصل مرجوعها إلى ثلاثة أضرب ٢١٨
- الضرب الأول - المطلقات المكبرة ٢١٩
- » الثاني - المطلقات المصغرة ٢٢٣
- » الثالث - (وكتب خطأ الثاني) من المطلقات البرالغ ٢٢٩
- المقصد الثالث - من المكتبات في أوراق الجواز وبطاق الحمام،
 وفيه جملتان ٢٣١
- الجملة الأولى - في أوراق الجواز ٢٣١
- » الثانية - في نسخ البطائق، وهي على ضربين ٢٣٤
- الضرب الأول - أن تكون البطاقة بعلامة شريفة ٢٣٤
- » الثاني - أن تكون بغير علامة ٢٣٤
- الطرف الرابع - (وكتب خطأ الثالث) في المكتبات إلى عطاء ملوك
 الإسلام ومن انطوت عليه ممالكهم ممن دونهم ...
 وفيه أربعة مقاصد ٢٣٥
- المقصد الأول - في المكتبات إلى عطاء ملوك الشرق
 وفيه أربعة مهارج ٢٣٦
- المهجع الأول - في المكتبة إلى الملوك والحكام ومن جرى مجراهم
 بمملكة إيران ويشتمل المقصود منها على
 ثلاث جمل ٢٣٦

صفحة

- الجملة الأولى - في رسم المكتبة إلى قانها الأعظم ٢٣٦
- « الثانية - في المكتبات إلى من ملك توريز وبقداد بعد
- موت أبي سعيد ٢٥٧
- « الثالثة - في رسم المكتبة إلى من أنطوت عليه مملكة إيران ٢٦٢
- المهيح الثاني - من المكتبة إلى الملوك، مملكة توران ٢٩٢
- « الثالث - في المكتبات إلى من بجزيرة العرب ... وفيه جملتان ٣٣٢
- الجملة الأولى - في المكتبات إلى ملوك اليمن ٣٣٢
- « الثانية - في المكتبات إلى عرب البحرين ومن أنضاف إليهم ٣٧٠
- المهيح الرابع - في المكتبة إلى صاحب الهند والسند ٣٧٢
- المقصد الثاني - في المكتبات إلى ملوك الغرب، وفيه
- أربع حمل ٣٧٦
- الجملة الأولى - في المكتبات إلى صاحب افريقية وهو صاحب
- تونس ٣٧٦
- « الثانية - في مكتبة صاحب الغرب الأوسط وهو صاحب
- تلمسان ٣٨٥
- « الثالثة - في المكتبة إلى صاحب الغرب الأقصى ٣٨٦
- « الرابعة - في مكتبة ملك المشامين بالأندلس ٤١٢

(تم فهرس الجزء السابع من كتاب صبح الأعشى)